

جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول

نويسنده: ليثي، سميره مختار

زبان: عربي

تعداد جلد: ۱

ناشر: مؤسسة دار الكتاب الإسلامي

مكان چاپ: قم

سال چاپ: ۱۴۲۸ هـ. ق

نوبت چاپ: اول

ص: ۵

فهرس الموضوعات

تصدير ۱۳

مقدمة ۱۷

خريطة توضح ثورات الشيعة ۲۱

البيت العلوي ۲۳

خلفاء العصر العباسي الأول ۲۴

البيت العباسي ۲۵

الباب الأول

ظهور جماعة الشّيعَة و جهادها في القرن الأوّل الهجري ۲۹

الشّيعَة في اللّغة ۲۹

مفاهيم التّشيع ۳۰

تأريخ بدء التشيع ٣٠

أثر جهاد الإمام الحسين في تبلور التشيع ٣٤

جهاد الشيعة في العراق ٣٨

ظهور جماعة الشيعة الكيسانية ٤٠

فرقة الشيعة الإمامية ٤٣

ص:٦

أثر جهاد الشيعة في سقوط الدولة الأموية ٤٧

أستفادة الدعوة العباسية من جهاد الشيعة في العصر الأموي ٤٧

قضية ميراث الكيسانية في ميزان التاريخ ٥١

شيعة العلويين أساس الدعوة العباسية ٥٥

ثورة زيد بن علي بالعراق ٦٠

فهل كانت الدعوة العباسية من عوامل إخفاقتها؟ ٦٥

ثورة يحيى بن زيد ٧٠

ثورة الشيعة بزعامة عبد الله بن معاوية ٧٢

هل كانت الدعوة العباسية هي السبب المباشر لإخفاق حركة ابن معاوية؟ ٧٤

أبو مسلم الخراساني و نجاح الدعوة العباسية ٧٧

تطور العلاقات بين البيت العلوي و العباسي ٨١

العباس بن عبد المطلب ٨١

عبد الله بن العباس ٨٤

العلاقات بين العلويين و العباسيين في العصر الأموي ٨٥

توتر العلاقات بين العباسيين و الأمويين ٩٠

افتراق الطّريق ٩٢

فرق الشيعة و موقفها من قيام الدولة العبّاسيّة ٩٣

أبو العبّاس السّفّاح أوّل الخلفاء العبّاسيّين ٩٣

حرج موقف أبي العبّاس في الكوفة مركز الشيعة ٩٦

الاتّجاهات الدّينيّة في الخلافة العبّاسيّة الجديدة ٩٨

موقف الخليفة العبّاسيّ من زعماء العلويّين ١٠٠

ص: ٧

فرق الشيعة في مطلع العصر العبّاسيّ الأوّل ١٠٥

فرق السّبئيّة ١٠٦

فرقة الكيسانيّة ١٠٨

فرقة الهاشميّة ١٠٩

الشيعة الزّيدية ١١٣

تطور فرقة الشيعة الزّيدية ١٢٣

محاولات أبي سلمة الخلّال لتحويل الخلافة إلى العلويّين ١٣٥

أبو سلمة الخلّال ١٣٥

أسباب ولاء أبي سلمة للعلويّين ١٣٧

رسائل أبي سلمة إلى زعماء العلويّين ١٤٠

مصرع أبي سلمة الخلّال ١٤٢

الباب الثّاني

ثورة محمّد النّفس الزّكيّة في الحجاز ١٤٩

محمد النفس الزكية ١٤٩

موقف النفس الزكية وأخيه إبراهيم من خلافة المنصور ١٥٤

إضطهاد العلويين بالمدينة ١٥٨

طلائع الثورة في المدينة ١٦٥

البيعة لمحمد النفس الزكية بالخلافة ١٦٨

الدعوة للنفس الزكية في الأمصار الإسلامية ١٧٤

جزع الخليفة المنصور ووسائله في مواجهة الثورة ١٧٦

ص: ٨

تراسل المنصور و النفس الزكية ١٧٨

المواجهة العسكرية ١٨١

نهاية الثورة ١٨٦

ثورة إبراهيم بن عبد الله في البصرة ١٩٣

إبراهيم بن عبد الله ١٩٣

عوامل اختيار البصرة مركزاً ثورياً ١٩٥

إتساع الدعوة ٢٠١

الموقف في البصرة بعد إستشهاد محمد النفس الزكية ٢٠٥

الصدام العسكري ٢٠٨

شهيد باخمري ٢١١

عوامل إخفاق ثورتى النفس الزكية وإبراهيم ٢١٦

العوامل السياسية ٢١٧

العوامل الإقتصادية ٢٢٦

العوامل العسكرية ٢٣١

العوامل الإجتماعية ٢٣٩

موقف الإمام جعفر الصادق عليه السلام و الشيعة الإمامية من الخليفة المنصور ٢٤٣

جهاد الإمام جعفر الصادق في العصر الأموي ٢٤٦

موقف الصادق من ثورة النفس الزكية ٢٤٨

تطور العلاقات بين الإمام الصادق و الخليفة المنصور ٢٥٢

الآراء السياسية للشيعة الإمامية ٢٥٩

أبرز أفكار الإمام جعفر الصادق عليه السلام ٢٧١

ص: ٩

الصراع الفكري بين الشيعة و العلويين و موقف أبي حنيفة و مالك ٢٧٥

أسس الجهاد الفكري ٢٧٥

صور الصراع الفكري ٢٨٠

شعراء العلويين ٢٨١

شعراء العباسيين ٢٨٥

موقف أبي حنيفة من العلويين و العباسيين ٢٨٧

موقف الإمام مالك من العلويين ٢٩٩

الباب الثالث

تطور فرقة الشيعة الإمامية و ظهور فرقة الشيعة الإسماعيلية ٣٠٩

تطور فرقة الشيعة الإمامية ٣١٠

ظهور الدّعوة الإسماعيليّة ٣١٧

موقف الشيعة الزيدية والإمامية من خلافة المهدي ٣٢٧

سياسة جديدة نحو الشيعة ٣٢٧

موقف الشيعة الزيدية من المهدي ٣٣٠

حركة عليّ بن العباس ٣٣٥

موقف المهدي من الإمام موسى الكاظم عليه السّلام ٣٣٧

تشجيع الوزير العباسي يعقوب بن داود و محاولته تحويل الخلافة إلى العلويين ٣٣٩

ميول الوزراء العباسيين العلوية ٣٣٩

تشجيع الوزير يعقوب بن داود ٣٤١

ثورة الحسين بن عليّ في عهد الخليفة الهادي ٣٤٧

ص: ١٠

شخصية الخليفة الهادي و أثرها في موقفه من العلويين ٣٤٨

الحسين بن عليّ ٣٥٠

بوادر الثّورة العلوية الجديدة ٣٥١

الثّورة ٣٥٥

الشّهاد ٣٥٨

فلسفة أحداث الثّورة ٣٦٢

الباب الرابع

حركتا يحيى و إدريس ابنيّ عبد الله في عهد الخليفة هارون الرّشيد ٣٧١

موقف الخليفة الجديد من العلويين ٣٧٥

يحيى بن عبد الله ٣٧٧

خدعة الدبلوماسية العباسية ٣٧٩

تساؤلان حول موقف الرشيد ٣٨٣

مصير السجين ٣٩٠

ثورة إدريس بن عبد الله ٣٩٢

سياسة الرشيد نحو الشيعة والإمام موسى الكاظم عليه السلام ٣٩٧

سياسة جديدة عنيفة ٣٩٧

موقف الرشيد من الإمام موسى الكاظم عليه السلام ٤٠٠

تساؤلات حول موقف الرشيد الجديد من العلويين ٤٠٨

موقف البرامكة من العلويين و الشيعة ٤١٥

البرامكة بين العباسيين و العلويين ٤١٥

ص: ١١

حقيقة إطلاق جعفر البرمكي سراح يحيى العلوي ٤١٨

الباب الخامس

ثورات الشيعة في عهد الخليفة المأمون ٤٢٣

تمهيد؛ الشيعة في عهد الأمين ٤٢٣

ثورة محمد بن إبراهيم و أبي السرايا ٤٢٧

بوادر ثورة شيعية جديدة ٤٢٨

أبو السرايا و محمد بن إبراهيم (ابن طباطبا) ٤٣٠

زعامة أبي السرايا بعد موت ابن طباطبا ٤٣٤

بداية النهاية ٤٣٩

فلسفة الثورة ٤٤١

موقف حركة نصر بن شيث من العلويين ٤٤٦

حركة محمد الديباج بن جعفر الصادق ٤٤٩

الزعيم الجديد ٤٤٩

أسباب الثورة ٤٥١

الغروب ٤٥٣

موقف الشيعة من بيعة المأمون للإمام عليّ الرضا عليه السلام بولاية العهد ٤٥٩

تساؤلات حول الحقيقة التاريخية ٤٦٠

إجابات على التساؤلات ٤٦٣

البيعة لعليّ الرضا بولاية العهد ٤٧٦

العدول عن البيعة ٤٨٥

ص: ١٢

موقف المأمون من العلويين ٤٩٣

ثورة عليّ بن محمد بن جعفر الصادق و أبي عبد الله أخى أبي السرايا ٤٩٥

موقف الشيعة من المأمون بعد البيعة لعليّ الرضا ٤٩٥

ثورات الشيعة في بلاد اليمن ٥٠٣

عوامل قيام ثورات شيعية في اليمن ٥٠٣

ثورة إبراهيم بن موسى الكاظم ٥٠٦

ثورة عبد الرحمن بن أحمد العلوى ٥٠٧

ثورة محمد بن القاسم في عهد الخليفة المعتصم ٥١٣

الزّعيم العلوي الجديد ٥١٦

عوامل الإخفاق ٥٢١

الشيعة في عهد الواثق بالله ٥٢٣

خاتمة

عوامل استمرار جهاد الشيعة عبر العصور ٥٣١

فهرس الآيات ٥٣٩

المخطوطات ٥٤٥

المصادر و المراجع العربيّة المطبوعة ٥٤٩

المصادر الافرنجية المترجمة إلى اللغة العربيّة ٥٤٥

المصادر الافرنجية ٥٤٩

ص: ١٣

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير بقلم الدكتور أحمد الشرباصي^١

التّاريخ الإسلاميّ كالمحيط الواسع، أو كالبحر الزّخّار الذي تتلاطم فيه الأمواج، و تتعدّد فيه اللّجج، و تنوّع فيه الإتّجاهات.

و ليس ذلك بغريب، فإنّ هذا التّاريخ العظيم الجليل، الخطير الضّخم، قد اتّسعت رقعته، و انقسمت آفاقه، و تكاثرت اتّجاهاته، و تمازجت طوائفه و شعوبه، و ليس عمره بالقصير.

و حينما شغلت نفسي - مثلاً - بتتبع «بطولات الفداء و الوفاء»، في عباب هذا التّاريخ الإسلاميّ - على امتداد عرضه و طوله - وجدت في بطون الأسفار و المصادر، مئات من الأبطال و عظماء الرّجال، الّذين دفعهم دينهم و إيمانهم إلى الجهر بكلمة الحقّ، و دعوة الصّدق، و إلى اقتحام ميادين الجهاد هنا و هناك، لينالوا شرف الانتصار لعقيدتهم و يقينهم، أو ليفوزوا بنعمة الشّهادة المؤدّية إلى ما يوقنون به من نعيم مقيم عند رحمن الدّنيا و الآخرة.

^١ (١) الأستاذ بجامعة الأزهر الزّايد العام لجمعيات الشّبان المسلمين.

و لقد تعرفت إلى مئات و مئات من هؤلاء الأبطال المجاهدين حينما شرعت في «موسوعة الفداء و الوفاء»، التي تدور - في أجزائها المتوالية حول بطولات رائعة مطوية، و أبطال عظماء مجهولين، و إذا كان قد صدر من هذه الموسوعة خمسة كتب^٢، فكيف لو امتدت السبيل أمام هذه المسيرة التاريخية أكثر و أكثر مني؟ . و كيف إذا تعددت المسيرات من غيرى على هذا الدرب الطويل الفسيح الواسع؟!

*** و طائفة الشيعة من الطوائف الإسلامية ذات الأثر الكبير في المجتمع الإسلامي.

و إذا كان التشيع قد بدأ بحب آل البيت النبوي الطهور : بيت سيدنا و رائدنا و قائدنا : رسول الله، عليه و على آله الصلاة و السلام، فقد اتخذ بعد ذلك مسيرة متميزة خلال عصور التاريخ . و قد جعلت هذه المسيرة المتميزة تنفسح و تتسع، حتى صار للتشيع أعلامه و أبطاله و رجاله، و مفكروه و زعماءه و الداعون إليه، و المدافعون عنه : بالكلمة تارة، و بحد الحسام تارة أخرى.

و مرّ الشيعة خلال مسيرتهم التاريخية بمراحل صراع و جهاد، تعرضوا فيها لألوان من الأذى و العدوان، و قد أصى بوا و أصابوا، و الحرب سجال كما يقال، و لكنهم احتملوا أكثر من غيرهم.

و كان للشيعة خلال تاريخهم مواقف مشهودة، و بطولات مرصودة، تشعبت و تفرقت، و انتشرت يميناً و شمالاً، في مصادر التاريخ المختلفة.

و لا يستطيع القارى أن يجمع - بيسر أو سهولة - شتات هذه المواقف و تلك

الأحداث، و أن ينظمها في عقد واحد، يتمكن من التطلع إليه بمجموعه، أو الإحاطة به جملة واحدة، و إنما يصير على ذلك أهل الاختصاص و التخصص، و أهل الصبر و الجلد على متاعب البحث و مشاق التنقيب، و أهل الإقتدار على المقارنة و النقد و التمهيص، حتى يتحقق ذلك التمييز المنصف المحايد، الذي يقول ما للموقف و ما عليه.

و نحن هنا نتذكر كلمة الإمام مالك رضى الله عنه التي يقول فيها : «ما منّا من أحد إلّا يؤخذ منه، و يرد عليه، ما عدا صاحب هذه الروضة»^٣،! و أشار الإمام إلى روضة المصطفى سيدنا رسول الله صلى الله عليه و آله.

*** و الدكتورة سميرة مختار الليثي حين تقدّم بحثها عن «جهاد الشيعة» تريد - فيما أتصور - أن تخوض عباب هذا الخضم المتلاطم، و أن تصبر على متاعب أمواجه، و مصاعب لجّاته، لتلتقط من سبجها الطويل ما تسعه من لآلئه و فرائده: لتقدم في النهاية صورة واسعة - قدر طاقتها - عن جهاد الشيعة الذين كافحوا و نافحوا عن عقيدتهم و فكرتهم، و أفكارهم و آرائهم.

^٢ (١) هذه الكتب هي: «الفداء في الإسلام»، و «فدائيون في تاريخ الإسلام»، و «أبطال عقيدة و إسلام» و «بين الوفاء و الفداء» و «رجال صدقوا».

^٣ (١) انظر، عقد الجيد في أحكام الإجتهد و التقليد، مع رسالة الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف لشاه وليّ الله أحمد بن عبد الرّحيم العمري القهولوي: ٦. طبع بولاق.

و أنت قد تتفق و الشيعة فى هذا الرأى أو ذاك، و قد تختلف معهم فى هذا الرأى أو ذاك، و ليس ذلك بضائر، و إنما المهم أن نكون منصفين: نعرف عن علم، و ندرك بفهم، و نقنع بدليل، و نوافق ببرهان؛ و رحم الله شاعر العربية الأكبر «أحمد شوقي» حين قال:

«اختلاف الرأى لا يفسد للود قضية»!

ص: ١٦

نحن أمة إسلامية، علمها ربها لطف الحوار، و حسن الإدراك، و تلمس أفضل الوسائل إلى معرفة الحق، فهو القائل: ادع إلى سبيل ربك بالحكمة و الموعظة الحسنة و جادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله و هو أعلم بالهتدين^٤.

نحن أمة علمتها آدابها هذه الحكمة: رأى صواب يحتل الخطأ، و رأى معارضى خطأ يحتل الصواب، فليكن كل منا صاحب حق فى عرض ما لديه من رأى، مع حسن الإصغاء إلى الرأى الآخر.

و عندي أنه كلما صبرنا على الدرس و المطالعة و «تقصى الحقائق» كان ذلك معاوناً على الإلتقاء أمام نور الحق الذى لا يتعدد، و على الإقتراب من معصم تلك الوحدة التى يريدنا لنا خالقنا: و إن هذه أمتكم أمة واحدة و أنا ربكم فاتقون^٥.

و على الله قصد السبيل.

أحمد الشرباصى

ص: ١٧

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

ينتشر فى العالم الإسلامى المعاصر ملايين من الشيعة، و يقومون بدورهم البارز الملموس نحو إعزاز الإسلام، و النهضة بحضارته، و هم يساهمون إيجابياً، بجامعاتهم و معاهدهم و مؤلفاتهم، فى التقدّم الفكرى الإسلامى. و الشيعة دائماً تعتبر (الجهاد) ركناً من أركان الإسلام، و الجهاد لا يكون بالسيف وحده، فقد يكون بتهذيب النفوس، و صقل العقول، و بتكوين المؤمن القوى الذى يكون خير مواطن صالح فى عالمنا الإسلامى.

و يسعدنى أن أقدم إلى قراء اللغة العربية فى عالمنا الإسلامى، كتابى (جهاد الشيعة)، و هو يدرس جهاد هذه الجماعة الإسلامية الكبيرة، منذ عصر الرسول عليه الصلاة و السلام، حتى نهاية العصر العباسى الأول سنة ٢٣٢ هـ. و القارئ اللبيب يدرك أنه من العسير على أى مؤلف أن يجمع جوانب جهاد الشيعة فى كتاب واحد، فهو جهاد طويل، متشعب الأطراف،

^٤ (١) النحل: ١٢٥.

^٥ (٢) المؤمنون: ٥٢.

متعدد الألوان . و لكن الصّور التّاريخيّة المجيدة، التّي تقدّمها في هذا الكتاب، لجهاد الشّيعه، تعبّر تعبيرا صادقا عن روح الشّيعه التّي بدت في أطوار جهادها المستمر، الثّوري، و الدّيني، و الفكري، و الإجماعي، و هكذا اقتطفنا من بستان الشّيعه الواسع الزّاهر، زهورا

ص: ١٨

كثيره، عطرة نضرة، تجذب الأنظار، و تشرح الصّدور، و يظل عبيقها الجميل، أبد الدّهر، و على مرّ العصور.

شاركت جماعات الشّيعه في جميع الأحداث السّياسيّة في التّاريخ الإسلاميّ، و كان لها شأنها و تأثيرها في المجالات الحضاريه، و خاصّة الدّينيّه و الفكرية . و ظلت الشّيعه طوال العصور تتصدر سائر الفرق و الجماعات الإسلاميّه . و كان من نتاج التّشيع دولة إسلاميّة عظمى، هي الدّولة الفاطميّه التّي يفخر كلّ مسلم بحضارتها و بدورها العالمي، و لا زال ت القاهره الخالده، و جامعة الأزهر العريقه، تشهدان على أمجاد الفاطميّين.

و كتابنا هذا بحث علمي، يتبع المنهج العلمي في البحث التّاريخي، و من أبرز أركان هذا المنهج إلّتزام الحياد التّام، و هو حياد إيجابي، يوصلنا إلى التّنتائج العلميّه التّي تفيد مكتبتنا العربيّه الإسلاميّه. و قد اهتمنا بفلسفه التّاريخ إلى جانب الحرص على ذكر تفاصيل الأحداث التّاريخيّة، كما ربطنا بين جهاد الشّيعه و بين جوانب الحياة السّياسيّة و الدّينيّه و الفكرية في العالم الإسلاميّ.

و اتّخذ جهاد الشّيعه أحيانا شكل الثّورة من أجل وضع المبادئ و التّعاليم، موضع التّنفيد العملي الإيجابي . و قد اعتاد المسلمون دائما أن يحيوا حياة ديموقراطيّه و تمسكوا أبدا بحرية الرّأى و التعبير، ممّا كفلته تعاليم الإسلام الرّشيدة . و هذا الجهاد و إن أدى أحيانا إلى صراع بين فريقين من المسلمين، فهو في الحقيقة تعبیر عن حيوية الأُمّة الإسلاميّه، و عن رغبتها في التّطور و حرصها على التّجديد، و عن تمسكها بآرائها و تعاليمها من أجل حياة رغدة، و حضارة راقية . و إن حدث خلاف، فهو يمس المسائل الثّانوية، دون المساس بعقيدتنا الإسلاميّه السّامية، و هي إختلافات في الآراء و الوسائل، و قد يكون في

ص: ١٩

الإختلاف في الرّأى فضيلة.

و نحن المسلمين، على إختلاف مذاهبنا، أُمّة إسلاميّة واحدة، تظللنا الأخوة الإسلاميّه الوثيقة، نوّمن بالخالق العظيم، و برسوله الأمين، و تتشيع بحبّ آل البيت النّبوي الطّاهر، و دستورنا القرآن الكريم و السّنّة النّبويّه الشّريفة . و نحن المسلمين جميعا على طريق واحد، رسمه الإسلام لنا، طريق الأخاء من أجل تحقيق السّلام و الرّخاء . و الله عزّ و جلّ ولى التّوفيق و النّصر.

الدّكتورة سميرة مختار اللّيثي

ص: ٢١

- (١) حركة محمد النفس الزكية في المدينة سنة (١٤٥ هـ) في عهد الخليفة المنصور.
- (٢) حركة إبراهيم أخى النفس الزكية في البصرة سنة (١٤٥ هـ) في عهد المنصور.
- (٣) حركة الحسين بن على في المدينة سنة (١٦٩ هـ) في عهد الخليفة الهادي.
- (٤) حركة يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم سنة (١٧٥ هـ) في عهد هارون الرشيد.
- (٥) حركة إدريس بن عبد الله في بلاد المغرب سنة (١٧٢ هـ) في عهد الرشيد.
- (٦) حركة محمد بن إبراهيم و أبى السرايا في الكوفة سنة (١٩٩ هـ) في عهد المأمون.
- (٧) حركة محمد بن جعفر الصادق في مكة سنة (٢٠٠ هـ)، في عهد المأمون.
- (٨) حركة أبى عبد الله (أخى أبى السرايا) في الكوفة سنة (٢٠٢ هـ) في عهد المأمون.
- (٩) حركة إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب في اليمن سنة (٢٠٠ هـ) في عهد المأمون.
- (١٠) حركة عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن أبى طالب في اليمن سنة (٢٠٧ هـ) في عهد المأمون.
- (١١) حركة محمد بن القاسم بن عمر بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب في خراسان سنة (٢١٩ هـ) في عهد المعتصم.

ص: ٢٤

خلفاء العصر العباسي الأول و سنوات توليتهم الخلافة

- (١) أبو العباس السفاح: ١٣٢ هـ - ٧٥٠ م
- (٢) أبو جعفر المنصور: ١٣٦ هـ - ٧٥٤ م
- (٣) محمد المهدي: ١٥٨ هـ - ٧٧٥ م
- (٤) موسى الهادي: ١٦٩ هـ - ٧٨٥ م
- (٥) هارون الرشيد: ١٧٠ هـ - ٧٨٦ م
- (٦) محمد الأمين: ١٩٣ هـ - ٨٠٩ م

(٧) عبد الله المأمون: ١٩٨ هـ - ٨١٣ م

(٨) محمد المعتصم: ٢١٨ هـ - ٨٣٣ م

(٩) هارون الواثق: ٢٢٧ هـ - ٨٤٢ م

ص: ٢٧

الباب الأول: موقف الشيعة من قيام الدولة العباسية

١- ظهور جماعة الشيعة و جهادها في القرن الأول الهجري

٢- أثر جهاد الشيعة في سقوط الدولة الأموية

٣- تطور العلاقات بين البيت العلوي و العباسي

٤- فرق الشيعة و موقفها من قيام الدولة العباسية

٥- محاولات أبي سلمة الخلال لتحويل الخلافة إلى العلويين

ص: ٢٩

ظهور جماعة الشيعة و جهادها في القرن الأول الهجري

الشيعة في اللغة:

الشيعة في اللغة هم الأتباع و الأنصار، و يقع على الواحد و الاثنين و الجمع و المذكر و المؤنث بلفظ واحد، و هو من المشارع و المتابعة، و هذا المعنى اللغوي مطابق لما اختص به هذا تشيع لعلي بن أبي طالب و أولاده و أقر بإمامتهم و أصبح هذا المعنى هو المتبادر للذهن من اسم الشيعة عند إطلاقه^٦.

فسر ابن خلدون لفظ (الشيعة) لغويا و فقهيا فقال:

«اعلم أن الشيعة لغة هم الصّحب و الأتباع، و يطلق في عرف الفقهاء و المتكلمين من الخلف و السلف على أتباع علي و بنيه رضي الله عنهم»^٧.

و يحدّد الشّهستانى مفهوم لفظ الشيعة فيقول:

^٦ (١) هاشم معروف: عقيدة الشيعة الإمامية: ٩.

^٧ (٢) مقدّمة ابن خلدون: ص ١٣٨.

«الشَّيعة هم الذين شايعوا عليًّا رضي الله عنه على الخصوص، وقالوا بإمامته و خلافته نصًّا و وصيته، إمَّا جليًّا، و إمَّا خفيا و اعتقدوا أنَّ الإمامة لا تخرج من أولاده، و إن خرجت فبظلم يكون من غيره، أو بتقية من عنده»^٨.

ص: ٣٠

مفاهيم التشيع:

و تأريخ الشيعة تأريخ طويل، فهو يبدأ منذ تأريخ صدر الإسلام، و لا يزال الشيعة يمثلون ملايينا من سكان العالم الإسلامي. و في الحقيقة - كما يقول الدكتور النشار - لم يكن هناك تشيعا واحدا خلال التأريخ، و ما أشد الخلاف بين حب جماعة من الصحابة لعلي بن أبي طالب في عهد الرسول صلى الله عليه و آله، و في عهد الخلفيتين أبي بكر و عمر، و بين حب أنصار علي بن أبي طالب الملتفين حوله في الكوفة و البصرة و بين جرأة الترابيين من أصحاب حجر بن عدي، و فداء التوابيين من أصحاب سليمان بن صرد و يختلف كل هؤلاء الشيعة عن الشيعة في عهد جعفر الصادق، حين نشأ المذهب الكلامي للشيعة، و عن الشيعة الذين يؤمنون بعقيدة الاثني عشرية، و عن الشيعة الزيدية الذين يقتربون من أهل السنة، و عن الإسماعيلية الذين يتبعون عن أهل السنة و عن الاثني عشرية . و هذه الاختلافات كلها تجعل التشيع «ظاهرة مركبة معقدة»^٩.

تأريخ بدء التشيع:

اختلف الفقهاء و المؤرخون و الكتاب حول تأريخ بدء التشيع لعلي بن أبي طالب في رى البعض أنَّ هذا التشيع قد بدأ في حياة الرسول عليه الصلاة و السلام^{١٠}.

ص: ٣١

و يرى فريق آخر أنه ظهر بعد وفاة الرسول^{١١}.

و يذهب فريق ثالث إلى أنَّ التشيع قد ظهر في خلافة عثمان بن عفان نتيجة إنتشار آراء عبد الله بن سبأ^{١٢}.

^٨ (٣) الشهرستاني: الملل و التحل: ١/ ١٤٦.

^٩ (١) علي سامي النشار: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢ / ١ - ٢.

^{١٠} (٢) يرى الكاتب الشيعي محمد الحسين كاشف الغطاء في أصل الشيعة و أصولها: أنَّ بدور التشيع وضعت مع بدور الإسلام. انظر، أصل الشيعة و أصولها: ٨٧. و يرى الكاتب الشيعي محمد الحسين المظفري : أنَّ الدعوة إلى التشيع بدأت منذ دعا الرسول إلى أنه « لا إله إلا الله » و يعتمد على قول الرسول لبني هاشم عن علي بن أبي طالب: « هذا أخي و وارثي و وزيري و وصيي و خليفتي فيكم بعدي فاسمعوا لو و أطيعوا ». انظر، تأريخ الشيعة: ٨ - ٩ - و يرى الكاتب الشيعي محمد حسين الزين العاملي : أنه كان من بين صحابة الرسول أربعة من الشيعة علي و هم أبو ذر الغفاري و سلمان الفارسي و المقداد بن الأسود و عمار ابن ياسر. و ذكر أنَّ عدد من بايع عليا في يوم غدیر خم كان أربعون ألفا و هم شيعة. انظر، الشيعة في التأريخ: ٢٥.

و يرى محمد كرد علي، و هو ليس شيعيا: أنه كان من بين صحابة الرسول من هم شيعة علي، و هم سلمان الفارسي، و عمار بن ياسر، و أبو ذر الغفاري، و حذيفة بن اليمان، و خزيمة بن ثابت، و أبو أيوب الأنصاري، و خال لد بن سعيد بن العاص، و قيس بن سعد بن عبادة. انظر، خطط الشام: ٥ / ٢٥١.

^{١١} (١) ذكر اليعقوبي في تأريخه: أنه امتنع بعض كبار المهاجرين عن البيعة لأبي بكر و رأوا أنَّ عليا كان أحق بالخلافة من الصديق انظر، تأريخ اليعقوبي: ١٣١. و يرى الدكتور أحمد أمين: أنَّ موقف هؤلاء الصحابة و منهم سلمان و أبو ذر و المقداد كان بداية التشيع. انظر، ضحى الإسلام: ٣ / ٢٠٩. و يذكر المستشرق جولدم تسيهر : أنه ظهر حزب من كبار الصحابة لم يوافق على إختيار أبي بكر و عمر و عثمان للخلافة و فضّل إختيار علي بن أبي طالب . انظر، العقيدة و الشريعة في الإسلام: ١٧٤.

و يرجع فريق رابع التشيع إلى ما بعد التحكيم ثم مقتل علي بن أبي طالب^{١٣} بينما يربط فريق خامس بين التشيع و مقتل الحسين بن علي في كربلاء^{١٤}.

ص: ٣٢

و لا نجد هذا الاختلاف الواضح في تأريخ الفرق الأخرى، لأن عقائد الفرق ظهرت وثيقة الإتصال بالأحداث التاريخية، فقد ارتبطت عقيدة الخوارج - مثلا - بحادثة التحكيم، أما بالنسبة للتشيع، فقد كانت هناك عدة أحداث تاريخية لها أثرها في المذاهب الشيعي، فاختلف الباحثون في مدى أهميته كل منها و عدّها نقطة البداية في نشأة المذهب، و من هذه الأحداث وفاة النبي و تخلف علي عن إجتماع السقيفة و فتنة عثمان، و التحكيم و مقتل علي، و مصرع الحسين^{١٥}.

كانت جماعة الشيعة عند أول ظهورها جماعة سياسية، تدعو إلى أحقية علي ابن أبي طالب بالخلافة . و لم تكن هذه الجماعة حزبا نظاميا أو رابطة موحدة بل كانوا أفرادا كثيرين، متفرقين في مختلف الأمصار الإسلامية يدفعهم إلى تأييد علي بن أبي طالب حيّهم و ولاؤهم للرسول صلى الله عليه و آله. و كان من بينهم عدد من كبار الصحابة، و عدد من الأنصار^{١٦}.

حتى إذا أصبح علي بن أبي طالب الخليفة الرابع، اعتبره شيعته الإمام و الوصي. فقد خطب مالك الأشتر الناس فقال:

«أيها الناس، هذا وصي الأوصياء، و وارث علم الأنبياء»^{١٧}.

و في رواية لابن النديم^{١٨} نرى أن علي بن أبي طالب يطلق على أنصاره

ص: ٣٣

«شيعتي»: و لكننا نرى أن مفهوم «الشيعة» لم يزد عن مفهوم ألفاظه «أنصاره» أو «مؤيديه» أو «أصحاب» لأن عليا أطلق على شيعته أسماء أخرى منها «الأصفياء» و «الأولياء» و «الأصحاب» و خاصة أن معاوية بن أبي سفيان قد أطلق أيضا لفظ «الشيعة» على أنصاره^{١٩}. كما تحدثت صحيفة التحكيم عن شيعة علي، و عن شيعة معاوية^{٢٠}.

^{١٢} (٢) يربط الملطي في التنبيه و الرد: ٢٥ بين تعاليم ابن سبأ و بداية التشيع.

^{١٣} (٣) أدى مقتل علي بن أبي طالب إلى تبلور تعاليم الشيعة البينية و إنتشارها، فزعم ابن سبأ أن المقتول لم يكن عليا، و إنما كان شيطانا تصور للناس في صورة علي، و أن عليا صعد إلى السماء، كما صعد إليها عيسى بن مريم. انظر، البغدادي، الفرق بين الفرق: ١٣٤.

و زعمت السبئية أن عليا في السحاب. انظر، الملطي، التنبيه و الرد: ٢٥، و نادى السبئية بالرجعة و ذهب إلى أن عليا قد صعد إلى السماء و أنه سي نزل إلى الدنيا و ينتقم من أعدائه. انظر، البغدادي، الفرق بين الفرق: ١٤٣.

^{١٤} (٤) يرى المستشرق برنارد لويس: أن مصرع علي ثم مأساة كربلاء كان لها أثرها في ظهور التشيع الثوري ذي الصبغة المهدوية. انظر، أصول الإسماعيلية: ٨٦.

^{١٥} (١) انظر، الدكتور أحمد محمود صبحي: نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: ٢٨.

^{١٦} (٢) قام الكاتب الشيعي محسن الأمين العاملي بإحصائية لمن انضم إلى علي بن أبي طالب في موقعة صفين، فذكر أنه كان من بينهم (٨٧) أنصارا، و (٩٠٠) من شهدوا بيعة الرضوان، و بلغ عدد الصحابة (٢٨٠٠) صحابي. انظر، أعيان الشيعة: ٣٧.

^{١٧} (٣) انظر، تأريخ يعقوبي: ١٥١ / ٢.

^{١٨} (٤) انظر، ابن التلمذ، الفهرست: ٢٤٩.

^{١٩} (١) انظر، قال معاوية لبسر بن أرطاة حين بعثه إلى بلاد اليمن: «أمعن حتى تأتي صنعاء فإن لنا بها شيعة».

^{٢٠} (٢) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ١ / ١٤٠.

و يرى الدكتور طه حسين^{٢١} أنَّ التَّشيعَ بالمفهوم المتداول بين الفقهاء و مؤرّخي الفرق المتكلمين لم يظهر في عهد عليّ بن أبي طالب، و أنَّ مفهوم الشيعة في حياته هو نفس المعنى اللغوي القديم، كما جاء في القرآن الكريم **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَ هَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ**^{٢٢}. و في قوله عزّ و جلّ: **وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ**^{٢٣}. و إنّ الشيعة هنا تعني الأتباع و الأنصار. لذا يرى الدكتور طه حسين أنّه لم تكن لعلّ شيعة بالمعنى المفهوم لهذا اللفظ، و إنّما كان له أنصار و أتباع.

ص: ٣٤

أثر جهاد الإمام الحسين في تبلور التشيع:

كان مصرع الحسين بن عليّ في كربلاء هو الحدث التاريخي الكبير الذي أدّى إلى بلورة جماعة الشيعة، و ظهورها كفرقة متميزة ذات مبادئ سياسيّة و صبغة دينية و في الحقيقة، لا يمكن تفسير دعوة شيعة الكوفة للحسين ثمّ خذلانهم له إلّا بضعف العقيدة في نفوسهم في ذلك الوقت^{٢٤}. و كان لمأساة كربلاء أثرها في نمو روح الشيعة و ازدياد أنصارها، حتّى أنّه يمكن القول أنّ الحركة الشيعيّة بدأ ظهورها في العاشر من المحرم^{٢٥}.

و ظهرت جماعة الشيعة بعد مقتل الحسين كجماعة منظمة، تربطها روابط سياسيّة و آراء دينيّة، لها إجتماعاتها و زعمائها ثمّ لها قواتها العسكريّة، و كانت جماعة «التّوابين»^{٢٦} أوّل مظهر لذلك كلّ، فيقول المسعودي:

«و في سنة خمس و ستين تحركت الشيعة بالكوفة، و تلاقوا بالتلاوم و التّنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه، و رأوا أنّهم قد اخطأوا خطأ كبيراً بدعاء الحسين إياهم و لم يجيبوه و لمقتله إلى جانبهم فلم ينصروه و رأوا أنّهم لا يغسل عنهم ذلك الجرم إلّا قتل من قتله أو القتل أو القتل فيه، ففزعوا إلى خمسة نفر منهم : سليمان ابن صرد الخزاعي، و المسيب بن نجبة الفزاري، و عبد الله بن سعد بن نفيل الأزدي، و عبد الله بن وال التميمي، و رفاعة بن شدّاد البجلي، فعسكروا بالنّخيلة»^{٢٧}.

و يصف الطّبري تبلور جماعة الشيعة بعد مصرع الحسين في جماعة التّوابين

ص: ٣٥

^{٢١} (٣) انظر، طه حسين: عليّ و بنوه: ٩٠.

يؤيد الدكتور التّشار هذا الرّأي فيقول:

« لم يظهر مصطلح الشيعة حتّى ذلك الوقت دلالة على أتباع عليّ بالذات». انظر، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١٩.

^{٢٢} (٤) القصص: ١٥.

^{٢٣} (٥) الصّافات: ٨٣.

^{٢٤} (١) انظر، الخروطوي، تاريخ العراق: ١٢٣.

^{٢٥} (٢) انظر، فيليب حيّ، تاريخ العرب: ٢/ ٢٥٣.

^{٢٦} (٣) انظر، كان التّوابون يستشهدون دائماً بقوله سبحانه و تعالى: **إِنِّي قُتُّوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَمُ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ** E

البقرة: ٥٤.

^{٢٧} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ١٠٠ - ١٠١.

فيقول: «فلم يزل القوم في جمع آلة الحرب و الإستعداد للقتال و دعاء الناس في السر من الشيعة و غيرها إلى الطلب بدم الحسين فكان يجيبهم القوم بعد القوم و النّغر بعد النّغر، فلم يزالوا كذلك حتّى مات يزيد بن معاوية^{٢٨}.

كما بدأت عملية تنظيمية لجماعات الشيعة في بعض المدن فقد كتب سليمان ابن صرد زعيم التّوايين إلى شيعة المدائن، و إلى شيعة البصرة، يحثهم جميعا على الإنضمام إلى حركة التّوايين، فاستجابوا إلى دعوته^{٢٩}.

و بدأت جماعة الشيعة تأخذ طابعا دينيا حتّى غلب الجانب الدّيني في التّشيع الجانب السّياسي^{٣٠} و بينما كانت الشيعة بعد وفاة الرّسول صلّى الله عليه و آله لا تتعدى طائفة قليلة من الناس يرون علىّ بن أبي طالب - لصفات فيه - أحقّ الناس بالإمامة، و بينما ناصر كثير من المسلمين عليّا حينما آل إليه الأمر بعد مقتل عثمان لأنّه إمام المسلمين، أو لأسباب أخرى، فإنّ دماء الحسين التي أريقّت - و هي دماء حفيد الرّسول - قد ركزت الإنتباه إلى مدى ما لاقاه آل بيت النّبي من إضطهاد و قتل، و من ثمّ أصبح التّشيع مقرونا بأحقية آل البيت^{٣١}.

و نتج عن مقتل الحسين - كما يقول ستانلي لينبول - تشيع كثير من الموالي فقد اعتبروا الحسين مثلاً أعلى للتّضحية و تحمل العذاب و الشّدائد من أجل البشرية و كانت طبيعة الفرس تميل نحو إنكار الذات، و لذا كانت تضحية الحسين تساهل الإستعداد الطّبيعي للفرس^{٣٢}.

ص: ٣٦

٣٣

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ؛ ص ٣٦

افتقدت الشيعة بمصرع الحسين الزّعيم الذي يكون محورا لجماعتهم و تنظيمهم و الذي يقودهم إلى تحقيق تعاليمهم و مبادئهم. و انصرف الإمام علىّ زين العابدين عن السّياسة إلى الدّين و عبادة الله عزّ و جل^{٣٤}، و أصبح للشيعة زعيما روحيا. و لكنّه لم يكن الثّائر السّياسي الذي يتزعم جماعة الشيعة حتّى أنّه آثر البقاء في المدينة المنورة طوال حياته^{٣٥}. و حاول المختار بن أبي عبيد التّقي أن ينتزع عليّا من حياة التّعبيد و الإشتغال بالعلم إلى ميادين السّياسة دون جدوى، فقد «كتب المختار كتابا إلى عليّ بن الحسين السّجاد، يريده على أن يبايع له، و يقول بإمام ته، و يظهر دعوته، و أنفذ إليه مالا كثيرا، فأبى عليّ أن يقبل ذلك منه أو يجيبه عن كتابه و سبّه على رؤوس الملاء في مسجد النّبي صلّى الله عليه و آله، و

^{٢٨} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤٦ / ٧.

^{٢٩} (٢) انظر، البلاذري، أنساب الأشراف: ٢٠٦ / ٥.

^{٣٠} (٣) انظر، جولد تسيهر، العقيدة و الشّريعة في الإسلام: ١٧٦.

^{٣١} (٤) انظر، أحمد صبحي، نظرية الإمامة: ٤٨.

^{٣٢} (٥) انظر، ٢١٨ s. :eloop enaL p euqsoM ni seidutS

^{٣٣} ليثي، سمير مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

^{٣٤} (١) انظر، ذكر السّاعدي: أنّ عليّا كان يصلي في اليوم و اللّيلة ألف ركعة كما كان من رواة الأحاديث، و اشتهر باسم السّجاد و زين العابدين و ذي القنّات . انظر، حياة الإمام عليّ بن الحسين: ٣٢٠.

^{٣٥} (٢) انظر، ابن العماد، شذرات الدّهب: ١٠٤ / ١.

أظهر كذبه و فجوره و دخوله على الناس بإظهار الميل إلى آل أبي طالب، فلمّا يؤس المختار من علىّ بن الحسين كتب إلى عمّه محمّد بن الحنفية يريد علىّ مثال ذلك، فأشار عليه علىّ بن الحسين أن لا يجيبه إلى شيء من ذلك»^{٣٦}.

و كان عبد الله بن الزبير يطمع في الخلافة، و لذا انتهز فرصة مصرع الحسين ابن عليّ^{٣٧}، و ركون ابنه عليّ زين العابدين إلى الهدوء، فأعلن بيعته بالخلافة في بلاد الحجاز^{٣٨}، و امتد نفوذه إلى معظم الأمصار الإسلامية، و انضم المختار في

ص: ٣٧

أول الأمر إلى ابن الزبير، حتّى إذا لم يحقق ابن الزبير أطماعه في السّلطة و النّفوذ رأى أن يكون التّشيع وسيلة لتحقيق تلك الأطماع العريضة، فحاول كما رأينا - الإتصال بعليّ بن الحسين، حتّى إذا أخفق تحول إلى محمّد بن عليّ بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، و قد قدر ابن الزبير موقف عليّ بن الحسين فلم يكن ضمن قائمة من اضطهدهم ابن الزبير من بني هاشم^{٣٩}.

امتد نفوذ ابن الزبير إلى بلاد العراق، حيث يعتنق كثير من أهلها مذهب التّشيع، و كانت الشيعة لا تزال تعاني من أحزانها و آلامها بعد فاجعة كربلاء و مصرع الحسين، و أملت الشيعة أن يثار ابن الزبير لزعيمها أبي الشهداء، و خاصّة أن الشيعة و ابن الزبير يجتمعان على عداء الدّولة الأموية، و لكن ابن الزبير لم يحقق للشيعة آمالها^{٤٠}، و لذلك رأت الشيعة أن تتأّر بنفسها لنفسها من قتلة الحسين، فكانت حركة التّوابين، و تكرّرت أخطاء ابن الزبير، فقد امتنع عن أن يقدم إلى التّوابين من المعاونات الماديّة و العسكريّة ما يحقق لهم الانتصار، فانتهت حركتهم بالإخفاق^{٤١}.

ص: ٣٨

جهاد الشيعة في العراق:

أصبحت بلاد العراق بعد مصرع الحسين، مركزا لنشاط الشيعة، و قد بدأت حركة التّوابين سنة (٦١ هـ) بعد فاجعة كربلاء مباشرة، و كانت نهايتها سنة (٦٤ هـ)^{٤٢} لتبدأ حركة شيعيّة أخرى هي حركة المختار التّقفي، و كان المختار من عوامل إخفاق حركة التّوابين أيضا، فقد رأى أن يتولى قيادة هذا التّنظيم الشيعي الذي أصبح يحمل اسم التّوابين^{٤٣}.

^{٣٦} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٨٣/٣.

^{٣٧} (٤) انظر، نصّ الخطبة التي ألقاها ابن الزبير في مكّة بعد مقتل الحسين في تاريخ الطّبري: ٣٦٤/٤.

^{٣٨} (٥) انظر، روي الطّبري «فثار إليه- أي ابن الزبير- أصحابه فقالوا له: أيّها الرّجل أظهر بيعتك فإنّه لم يبق أحد إذ هلك الحسين ينازعك هذا الأمر. و قد كان يبايع الناس سرّا، و يظهر أنّه عائد بلبيت». انظر، تاريخ الطّبري: ٣٦٤/٤.

^{٣٩} (١) انظر، اضطهد ابن الزبير محمّد بن الحنفية و عبد الله بن العباس بن عبد المطلب انظر، تاريخ يعقوبي ٢/ ٢٢٠، المسعودي، مروج الذهب: ٢٧/٣.

^{٤٠} (٢) انظر، أخطأ ابن الزبير في إختياره لإبراهيم بن محمّد بن طلحة بن عبيد الله، ضمن عماله في الكوفة، و كانت الشيعة تبغض آباء، كما اضطهد أيضا واليه عبد الله بن مطيع شيعة الكوفة «فجعل يطلب الشيعة و يخيفهم». انظر، تاريخ يعقوبي: ٥/٥.

^{٤١} (٣) انظر، لقي التّوابين الهزيمة في موقعة عين الورد على يد الجيش الأموي بقيادة عبيد الله بن زياد سنة ٦٤ هـ. و كانت حركتهم قد بدأت سنة (٦١ هـ). انظر، تاريخ الطّبري: ٧/٤٦ و ما بعدها، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٤/٤٨ و ما بعدها، البلاذري، أنساب الأشراف: ٤/٢١٠ و ما بعدها.

^{٤٢} (١) اتّخذت حركة التّوابين في أول أمرها طابعا سرّيّا، و كانوا قد انقبوا على إعلان الثّورة في آخر ربيع الثّاني سنة (٦٥ هـ). و لكنّهم رأوا التعجيل بالثّورة في شهر ربيع الأول من سنة (٦٤ هـ) حينما تناهى إلى أسماعهم موت الخليفة الأموي يزيد بن معاوية انظر، البلاذري، أنساب الأشراف: ٥/٢٠٦.

و قام المختار الثَّقَفِي بدور كبير في تأريخ الشيعة في العصر الأموي، و امتد تأثيره إلى مطلع العصر العباسي . و كان المختار قد توجه بولائه في أوّل الأمر إلى ابن الزبير - كما شهدنا - ثمّ حاول تحويل ولائه إلى عليّ بن الحسين فأخفق، فرأى أخيرا أنّ يتّجه بولائه إلى محمّد بن الحنفية، فهو محتاج إلى هذا الولاء لجذب قلوب الشيعة و تأييدهم له . و كان المختار قد عرض على ابن الحنفية أن يتولى الثّار للحسين من قتلته فقال «إني لأحبّ أن ينصرنا ربنا و يهلك من سفك دماءنا، و لست أمر بحرب و لا إراقة دم»^{٤٤}.

و استفاد المختار من هذا اللقاء، و من هذه العبارة العامّة المشروطة، فرحل

ص: ٣٩

إلى العراق حيث أعلن لأهلها أنّه «وزير» و «أمير» ابن الحنفية و أنّه فوضه في الثّار لأخيه الحسين . و شكت الشيعة في أمر المختار، فبعثت بمندوبين عنها إلى الحجاز للوقوف على رأى ابن الحنفية، فقال لهم : «ما أحبّ إلينا من طلب بثأرنا و أخذ لنا بحقنا و قتل عدونا»^{٤٥}.

و نجح المختار فيما أخفق فيه التّوابون، فقد قتل كثيرا من قتلة الحسين^{٤٦}، كما بعث جيشا نجح في قتل عبيد الله بن زياد الذي وجّه الجيش لقتال الحسين^{٤٧}. و أبدى عليّ بن الحسين، رغم موقفه السّابق، من المختار سروره لمصرع ابن زياد^{٤٨}. و نجح المختار في أن يتزعم الشيعة، و يطور آراءهم، و يقودهم لمناهضة ولاة ابن الزبير بالعراق^{٤٩} معتمدا على التأييد الذي أبداه ابن الحنفية له في أوّل الأمر.

مرّت العلاقات بين المختار و ابن الحنفية بعدة مراحل، و قد شهدنا المرحلة الأولى منها، و خلالها استمال المختار الشيعة خاصّة و سائر النّاس عامّة:

بالتّقرب إلى بنى هاشم، فكانت هداياه تصل إلى ابن الحنفية و عبد الله بن العباس و غيرهما من الهاشميين^{٥٠} و بذلك أصبح المختار نصير آل البيت النبوي، في

ص: ٤٠

وقت يضطهدهم فيه الخلفاء الأمويون و ولائهم، و عبد الله بن الزبير، على السّواء.

^{٤٢} (٢) انظر، روى المسعودي: «فكان المختار إذا دعا الشيعة إلى نفسه و إلى الطّلب بدم الحسين قالوا: هذا سليمان بن صرد شيخ الشيعة و قد أطاعته الشيعة و إنقادات له و ولته أمرها.

فيقول: أنّ سليمان رجل لا علم له بالحروب و سياسة الرجال فلم يزل حتّى انشعبت إليه طائفة منهم». انظر، مروج الذهب: ٢٩ / ٣.

^{٤٤} (٣) انظر، البلاذري، أنساب الأشراف: ٥ / ٢١٣.

^{٤٥} (١) انظر، تاريخ يعقوبي: ٥ / ٣.

^{٤٦} (٢) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ٢ / ٢٣.

^{٤٧} (٣) انظر، بعث المختار بجيشين بقيادة يزيد بن أنس و إبراهيم بن الأشتر فنحسا في قتل ابن زياد انظر، تأريخ الطّبري: ٧ / ١٤٤.

^{٤٨} (٤) انظر، روى يعقوبي في تأريخه: ٣ / ٦ أنّ عليّا لم ير ضاحكا قطّ منذ قتل أبوه إلّا في ذلك اليوم.

^{٤٩} (٥) انظر، نجح المختار في الإستيلاء على قصر إمارة الكوفة و بيت مالها و إستمال النّاس بالأموال ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٣ / ٩٥.

^{٥٠} (٦) انظر، البلاذري، أنساب الأشراف: ٥ / ٢٧٠.

ظهور جماعة الشيعة الكيسانية:

ثم بدأت مرحلة جديدة، حين أراد المختار تطوير آراء الشيعة، ممّا يحقق له السلطة و النفوذ، و ممّا يرضى أتباعه و أنصاره من الموالي الفرس. أمّا الهدف الأول، فيبدو في دعوة المختار إلى أن الدين طاعة رج ل، حتّى حملهم ذلك تأويل الأركان الشرعية من الصلاة و الصيام و الزكاة و الحجّ، و غير ذلك على رجال فحمل بعضهم على ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل:

و حمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، و حمل بعضهم على القول بالتناسخ و الحلول، و الرجعة بعد الموت. فمن مقتصر على واحد معتقد أنّه لا يموت، و لا يجوز أن يموت حتّى يرجع . و من يعتقد حقيقة الإمامة إلى غيره، ثمّ متحسر عليه، متحير فيه، و من مدع حكم الإمامة و ليس من الشجرة^{٥١}.

كما ذهب المختار إلى أنّه يجوز البداء على الله تعالى^{٥٢}، و لذا كان المختار «إذا وعد أصحابه بكون شيء و حدوث حادثة فإن وافق كونه جعله دليلاً على صدق دعواه، و إن لم يوفق قال بدا لربكم، و كان لا يفرق بين النسخ و البداءة»^{٥٣}.

و روى ابن الأثير: أن المختار اشترى كرسيًا قديمًا من بائع زيت، و أزال منه

ص: ٤١

ما علق به من زيت، و قال لأتباعه : أنّه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلّا و هو كائن في هذه الأمة مثله و إن كان في بنى إسرائيل التّأبوت، فإنّ هذا- أى الكرسي - فيما مثل التّأبوت»^{٥٤}.

و يرى المستشرق (بروكلمان): أن المختار حين نادى بهذه الآراء الغريبة كلن يريد تعويض ما كان يشعر به من نقص، حيث لم يكن له حقّ في الخلافة»^{٥٥}.

بينما يرى الدكتور الخربوطي: «أنّ تعاليم المختار هي التعاليم التي كانت تناسب تمامًا موالى العراق من الفرس»^{٥٦}.

و ساءت العلاقات بين المختار و ابن الحنفية «فخاف من جهة الفتنة في الدين فأراد قدوم العراق ليصير إليه الذين اعتقدوا إمامته»^{٥٧}. و كان هذا التّحول في موقف ابن الحنفية من عوامل ضعف حركة المختار في بلاد العراق، و التّعجيل بنهايتها على يد مصعب بن الزبير^{٥٨}.

^{٥١} (١) انظر، الشّهستاني، الملل و النحل: ١/ ٢٣٦. و يقول الشّهستاني في آخر هذا النص عن المختار و أتباعه «و كلّهم خيارى متقطعون، و من اعتقد أنّ الدين طاعة رجل و لا رجل له فلا دين له».

^{٥٢} (٢) انظر، فسر الشّهستاني معاني البداء فقال: «البداء في العلم و هو أن يظهر له صواب على خلاف ما أراد و حكم . و البداء في الأمر و هو أن يأمر بشيء ثمّ يأمر بعده بخلاف ذلك، و من لم يجوز النسخ ظلّ أنّ الأوامر المختلفة في الأوقات المختلفة متناسخة». انظر، الملل و النحل: ١/ ٢٣٧-٢٣٨.

^{٥٣} (٣) انظر، الملل و النحل: ١/ ٢٣٧-٢٣٨.

^{٥٤} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤/ ١٠٨.

^{٥٥} (٢) انظر، بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية: ١/ ١٥٩.

^{٥٦} (٣) انظر، تاريخ العراق في ظل الحكم الأموي: ١٤٩.

كان معظم أنصار المختار من الموالي الفرس، الذين يسمون «الجند الحمراء» (الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٩٦).

ترتب على حركة المختار الشيعية ظهور فرقة (الكيسانية)^{٥٩}، و ربط الشَّهرستاني تعاليمها بتعاليم المختار، و هي أنَّ الدِّين طاعة رجل، و إنَّه يجوز

ص: ٤٢

البداء على الله تعالى، في العالم و الإرادة و الأمر، مع عدم التفريق بين النسخ و البداء^{٦٠}. كما اعتقدت الكيسانية برجة محمد بن الحنفية، فهو مقيم بجيل رضوى: و أنَّه حيَّ لم يمِت، و أنَّه في إنتظار إذن الله له بالخروج، لينشر العدل في الأرض^{٦١}، و يرى البغدادى^{٦٢}: أنَّ الكيسانية قد تأثرت بتعاليم السبئية الغلاة^{٦٣}.

ص: ٤٣

و منها قولهم بتناسخ روح الإله في الأنبياء، و إنَّها إنتقلت بعد وفاة الرِّسول صَلَّى الله عليه و آله إلى عليّ بن أبي طالب ثم إلى الأئمة من أبنائه.

و رأت الشيعة الكيسانية أنَّ الأئمة أربعة، و هم: (عليّ بن أبي طالب و بنوه الثلاثة: الحسن، و الحسين، و محمد بن الحنفية)، و يتضح هذا الرأى في هذه الأبيات لكثير عزة^{٦٤}:

^{٥٧} (٤) انظر، البغدادى، الفرق بين الفرق: ٣١.

^{٥٨} (٥) إلتقى جيش مصعب بجيش المختار عند «حروراء» و انتهى القتال بمصرعة. انظر، تأريخ الطَّبري:

١٥٧/٧.

^{٥٩} (٦) انظر، بحث الدكتور الخربوطي شخصية كيسان، و ذكر آراء مؤرخي الفرق، و انتهى إلى ترجيح أن يكون المختار هو كيسان انظر، تأريخ العراق: ١٥١.

^{٦٠} (١) انظر، الشَّهرستاني، الملل و النحل: ٢٣٧-٢٣٨.

^{٦١} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٤/٣ و ابن نشوان، الحور العين: ١٧١.

^{٦٢} (٣) انظر، الفرق بين الفرق: ٣١.

^{٦٣} (٤) و هم غلاة الشيعة أنصار عبد الله بن سبأ، و هو رجل يهودي تظاهر بإعتناق الإسلام و تشبَّع لعلِّي بن أبي طالب و دعا إلى تعاليم تخالف الإسلام، و لكنها لا قت نجاحا في بعض الأمصار، و كانت من عوامل الثَّورة ضدَّ عثمان، فتنادى السبئية بحلول الجزء الإلهي في الإمام و تجعل له نصيبا في الأُلوية نفسها، و يعتبرون الإمام شخصا مقدَّسا و ينادون برجة الإمام من مقره بالسماء.

تجمع المصادر السبئية، و الشيعة على أنَّه كان يهوديا، راجع نشأة الفكر الفلسفي: ٢/٢٥، و تأريخ الطَّبري، و الشَّهرستاني، و البغدادى، و ابن حزم، و التَّوحيدي، و القمي. إن قلنا بوجوده، و قد أثبت العلامة السَّيد مرتضى العسكري بأنَّه اسطورة- الَّذي أسلم، و اندس.

لقد قَدَّ وجود ابن سبأ، و أثبت وضع حكاية من قبل سيف بن عمر (ت ١٧٠ هـ)، الَّذي اتَّفَق علماء الرجال على كذبه و وضعه للروايات، راجع كتابه (عبد الله بن سبأ). بين شيعة الإمام علي عليه السلام، و أخذ يتطرق كثيرا، و يختلق بعض الأفكار الغالية، و ينسبها إلى أهل البيت عليهم السلام، و هم منها براء و عبد الله بن سبأ هو أول من أظهر الطعن على أبي بكر، و عمر، و عثمان، و الصحابة، و تبرأ منهم، و ادَّعى أنَّ عليا أمره بذلك انظر، ابن جرير، تأريخ الطَّبري: ٤/٣٤٠، بلفظ: أنَّ عثمان أخذها- الخلافة- بغير حق.

كما زعم بأنَّ عليا عليه السلام في السَّحاب، و أنَّ الرِّعد صوته، و البرق سوطه، أو تبسمه، قد بدأ يشاع و يتردد على الألسنة، بل أكثر من ذلك فقد شاعت مقولات من الغالين السبئيين عن علي عليه السلام، أنَّه ربَّ العالمين. حيث قال قائلهم له: «أنت أنت، أو أنت هو». انظر، شرح التَّهجد لابن أبي الحديد: ٢/٣٠٩، الأشعري: ١٩، الشيعة في التَّاريخ محمد حسين الزَّين: ١٧٢، المعارف: ٦٢٢، المقالات: ٨٦/١، و فسَّر الشَّهرستاني هذا القول بأنَّه يعني أنت الإله، كما جاء في الملل: ٢/١٧٤، و يقول ذلك البغدادى، في الفرق بين الفرق: ١٤٤، و المقرئ، في الخطط: ٣/٣٠٣، و الإيجي في شرح المواقف: ٨/٣٨٥.

و الظَّاهر أنَّ عبد الله بن سبأ، لم يكن على هذه المقولة الغالية، و لم يشمل الإحراق، بل يقول ابن أبي الحديد: «استترت هذه المقولة سنة، أو نحوها، ثم ظهر ابن سبأ بعد وفاة- إستشهاد- الإمام علي عليه السلام، فاظهرها و اتَّبعه قوم فسَّموا السبئية».

انظر، نصح المقال: ٢٠٣.

^{٦٤} (١) نقل الأستاذ «نكلسن» الأبيات عن كثير عزة، هو أبو صخر، كثير بن عبد الرحمن بن عامر، (ت ١٠٥ هـ)، و هو من فحول شعراء الإسلام، راجع ترجمته في (الأغاني: ٣١٢٣/٩).

وَلَاةَ الْحَقِّ أَرْبَعَةً سِوَاءَ	أَلَا أَنَّ الْأُئِمَّةَ مِنْ قَرِيشٍ
هَمَّ الْأَسْبَاطِ لَيْسَ بِهِمْ خِفَاءُ	عَلَى وَ الثَّلَاثَةِ مِنْ بَنِيهِ
و سَبَطَ غَيَّبَتْهُ كَرْبَلَاءُ	فَسَبَطَ سَبَطَ إِيْمَانٍ وَ بَرٍّ
يَقُودُ الْخَيْلَ يَقْدِمُهَا اللَّوَاءُ	وَ سَبَطَ لَا يَذُوقُ الْمَوْتَ حَتَّى
بِرُضْوَى عِنْدَهُ عَسَلٌ وَ مَاءٌ ^{٦٥}	يَغِيبُ فَلَا يَرَى مِنْهُمْ زَمَانًا

فرقة الشيعة الإمامية:

والى جانب فرقتي السبئية و الكيسانية، كانت هناك فرقة الشيعة الإمامية،

ص: ٤٤

التي ترى أن محمد بن الحنفية ليس من أبناء الرسول صلى الله عليه وآله، وأن الحسين أوصى بالإمامة إلى ابنه علي^{٦٦}. و أن شروط الإمامة و إن نصت نظريا على وجوب تعيين الإمام لمن يخلفه، فحين قتل علي الأكبر ابن الحسين انتقلت الإمامة إلى ابن الحسين الآخر و هو علي الأصغر الذي لقب بعدئذ بزين العابدين، و كان أخذ الخمسة الذين نجوا من القتل في كربلاء^{٦٧}. و تذكر مصادر الشيعة الإمامية أن إمامة علي زين العابدين قد نص عليها جدّه علي بن أبي طالب، و أبوه الحسين بن علي، و تذكر بعض الروايات أن الحسين أودع وصية أم سلمة زوجة النبي و فيها عهده إلى الإمام زين العابدين^{٦٨}.

اختار علي بن زين العابدين الإمامة الروحية التي تقرّبهُ من أقطاب الصوفية و تبعده عن رئاسة الأحزاب السياسية أو زعامة الفرق الدينية:

و نتج ذلك اتّجاه شيعة العراق إلى محمد بن الحنفية، نتيجة رغبتها في الإستمرار في الكفاح، و هكذا تأرجحت الشيعة بين هؤلاء ابن الحنفية و بين موالاة علي زين العابدين، فكان الإقسام بين الكيسانية و الإمامية و لكن و إن رجحت كفة ابن الحنفية لظروف سياسية أو حربية مؤقتة، فقد كان قدرا محتما أن يبقى التشيع في ذرية من ينتسب إلى فاطمة، و لذا بقيت الإمامية و انتهت أمر الكيسانية^{٦٩}.

^{٦٥} (٢) انظر، ديوان كثير: ١٨٦/٢، موج الذهب: ١٠١/٢، الملل و النحل: ٢٠٠/١، تاريخ الإسلام:

٣/٢٩٥، أنساب الأشراف: ٢٠٣، البداية و النهاية: ٩/٤٧، شرح الأخبار: ٣/٣١٦، تاريخ مدينة دمشق: ٥٤/٣٤٨، سير أعلام النبلاء: ٤/١١٢، تهذيب الكمال: ٢٦/١٥١، الأغاني: ٨/٣١.

^{٦٦} (١) انظر، الكليني، أصول الكافي: ١١٠، الشّهستاني، الملل و النحل: ١/١٦٥.

^{٦٧} (٢) انظر، رونلدسن: عقيدة الشيعة. أما الأربعة الآخرون الذين نجوا من القتل عدا علي زين العابدين، فهم عمته و أخوه عمر، و أختاه.

^{٦٨} (٣) انظر، هاشم معروف، عقيدة الشيعة الإمامية: ١٣٤.

^{٦٩} (٤) انظر، دكتور أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الاثني عشرية: ٣٥٥.

و سار الإمام محمد الباقر^{٧٠} على سياسة أبيه عليّ زين العابدين، في التمسك بالإمامة الروحية، و الابتعاد عن خوض ميادين السياسة، و لذا لم يكن له دور في تأريخ الشيعة السياسي، و إن كان له دوره في رواية الأحاديث النبوية : و في تطوير علم الكلام^{٧١}، كما هاجم محمد الباقر غلاة الشيعة و تبرأ منهم و طالب الشيعة بأن يقفوا موقفا وسطا^{٧٢}.

و إن كنّا نطلق تعبير (الشيعة الإمامية) على الملتفين حول عليّ زين العابدين ثمّ محمد الباقر، إلّا أنّه في الحقيقة لم تظهر كلمة (الإمامية) في عهد الباقر، إنّما كان أتباعه هم المقتصدين من الشيعة. و يبدو أنّهم كانوا في عهد زين العابدين و الباقر قلّة في المدينة و في الكوفة. أمّا بقية الشيعة فقد تقاسمتهم الكيسانية بفرقها المختلفة، و الغلاة بحركاتهم القاسية، بينما كانت العباسية أو الرافدية تثبت أقدامها في خراسان^{٧٣}.

بعد اختفاء محمد بن الحنفية، تولى إمامة الشيعة الكيسانية ابنه أبو هاشم فدخل تأريخ هذه الفرقة في دور جديد . و هو الذي عهد بوصيته و عهده إلى محمد بن عليّ العباسي، ممّا أدّى إلى ظهور الدّعوة العباسية سنة (١٠٠ هـ).

و خلال فترة انتشار هذه الدّعوة العباسية (١٠٠ - ١٣٢ هـ) قامت ثورات شيعية

عنيفة، أبرزها ثورة زيد بن عليّ زين العابدين^{٧٤}، و ابنه يحيى، و ثورة عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب . و ظهر العباسيون جنبا إلى جنب مع الشيعة على مسرح الأحداث، و تغيرت صور العلاقات بين الفريقين، و بين التعاون أو الصدام، و كانت هذه العلاقات هي التي حدّدت موقف الشيعة من الدّولة العباسية عند قيامها، ممّا سيكون موضع دراستنا في الباب الأوّل من هذا البحث.

أثر جهاد الشيعة في سقوط الدّولة الأموية

يدرس هذا الفصل دور الشيعة في سقوط الدّولة الأموية و قيام الدّولة العباسية و قد كان هذا الدّور هو الذي حدّد موقف الشيعة من خلفاء العصر العباسي الأوّل.

^{٧٠} (١) انظر، كان مولد محمد الباقر سنة (٥٧ هـ)، و كان في الرابعة من عمره حين قتل جدّه الحسين في كربلاء، و ترجع تسميته بالباقر إلى حديث للرّسول لجابر بن عبد الله الأنصاري: يا جابر إنك ستعيش حتّى تدرك رجلا من أولادي اسمه اسمي يقر العلم بقرا فإذا رأيته فاقره متّي السلام . انظر، تأريخ يعقوبي: ٣ / ٦١، ابن الصّباغ، الفصول المهمة: ١٩٢، الذّيار بكري، تأريخ الخميس: ٢ / ٢٨٦.

^{٧١} (٢) انظر، الكليني: أصول الكافي: ٩٠ و ما بعدها.

^{٧٢} (٣) انظر، التّوحي، فرق الشيعة: ٣٤. قال الباقر: شيعة آل محمّد، كونوا التّمرقة (الوسادة) الوسطى.

^{٧٣} (٤) انظر، التّشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١٣٦.

^{٧٤} (١) انظر، كان مولد زيد بن عليّ سنة (٨٠ هـ) و قد مات أبوه عليّ زين العابدين و هو في الرابعة عشرة من عمره فكفله أخوه الأكبر محمد الباقر الذي كان له ابن في عمره زيد و هو جعفر الصّادق.

و قد درسنا فى الفصل السابق نشأة التشيع و تطوره، و وصلنا إى بدراستنا إى تولى أبى هاشم إمامة الشيعة الكيسانية . كما شهدنا انصراف كل من الإمام على زين العابدين و محمد الباقر إى الإمامة الروحية دون الخوض فى مسائل السياسة . ثم شهدنا ظهور الإمام زيد بن على الذى أعلن ثورة عنيفة ضد الدولة الأموية.

استفادة الدعوة العباسية من جهاد الشيعة فى العصر الأموى:

بدأت الدعوة العباسية سنة (١٠٠ هـ)^{٧٥}، بعد أن عهد أبو هاشم بن محمد بن الحنفية زعيم الشيعة الكيسانية بوصيته و عهده إى محمد بن على العباسي . و قد استفاد العباسيون من جهود الشيعة التى بذلوها طوال الـ عصر الأموى، و قد كان كفاح الشيعة و ثوراتهم من معادل هدم الدولة الأموية.

و استمرت الدعوة العباسية وراء الدعوة للرضا من آل محمد، فكسبت بذلك ولاء كثير من المسلمين الذين يريدون تحويل الخلافة إى البيت الهاشمي، أى

ص: ٤٨

بيت الرسول صلى الله عليه و آله، و خاصة من الموالى الفرس^{٧٦}.

و قامت خلال فترة انتشار الدعوة العباسية (١٠٠ - ١٣٢ هـ) ثورات شيعية عنيفة، قام بها زيد بن على و ابنه يحيى، و عبد الله بن معاوية، و قد شغلت هذه الثورات الخلفاء الأمويين عن التفرد رى لمواجهة الدعوة العباسية الآخذة فى الإتساع و الإلتشار كما استنفذت هذه الثورات كثيرا من جهود الدولة الأموية، مما دعم العباسية و أفسح لها الطريق.

و اختلفت مواقف العباسيين من هذه الثورات العلوية، و كانت الفترة بين (١٠٠ - ١٣٢ هـ) فترة حاسمة حددت شكل العلاقات بين العلويين و شيعتهم من جانب، و البيت العباسي من جانب آخر، و أصبح الوقوف على أحداث تلك الفترة التى ازدحمت بالأحداث يفسر للباحثين عوامل قيام حركات الشيعة فى العصر العباسي الأول، فقد كانت فترة إتصال و إحتاك، اختلفت الأحوال فيها بين التعاون و الصدام، و كان الجميع يشتركون فى نضال و كفاح الدولة الأموية، مما شغلهم عن وضع أبعاد و حدود ثابتة لمناهجهم و أهدافهم الحقيقية.

و تطورت الأمور، و أثمر النضال و الكفاح و سقطت الدولة الأموية، و اتضحت الحقيقة و تبلورت الأوضاع و قامت خلافة عباسية، و ثارت أشجان العلويين، و ظهر السخط بين الشيعة على العباسيين، و أدركت الشيعة أن العباسيين قد استفادوا من جهودهم و أنهم خدعواهم بإستئثارهم بالخلافة و الحكم دون العلويين، مما أدى إى قيام حركات الشيعة الثورية التى شهدها العصر العباسي الأول.

ص: ٤٩

^{٧٥} (١) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٣٤.

^{٧٦} (١) انظر، العمري، المجدي فى أنساب الطالبين: ١١٥ و ما بعدها.

أصبح أبو هاشم إمام الشيعة الكيسانية بعد أبيه محمد بن الحنفية^{٧٧}. وقد بدأ نشاطا واسعا أثار قلق و خوف الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك^{٧٨}، ولذا رأى الخلاص منه، فدعاه إلى القدوم إلى العاصمة دمشق حتى ترحب به ثم دس له من سمه و هو في طريقه إلى الحجاز سنة (٩٨ هـ).

أدرك أبو هاشم قرب منيته، فاتجه إلى الحميمة^{٧٩}، حيث كان يقيم محمد بن

ص: ٥٠

عليّ ابن عبد الله بن العباس، و قال له: «يا ابن عمّ أنا ميّت، و قد صرت إليك، و هذه وصيّة أبيّ إليّ و فيها أنّ الأمر صائر إليك و إلى ولدك، و الوقت الذي يكون ذلك و العلامة و ما ينبغي لكم العمل به» «قمّ قال: «و هؤلاء الشيعة استوص بهم خيرا، و هؤلاء دعائكم و أنا صاركم فاستبطنهم، فإنّي قد بلوتهم بمحبّة و مودة لأهل بيتك»^{٨٠}.

و تذكر المصادر التاريخية أنّ أبا هاشم أفضى إلى محمد بن عليّ بأسرار الدعوة الهاشمية التي حمل لواءها نحو خمس عشرة سنة، و أرشده إلى وسائل الإستمرار في الدعوة، و أمده بأسماء داعي دعائه في الكوفة، و من يليه من الدعاة، كما سلمه رسائل كتبها إلى الشيعة و أعوانه في العراق و خراسان، يخبرهم فيها بدنو أجله، و بأنّه أوكل أمر الدعوة إلى محمد بن عليّ العباسي، و الى ولده من بعده، و يطلب منهم القصد إليه و التعرف به، و الإمتثال لأوامره «فصارت الوصية في بنيّ العباس من تلك الجهة»^{٨١}.

ص: ٥١

قضية ميراث الكيسانية في ميزان التاريخ:

^{٧٧} (١) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ١٣٢ / ٢.

^{٧٨} (٢) انظر، اشتهر أبو هاشم بالعلم و البلاغة و طلاقة اللسان، و اعتبره أهل خراسان الإمام بعد وفاة أبيه ابن الحنفية انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٩١. ^{٧٩} (٣) الرواية الشائعة تاريخيا هي كما يلي: إنّ الفرقة الكيسانية كانت تعتقد بإمامة محمد بن الإمام عليّ ابن أبي طالب (المعروف بابن الحنفية) و أنّ ولاء الكيسانية انتقل، بعد وفاة محمد بن الحنفية، إلى ابنه أبي هاشم عبد الله بن محمد، و أنّ أبا هاشم كان فصيحاً، يتمتع بقدرة كبيرة على الإقناع، فا استدعاه سليمان بن عبد الملك إلى دمشق (أو أنّ أبا هاشم وفد عليه) فأكرمه و أحسن إليه، و لكنّه عزم على قتله لما أن خافه، فدسّ إليه من سمّه و هو في طريقه إلى إقليم الشّراء سنو ٩٨ هـ). و لما أحسن أبو هاشم بالموت عرج إلى الحميمة (و هي قرية على مقربة من العقبة) حيث كان يقيم عليّ بن عبد الله بن عباس و ابنه محمد، فأوصى إلى عليّ هذا و إلى أولاده بحقه في الإمامة، و كشف لهم اسم داعي الدّعاة (رئيس الدّعاة) في الكوفة، و من يليه من الدّعاة في سائر الأقطار، و سلّمهم كتباً يقدّمونها إلى هؤلاء الدّعاة. و قد تمّ هذا في سنة (٩٩ هـ).

و بذلك انتقل الحقّ في الخلافة من العلويّين إلى العباسيّين، و انتقل ولاء الكيسانية إلى هؤلاء أيضا و قد اضطلع بأعباء الدّعوة بعد وفاة عليّ بن عبد الله ابنه محمد بن عليّ العباسي الذي توفّي سنة (١٢٥ هـ) و في عهده دخل أبو مسلم الخراساني في رجال الدّعوة. و قد حلّف محمد بن عليّ بن عبد الله العباسي ابنه إبراهيم المعروف بالإمام و هو الذي جعل أبا مسلم قائدا للدّعوة في خراسان. و قد قبض مروان بن محمد (الحمار) على إبراهيم في الحميمة و سجنه في حرّان، و توفّي سجيناً. و كان قد عهد إلى أخيه - حين علم بمصيروه - أبي العباس السّفاح بالإمامة، و أمره بالترحيل مع أهلّه إلى الكوفة فذهبوا إليها حيث تلقاهم رئيس الدّعاة أبو سلمة الخلال، و أنزلهم في منزل سري، إلى أن أعلنت الدّولة العباسيّة في (١٢ ربيع الأوّل سنة ١٣٢ هـ ببيعة أبي العباس السّفاح.

هذه الرواية موضع شك، فهي تثير أسئلة لا يمكن الإجابة عليها، ابتداء بطبيعة العلاقة بين محمد ابن الحنفية و ابنه أبي هاشم من جهة و بين الفرقة الكيسانية من جهة أخرى، و الغريب أنّ هذه الفرقة تفقد دورها الكبير في سير الأحداث بمجرد انحياز ما يدعى من تنازل أبي هاشم . و لماذا لم يعهد أبو هاشم بأمره إلى أحد من أبناء عليّ، و ما هي الإثباتات التي تجعل دعوى العباسيين لهذا التنازل موضع ثقة؟.

^{٨٠} (١) انظر، تاريخ يعقوبي: ٣ / ٤٠.

^{٨١} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ١٢٦ - انظر أيضا: طبقات ابن سعد: ٥ / ٢٤٠ - ٢٤١، تاريخ يعقوبي: ٣ / ٤٠، المسعودي، التنبيه و الأشراف: ٢٩٢، و ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ٢ / ٧، ابن قتيبة، المعارف: ٩٥.

هذه هي خلاصة لما روته المصادر التاريخية القديمة، وقد اختلف المؤرخون المحدثون في تعليقاتهم على هذه الحادثة التاريخية الهامة.

فيرى فلهوزن: أن العباسيين بنوا شرعية حقهم في الخلافة على أساس الإدعاء أن ابن محمد بن الحنفية ووريثه، وهو أبو هاشم، قد تنازل عن حقه للعباسيين^{٨٢}. ويذكر (فلهوزن) أيضا في كتابه «الدولة العربية»: أن رواية التنازل على الأرجح مخترعة، ولكن اختراعها كان منذ زمن مبكر، لأن لها شواهد قوية، ولو لا ذلك الحذر العباسيون فيما بعد من أن يقيموا حقهم على مثل هذا الأساس. وهذه الرواية تتضمن أيضا قدرا من الحق، فقد كان أبو هاشم، في الواقع سلفا لمحمد بن عليّ العباسي، وإن كان يجوز أنه لم يعينه خليفة له تعيينا حقيقيا. وقد كان لأبي هاشم حزبه الخاص، وكان أتباعه يسمون الهاشمية، وهم بعد أن مات أبو هاشم قد صاروا إلى محمد بن عليّ. وبحسب ما جاء في الطبري كان على رأسهم خدش، وهو من أكبر دعاة الشيعة نجاحا، وكان في أول الأمر يدعو إلى محمد بن عليّ. وعلى هذا ففي خبر تلك الوصية شيء من الحق، فالعباسيون والوا أبا هاشم لكي يضموا الهاشمية إلى دعوتهم^{٨٣}.

و يرى المستشرق (رونلدسن) أيضا: أن أبا هاشم قد تنازل عن حقه في الخلافة إلى محمد بن عليّ العباسي بحضور شهود من الكيسانية^{٨٤}.

أما (فان فلوتن) فهو يؤكد قصة هذا التنازل، وإن كان التنازل قد أصبح حقيقة

ص: ٥٢

واقعة، فيقول: أن تاريخ إستخلاف أبي هاشم لأبناء عمه من العباسيين لأمر لا يكاد بجهله من له بعض الإلمام بالتاريخ الإسلامي. ويقال: أن أبا هاشم لما شعر بدنو أجله أوصى إلى ولد العباس بحقه في الإمامية، وأمدهم بأسماء داعي دعا ته في الكوفة ومن يليه من الدعاة، كما سلمهم كتباً يقدمونها إلى هؤلاء الدعاة، ومهما يكن من شيء، فقد رأينا الإمام محمد بن عليّ العباسي يضطلع بأعباء الدعوة بعد موت أبي هاشم^{٨٥}.

و ينفي المورخ (neeierettaZ .V .K) (الذي كتب مادة (أبو هاشم) في دائرة المعارف قصة تنازل العلويين عن حقهم للعباسيين، فيذكر أن هذه الرواية وإن وردت في أقدم تواريخ العرب، فإن المحققين الآخرين يشكون في صحتها شكاً كبيراً، ويعزونها إلى إختراع شيعة العباسيين الذين أرادوا أن يبرهنوا بهذه الصورة على حق العباسيين في الخلافة.

وقد ردّ (رونلدسن) على هذا الرأي فقال: إن قوة الشك تخف عند ما نعلم أن أبا هاشم قد مات بالحمية، وليس من المستبعد أن يكون لهذا الإتفاق علاقة بتوحيد الجهود بين الكيسانية والعباسيين ضد بني أمية^{٨٦}.

^{٨٢} (١) انظر، الخوارج و الشيعة: ٢٤٨.

^{٨٣} (٢) انظر، الدولة العربية: ٤٧٦.

^{٨٤} (٣) انظر، عقيدة الشيعة: ١٢٣.

^{٨٥} (١) انظر، السيادة العربية: ٩٢-٩٣.

^{٨٦} (٢) انظر، عقيدة الشيعة: ١٢٣.

و يرى المرحوم الدكتور حسن إبراهيم : أنَّ حقَّ الإمامة قد إنتقل من البيت العلوي إلى البيت العبَّاسيَّ، و يطلق على ذلك اسم «ميراث الكيسانيَّة»، و يرى أنَّ أبا هاشم قد تنازل عن هذا الحقِّ لمحمَّد بن عليَّ العبَّاسيَّ، و يعلل ذلك بأنَّ أبا هاشم لم يجد بين أفراد البيت العلوي من يستطيع النهوض بأعباء إمامة

ص: ٥٣

المسلمين، إلى جانب اختلاف إعتقاد الشيعة الإمامية أنصار أولاد فاطمة^{٨٧}.

و في رأينا هذا التناول، لم يكن بترتيب سابق أو حسب خطَّة موضوعة بل هو وليد الأحداث، و نتيجة حتمية للظروف السياسيَّة حينئذ، فقد خرج أبو هاشم من دمشق عائدا إلى موطنه، و لم يعرج على الحميمة إلَّا بعد أن شعر أنَّ السَّم الَّذي دسَّه له أحد أتباع الخليفة سليمان بن عبد الملك قد سرى في جسده و أنَّه موشك على الموت، و أدرك حقيقة تلك المؤامرة التي دبرها له الخليفة الأموي، و رأى أنَّ تستمر الدَّعوة التي حمل لواءها زهاء خمس عشرة سنة، و أنَّ يثار من هذا الخليفة الأموي الَّذي اغتاله بالسَّم، و كان قريبا حينئذ من (الحميمة) مركز العبَّاسيين، فرأى أنَّ يعهد بالدعوة إلى محمَّد بن عليَّ العبَّاس.

و نحن نعتقد أنَّه لو لم تحدث هذه المؤامرة، و لو طالت الحياة بأبي هاشم لما كان قد عهد بدعوته إلى الإمام العبَّاسيَّ، كما كان هناك تنافس شديد بين فريقَي العلويين، و هما الفريق الحنفي الَّذي ينتسب أبو هاشم إليه، و الفريق الحسيني الَّذي ينتسب إلى الحسين بن عليَّ.

و كانت ظروف أبي هاشم الشخصيّة تؤدي إلى ما أقدم عليه، فقد عاش من غير ولد يوصى له بالأمر، كما كان معظم أحفاد جدِّه الإمام عليَّ بن أبي طالب صغارا في السَّن، و لم يجد في كبارهم - آنذاك - من يطمح لها و يقبل حمل مسؤولياتها الخطيرة على حين كانت الكثرة و العدد في شباب بني العبَّاس . الَّذين عاشوا في الأوس مسالمين فأصبحوا شبه عشيرة كاملة، و هم اليوم على إستعداد لمناوأة الأمويين و قد ظهر نشاطهم و تكتلهم، إلى حدِّ لفت أنظار خلفاء بني أمية

ص: ٥٤

فصاروا يحتاطون له^{٨٨}.

و يبدو أنَّ العبَّاسيين أنفسهم رأوا أنَّ يقتصروا على الإعتماد على هذا التنازل الَّذي أقدم أبو هاشم عليه، و رأوا أنَّه لا بدَّ لهم من التذرُّع ببعض الأسانيد الشرعيَّة قبل أن يقدموا على العمل لنقل الخلافة إليهم، فأذاعوا بين المسلمين أنَّهم من سلالة العبَّاس بن عبد المطلب عمِّ النَّبي، كما ادعوا أنَّ الخلافة تصير إلى العمِّ إذا لم يكن هناك وارث ذكر. و هكذا نظروا إلى الخلافة على أنَّها تركة تركها النَّبي تورث و ينطبق عليها أحكام الميراث^{٨٩}.

^{٨٧} (١) انظر، تأريخ الإسلام: ١١ / ٢ - ١٢.

^{٨٨} (١) انظر، الجومرد، أبو جعفر المنصور: ٤٦.

^{٨٩} (٢) انظر، جمال سرور، الحياة السياسية في الدولة العربيَّة الإسلاميَّة ١٧٢.

و خير ما يصور رأى الزعماء العلويين، من غير فرع محمد بن الحنفية، تلك الرسالة التي بعثها محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي، المعروف بالنفس الزكية، إلى الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، فقد جاء فيها : «فإن الحق حقنا، و إنما أذعيتم هذا الأمر بنا، و خرجتم له بشيعتنا، و حظيتم بفضلنا، و إن أبانا عليا كان الوصي و كان الإمام، فكيف ورثتم ولايته و ولده؟ أحياء؟»^{٩٠}.

و كتب المنصور ردًا مطولاً على رسالة محمد النفس الزكية، فلم يشر إلى تنازل أبي هاشم لمحمد بن علي العباسي، و إنما استند في الحجج التي ساقها لتفضيل العباسيين على العلويين على أن العباس هو وارث النبي، و ليس علي بن أبي طالب، فكتب المنصور: «و أمّا قولك أنكم بنو رسول الله صلى الله عليه و آله، فإن الله تعالى يقول في كتابة : **ما كان محمد أبا أحد من رجالكم**^{٩١}، و لكنكم بنو ابنته، و إنها لقربة قريبة، و لكنها لا تجوز الميراث، و لا ترث الولاية و لا تجوز لها الإمامة،

ص: ٥٥

فكيف تورث بها. و لقد جاءت السنة التي لا اختلاف فيها بين المسلمين، أن الجد أبا الأم و الخال و الخالة لا يرثون»^{٩٢}.

شيعه العلويين أساس الدعوة العباسية:

أدت حادثة تنازل أبي هاشم للإمام العباسي محمد بن علي، إلى نتائج كثيرة هامة، فقد بدأ كل من العلويين و العباسيين يختطون طريقهم الخاص الذي يوصلهم إلى الهدف الذي يطمح الفريقان إليه، و هو الخلافة، فقد بدأ العباسيون يسعون من أجل تولي الخلافة، كما استمر العلويون من أحفاد فاطمة، يواصلون كفاحهم ضد الدولة الأموية . و رغم أن كلا من الفريقين كان له وسائله، إلا أنهما لم ينفصل أحدهما عن الآخر تمام الانفصال، فقد أصبح شيعه العلويين أساسا للدعوة العباسية، كما أصبح بعض العباسيين أنصارا لبعض الثورات العلوية^{٩٣}، التي قامت في أواخر العصر الأموي و لم يقتصر الإتصال بين الفريقين على التعاون بينهما أحيانا، بل كثيرا ما اصطدمت الحركات العلوية بالدعوة العباسية.

تسلم محمد بن علي قيادة الدعوة، و كان عمره حينئذ ثمانية و ثلاثون عاما، فجمع أعوانه و الرؤساء الدعاة من صحابة سلفه أبي هاشم و خطب فيهم، و وزع عليهم الأموال كل في منطقته و أمرهم بجباية خمس الأموال من الشيعة، و إعطائها إلى صاحب الكوفة ليحملها إليه في الحميمة، فإن لم يستطع ففي مكة عند كل موسم حج، ليتصرف في إنفاقها على بث الدعوة و اشتروا أن يبقى اسمه مجهولا إلا عند خاصته، و أن تبقى الدعوة باسم رجل من آل البيت، لتكون

ص: ٥٦

أكثر قبولا عند الناس. فكان في عمله هذا أشبه برئيس جمعية سرية، تهيب أسباب الثورة^{٩٤}.

^{٩٠} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٩٥ / ٦ - ١٩٦.

^{٩١} (٤) الأحزاب: ٤٠.

^{٩٢} (١) انظر، نص الكتابين في تاريخ الطبري: ١٩٥ - ١٩٨، الكامل لابن الأثير: ٥ / ٢٥٥.

^{٩٣} (٢) انظر، انضم أبو العباس و أبو جعفر المنصور و عمّاه عيسى و داود بن علي إلى ثورة عبد الله بن معاوية انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٦٧.

^{٩٤} (١) انظر، الجومرد، أبو جعفر المنصور: ٤٧.

وجد محمد بن عليّ العبّاسيّ أنّ كلّاً من الكوفة و خراسان تصلح لتكون مركزاً لنشر الدّعوة، لأنّ الكوفة مهد التّشيع لآل البيت منذ زمن طويل، ولأنّ خراسان يفهمون فكرة التّشيع بسهولة، و يعتقدون في نظرية الحقّ الملكي المقدّس التي كانت سائدة في بلاد الفرس منذ أيّام آل ساسان، هذا إلى ما كان يقاسيه الفرس من الحكم الأموي ممّا ييسر على العبّاسيّين نشر دعوتهم^{٩٥}.

تحدث صاحب الفخرى عن اتّجاهات و ميول أهل الأمصار، فقال: «أما أهل الحجاز فقليلون، و أما أهل الكوفة و البصرة فكان أهل البيت مذعورين منهم لا جرى منهم على أمير المؤمنين عليه السّلام و الحسن و الحسين عليهما السّلام من الخذلان و العدر و سفك الدّماء، و أما أهل الشّام و مصر فهو لهم في بنى أميّة، و حبّ بنى أميّة قد رسخ في قلوبهم، فلم يبق لهم - أي للعبّاسيّين - من يسكنون إليه من أهل الأمصار إلّا أهل خراسان^{٩٦}.

وصف الإمام محمد بن عليّ العبّاسيّ لدعائه أحوال العالم الإسلامي حينئذ و ميول و اتّجاهات أهالي الأمصار، فقال: «أما الكوفة و سوادها^{٩٧} فشيعة عليّ، و أما البصرة فعثمانية تدين بالكفّ، و أما الجزيرة فحرورية^{٩٨} مارقة. و أما أهل

ص: ٥٧

الشّام فلا يعرفون غير معاوية و طاعة بنى أميّة و عداوة راسخة و جهل متراكم، و أما مكّة و المدينة فقد غلب عليهم أبو بكر و عمر. و لكن عليكم بخراسان فإنّ هناك العدد الكثير و الجلد الطّاهر، و هناك صدور سليمة و قلوب فارغة لم تنقسمها الأهواء، و لم تنزعها النّحل، و هم جند لهم أجسام و أبدان و مناكب، و كواهل، و هامات و لحى و شوراب، و أصوات هائلة، و لغات فخمة تخرج من أجواف منكرة. و بعد فإنّي أنفّاء إلى المشرق و إلى مطلع سراج الدّنيا و مصباح الخلق^{٩٩}.

اتّخذ العبّاسيون خراسان مركزاً للدّعوة العبّاسيّة، دون بلاد العراق، لأنّ العراق كانت قريبة من مركز الخلافة بالشّام، إلى جانب تعدد أحزاب العراق من شيعة إلى خوارج إلى معتزلة إلى مرجئة و غير ذلك، فضلاً عن وجود جيوش الشّام و رجالات بنى أميّة و وجوه العرب في حواضر العراق، و كان الولاة الأمويون في العراق يتّبعون دائماً الدّعاة العبّاسيّين بالحبس و التّعذيب و الإيذاء^{١٠٠}، بينما خراسان تقع في الأطراف البعيدة، و أغلب سكّانها من الموالى السّاخطين على الحكم الأموي، و بها أقلية من العرب فرقت العصبية القبلية شملهم.

و شاءت المقادير أن تخدم الدّعوة العبّاسيّة، فقد تولى الخلافة الأمويّة عمر بن عبد العزيز (٩٩ هـ)، و تميز بالعدل و التّقوى و حبّ السّلام، فمنع سبّ عليّ بن أبي طالب من فوق المنابر^{١٠١}، و أطلق حرّية التّنقل للهاشميّين، علويّين و عبّاسيّين، و منع المظالم و الإضطهادات التي كانت تلحق بهم طوال العصر

^{٩٥} (٢) انظر، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام: ١٢ / ٢.

^{٩٦} (٣) انظر، العمري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٢٨.

^{٩٧} (٤) انظر، سواد الكوفة: الأرض السوداء الخصبة المحيطة بالكوفة.

^{٩٨} (٥) انظر، حرورية: و هم الخوارج و قد نزلوا مدينة حروراء قبل اشتباكهم في القتال مع عليّ بن أبي طالب في موقعة النهروان.

^{٩٩} (١) انظر، المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ٢٩٣ / ٣ - ٢٩٤.

^{١٠٠} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٢٨٣ / ٨.

^{١٠١} (٣) انظر، العمري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ٩٤ - بدأ معاوية بن أبي سفيان سياسة سبّ عليّ بن أبي طالب من فوق المنابر و استمرت في عصور سائر الخلفاء الأمويّين

الأموي^{١٠٢}. ممّا أتاح الفرصة للإمام العباسيّ محمد بن عليّ العباسيّ في أن يمارس نشاطه، و يجتمع بدعائه في حرّية تامّة، و وفر للدّعوة العباسيّة، و هي ما زالت وليدة، فرصة هدوء تنمو و تزدهر فيها.

و لذا يعتبر المؤرّخون أنّ سنة (١٠٠ هـ) هي نقطة إنطلاق الدّعوة العباسيّة السّريّة . و كان كثير من المسلمين يعتقدون أنّ نهاية قرن، و بداية قرن آخر سيكون بشيرا بتغيير الأحوال، و إنّ القرن الجديد سيشهد خذلان بنيّ أميّة و انتصار بنيّ هاشم، و لذا تفاعل الكثير من حلول سنة (١٠٠ هـ)^{١٠٣}، و من تولى خليفة أكثر عدلا هو عمر بن عبد العزيز، و ظنوا أنّ عهد هذا الخليفة سيكون مرحلة إنتقال بين حكم أموي و حكم هاشمي . و لكن هذه الآمال العريضة لم تتحقق سريعا، فما لبث هذا الخليفة الأموي العادل أن لقي حتفه، بعد سنتين و خمسة أشهر من حكمه، و يذكر بعض المؤرّخين أنّه مات مسموما على أيدي بعض الأمويّين الذين لم يرضوا عن تساهله مع العلويّين، و خلفه يزيد بن عبد الملك الذي إنتشرت الإضطرابات في عهده الذي استمر أربع سنوات، ثمّ خلّفه هشام ابن عبد الملك، و هو من أقوى شخصيات البيت الأموي فواجهت الدّعوة العباسيّة و هي لا زالت في المهد، خصما عنيفا، و عدوا لدودا، و خاصّة أنّ فترة حكمه طالت إلى عشرين عاما.

إنطلقت الدّعوة العباسيّة السّريّة سنة (١٠٠ هـ) من الحميمة، في خلافة عمر ابن عبد العزيز، فقد توافدت في هذه السّنة شيعة العراق على محمد بن عليّ

بالحميمة فأرادوه على البيعة، فقال لهم : «هذا أوان ما نؤمل و نرجو من ذلك لإنقضاء مئة سنة من التّاريخ»^{١٠٤}. فوجّه الإمام دعائه إلى العراق و خراسان، فأقبلت الشيعة على البيعة لمحمد بن عليّ، و عاد الدّعاة بكتب من إستجاب لهم^{١٠٥}، و كان من دعائه الذين وجّههم مسيرة النّبال الذي وجّههم إلى العراق، كما وجّه ثلاثة من الدّعاة، أحدهم أبو عكرمة السّراج، لنشر الدّعوة في خراسان.

و قد اختار أبو عكرمة من الدّعاة سبعين داعية من بينهم اثنا عشر نقيبا^{١٠٦}، و أمر الإمام العباسيّ دعائه أن تكون الدّعوة للرّضا من آل محمد، دون أن يخصصوا علويا أو عباسيا، إذ أنّ تعيين الشّخص المدعو إليه يثير عداء العلويّين فضلا عن الأمويّين على الدّعوة العباسيّة^{١٠٧}.

^{١٠٢} (١) انظر، ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن عبد العزيز: ٥٦.
^{١٠٣} (٢) انظر، قال محمد بن عليّ العباسي لأنصاره في الحميمة سنة (١٠٠ هـ): «هذا أوان ما نؤمل و نرجو من ذلك لإنقضاء مئة سنة من التّاريخ». انظر، الدّينوري، الأخبار الطّوال: ٣٣٤.

^{١٠٤} (١) انظر، الدّينوري، الأخبار الطّوال: ٣٣٤.
^{١٠٥} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٨ / ١٣٦.

^{١٠٦} (٣) يذكر المستشرقون عند حديثهم عن هذا التنظيم العباسيّ أنّ الدّعوة المسيحية كانت في بداية أمرها تقوم على نظام يشمل سبعين رسولا، و اثني عشر نقيبا و يذهب فان فلوتن: أنّ سليمان بن كثير الخزاعي، و شبيب بن قحطبة الطّائي، و هما من كبار الدّعاة العباسيّين، قد أسستا مع عشرة آخرين جمعية أشبه بمجلس شورى تحت رئاسة داعي الدّعاة، ثمّ اتّخذ كلّ منهم لقب (نقيب) على نحو ما كان يفعله الإسرائيليّون في مجلس شورايم الذي كان يتكوّن من اثني عشر حواريا . و يذهب (فان فلوتن) أيضا: أنّ العباسيّين تأثروا بمجلس الشّورى في عهد الرّسول فاتخذوا سبعين داعيا. انظر، السّيادة العربيّة: ٩٥.

^{١٠٧} (٤) انظر، ٢٥٠. N: noslohciN .tsih .eht fo P ;sbarA

تولّى الخلافة الأمويّة هشام بن عبد الملك (١٠٥ هـ)، و يتّضح في خلافته مدى الإتّفاق و الإفتراق، بين العبّاسيّين و العلويّين، فقد اتّفقوا جميعا في تعرضهم للإضطهاد و التّكيل، و افرقوا في الطّريق السّياسى الذى اختطه لنفسه كلّ فريق.

و كان هشام حينما تولّى الخلافة قد ولّى خالد القسرى حكم بلاد العراق،

ص: ٦٠

فحسن معاملته بنى هاشم و شيعتهم . و لكن يوسف بن عمر الثّقفى^{١٠٨} لفت أنظار الخليفة إلى خطورة هذه السّياسة، فكتب إليه «أنّ أهل هذا البيت من بنى هاشم قد كانوا هلكوا جوعا حتّى كانت همّة أحدهم قوت عياله، فلمّا ولّى خالد العراق أعطاهم الأموال ففقوا بها حتّى تأقت أنفسهم إلى طلب الخلافة»^{١٠٩}. و عزل هشام خالد القسرى، و ولّى يوسف بن عمر الذى بدأ سياسة إضطهاد و تكتيل بشيعة بنى هاشم فكان «لا يدع أحدا يعرف بموالاة بنى هاشم و مودة أهل بيت رسول الله، إلّا بعثّ إليه فحبسه عنده بواسط»^{١١٠}.

تساوى العبّاسيون و العلويون فيما نالهم من إضطهاد و إيذاء يوسف بن عمر، والى هشام على العراق. و اختلف الفريقان في طريق مواجهة هذا الإضطهاد، فقد رأى العبّاسيون أن ينكمشوا و أن يزداد استتارهم و أن يمنعوا في إخفاء دعوتهم، منتهجين سبل التّقيّث و الأناة. أمّا العلويون فرأوا أن يواجهوا الإضطهاد بالثّورة العلنية المسلحة، فكانت ثورة زيد بن علىّ.

ثورة زيد بن علىّ بالعراق:

و شهدت الأطراف الشّرقيّة من الدّولة الأمويّة فى عهد هشام حركتين، إحداها حركة عبّاسيّة سرّية تقوم على الدّعوة و تنحس الخطى و تمضى فى رويّة متجنبة المسالك الوعرة، و الأخرى حركة علوية اتخذت شكلا ثوريا علنيا، تحشد الجيوش و تواجه القوات الأمويّة فى ساحات القتال . فقد قدم أهل العراق على زيد بن علىّ يستحثونه على البقاء فى الكوفة، و كان الخليفة قد أمر

ص: ٦١

و اليه بإبعاد زيد من الكوفة إلى المدينة، فقالوا له : «أين تخرج - رحمك الله - و معك مئة ألف سيف من أهل الكوفة و البصرة و خراسان و يضربون بنى أميّة بها دونك، و ليس قبلنا من أهل الشّام إلّا عدّة»^{١١١}.

و يهمنّا فى الحديث عن ثورة زيد بن علىّ، بيان موقف العبّاسيّين منها و مدى التّشابه أو الإختلاف بين أهداف و تعاليم كلّ من الثّورة العلوية و الدّعوة العبّاسيّة.

[مبادئ حركة زيد بن علىّ]

^{١٠٨} (١) انظر، اشتهر الثّقفيون عدا المختار الثّقفى بولائهم للبيت الأموي.

^{١٠٩} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ١٦ / ٨.

^{١١٠} (٣) انظر، الدّينوري، الأخبار الطّوال: ٣٣٩.

^{١١١} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢٦١ / ٨.

وضع زيد بن عليّ لحركته مبادئ:

أولها: أن الإمامة في أولاد فاطمة دون غيرهم^{١١٢}.

و ثانيها: طاعة كلّ فاطمي زاهد شجاع يطلب الإمامة سواء من أولاد الحسن أو الحسين^{١١٣}.

و ثالثها: جواز خروج إمامين في قطرين يشتركان في الخصال الحسينية فتصبح طاعتها واجبة^{١١٤}.

ص: ٦٢

و يمكن وصف هذه المبادئ الزيدية بالإعتدال، فقد أصبح هناك دعوتان، أحدهما علوية، و الأخرى عباسية، تتنافس على كسب تأييد المسلمين، و كما وقفت الدعوة العباسية موقفا وسطا حين دعت إلى الرضا من آل محمد، فقد اتصفت آراء زيد أيضا بالإعتدال، حتى يمكن وصفها بأنها أقرب إلى مبادئ السنة منها مبادئ الشيعة^{١١٥}.

و يبدو هذا الإعتدال واضحا في شروط البيعة التي أخذها زيد من أهالي العراق فقد قال زيد: «إننا ندعوكم إلى كتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و آله، و جهاد الظالمين، و الدفع عن المستضعفين و إعطاء المحرومين، و قسم هذا الفىء بين أهله سواء، وردّ المظالم، و إقفال المجرم و نصرنا أهل البيت على من نصب لنا و جهل حقنا»^{١١٦}.

و يرى الشيخ أبو زهرة أن آراء زيد بن عليّ قد استمدتها من آراء الإمام عليّ ابن أبي طالب التي داعت بين الناس جميعا، كما يرى أن زيدا أراد أن يرد المذهب الشيعي إلى أصوله في عهد عليّ بن أبي طالب^{١١٧}.

و المذهب الزيدي هو ردّ فعل عنيف للتشيع الاثنى عشرى على صورته أيام الباقر، و لا تقبل الزيدية الإمامة الروحية باعتبارها اتجاها سلبيا في حلّ المشاكل السياسية، و لذا اشترطوا الخروج لتصح الإمامة، و أنكرت الزيدية القول بالنص، أو الوصية^{١١٨}، كما أنكرت عقيدة العصمة^{١١٩}، و القول بالرجعة^{١٢٠}،

^{١١٢} (٢) انظر، الملل و النحل: ٢٠٧/١، من هم الزيدية، السيد يحيى بن عبد الكريم الفضيل: ٧٢.

^{١١٣} (٣) انظر، المحور العين نشوان الحميري: ١٥٥، و الملل و النحل للشهرستاني: ١٥٧/١، الأحكام في الحلال و الحرام كتاب السيرة (مخطوط)، جمع و ترتيب عليّ بن أحمد بن أبي حريصة: ٤٤٤، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٨٣، الملل و النحل: ١٦١/٤ و ١٧٦، تهذيب التهذيب: ٢/٢٨٨، تأريخ الفرقة الزيدية بين القرنين الثاني و الثالث الهجري، للدكتور فضيلة الشامي: ٢١٦، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الدكتور النشار: ١٣٠/٢، الإمام زيد بن عليّ، أبو زهرة: ١٨٦، مروج الذهب: ٣٢١/٢، فرق المسلمين: ٤٩، التنبيه و الرد: ١٦٦ طبعة القاهرة، الفرق بين الفرق: ٧٤، مقالات الإسلاميين: ٤٦٦.

^{١١٤} (٤) انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ٣٤٩-١/١، البغدادى، الفرق بين الفرق: ٢٥، البدء و التأريخ:

١٣٣/٥، الأحكام في الحلال و الحرام كتاب السيرة (مخطوط)، جمع و ترتيب عليّ بن أحمد بن أبي حريصة: ٤٤٤، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٨٣، الملل و النحل: ١٦١/٤ و ١٧٦، تهذيب التهذيب: ٢/٢٨٨.

^{١١٥} (١) انظر، S. retroh. I. c. y. n. E. f. O. m. a. l. s. P

^{١١٦} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ١٣٧/٧ و: ٢٦٧/٨، خطط المقرئ: ٣٣٨/٣، الكامل في التأريخ: ٢٣٣/٥.

^{١١٧} (٣) انظر، الشيخ أبو زهرة، الإمام زيد: ١١٨.

^{١١٨} (٤) يوجد كتاب للإمام زيد باسم: «إثبات الوصية: رواها عنه رضي الله عنه خالد بن محمد، موجود تحت رقم» ٩٨٧١ «بمكتبة برلين، إثبات النبوة و الوصية: مخطوط بالجامع الكبير تحت رقم» ١٧٦ «بجامع. و هذا يخالف لما قالته الدكتور.

و إنتظار الإمام الغائب^{١٢١}، و يرون أنَّ الإمامة بالاختيار كما جوزوا إمامة المفضول مع وجود الأفضل^{١٢٢}. و هكذا تبدو عقائد الزيدية في الإمامة محاولة جريئة لتحطيم ذلك الحاجز القوى الذي أرادت الشيعة زمن الباقر أن يقيموه بينهم و بين

سائر الفرق الإسلامية لا سيما أهل السنة^{١٢٣}.

كان زيد من «عظماء أهل البيت علما و زهدا و ورعا و شجاعة و ديناً و كرماً»^{١٢٤}.

و لذا أدرك الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك خطورة آرائه و حركته و رأى مواجهته بحزم و في حسم^{١٢٥}.

و أثرت ثورة زيد بن عليّ في الدعوة العباسية، فقد شدد الأمويون قبضتهم على العباسيين و دعائهم، حتّى أصبح محمد بن عليّ العباسي سجينا في بيته، فانقطعت عنه أخبار الدعاة، و لم يستطع لقاء النّقباء إلّا في مكة عند موسم الحجّ، و في سرية تامة.

و أدرك العباسيون خطورة ثورة زيد على دعوتهم العباسية، فقد أقبل داود بن عليّ على زيد يذكره بموقف أهل الكوفة من عليّ و الحسن و الحسين و ينصحه بالّا يستسلم إلى وعودهم الخلافة التي سرعان ما تتبخر. و لكن زيدا أصرّ على المضى

و الذي يظهر من كلام الهادي إلى الحقّ يحيى بن الحسين (المتوفى ٢٩٨ هـ) أنّه يلتزم بإمامة السّجاد عليه السلام بالنّص على الوصية إليه حيث ذكره باسمه الصّريح، فقد قال: إنّ الله عزّ و جلّ أوصى بخلقه على لسان النبيّ إلى عليّ بن أبي طالب، و الحسن، و الحسين، و إلى الأخيار من ذرّيّة الحسن، و الحسين، أوّله م عليّ بن الحسين، و آخرهم المهدي، ثمّ الأئمة في ما بينهما).

انظر، كتاب فيه معرفة الله، و العدل، و التوحيد، للهادي، مطبوع في رسائل العدل، و التوحيد:

٢ / ٨٢، و أورد بنصّه في المجموعة الفاخرة: ٢٢١، و نقله السيّد بدر الدين الحوثي في رسالته الزيدية في اليمن: ١٧.

^{١٢١} أمّا الرأي المنسوب إليه في العصمة فليس له نصّ يمكن الإعتماد عليه في ذلك

و الأدلة على عدم جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل كثيرة و مذكورة في الكتب المفصلة، و لكن نورد قول ابن تيمية في ذلك قال: «تولية المفضول مع وجود الأفضل ظلم عظيم...».

انظر، منهاج السنة: ٣ / ٢٧٧.

و قال محب الدين الطبري «قولنا: لا ينبغي ولاية المفضول عند وجود الأفضل». و يظهر من هذا و ذاك أنّ القول بمنع إمامة المفضول متفق عليه بين الإمامية و غيرهم فيكون إمامته باطلة بالكتاب، و السنة، و العقل، و الإجماع انظر، الرياض النضرة- باب خلافة أبي بكر.

^{١٢٠} انظر، مقالات الإسلاميين للأشعري: ١، الأحكام في الحلال و الحرام كتاب السيرة مخطوط:

٣٦، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٧٨، ميزان الاعتدال في نقد الرجال: ٢ / ١٨٢.

^{١٢١} (٧) انظر، الفرق بين الفرق: ٣١.

^{١٢٢} (٨) انظر، الحقائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية: ٢ / ٢٠، الرسالة الوازنة عن سبّ صحابة سيّد المرسلين: ١٨، و كذلك وفيات الأعيان و فوات الوفيات: ٢ / ٣٨، ثلاث رسائل للحافظ: ٢٤٦، الحور العين للحميري: ١٥١، منهاج السنة: ٣ / ٢٧٧.

^{١٢٣} (١) انظر، الدكتور أحمد صبحي، نظرية الإمامة: ٣٦١-٣٦٢. و ردنا هذا القول في كتابنا الزيدية بين الإمامية و أهل السنة

^{١٢٤} (٢) انظر، الفخري في الآداب السلطانية: ٩٥-٩٧.

^{١٢٥} (٣) كتب هشام إلى واليه يوسف بن عمر والي العراق يقول له: «و لا يقيمن قبلك ساعة واحدة، فإنّي رأيته رجلا حلو اللسان شديد البيان خليقا بتمويه الكلام و أهل العراق أسرع شيء إلى مثله».

انظر، تاريخ يعقوبي: ٢ / ٣٩٠ و: ٣ / ٦٥، أنساب الأشراف: ٣ / ٢٣٨، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٤ / ١٩٨ و: ٨ / ٢٦٦ طبعة مصر، و: ٥ / ٤٨٩، طبعة أخرى، ضحي الإسلام لأحمد أمين:

٣ / ٢٧٣، الحقائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية، لأبي عبد الله حميد بن أحمد المحلي: ١ / ١٤٤.

في طريق الثورة، فقال لداود: إن علياً كان يقاتله معاوية بدهائه و نكرائه بأهل الشام، وإن الحسين قاتله يزيد بن معاوية و الأمر عليهم مقبل^{١٢٦}. و يتس

ص: ٦٥

داود من إقناع زيد.

فقال له: إنني لخائف إن رجعت معهم أن يكون أحد أشدّ عليك منهم و أنت أعلم^{١٢٧}.

انتهت ثورة زيد بن عليّ بالإخفاق، و استشهد في صفر سنة ١٢٢ هـ^{١٢٨}.

فهل كانت الدّعوة العباسيّة من عوامل إخفاقها؟

في الحقيقة لم تشر المصادر التّاريخيّة القديمة إلى أنّ الدّعوة العباسيّة قامت بدور رئيسي في إخفاق حركة زيد، بل ينسب المؤرّخون الأقدمون هذا الإخفاق إلى عوامل أخرى. فيرى ابن خلدون^{١٢٩} أنّ السّبب هو عدم خروج عليّ زين العابدين.

ص: ٦٦

^{١٢٦} (٤) انظر، ظلّ زيد أن ظروف الدّولة الأمويّة تسمح بالثّورة في عهد هشام بن عبد الملك، و لكن في الحقيقة و كما يقول ابن قتيبة « لم يكن في بني أميّة ملك أعظم من هشام و لا أعظم قدرا و لا أعلى صوتا منه، دانت له البلاد و ملك جميع البلاد». (ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ١٣٠ / ٢).

^{١٢٧} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٢٦٥ / ٨، الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتاح: ١٦٩.

^{١٢٨} (٢) انظر، الذّينوري، الأخبار الطّوال: ٣٤٥، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ١٣٧.

في بعض الرّوايات تفيد أنّه استشهد سنة (١١٨ هـ).

انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٢٧٦ / ٨.

و قال آخرون: إنّها سنة (١٢٠ هـ).

انظر، تمّذيب الكمال (مخطوط) حياة الإمام زيد، فوات الوفيات: ٣ / ٣٦.

و ذهب فريق ثالث إلى أنّها سنة (١٢١ هـ)، و هو الذي ذكره العقيلي.

انظر، الإفادة في تاريخ الأئمة السّادة: ٤٩، مقاتل الطّالبيين: ١٢٧.

و قال فريق رابع: إنّها سنة (١٢٢ هـ)، على أصحّ الرّوايات.

انظر، المصدر السّابق: ٤٩، البداية و النهاية: ٩ / ٣٢٩، تاريخ أبي الفداء: ١ / ٢٠٤، ابن جرير، الطّبري تاريخ الأمم و الملوك: ٨ / ٢٧١، تذكرة الخواص: ٣٠١، تاريخ يعقوبي: ٢ / ٣٢٦.

و آخر الأقوال تفيد أنّها سنة (١٢٣ هـ).

انظر، نور الأبصار: ١٧٨، إسعاف الزّاعبين في هلمش نور الأبصار.

^{١٢٩} (٣) انظر، يرى ابن خلدون: أنّ عليّ زين العابدين ليس إماما لأنّه لم يخرج و لا تعرّض للخروج- فقد كان زيد بن عليّ يشترط إيجابيّة الإمام و خروجه، حتّى أنّه قال واصل بن عطاء لزيد: على قضية مذهبك والدك ليس بإمام، فإنّه لم يخرج و لا تعرّض للخروج انظر، مقدّمة ابن خلدون: ٢٣٩، الشّهرستاني، الملل و النّحل: ١ / ٢٥٢.

انطلقت التّنهضة من قبل زيد بن عليّ رضي الله عنه على هشام بن عبد الملك، و رغم أنّها فشلت عسكريّا إلّا أنّها أعطت المدّ و الزّخ م الرّوحيّ للتّنهضات الزّيدية التي ظهرت فيما بعد ضدّ الظّلم و الإستبداد، أمثال تحضة يحيى بن زيد رضي الله عنه الذي استمدّ تعاليمه من تحضة أبيه، و قد فشلت أيضا

انظر، المصابيح، لأحمد بن إبراهيم: ٤١٤، مقاتل الطّالبيين: ١٠٣، الكامل للجزري: ٥ / ٢٧١، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٨ / ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٣٠١، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٥ / ٩٨ و ١٠٧ و ١٠٨، شرح شافية أبي فراس: ١٥٤، مروج الذهب: ٢ / ١٣٢.

و ينسب ابن قتيبة الإخفاق إلى قوّة الدولة الأمويّة في عهد الخليفة هشام بن عبد الملك^{١٣٠}. بينما ينسبه كلٌّ من المسعودي^{١٣١}، والإصفهاني^{١٣٢} و مهما كانت أسباب إخفاق حركة زيد بن عليّ^{١٣٣}، فلا شكّ أنّ الدّعوة العباسيّة قد استفادت

^{١٣٠} (١) انظر، الإمامة و السياسة: ١٣٠ / ٢.

^{١٣١} (٢) انظر، مروج الذهب: ١٤٠ / ٣.

^{١٣٢} (٣) انظر، مقاتل الطالبيين: ١٣٧ - أحصى ديوان زيد بالكوفة أنصاره فبلغوا خمسة عشر ألفا.

انظر، العمري، الجدي في أنساب الطالبيين: ٩٦، و لم ينضم إلى زيد خلال المعركة سوى (٢١٨) رجلا (الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٣٧، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ٤٧، مقاتل الطالبيين:

١٣٣ الطبعة الأولى، منشورات الشريف الرضي، ابن جرير، تاريخ الطبري : ٢٠٥ / ٤، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد : ٢٥٧ / ٣، مروج الذهب للمسعودي : ٢١٨ / ٣، المصابيح، لأحمد بن إبراهيم: ٣٨٩، الخطط للمقرئ: ٣ / ٣٤٠، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٨٢ / ٧، و: ٤١٩ / ٥، الفتوح لابن أعثم: ١١٢ / ٥.

^{١٣٣} (٤) انظر، يذكر المستشرق سيديو (تاريخ العرب العام: ١٤٦ أنّ السبب إنقسام الشيعة على نفسها بينما ينسب بعض المؤرخين الإخفاق إلى صلة زيد بواصل بن عطاء رأس المعتزلة الذي كان يجوز الخطأ على جدّه عليّ بن أبي طالب في قتال التاكثين و القاسطين، كما يتكلّم على القدر بآراء تخالف آراء أهل البيت، كما ينسبها البعض إلى إعترا ف زيد بصحة خلافتي أبي بكر و عمر بن الخطاب ممّا يخالف آراء كثير من الشيعة ممّا أدى إلى رفض بعضهم هذه الآراء و أصبح اسمهم (الرافضة).

تجدر الإشارة إلى أنّ أقوال من أزعج لهذه اللفظة - الرافضة - هي متضاربة فقيل: أول من أطلق لفظ الرافضة هو المغيرة بن سعد، بعد وفاة الإمام معجّد الباقر عليه السّلام عند ما مال إلى إمامة محمّد النفس الزكية، فبرأت منه الشيعة أصحاب الإمام جعفر. فزعم أنّهم رافضة، و أنّه هو الذي سمّاهم بهذا الاسم. انظر، فرق الشيعة: ٨٣.

و قيل: (إنّ التوافق عند الشيعة من آخر خلافة عليّ عليه السّلام، و عند غيرهم من نفى خلافة العمرين).

انظر، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم: ٣٨ / ١.

و قيل: (إنّما قيل لهم الرافضة؛ لأنّهم رفضوا أبا بكر، و عمر، و لم يرفضهما أحد من أهل الأهواء و غيرهم، و الشيعة دعوهم أمّا الرافضة فلها غلو كبير في عليّ عليه السّلام). انظر، العقد الفريد: ٢ / ٤٠٤.

و قيل: (إنّهم سمّوا رافضة لرفضهم أبا بكر و عمر).

انظر، مقالات الإسلاميين: ٨٧ / ١.

و يذكر الإسفرايني: (إنّ التوافق تجمعهم ثلاث فرق الزيدية، و الإمامية، و الكيسانية).

انظر، التبصير في الدين: ٩٢.

أمّا البغدادي فيقول: (ثمّ افتقرت الرافضة بعد زمان عليّ عليه السّلام على أربعة أصناف: زيدية، و إمامية، و كيسانية، و غلاة).

انظر، الفرق بين الفرق: ١٨.

و يذهب الزازي: (إلى أنّ زيد بن عليّ خرج على هشام فطعن عسكره في أبي بكر فمنعهم من ذلك فرفضوه، فقال رفضتموني!

قالوا: نعم، فبقى عليهم هذا الاسم و هم أربع طوائف: الزيدية، و الإمامية، و الكيسانية، ثمّ يذكر و يقال لهم الإمامية، و الغلاة، و الزيدية).

انظر، الفرق المتفرقة بين أهل الزيف و الزندقة الحنفي: ٣٠.

و يلاحظ على هذا الإستعراض السريع الغموض من إطلاق المغيرة على الذين قالوا بإمامة الإمام جعفر بن محمّد عليه السّلام في حين أنّ صاحب المحرّ ينافض هذا الرأي، و يرى أنّ اللفظة ظهرت سنة (١٢٢ هـ) حينما أطلقها زيد على من انفضوا عنه. و يشاركه الرأي هشام بن محمّد الكلبي. انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٧٢ / ٨. انظر، المحرّ البغدادي: ٤٢٧.

أمّا المقدسي فيثير مشكلة أخرى: و هي من آخر خلافة الإمام عليّ عليه السّلام، و يفرد المقدسي بذلك

بيّما الشيعة أنفسهم اعتّروا بهذا الاسم فالسيد الحميري يرد على لسان من قال له: يا رافضي في محاولة للحط من شأنه فيقول:

ن لأهل الضلالة و المنكر

و نحن على رغبتك الرافضو

انظر، كتاب الزينة للزازي (مخطوط)، الفصول للسيد المرتضى: ٦١ / ١.

و ذكر أنّ عمّار الذهني شهد شهادة عند ابن أبي ليلى القاضي.

فقال له: قم يا عمّار فقد عرفناك لا تقبل شهادتك؛ لأنّك رافضي.

فقام عمّار يبكي.

فقال ابن أبي ليلى: أنت رجل من أهل العلم و الحديث، إن كان يسووك أنّ يقال لك رافضي! فترا من الرفض، و أنت من إخواننا.

فقال له عمّار: ما هذا ذهب و الله إلى حيث ذهبت. و لكنّي بكيت عليك و عليّ.

أمّا بكائي على نفسي فنسبتي إلى رتبة شريفة لست من أهلها.

انظر، تنبيه الخواطر و نزهة التواظر للأشتري: ١٠٦ / ٢.

من إخفاقها، فقد جمعت الحركة الزيدية كثيرا من الأنصار و المؤيدين الذين كان العباسيون يتمنون إنضمامهم إليهم^{١٣٤}.

ثورة يحيى بن زيد:

و ثار يحيى بن زيد مطالبا بثور أبيه من الأمويين، و قامت ثورته في خراسان إذا أدرك تخاذل أهل الكوفة عن نصره أبيه . و لا شك أن العباسيين لم يرتاحوا لقيام هذه الحركة العلوية الجديدة في خراسان التي أصبحت مسرحا لنشاط الدعوة العباسية، و لا شك أيضا أن العباسيين قد تنفسوا الصعداء حينما نجح الأمويون في القضاء على ثورة يحيى في سنة ١٢٥ هـ.

فكل هذا لا أساس للرأي الذي يذهب إليه السيد المقدسي وغيره.

و كان للزيدية أئمة كثيرون من بني الحسن و الحسين عليهما السلام لأنهم قالوا بإمامة كل من خرج بالسيف داعيا لإمامته من العظميين، فاضلا كان أو مفضولا، و لكن أكثرهم قد عدل بعد ذلك عن القول بإمامة المفضول .

انظر، الحقائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية : ٢ / ٢٠، البغدادي، الفرق بين الفرق : ٢٥ - الشهرستاني، الملل و النحل : ١ / ٢٥٢، و فوات الوفيات لمحمد : ٣ / ٣٧، و تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة: ٦٧١.

١٣٤ (١) و قال أبو زهرة: «و نحن نرى إنهما تذاكرا في مسائل الاعتقاد».

انظر، تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة : ٦٧١. و من خلال البحث العلمي يتبين لنا : بأن زيدا لم يتلمذ على يد واصل، و لم يأخذ عنه، بل إنه أخذ عن والده علي - زين العابدين عليه السلام، و عن أخيه محمد الباقر عليه السلام. و كان زين العابدين عالما بالحديث إذ هو غصن الدوحة النبوية و رأى، الكثير من الصحابة و التابعين فقال عنه محمد بن سعد فيما يرويه عنه: «كان ثقة مأمونا، كثير الحديث، عالما رفيعا».

انظر، الطبقات الكبرى: ٥ / ٢٢٢، تاريخ دمشق: ٤١ / ٣٦٢.

إن من الأخطاء الشائعة عند الباحثين و المفكرين - و خاصة الذين لم يدرسوا أصول الزيدية، و كذلك لم يطلّعوا حتى على دراسة الفرق بأكملها - نسبة الزيدية إلى المعتزلة، و القول بأن الإمام زيد ابن علي رضي الله عنه قد تلمذ على رئيس المعتزلة واصل بن عطاء

و لعل الشهرستاني أول من سجل ذلك في كتابه الملل و النحل، و ربما نظر إلى التوافق بين الزيدية و المعتزلة في أكثر مسائل الأصول دليلة على مقولته، و يرى إن زيدا تلمذ على يد واصل بن عطاء، و أخذ عنه الاعتزال حيث يقول:

« و زيد لما كان مذهبه هذا المذهب، أراد أن يحصل الأصول و الفروع حتى يتحلى بالعلم، فتلمذ في الأصول لوصل بن عطاء - رأس المعتزلة - مع اعتقاد واصل بأن جدّه علي بن أبي طالب عليه السلام في حروبه التي جرت بينه و بين أصحاب الجمل و الشام ما كان على يقين من الصواب، و أنّ أحد الفريقين منهم على خطأ لا بعينه، فاقبّس منه الاعتزال، و صار أصحابه كلّهم معتزلة».

انظر، الملل و النحل: ١ / ٢٠٧.

كما يذهب إلى هذا الرأي محمد شاعر الكتيبي، حيث يقول:

« كان زيد قد أثر العلم، و التحصيل فتلمذ لوصل بن عطاء - رأس المعتزلة - فقرأ عليه، و اقتبس منه الاعتزال، و صار زيد و جميع أصحابه معتزلة في المذهب و الاعتقاد». انظر، فوات الوفيات: ٣ / ٣٧.

علما بأن واصل بن عطاء كان مولى لآل محمد بن علي بن أبي طالب عليه السلام - نقصد محمد ابن الحنفية - و أخذ العلم عن ابنه أبي هاشم - عبد الله - ابن محمد بن الحنفية .

راجع شرح الأصول الخمسة: ١٣٧.

و قيل: كان مولى ضبة، و قيل: مولى بني مخزوم. انظر، وفيات الأعيان: ٦، ٧.

و قيل: مولى بني هاشم، ولد في المدينة سنة ٨٠ هـ و مات في سنة (١٣٠ هـ)، و سمي بالغزال، لأنه كان يجلس في سوق الغزالين.

انظر، وفيات الأعيان: ٦ / ١٠، لسان الميزان: ١١ / ٢١٤، وفيات الأعيان: ٦ / ١١.

١٣٥ (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٨ / ٣٠٠ - ٣٠١، المصابيح، لأحمد بن إبراهيم: ٤١٤، مقاتل الطالبين:

١٠٣، الكامل للجزري: ٥ / ٢٧١، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٨ / ٢٧٧ - ٢٧٨ - ٣٠١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٩٨ و ١٠٧ و ١٠٨، شرح شافية أبي فراس: ١٥٤، مروج الذهب: ٢ / ١٣٢.

و في الحقيقة لم تكن الدّعوة العباسيّة هي السّبب في إخفاق ثورة يحيى بن زيد، وإن كان العباسيون لم يرتاحوا كثيرا لقيامها، إذ يريدون أن تخلو خراسان لهم ليبثوا دعوتهم فيها . و نرى أنّ العامل الأوّل في إخفاق حركة يحيى، رغبته في الإستعانة بجماعة من المحكّمة، إحدى فرق الخوارج، في كفاحه للدولة الأمويّة، ولذا أبدت الشيعة تعجبها من رغبته في الإستعانة بقوم يبرأون من عليّ ابن أبي طالب و أهل بيته^{١٣٦}.

ص: ٧٢

ثورة الشيعة بزعامة عبد الله بن معاوية:

^{١٣٦} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١١٣.

ليس كما تدّعي الكتّورة الليثي نقلا عن الإصفهاني، بل أوصاه أبوه قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة « يا بني! جاهدهم، فوالله إنك لعلّى الحقّ، و إنهم لعلّى الباطل، و إنّ قتلاك لفي الجنة، و إنّ قتلاهم لفي النار». انظر، عمدة الطالب لابن عنبه: ٢٥٧، سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٥٨. توجه إلى خراسان، و أقام فيها، و أخذ يتنقل بين كورها من مرو حينا و سرخس انظر، المصباح، لأحمد بن إبراهيم: ٤١٤، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٧٠. و الزّي، و قومس، و أبر شهر، ثمّ بلغ حتّى هلك هشام، و ولّى الوليد بن يزيد انظر، المصباح، لأحمد بن إبراهيم: ٤١٤ - ٤١٥، سير أعلام النبلاء: ٥ / ٣٧٠. فدعا إلى نفسه - ثائر علوي - متابعاً سيرة أبيه و دعوته، و نشرها فالتفت حوله أهل خراسان و بلخ، فأرسل نصر بن يسار إلى عقيل بن معقل الليثي، يأمره بأخذ « الحريش » فيزهق نفسه أو يدفع إليه يحيى بن زيد رضى الله عنه. انظر، مقاتل الطالبيين: ١٤٧، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٨ / ٣٠٠، الكامل في التّاريخ: ٤ / ٢٥٩، المصباح، لأحمد بن إبراهيم: ٤١٦، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٤ / ٢٣٨، مقاتل الطالبيين: ١٤٨، أئمة أهل البيت عليهم السلام، عبّاس محمد زيد: ١٦. و لم تذكر لنا المصادر أنّه رضى الله عنه إستعان بالمحكّمة. فبعث عقيل إلى الحريش رضى الله عنه فسأله عن يحيى، فقال: لا علم لي به. فجلده (٦٠٠) جلدة، فقال له الحريش: « و الله! لو كان تحت قدميّ هاتين ما رفعتهما لك عنه، فأقضي ما أنت قاض.

فقال قريش بن الحريش لما رأى ما فعل عقيل بأبيه، و خاف عليه القتل: لا تقتل أبي و أنا أدلك على طلبك، فأرسل معه رسلا فدّهم على يحيى و هو في خوف بيته، فأخذوه و معه يزيد بن عمرو، و الفضل مولى عد القيس، و هناك حبسه نصر بن سيّار، و كتب إلى يوسف يخبره الخبر. انظر، مقاتل الطالبيين: ١٤٧، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٥ / ٥٣٦ و: ٨ / ٣٠٠، الكامل في التّاريخ: ٥ / ١٠٧، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٥٢. فكتب الوليد أن يخلي سبيله و أن يؤمنه و يحذره الفتنة. و فعلا اطلق سراحه، و بعد ذلك توجه يحيى إلى سرخس و الّتي كان عليها عبد الله بن قيس. ثمّ جيّشوا جيشاً بقيادة مسلم بن أحوز أحد قوّاد نصر بن يسار أمير خراسان، فقدم هراة و لكنّ يحيى ارتحل عنها إلى الجوزجان، فتبعه إلى قرية « أرغويه » و الّتي عليها حمّاد بن عمرو السّعدي. انظر، مقاتل الطالبيين: ١٤٧، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٥ / ٥٣٧، الكامل في التّاريخ: ٤ / ٣١٨ و: ٥ / ٢٨، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٥٣، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٥ / ٥٣٦ و: ٨ / ٣٠٠، الكامل في التّاريخ: ٤ / ٢٥٩.

و اقتتل الجيشان قبل الوصول إلى « أرغويه » حتّى هزم الجيش الأمويّ، و لكن بعد ذلك انسحب يحيى و جماعته إلى إحدى مدن جوزجان يقال لها « أرغويه ». و حاصروهم الجيش طويلا حتّى أتت يحيى نشابة في جبهته من قبل رجل من موالي عنزه يقال له: عيسى - لعنه الله - مولى لعيسى بن سليمان من بني مرّة، و استشهد على أثرها، ثمّ جاء سورة ابن محمّد بن عزيز الكندي فاحتزّ رأس يحيى، و حمله إلى مروان الحمار، و أخذ عيسى العنزي قميصه، و غلبه سورة على الرّأس فانطلق به إلى نصر بن سيّار، و كان ذلك يوم الجمعة بعد الصّلاة من عام (١٢٦ هـ)، و قيل (١٢٥ هـ).

انظر، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٥٤، الشّافي للإمام عبد الله بن حمزة: ١ / ١٩٠، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٥ / ٥٣٦ - ٥٣٧. و تكرّرت المأساة إذ احتزّ رأسه، و بعث به إلى الوليد فبعثه إلى المدينة، و وضع، في حجر أمّته، فنظرت إليه قائلة « شرّدموه عني طويلا، و أهديتموه إليّ قتيلا، صلوات الله عليه بكرة و أصيلا».

انظر، عمدة الطالب لابن عنبه: ٢٦٠، سرّ السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٦١. أمّا الجسم فقد بقي مصلوبا على باب الجوزجان، بقرية أرغويه. حتّى ظهرت المستودة في خراسان بقيادة الخراساني، فأنزلوه من خشبته، و غسلوه، و حنطوه، و كفّنوه، و دفنوه في (أنبير).

انظر، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٥٤، موسوعة الفرق الإسلامية: ٤٧٠، مقاتل الطالبيين:

١٤٩، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٥ / ٥٣٦، الكامل في التّاريخ: ٤ / ٢٤٧.

قاد الحركة الشيعية الجديدة، عبد الله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر بن أبي طالب^{١٣٧}. وقد وصفه الإصفهاني بأنه كان جوادا فارسا شاعرا، ولكنه في نفس الوقت يصفه بأنه كان شيء السيرة رديء المذهب وإنه جمع حوله بطانة سوء، بل أن الإصفهاني يتهمه بالزندقة^{١٣٨} أما النوبختي^{١٣٩} فيذكر أن عبد الله بن معاوية ذهب إلى أن الإمامة قد إنتقلت إليه من الإمام أبي هاشم بناء على وصية له عهد بها إلى صالح بن مدرک، ليحفظ بها حتى يشب عبد الله بن معاوية الذي كان حدثا حين

ص: ٧٣

مات أبو هاشم.

و يهمننا في الحديث عن حركة عبد الله بن معاوية توضيح العلاقات بينها وبين الدعوة العباسية، وكان عبد الله يدعو عند أول قيامه بحركته إلى «الرّضا من آل محمد» وهي نفس الدعوة التي دعا إليها العباسيون^{١٤٠}. ولا شك أن العباسيين أدركوا خطورة هذه الحركة العلوية الجديدة التي أصبحت منافسا خطيرا لدعوتهم العباسية، وقد كانت هذه الدعوة قد بدأت تنتعش بعد موت هشام بن عبد الملك وانتشار الفوضى السياسية في أرجاء الدولة الأموية.

و شعر العباسيون بالحرص، إذ اتسع نطاق دعوة ابن معاوية، فامتدت إلى معظم مدن العراق، وإلى المدائن، و الماهين، و همدان، و قومس، و أصبهان، و الرّى و فارس^{١٤١}، و في سنة (١٢٨ هـ)، اتخذ ابن معاوية من أصبهان مركزا لدعوته و حركته و لمناطق نفوذه، و بعث إلى الهاشميين، علويين و عباسيين يدعوهم إليه ليساهموا معه في إدارة البلاد التي سيطر عليها، فقدم عليه عدد كبير منهم.

و لم يجد العباسيون بدا من مخالفة هذه الحركة العلوية الشيعية، أو مهادنتها و لو مؤقتا، انتظارا لما تخبئه الأيام فكان ممن قدم على ابن معاوية من العباسيين أبو جعفر المنصور، و أخوه عبد الله بن الحارثة، و عمهما عيسى بن علي، و ولى عبد الله بن معاوية أبا جعفر المنصور على كورة بين خوزستان، و أصبهان، تدعى (إيزج) و فوضه أمر بجباية أموالها^{١٤٢}.

و كانت الدولة الأموية تعاني من الإضطرابات الداخلية نتيجة إنقسام البيت

ص: ٧٤

الأموي على نفسه، ممّا أتاح الفرصة لعبد الله بن معاوية للنهوض بحركته و يبدو أنه أعتز بقوته و اتّسع نفوذه فتحول عن الدعوة إلى الرّضا من آل محمد، و دعا إلى نفسه^{١٤٣}.

^{١٣٧} (١) انظر، كان جعفر بن أبي طالب من السابقين إلى الإسلام، و قد كان في مقدّمة المهاجرين إلى الحبشة، و تولى شرح عقائد الإسلام لنحاشي الحبشة حين أوفدت قريش وفدا برئاسة عمرو بن العاص لرد المهاجرين، و جاهد جعفر في سبيل الإسلام و استشهد في موقعة مؤتة و بكاه الرسول كثيرا

انظر، ابن حزم، الفصل في الملل: ٢ / ٨٥، ابن هشام في السيرة: ١ / ٢٦٥ و ٣٥٨ و ما بعدها.

^{١٣٨} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٦٥ الأغاني: ١١ / ٧١.

^{١٣٩} (٣) انظر، الإصفهاني: مقاتل الطالبيين: ١٦٧.

^{١٤٠} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٦٧.

^{١٤١} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٩ / ٤٩.

^{١٤٢} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٦٧.

^{١٤٣} (١) انظر، المصادر السابق: ١٦٥.

نجح مروان بن محمد^{١٤٤} في الوصول إلى الخلافة، و تفرغ لمواجهة الحركة العلوية فبعث بجيش أموى لقتال عبد الله بن معاوية الذى رأى أزاء تخاذل أصحابه أن ينسحب إلى خراسان^{١٤٥}.

و أصبح الموقف حرجا بين عبد الله بن معاوية و شيعته و بين العباسيين، فقد أصبحت خراسان موطن الدّعوة العباسيّة . و أصبحت هناك حركتان تختلفان في تعاليمها و تنظيماتهما و زعمائهما . و لم يفتن عبد الله بن معاوية إلى هذه الاختلافات الجوهرية، حتّى أنّه لجأ إلى أبى مسلم الخراساني، داعية العباسيين، يطلب منه النصرة و المعاونة، و لكن أبى مسلم خيب ظنّه، فقد أدرك خطورة ابن معاوية على الدّعوة العباسيّة، إذ نجح في استمالة عدد كبير من أهل خراسان الذين يرى أبو مسلم قصر ولائهم على دعوته العباسيّة، و لذا أقدم أبو مسلم على القبض على ابن معاوية و سجنه، ثمّ قتله^{١٤٦}.

و لنا أن نتساءل:

هل كانت الدّعوة العباسيّة هي السّبب المباشر لإخفاق حركة ابن معاوية؟:

لا شكّ أنّه كانت هناك عوامل عديدة^{١٤٧} تكاثفت على إضعاف هذه الحركة

ص: ٧٥

العلوية، أبرزها المؤرّخون، ممّا لا يدخل في نطاق بحثنا، و لكن كان الصّدّام بين الدّعوة العباسيّة و الحركة العلوية، على مسرح خراسان، من أبرز هذه العوامل، فقد سكت العباسيون أوّل الأمر، و هادنوا الحركة العلوية، نتيجة عاملين :

أوّلهما: أنّ الحركة العلوية قد اتّخذت في أوّل الأمر نفس شعار العباسيين أى الدّعوة إلى الرّضا من آل محمّد.

أمّا العامل الثّاني: فهو أنّ الحركة العلوية بدأت بعيدة عن خراسان، حتّى إذا اختفى هذان العاملان، انقلب العباسيون على عبد الله بن معاوية، فقد بدأ يدعو لنفسه، كما نقل نشاطه إلى خراسان حيث بذر العباسيون بذور دعوتهم و تعدوها حتّى نمت و ترعرعت.

علّق المستشرق (فلهوزن)^{١٤٨} على مصرع ابن معاوية على يد أبى مسلم الخراساني، بقوله : كان أبو مسلم قد ظهر بمظهر المطالب بثأر يحيى بن زيد، لما يعلمه من تأثير ذلك في النفوس، و لذلك كان ابن معاوية يعتقد أنّه إذا خرج إلى خراسان فهو مصيب مكانا أميناً، و لكنّه أخطأ ظنّه في أبى مسلم، لأنّ أبى مسلم لم يكن عنده مكان لعلوى حىّ، أكثر ممّا كان عنده لعلوى ميّت، فدرس على ابن معاوية من قضى عليه شرّاً.

^{١٤٤} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٥٠ / ٩.

^{١٤٥} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٥٠ / ٩، العمري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ٩٩.

^{١٤٦} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ١٦٨.

^{١٤٧} (٥) نذكر منها تخاذل الشّيعّة، و تخلي عبد الله بن عمر بن عبد العزيز والي الكوفة عن مناصرته، و سوء معاملة ابن معاوية لأنصاره، و اتّهامه بالزندقة، فضلا عن إنتساب ابن معاوية لجعفر بن أبي طالب و عدم إنتناسية لعلوي بن أبي طالب أو الحسن أو الحسين عليهما السّلام
انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٥٠ / ٩ و ما بعدها- الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ١٦٥ و ما بعدها. و يصف التّوخي، فرق الشّيعّة: ٣٥ أنصار ابن معاوية بأنّهم « شذّاذ صنوف الشّيعّة ».

^{١٤٨} (١) انظر، فلهوزن، الدّولة العربيّة: ٤٧٤.

أدت حركة عبد الله بن معاوية إلى ظهور فرقتين من فرق الشيعة وهما الجناحية و الحارثية.

ص: ٧٦

أما الجناحية^{١٤٩} فهي نسبة إلى جعفر بن أبي طالب الذي اشتهر باسم ذي الجناحين.

أما الحارثية^{١٥٠} فهي نسبة إلى عبد الله بن الحارث، أبرز دعاة ابن معاوية.

شهدنا أبا جعفر المنصور، ابن الإمام محمد بن عليّ العبّاسيّ، وقد أصبح من ولاية عبد الله بن معاوية، و لكنّا نراه بعد قتل ابن معاوية يجمع الأموال التي في يده، و يرسلها إلى البصرة، ثمّ يغادر (إيزج) عن طريق الأهواز، و قبض عليه الوالي الأموي سليمان بن حبيب و ضربه أربعين سوطا حتّى يسلم إليه الأموال التي جمعها، و كاد يقتله لو لا تدخل كاتبه أبي أيوب المورياني الذي قال للوالي:

«أيّها الأمير لا تقتله فإنّ الخلافة إن بقيت أموية، فلا يسوغ لك قتل رجل من بنيّ عبد مناف، و إن صار الملك إلى بنيّ هاشم، فلن تكون بلاد الإسلام لك بلادا إن قتلته»^{١٥١}، و عدل الوالي عن قتل المنصور و اكتفى بسجنه و ما لبث أن أطلقت سراحه جماعة من العرب من المضرية، فخرج إلى ا لبصرة حيث حاز أمواله، ثمّ خرج إلى الحميمة ليشارك أخاه الإمام إبراهيم جهوده في هذه المرحلة الحاسمة التي تمر بها الدّعوة العبّاسيّة بعد إخفاق الحركة الشّيعيّة.

أدى إخفاق حركة ابن معاوية إلى أن الدّعوة العبّاسيّة قد بدأت تسلك طريقا

ص: ٧٧

مستقلا عن طريق العلويّين و شيعتهم، و قد خلا الميدان لها إذ ركن الزعماء العلويون إلى الهدوء و التّقية و الكتمان، و انصرفت شيعتهم تداوى جروحها التي أصابتها خلال نضال الأمويّين لحركات زيد بن عليّ، و ابنه يحيى، و عبد الله بن معاوية.

أبو مسلم الخراساني و نجاح الدّعوة العبّاسيّة:

و رأى العبّاسيون أن يبلوروا دعوتهم، بعد أن نمت و ترعرعت، و أن يدفعوها إلى الإمام فتتخذ شكلا إيجابيا فعّالا، و قدم وفد من خراسان على الإمام إبراهيم في الحميمة، و تدارسوا معه و مع حاشيته أمر إعلان الثّورة . و أرادوا اختيار قائد يقود هذه الثّورة إلى طريق النّصر، على أن يبقى الإمام إبراهيم مستترا في الحميمة . و عرض الإمام إبراهيم القيادة على سليمان

^{١٤٩} (١) يرى الشّهستاني: أنّ آراء الجناحية كانت هي السّبب في ظهور تعاليم الزّندقة في العراق في العصر العبّاسيّ الأوّل و خاصّة تعاليم الحرّميّة و المزدكية

انظر، الملل و النحل: ٢٥٠ / ١ و ما بعدها.

^{١٥٠} (٢) كان أبو الحارث زنديقا، و ذهب الحارث إلى تناسخ الأرواح و قال: أنّ الله نور و قد انتقل إلى ابن معاوية و دعا إلى الإباحيّة و أباح الخمر و المنيّة و الزّنا و غيرها من المحرمات و أسقط العبادات.

انظر، تعاليم هذه الفرقة في كتاب الفرق بين الفرق للبغدادي: ١٥٠ و ما بعدها.

^{١٥١} (٣) انظر، الجهشياري، الوزراء و الكتاب: ٩٨ .

بن كثير، و كان شيخا مسنًا، فأعذر عن قبولها و قال : «لا آلى على اثنين من الناس»، ثم عرضها على إبراهيم ابن سلمة، فاعتذر أيضا و قال: أنّه هناك من هو أكثر جدارة منه^{١٥٢}.

و انتهى الأمر بإختيار أبي مسلم الخراساني قائدا للثورة العباسية.

و قد اختلف المؤرخون في أصل أبي مسلم الخراساني^{١٥٣}، و في الدوافع التي دفعت بالإمام إبراهيم لإختياره زعيما للثورة العباسية، و قد كان حينئذ في الثلثة عشرة من عمره، ليس له خبرات و تجارب أو ماض سياسي يركيه لهذه

ص: ٧٨

المهمة الخطيرة الكبيرة، و خاصة أنّ هذا الإختيار قد لقي معارضة شديدة من أبي جعفر المنصور، و من بعض النقباء و الدعاة بالكوفة و خراسان. و نستطيع أن نبرّر سرّ إختياره بأنّه كان صنعة العباسيين، كما لم يكن له ميول علوية أو شيعية قد تضر بالدعوة العباسية، هذا بينما كان أبو سلمة الخلال، أو سليمان بن كثير قد اشتهر بمثل هذه الميول، و كان أبو سلمة نفسه حينئذ، «وزير آل محمّد»، و خير دليل على إفتقاد أبي مسلم لهذه الميول الشيعية إقدامه على قتل عبد الله بن معاوية، و قد أثبت أبو مسلم دائما إخلاصه للدعوة العباسية و تفانيه من أجلها.

رسم الإمام إبراهيم الطريق لأبي مسلم الخراساني، فقال له : «يا أبا عبد الرحمن أنّك رجل منّا أهل البيت^{١٥٤}، فاحفظ وصيتي، و انظر هذا الحيّ من اليمن فأكرمهم، فإنّ الله لا يتم هذا الأمر إلّا بهم . و انظر هذا الحيّ من ربيعة فأتهمهم في أمرهم، و انظر هذا الحيّ من مضر فإنهم العدو القريب الدار، فاقتل من شككت في أمره، و إن استطعت إلّا تدع بخراسان أرضا فيها عربى فافعل^{١٥٥}».

أبدى أبو مسلم روحا شعوبية متطرفة، و أنزل سخطه على العرب، و بالغ في تنكيله بهم، حتّى أنّه قتل ستمئة ألف عربى صبرا بالسيف، عدا من قتل في الحرب^{١٥٦}.

ص: ٧٩

مضت الثورة العباسية من نصر إلى نصر، ممّا يخرج تفصيل أحداثها عن نطاق هذا البحث، فنحن نركز الدراسة على أبعاد العلاقات بين الشيعة و الحركة العباسية و دور جماعة الشيعة في سقوط الدولة الأموية و قيام الدولة العباسية .

^{١٥٢} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٩٥ / ٤.

^{١٥٣} (٢) اختلفت الروايات حول أصل أبي مسلم فقيل أنّه غلام فارسي اشتراه النقيب بكير بن ماهان و أهداه إلى محمّد بن عليّ العباسي أو إلى الإمام إبراهيم. و قيل أنّه من نسل أحد ملوك الفرس من بني سامان هو (بزرجمهر) و هناك رواية تقول أنّه فارسي يدعي إبراهيم بن عثمان، بن يسار ولد قرب أصبهان سنة ١٠٨ هـ، و أنّه اتّصل و هو في الخامسة عشرة من عمره بالدعاة العباسيين و انضم لهم مدفوعا بروح شعوبية ضدّ العرب و أنّ إبراهيم الإمام أبدى إعجابه به و سمّاه عبد الرّحمن بن مسلم و اشتهر باسم أبي مسلم الخراساني، و يرجح الرواية الأخيرة على سائر الروايات.

^{١٥٤} (١) قد تدعو عبارة «أنّك رجل منّا أهل البيت» إلى التساؤل و لتوضيح ذلك نقول: أنّ أبا مسلم ادعى أنّه من ولد سليط بن عبد الله بن العباس. و كانت لسليط هذا جارية ادعى ابنها أنّه من ولد عبد الله بن العباس. و لما مات عبد الله نازع سليط ورثته في ميراثه. و خرج بنو أميّة بذلك للحط من شأن عليّ بن عبد الله بن العباس فأعانوه، و قضى له القاضي في دمشق بالميراث فداعى أبو مسلم أنّه من ولد سليط هذا. انظر، العمري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٢٣.

^{١٥٥} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ١٣٤ / ٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٤٩٥ / ٤، ابن قتيبة الإمامة و السياسة: ٢١٨ / ٢.

^{١٥٦} (٣) انظر، الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد: ٢٠٨ / ١.

أحكم العباسيون ستر حركاتهم و نشاطهم، حتّى إنكشف أمرهم حين وقع خطاب كتبه الإمام إبراهيم إلى أبى مسلم، ف أيدىهم، فأمر الخليفة الأموى مروان بن محمد بالقبض على إبراهيم فى الحميمة . فأوصى إبراهيم بالإمامة بعده إلى أخيه أبى العباس، و ما لبث إبراهيم أن مات فى سجنه بحران^{١٥٧}.

يرى صاحب الفخرى أنّ الأقدار كانت هى التى تنكرت لبنى أمية، و حالفت بنى العباس، و ينسب نجاح الدّعوة العباسية إلى جهود جيش خراسان و ليس إلى جهود الإمام إبراهيم فيقول : «لَمَّا قَدَّرَ، اللَّهُ عَزَّ وَ جَلَّ إنتقال الملك إلى بنى العباس، هبّا لهم جميع الأسباب، فكان إبراهيم الإمام بن محمد بن على بن عبد الله العباسي فى الحجاز أو بالشّام جالسا على مصلاه مشغولا بنفسه و عبادته و مصالح عياله، ليس عنده من الدّنيا طائل . و أهل خراسان يقاتلون عنه و يبذلون نفوسهم و أموالهم دونه و أكثرهم لا يعرفه ... و لَمَّا قَرَّرَ اللَّهُ تعالى خذلان مروان و انقراض ملك بنى أمية فكن مروان خليفة مبايعا، و معه الجنود و الأموال و السّلاح و الدّنيا بأجمعها عنده، و النّاس يتفرقون عنه، و أمره يضعف و حبله يضطرب، فما زال يضمحل حتّى هزم و قتل، فتعالى الله»^{١٥٨}.

استمرت الحركة العباسية فى مراكزها الثلاثة: الحميمة^{١٥٩}، و الكوفة،

ص: ٨٠

و خراسان، و كان يتولى أمر المركز الأوّل بعض زعماء العباسيين مثل أبى جعفر المنصور و أخيه عبد الله بن الحارث و أعمامهما.

أمّا المركز الثّانى، أى الكوفة فكان يتولاه أبو سلمة الخلال حانقا على إختيار أبى مسلم الخراسانى لقيادة الثّورة العباسية إلى جانب إضطهاد أبى مسلم للعرب. أمّا أبو مسلم فقد تولى المركز الرّئيسى فى خراسان، و نجح فى إعداد جيش عباسى كثيف ما لبث أن هزم به جيش الخليفة الأموى الأخير، مروان بن محمد عند نهر الزّاب^{١٦٠}، و انتهى الأمر بمقتل مروان. و ما لبث أن ظهر السّواد شعار العباسيين فى الكوفة فى العاشر من المحرم سنة (١٣٢ هـ)، فكان هذا إعلانا عن سقوط الدّولة الأموية و قيام الدّولة العباسية^{١٦١}.

ص: ٨١

تطور العلاقات بين البيتین العلوی و العباسی

شهد العصر العباسي الأوّل حركات شيعية عديدة، ترمى إلى دفع زعماء البيت العلوى إلى الخلافة، و رأت الشيعة أنّ البيت العباسي قد اغتصب من العلويين حقّهم المشروع . و بدأ منذ مطلع العصر العباسي الأوّل صراع عنيف بين البيتین العلوی و العباسي منذ قيام الدّولة الأموية سنة (٤٠ هـ) إلى سقوطها سنة (١٣٢ هـ). و حتّى نستطيع أن نفهم أبعاد العلاقات بين العلويين

^{١٥٧} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٧٩ - ٨٠.

^{١٥٨} (٢) انظر، الفخري، المجدي فى أنساب الطّالبيين: ١٢٩.

^{١٥٩} (٣) تقع الحميمة فى أرض الشّراء، و قال ياقوت الحموي: أنّ الشّراء صقع بالشّام بين دمشق و المدينة انظر، معجم البلدان: ٢٤٧ / ٥.

^{١٦٠} (١) نهر الزّاب فرع من فروع نهر الفرات.

^{١٦١} (٢) انظر، الدّينوري، الأخبار الطّوال: ١٠٤ - ١٠٥.

و العباسيين في العصر العباسي الأول، نرى أن نعود إلى الوراء لندرس تطور العلاقات بين البيت العلوي و البيت العباسي و الوقوف على الفترات التي شهدت تحالف البيتين، ثم فتور العلاقات، ثم قيام العداء السافر بين البيتين.

العباس بن عبد المطلب :

ينتسب البيت العباسي إلى العباس بن عبد المطلب، عم الرسول صلى الله عليه و آله . و كان مولده قبل الهجرة بنحو خمسين سنة (٥٠٢ م) و نشأ في مكة، و أصبح من وجوهها، و من سادة قريش، و اشتهر بسداد الرأي، و الكرم و العطف على الفقراء و تولى في الجاهلية منصب السقاية، أي توفير المياه للحجاج^{١٦٢} كما تولى عمارة

ص: ٨٢

المسجد الحرام^{١٦٣}.

و بعد وفاة عبد المطلب آلت كفالة محمد صلى الله عليه و آله، إلى أبي طالب^{١٦٤} و إن لم يكن أكبر هم سناً، فقد كان الحارث أسنهم، كما لم يكن أبو طالب أكثر أعمام محمد مالا، فقد كان العباس أكثر يسارا، ولكنه كان على ماله حريصا، لذلك احتفظ بالسقاية وحدها دون الرفادة^{١٦٥}.

أصاب قريش أزمة إقتصادية، و كان أبو طالب كثير العيال، و رأى محمد صلى الله عليه و آله، أن يخفف من أعباء عمه أبي طالب، فتوجه إلى عمه العباس، و كان ذا مال، فقال له :

«إن أخاك أبا طالب كثير العيال، و قد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فإنطلق بنا إليه فلنخفف من عياله، آخذ من بني رجلا، و تأخذ رجلا فنكفلهما عنه». و كفل العباس جعفرا، و كفل محمد علياً. و كان عليّ أول من آمن من الصبيان بعد ظهور الإسلام^{١٦٦}.

و قام العباس بن عبد المطلب بدور في بيعة العقبة، فقد خرج من الرسول صلى الله عليه و آله ليأخذ المواثيق من مسلمي الخرج^{١٦٧}. و وقع العباس في الأسر في غزوه بدر

ص: ٨٣

^{١٦٢} (١) كانت المناصب في قبيلة قريش خمسة عشر منصبا وزعها القرشيون بالعدل فيما بينهم ليروضوا كل بطون قريش. و في مقدمة هذه المناصب السدانة أو الحجابة أي الإشراف على الكعبة، و السقاية أي توفير الماء للحجاج، و الرفادة أي توفير الطعام للحجاج ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١ / ٣٨.

^{١٦٣} (١) العمارة: أي منع الكلام بصوت عال في الكعبة.

^{١٦٤} (٢) انظر، المسعودي: مروج الذهب: ٢ / ١٣٢.

^{١٦٥} (٣) انظر، ابن جرير، علل الطبري: ٢ / ٣٢، إختيار عبد المطلب لابنه أبي طالب دون أبنائه الآخرين بقوله: «و كان عبد المطلب يوصي برسول الله صلى الله عليه و آله أبا طالب، و ذلك أن أبا طالب و عبد الله أبا رسول الله صلى الله عليه و آله كانا لأُم واحدة فكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله عليه و آله بعد جدّه و كان دائما معه».

^{١٦٦} (٤) انظر، سيرة ابن هشام: ١ / ٢٦٣، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢ / ٥٤.

^{١٦٧} (٥) انظر، سيرة ابن هشام: ٢ / ٣٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢ / ٣٦.

فأطلق الرسول سراحه فعاد إلى مكة^{١٦٨}. و قدر العباس هذا الكلام من الرسول فكان يكتب إلى الرسول من مكة بأخبار قريش، و بعث برسالة إليه عليه الصلاة والسلام قبيل غزوة أحد ينبئه بعزم قريش على غزو المدينة^{١٦٩}، و قبيل فتح مكة خرج العباس إلى المدينة للقاء الرسول الكريم، حيث أعلن إسلامه، و اقتدى به كثير من بنى هاشم.

و بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله اشترك العباس مع علي بن أبي طالب و الفضل و قثم بن العباس و أسامة، بن زيد في تجهيز الرسول و دفنه، و لذا لم يشتركوا في إجتماع سقيفة بنى ساعدة، الذي إنتهى بالبيعة لأبي بكر الصديق بالخلافة^{١٧٠}. و كان العباس مثله مثل معظم آل بيت الرسول، يعتقد أن علي بن أبي طالب أحق الصحابة بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه و آله. فقد ظهر جميع بنى هاشم بمظهر الإتحاد، و برز ذلك خلال التنافس الذي قام بين علي بن أبي طالب و عثمان بن عفان، حول تولي الخلافة بعد مقتل عمر بن الخطاب، فقد كان العباس في مقدمة أنصار علي^{١٧١}.

كان للعباس مكانة بارزة في عهد الخلفاء الراشدين، فكان إذا مر بالخليفة عمر ابن الخطاب ترجل عمر إجلالا له. و قد أراد عمر أن يشتري دار العباس ليدخلها في المسجد، فوهبها العباس لله و للمسلمين، كما كان العباس موضع تقدير عثمان، رغم تأييد العباس لعلي بن أبي طالب.

ص: ٨٤

١٧٢

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ؛ ص ٨٤

عاش العباس نحو تسعين عاما، و توفي بالمدينة، عن تسعة أولاد من الذكور في مقدمتهم عبد الله بن عباس، الذي اشتهر باسم (حبر الأمة).

عبد الله بن العباس:

كان مولد عبد الله بن العباس قبل الهجرة بثلاث سنوات (٦١٩ م)^{١٧٢}. و كان مقربا من الرسول صلى الله عليه و آله، و موضع عطفه و رعايته^{١٧٣}، و لذا أصبح عبد الله في مقدمة رواة الأحاديث النبوية الشريفة، و شارك عبد الله في كثير من الأحداث في عهد الخلفاء الراشدين، فقد اشترك في الجيش الإسلامي الذي فتح طبرستان في عهد خلافة عثمان بن عفان.

^{١٦٨} (١) انظر، سيرة ابن هشام: ٢ / ٢٩، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢ / ١٥٩.

^{١٦٩} (٢) روى ابن هشام في سيرته: ٤ / ٤٢ (أن العباس كان قبل فتح مكة «مقيما بمكة على سقايته، و رسول الله صلى الله عليه و آله».

^{١٧٠} (٣) انظر، سيرة ابن هشام: ٤ / ٣٠٦ - ٣١١.

^{١٧١} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٣ / ٣٠٥، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣ / ٣٠ - ٣١.

^{١٧٢} ليشي، سميره مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

^{١٧٣} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ١٠٨.

^{١٧٤} (٢) روى المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ١٠٩ أن الرسول دعا له فقال: «ألهم فقهه في الدين و علمه التأويل».

و حينما تولى على بن أبي طالب الخلافة، عهد إلى أولاد العباس بن عبد المطلب بحكم بعض الولايات الإسلامية، فقد ولى عبد الله بن عباس على البصرة، و عبيد الله على اليمن، و معبدا على مكة، و قثم على البحرين^{١٧٥}.

اشترك عبد الله بن العباس في موقعتي الجمل و صفين إلى جانب على بن أبي طالب، و حينما انتهت موقعة صفين بالتحكيم، اختار أهل الشام عمرو بن العاص حكما، و أراد على أن يختار عبد الله بن عباس، و لكن كثيرا من جنده من أهل العراق أصروا على إختيار أبي موسى الأشعري، فذكرهم على بعصيان أبي موسى له و خذلانه و مفارقتة إياه، و امتدح لهم عبد الله بن عباس، و لكنهم أبوا

ص: ٨٥

إختياره لقربته من على، إذ أنه من بنى هاشم^{١٧٦}.

العلاقات بين العلويين و العباسيين في العصر الأموي:

و استمرت العلاقات طيبة ودية بين البيت العلوي و العباسي في مطلع العصر الأموي، فقد كان قيام الدولة الأموية هو في الحقيقة إنتصارا للأمويين على الهاشميين، مما يحتم وحدة بنى هاشم لإستعادة الخلافة من البيت الأموي بعد أن أصبحت وراثية يتعاقبها أبناء هذا البيت. و حمل الحسين بن علي بن أبي طالب لواء المعارضة للدولة الأموية، بينما أثر عبد الله بن العباس إعتزال الحياة السياسية، فأستقر في المدينة و انصرف إلى العلم و رواية الحديث عن الرسول صلى الله عليه و آله، كما اشتهر بتفسير القرآن الكريم، حتى قال ابن مسعود عنه:

«نعم ترجمان القرآن ابن عباس».

أبدى بنو هاشم، علويون و عباسيون المهم لتنازل الحسن بن علي عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان^{١٧٧}، و بات الهاشميون يترقبون نهاية عهد معاوية حتى تصبح الخلافة شوري، فيتولاها هاشمي، و كان الحسين بن علي هو المرشح الأول للخلافة، فقد كان الحسين يقول للناس إذا حثوه على الخروج:

«ليكن كل رجل فيكم حلسا من أحلاس بيته ما دام مع اوية حيا فإنها بيعة كنت و الله لها كارها، فإن هلك معاوية نظرنا و نظرتم، و رأينا و رأيتم»^{١٧٨}.

و حينما أراد معاوية أخذ البيعة بولاية العهد لابنه يزيد، تعاون العلويون و العباسيون في معارضة هذا المشروع، و ساندتهم أبناء الصحابة، مثل عبد الله بن

ص: ٨٦

^{١٧٥} (٣) انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٠٥.

^{١٧٦} (١) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٢٠٦، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر: ١٧٧ / ٧.

^{١٧٧} (٢) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ١ / ١٦٦، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٩ / ٨.

^{١٧٨} (٣) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ١١ / ١.

عمر، و عبد الله بن الزبير^{١٧٩}، و لم يقيم الحسين معارضة، على أساس أنه وارث لعلی أو زعيم البيت العلوي، و لكن كواحد من أبناء المهاجرين الذين اعتبروا أنفسهم «ولاة الأمر»، و كان الموقف يقتضي الإتحاد لإحباط مشروع معاوية^{١٨٠}.

و كان عبد الله بن العباس ممن توجهوا بالتصحية للحسين بن عليّ، فنصحه بالبقاء في الحجاز و بالألا يخرج إلى الكوفة، و ذكره بموقف أهلها من أبيه عليّ و أخيه الحسن، و تخاذلهم عن مناصرتهم، فقال : «أقم في هذا البلد - أي الحجاز - حتى ينفي أهل العراق عدوّهم، ثم أقدم عليهم، و كن عن الناس في معزل و أكتب إليهم و بثّ دعائهم فيهم، فإنني أرجو إذا فعلت أن يكون ما تحبّ»، ثم أشار ابن عباس على الحسين بأن يخرج إلى اليمن، و رسم له طريق النجاح، فقال: فإن أبيت إلّا أن تخرج، فسرّ إلى اليمن فإن بها حصونا و شعبا، و هي أرض عريضة طوى لة لأبيك بها شيعة و أنت عند الناس في عزلة، فتكتب إلى الناس و ترسل و بثّ دعائهم^{١٨١}.

كانت مأساة كربلاء في عهد يزيد بن معاوية، حيث استشهد الحسين بن عليّ و بعض العلويين، ضربة عنيفة أصابت البيت الهاشمي، فقد فقد هذا البيت زعيمه و قائده، و لذا أثر وجوه بني هاشم مثل عبد الله بن العباس، و عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، و محمد بن عليّ بن أبي طالب، الركون إلى الهدوء، ممّا أتاح الفرصة

ص: ٨٧

لعبد الله بن الزبير، لينشر دعوته في كثير من الأمصار الإسلامية^{١٨٢}.

أدرك الخليفة يزيد بن معاوية خطورة ما أقدم عليه من قتل الحسين بن عليّ، كما فطن إلى خطورة دعوة عبد الله بن الزبير، و لذا رأى يزيد أن يهادن البيت الهاشمي، و يحاول استمالتهم، و يعوضهم عن خسارتهم الفادحة، حتى يهدى ثورتهم و ثورة المسلمين في كلّ مكان، فقد سخطوا على يزيد و اعتبروه مسؤولا عن مصرع الحسين^{١٨٣}.

نفذ يزيد هذه السّياسية الجديدة فتبرأ من قتل الحسين و ألقى بكلّ المسؤولية على واليه بالعراق عبيد الله بن زياد، و زعم أن ما حدث للحسين كان بغير علمه و بدون رغبته، ثم رأى يزيد أن يستميل إليه أحد زعماء بني هاشم، و هو محمد بن عليّ بن أبي طالب، المعروف بابن الحنفية، فكتب إليه رسالة ودّية دعاها فيها إلى القدوم إلى دمشق بالشّام^{١٨٤}. و هناك أحاط يزيد ابن الحنفية بالتكريم و التّرحيب، فبايعه بالخلافة، ممّا أثار العداء بين ابن الحنفية و ابن الزبير^{١٨٥}.

^{١٧٩} (١) قال عبد الله بن الزبير لمعاوية: «فأثّق الله يا معاوية! و أنصف من نفسك، فإنّ هذا عبد الله بن عباس ابن عمّ رسول الله، و هذا عبد الله بن جعفر ذو الجناحين ابن عمّ رسول الله و أنا عبد الله بن الزبير ابن عمّة رسول الله صلى الله عليه و آله و عليّ خلّف حسنا و حسينا، و أنت تعلم من هما و ما هما، فأثّق الله يا معاوية! و أنت الحاكم بيننا و بين نفسك» ابن قتيبة، الإمامة و السّياسة: ١ / ١٧٥.

^{١٨٠} (٢) انظر، الخربوطلي، الدولة العربيّة الإسلامية: ١٩٠.

^{١٨١} (٣) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١٦ / ٣، ابن كثير، البداية و النّهاية: ٨ / ١٦٠.

^{١٨٢} (١) قال عبد الله بن العباس للحسين بن عليّ: «لقد أقررت عين ابن الزبير بتخليطك إياه و الحجاز و الخروج منها، و هو يوم لا ينظر إليه أحد معك». انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٣ / ٣٨٨.

^{١٨٣} (٢) انظر، الخربوطلي، عبد الله بن الزبير: ١٥٦.

^{١٨٤} (٣) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٤ / ٤٥٠، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٤ / ٣٦٨.

^{١٨٥} (٤) لم نلاحظ من خلال التّتبّع التّاريخي بأنّ محمد بن الحنفية قد بايع يزيد، كما ذكر في صفوة الصفوة لابن الجوزي: ٧٨ / ٢. و من أراد الإطلاع على حقيقة الموقف فليراجع عبد الله بن الزبير لعلّي حسني:

١٥٧، حيث ذكر: «كتب يزيد برسالة رقيقة إلى محمد بن الحنفية ساق فيها المديح و الثناء و دعاها لزيارته في دمشق بالشّام». و لم يذكر البيعة إطلاقا.

أما عبد الله بن العباس، فقد وقف من دعوة ابن الزبير موقفا سلبيا، فلم يعلن تأييده لها . و حاول ابن الزبير عبثا أن يفوز بتأييد ابن عباس، و حمد الخليفة يزيد

ص: ٨٨

ابن معاوية لابن عباس موقفه، فبعث إليه كتابا يشكره فيه على موقفه من ابن الزبير، و قد ظن أن ذلك طاعة له، و دعا يزيد ابن عباس و بنى هاشم إلى التمسك ببيعتهم له، و مناه في ختام رسالته بالأمانى و الوعود.

و فى الحقيقة لم يكن موقف ابن عباس من ابن الزبير ولاء منه ليزيد، فقد كان ابن عباس لا يقتنع بغير أحقية بنى هاشم، دون غيرهم بالخلافة، و لذا كتب ابن عباس رده على رسالة يزيد فأخبره أنه فى غنى عن حمده له و ثنائه و أن ما يمني به من مال و صلات إنما هو حق لهم، و هو قليل من كثير كانوا يستحقونه، ثم ذكره فى ختام رسالته أنه لا ينسى أنه قتل الحسين بن على^{١٨٦}.

و يؤس يزيد بن معاوية من عبد الله بن العباس فرأى التركيز على الإعتماد على محمد بن الحنفية فى استمالة قلوب بنى هاشم حتى يقفوا إلى جانبه، أو يمتنعوا عن تأييد عبد الله بن الزبير الذى انتشر نفوذه فى بلاد الحجاز بعد وفاة يزيد بن معاوية سنة (٦٤ هـ)، أعلن ابن الزبير نفسه خليفة و بايعه كثير من أهالى الأمصار الإسلامية . و طلب ابن الزبير البيعة من ابن عباس و ابن الحنفية فقالا له: حتى تجتمع لك البلاد و يتسقى لك الأمر و ما عندنا خلاف^{١٨٧}.

أدى موقف ابن الحنفية و ابن عباس من ابن الزبير، إلى عدا و خصام، و رأى ابن الزبير، أن يبعد الزعيمين العلوى و العباسى عن مكة، مركز خلافته، حتى لا يتأثر أهلها بأرائهما، فخرج ابن الحنفية إلى ناحية رضوى، كما خرج ابن عباس إلى الطائف، و ما لبث أن مات سنة (٦٨ هـ)^{١٨٨}.

ص: ٨٩

أنجب عبد الله بن عباس ستة أبناء، كان أشهرهم هو على، الذى اشتهر باسم «السجاد» لتقواه و كثرة صلاته، و قد كان أصغر أخوته سنا. و كان مولده فى سنة (٤٠ هـ)، و هى السنة التى قامت فيها الدولة الأموية، و اشتهر بالتقوى و الورع و البلاغة، و حاز مكانة عظيمة فى بلاد الحجاز، حتى أنه «كان إذا قدم مكة حاجا أو معتمرا، عطلت قريش مجالسها فى المسجد الحرام، إعظاما له و تبيلا، فإن قعد قعدوا معه، و إن مشى مشوا جميعا حوله، و لا يزالون كذلك حتى يخرج من الحرم»^{١٨٩}. و قد أثر على بن عبد الله الإبتعاد عن الإضطرابات السياسية التى بدأت فى عهد يزيد، و استمرت فى عهد مروان بن الحكم و ابنه عبد الملك.

^{١٨٦} (١) انظر، تأريخ يعقوبي: ٢ / ٢٢٠.

^{١٨٧} (٢) انظر، ابن عساکر، التأريخ الكبير: ٧ / ٤٠٨.

^{١٨٨} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٢٧ - تقع الطائف على مقربة من مكة و كان للعباس بها عقارات و بساتين.

^{١٨٩} (١) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢ / ٤٣٧.

واجه الخليفة عبد الملك بن مروان كثيرا من المشاكل السياسية فقد ثار الشيعة التوابون في بلاد العراق مطالبين بتأر الحسين بن علي، ثم ثار المختار بن أبي عبيد الثقفي في العراق أيضا، و نادى بأنه وزير محمد بن الحنفية^{١٩٠}، وأنه يثار لآل البيت، كما كان عبد الله بن الزبير، خليفة الحجاز، لا يزال مسيطرا على بعض الأمصار الإسلامية، ولذا رأى عبد الملك استمالة البيت العباسي، بإعتباره الفرع الهاشمي الذي آثر الهدوء، بينما ظل العلويون معلنين ثورتهم و سخطهم على الدولة الأموية. ولذا استمال علي بن عبد الله، و أغدق عليه الهدايا و الصلات، ثم أقطعته قرية «الحميمة» في أرض الشراة من ناحية البلقاء، في شرق الأردن، و منحه قدرا كبيرا من المال ليبني له فيها قصرا، و بنى بعض العباسيين دورهم حول القصر، و أصبحت (الحميمة) مركزا للبيت العباسي بدلا من الطائف التي

ص: ٩٠

كان عبداح بن العباس قد إنتقل إليها^{١٩١}.

توتر العلاقات بين العباسيين و الأمويين:

و لكن العلاقات توترت بين علي بن عبد الله و الخليفة الوليد بن عبد الملك، فقد أرادت إحدى نساء عبد الملك، و هي لبابة بنت عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، أن تغادر بلاد الشام بعد وفاة عبد الملك، لعدم وجود محرم لها هناك، فتزوجها علي ابن عبد الله ليكون لها محرما، و خاصة أنها من نساء بني هاشم.

و غضب الوليد لهذا الزواج، لأنها كلنت بمنزلة أمه، و استدعى عليا إليه، و عنفه و وبّخه، ثم أمر بضربه سبعين سوطا، و نفاه من الشام إلى قرية الحميمة، حيث حدّد إقامته فيها، فلا يغادرها إلّا لتأدية الحج^{١٩٢}.

كانت هذه الأزمة التي وقعت بين الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك و الزعيم العباسي علي بن عبد الله، هي بداية العداء السافر بين البيت العباسي و الدولة الأموية، و كان علي بن عبد الله قد غضب غضبا شديدا لجلده على ذلك النحو، حتّى أصبح يهاجم الخليفة و الدولة الأموية و يطالب بالخلافة للعباسيين.

و ترامت أقوال علي إلى الوليد فغضب لذلك، و أمر بالقبض على الزعيم العباسي، ثم أمر بجلده مرة أخرى، و الطواف به على ظهر جمل في الطرقات للتشهير به، و المنادى يصيح : «هذا علي بن عبد الله الكذاب » ثم حدّد إقامته في قرية الحميمة، حيث ظلّ مقيما عشر سنوات، حتّى توفي الوليد فعاد علي إلى تجوله في مدن الشام^{١٩٣}.

ص: ٩١

تطورت قرية الحميمة حتّى أصبحت مدينة، مثل سائر مدن الشام، و قد اصطبغت بالصبغة العباسية، إذ توافد عليها معظم أبناء البيت العباسي، حيث تناسلوا و تكاثروا، حتّى أن علي بن عبد الله قد أنجب اثنين و عشرين ولدا، غير البنات، و كان

^{١٩٠} (٢) أي- محمد بن علي بن أبي طالب-.

^{١٩١} (١) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢ / ٤٣٨.

^{١٩٢} (٢) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢ / ٤٣٨.

^{١٩٣} (٣) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢ / ٤٣٩، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٧ / ١٤٧، الوافي الوفيات: ٢١ / ١٣٢.

أشهرهم محمد بن عليّ، الذي كان دائما ملازما لأبيه، واشتهر بين الناس بالتقوى والورع، والعلم، والكرم. وأنجب محمد أكبر أولاده وهو إبراهيم من جارية بربرية تدعى سلمى، ثم أنجب من هذه الجارية أيضا ابنه موسى، كما أنجب سنة (٩٥ هـ)، من جارية بربرية أخرى، هي سلامة، ابنه عبد الله، وهو أبو جعفر المنصور، ثم أنجب بعد تسعة أعوام ابنا رابعا من زوجة عربية من بنى الحارث، سمّاه «عبد الله» أيضا، وهو أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين^{١٩٤}، كما أنجب محمد ابنين آخرين، هما يحيى والعبّاس.

وهكذا أصبح العباسيون مهيين نفسيًا للثورة على الدولة الأموية، إذ امتلأت قلوبهم حنقا وسخطا على الخلفاء الأمويين، لإضطهادهم لهم، ولحصصهم في «الحميمة» ومراقبتهم لحركاتهم وتنقلاتهم، ولكن العباسيين لم يوحّدوا جهودهم مع جهود العلويين أو شيعتهم، وكان معظم زعماء البيت العلوي، وخاصة الإمام زين العابدين^{١٩٥} والإمام محمد الباقر^{١٩٦}، قد آثروا الهدوء، كما

ص: ٩٢

لجأت الشيعة إلى النشاط السري أو ما يسمونه «التقية والكنمان»، بعد أن توالى الضربات العنيفة عليهم.

يشير المورخ (رونلدسن) إلى أثر إقامة العباسيين في الحميمة فيقول : وقد أدرك بنو العباس في الحميمة، لقربهم من دمشق، أن الأمويين فقدوا قوتهم الحربية بسماحهم للقبائل العربية بالتوطن في المدن، ففقدت الجيوش نشاطها بالإختلاط وكانت عجزتهم سببا لجعل اسم العرب مكروها^{١٩٧}.

افتراق الطريق:

و كانت سنة (٩٨ هـ)، هي السنة الفاصلة في تأريخ العلاقات بين البيتين العلوي والعبّاسي . فقد استدعى الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك إليه زعيم الشيعة الكيسانية أبا هاشم بن محمد بن الحنفية، لزيارته في دمشق، حيث بالغ في الترحيب به وتكريمه ثم دبر مؤامرة لقتله، حتى يحول بينه وبين الدعوة لنفسه، فدس له من سمّه وهو في طريقه إلى الحميمة، حيث كان يقيم محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس^{١٩٨}.

ولما شعر أبو هاشم بقرب منيته، عهد بوصيته للإمام العباسي، وكانت هذه الوصية هي نقطة التحول كما سيّضح لنا في هذا البحث، فقد بدأ كل من البيتين العباسي والعلوي يشق طريقه للوصول إلى الخلافة. فقد استفاد العباسيون من هذه الوصية و بدأوا دعوتهم السرية سنة (١٠٠ هـ) على أسس وطيدة منظمة بينما استمر بعض الزعماء العلويين في ثوراتهم، ولم يوفرّوا لها سبل النجاح، ممّا أدى إلى إخفاقها مثل ثورات «زيد بن عليّ وابنه يحيى، و ثوره عبد الله بن معاوية بن عبد الملك بن جعفر بن أبي طالب».

^{١٩٤} (١) تولى أبو العباس الخلافة قبل أخيه المنصور رغم أنه أصغر منه سنّا لأنّ أمه عربية بينما أم المنصور جارية بربرية . انظر، تأريخ يعقوبي: ٢ / ٤٣٦، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٧٦، الأخبار الطوال: ٢٦٠، الإمامة والسياسة: ٢ / ١٣٤.

^{١٩٥} (٢) انظر، وهو الإمام عليّ زين العابدين المتوفى سنّ ٩٤ هـ)، و يلقّب بالشجاع (الساجدي، حياة الإمام عليّ بن الحسين: ٣٢٥ و ما بعدها.

^{١٩٦} (٣) انظر، توفى سنة ١١٤ هـ، وقد مال إلى العلم والتّهد والتّصوف و رواية الأحاديث النبوية. (طبقات ابن سعد: ١ / ٢٣٦.

^{١٩٧} (١) انظر، عقيدة الشيعة: ١٢٣.

^{١٩٨} (٢) انظر، يعقوبي: ٣ / ٤٠، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ١٢٦.

فرق الشيعة و موقفها من قيام الدولة العباسية

أبو العباس السفاح أول الخلفاء العباسيين:

مات الإمام العباسي إبراهيم في سجن الخليفة الأموي الأخير مروان بن محمد بمدينة حران . و خشي أخوه أبو العباس و أبو جعفر المنصور أن يلقيا نفس المصير فخرجا في جماعة من بنى العباس إلى الكوفة «و كان لهم بها شيعة منهم أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال، و كان من كبار الشيعة بالكوفة»^{١٩٩}.

تمت البيعة لأبي العباس، كأول خلفاء الدولة العباسية في (١٢ ربيع الأول سنة ١٣٢ هـ)، و ظهر السواد شعار العباسيين فيه بالخلافة فماذا كان موقف شيعة العلويين من أبي العباس؟ و ماذا كان موقف الخليفة منهم؟.

بدأ أبو العباس عهده بأن ألقى خطبة من فوق منبر الكوفة . ثم أعقبه عمه داود ابن علي بإلقاء خطبة أخرى . و سنحلل هاتين الخطبتين و سنشير إلى بعض العبارات التي وردت بهما، و التي توضح سياسة العباسيين نحو الشيعة العلويين .

بدأ أبو العباس خطبته بأن وصف بنى العباس بأنهم حماة الإسلام، و «أهله

و كهفه و حصنه، و القوام به و الذابين عنه و الناصرين له .» . ثم أشار إلى قرابة العباسيين من الرسول، و أن الله خصهم «برحم رسول الله و قرابته»، ثم تلا أبو العباس عدة آيات قرآنية كريمة^{٢٠٠} تشيد بذوى القربى من الرسول صلى الله عليه و آله . ثم دخل أبو العباس في صميم الموضوع، فأشار إلى ما ذهب إليه غلاة الشيعة من السببية من أن العلويين أحق بالخلافة من العباسيين، و إن لم يذكر أبو العباس العلويين صراحة فقال: «و زعمت السبئية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة و السياسة و الخلافة منا، فشاهت وجوههم، ثم تساءل أبو العباس عن سبب أحقية بنى العباس بالخلافة، و أجاب على تساؤله فقال: «و بنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم و بصّره بع د جهالتهم، و أنقذهم بعد هلكتهم و أظهر بنا الحق، و حصّن بنا الباطل، و أصلح بنا منهم ما كان فاسدا، و رفع بنا الخسيسة، و تم بنا النقيضة و جمع الفرقة حتى عاد الناس بعد العداوة أهل تعاطف و برّ و مواساة، في دينهم و دنياهم». ثم أشار أبو العباس إلى إغصاب نبي أمية للخلافة حتى إسترد العباسيون حقهم فقال: «وردّ علينا حقنا، و تدارك بنا أمتنا».

و كان أبو العباس متوعكا، فلم يطل الحديث، و ختم خطبته بمدح أهل الكوفة و التودد إليهم و نحن نعلم كيف كانت الكوفة مركز شيعة العلويين منذ عهد علي بن أبي طالب، و طو ال العصر الأموي، و لكن أبا العباس أعتبر ولاءهم موجّها نحو آل البيت النبوي، و ليس إلى البيت العلوي فحسب، فقال أبو العباس:

^{١٩٩} (١) انظر، العمري، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٣٠، وصف الدينوري أيضا، الأخبار الطوال: ٣٣٦، أبا سلمة بأنه من كبار الشيعة.

^{٢٠٠} (١) هذه الآيات الكريمة هي: i\ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا\ الأحزاب: ٣٣، و قوله تعالى: i\ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى\ الشورى: ٢٣، و قوله تعالى: i\ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ\ الشعراء: ٢١٤، و قوله تعالى: i\ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَلِالْيَتَامَى\ الحشر: ٧، i\ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَلِالْيَتَامَى\ الأنفال: ٤١.

يا أهل الكوفة، أنتم محل محبتنا، و منزل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، و لم يشنكم ذلك تحامل أهل الجور عليكم، حتى أدركتم زماننا، و أتاكم الله بدولتنا، فأنتم أسعد الناس بنا، و أكرمهم علينا، و قد ردتكم في أعطياتكم مئة درهم، فاستعدوا، فأنا السّفاح المبيح، و النّائر المبير»^{٢٠١}. و بذلك ختم أبو العباس خطبته بالوعود و الوعيد^{٢٠٢}.

صعد داود بن عليّ، عمّ الخليفة أبي العباس، إلى المنبر، فخطب خطبة طويلة، بدأها بحمد الله أن أعاد إلى بنى العباس ميراثهم عن الرّسول.

فقال: الحمد لله، شكرا، شكرا، الذي أهلك عدونا، و أصار إلينا ميراثنا من نبيّنا محمّد صلى الله عليه و آله «^{٢٠٣}. و بذلك استند العباسيون في توليهم الخلافة على ميراث العباس عمّ الرّسول، و لم يسندوا إلى تلك الوصية التي أفضى بها أبو هاشم بن محمّد بن الحنفية، و إلى الإمام العباس محمّد بن عليّ، فقد كانت الشيعة الإمامية تنكر و تستنكر هذا العهد.

واصل داود بن عليّ خطبته، فحمد الله أن «رجع الحقّ إلى نصابه في أهل بيت نبيّكم». و قال أن العباسيين لم يخرجوا طلبا للدنيا، و لكن لأن بنى أمية قد أغتصبوا الخلافة، و غضبا لما لحق بنى عمّهم، أي العلويين، فقال: «و إنما

و كهفه و حصنه، و ال قوام به و الذّابين عنه و النّاصرين له». ثمّ أشار إلى قرابة العباسيين من الرّسول، و أن الله خصّهم «برحم رسول الله و قرابته»، ثمّ تلا أبو العباس عدّة آيات قرآنية كريمة^{٢٠٤} تشيد بدوى القربى من الرّسول صلى الله عليه و آله. ثمّ دخل أبو العباس في صميم الموضوع، فأشار إلى ما ذهب إليه غلاة الشيعة من السّبئية من أن العلويين أحقّ بالخلافة من العباسيين، و إن لم يذكر أبو العباس العلويين صراحة فقال: «و زعمت السّبئية الضّلال أن غيرنا أحقّ بالرياسة و السياسة و الخلافة منّا، فشأته وجوههم، ثمّ تساءل أبو العبّاس عن سبب أحقية بنى العباس بالخلافة، و أجاب على تساؤله فقال: «و بنا هدى الله النّاس بعد ضلالتهم و بصّره بعد جهالتهم، و أنقذهم بعد هلكتهم و أظهر بنا الحقّ، و حصّن بنا الباطل، و أصلح بنا منهم ما كان فاسدا، و رفع بنا الخسيسة، و تمّ بنا النقيضة و جمع ال فرقة حتى عاد النّاس بعد العداوة أهل تعاطف و برّ و مواساة، في دينهم و دنياهم». ثمّ أشار أبو العباس إلى إغتصاب بنى أمية للخلافة حتى إسترد العباسيون حقّهم فقال: «وردّ علينا حقّنا، و تدارك بنا أمّتنا».

^{٢٠١} (١) انظر، يذكر نيكلسون في كتابه. P; sbarA eht fO .tsiH .tiL. ٢٥٣.

إنّ لفظ السّفاح معناه الرّجل المباح الكثير العطايا، و قد أطلق اللفظ على بعض شيوخ القبائل في الجاهلية.

^{٢٠٢} (٢) انظر، نصّ الخطبة في ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦/ ٣٩ و ٨١-٨٣، و، الذهبي، تاريخ الإسلام:

٨/ ٣٣٧، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣/ ١٧٣، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ في التّاريخ: ٤/ ٣٢٤ و:

٥/ ٤١١-٤٤٤، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٠/ ٤١-٤٤، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٥٧.

^{٢٠٣} (٣) انظر، المصادر السابقة.

^{٢٠٤} (١) هذه الآيات الكريمة هي: i\ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا E الأحزاب: ٣٣، و قوله تعالى: i\ قُلْ لَا أَشْتَلِكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى E الشّورى: ٢٣، و قوله تعالى: i\ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ E الشعراء: ٢١٤، و قوله تعالى: i\ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى E الحشر: ٧، i\ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى E الأنفال: ٤١.

وكان أبو العباس متوعكا، فلم يطل الحديث، و ختم خطبت ه بمديح أهل الكوفة و التودد إليهم و نحن نعلم كيف كانت الكوفة مركز شيعة العلويين منذ عهد علي بن أبي طالب، و طوال العصر الأموي، و لكن أبا العباس اعتبر ولاءهم موجها نحو آل البيت النبوي، و ليس إلى البيت العلوي فحسب، فقال أبو العباس:

ص: ٩٧

معسكر وزيره أبي سلمة الخلال في حمام أعين^{٢٠٥}، أو في موضع قريب منه يدعى التّخيلات، و كان لا يزال مرتابا في أمر هذا الوزير لميله إلى العلويين، فاتخذ له حرسا خاصا خوفا من غدر وزيره به، و رأى التفرغ لصراعه مع الخليفة الأموي . و انتهى الأمر بانتصار جيوش العباسيين و مصرع مروان بن محمد، فتنفس أبو العباس الصعداء^{٢٠٦}.

كان أمد الفترة بين بيعة أبي العباس بالخلافة و بين مصرع الخليفة الأموي مروان نحوًا من تسعة أشهر، انصرفت كلها في سنة (١٣٢ هـ). و أصبحت هذه السنة تؤثر في تاريخ الأمويين و العباسيين و العلويين على السواء.

لم يكن أبو العباس يستطيع الحياة طويلا في الكوفة، مركز شيعة العلويين، و لذا تحول إلى الأنبار على نهر الفرات^{٢٠٧}، و قد أسسها سابق بن هرمز أحد أكاسرة الفرس، فجدها أبو العباس، و أقام بها قصرا فخما سمّاه (الهاشمية)^{٢٠٨} نسبة إلى جده هاشم بن عبد مناف^{٢٠٩}. و جدير بالملاحظة أن أبا العباس لم يطلق على هذا القصر اسم «العباسية» نسبة إلى جدّهم الأكبر العباس بن عبد المطلب،

ص: ٩٨

بل سمّاه الهاشمية، كما ذكرنا، حتّى يبرز نسبة العباسي ن إلى البيت الهاشمي بيت الرسول عليه الصّلاة و السّلام، و هذه التسمية في رأينا استمرار لما كان العباسيون يدعون إليه، قبل قيام دولتهم، و من الدّعوة للرّضا من آل محمد.

الإتجاهات الدينيّة في الخلافة العباسيّة الجديدة:

كان العباسيون يستندون في قيام دولتهم على أنّهم وارثون للرّسول صلّى الله عليه و آله، يتّضح ذلك في نصّ للمسعودي، إذ يقول: «ذكرت الراوندية، و هم شيعة ولد العباس - عبد المطلب، من أهل خراسان و غيرهم، أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله قبض، و إنّ أحقّ الناس بالإمامة بعده العباس بن عبد المطلب، لأنّه عمّه و وارثه و عصمته، لقول الله عزّ و جلّ: **وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**^{٢١٠}. و أنّ الناس اعتصبوه حقّه، و ظلّموه أمره، إلى أن ردّه الله إليهم، و تبرّءوا من أبي بكر و عمر رضى الله عنهما، و أجازوا بيعة عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه بإجازة

^{٢٠٥} (١) نسبة إلى بستان قريب من الكوفة منسوب إلى أعين مولى سعد بن أبي وقاصّ انظر، مراصد الإطلاع: ١/ ٤٢٣، معجم البلدان: ٢/ ٢٩٩.

^{٢٠٦} (٢) انظر، تفاصيل هذه الأحداث في ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦/ ٨٨-٩٥.

^{٢٠٧} (٣) بين الأنبار و بغداد عشرة فراسخ. و الأنبار بلدة على الفرات من الجانب الشرقي.

انظر، مجمع البحرين للطبري: ٤/ ٢٦٣. و ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان: ١/ ٢٥٨، ثلاثة أمكنة تسمّى بالأنبار: مدينة قرب بلخ و هي قصبة ناحية جوزجان، و مدينة على الفرات في غربي بغداد بينهما عشرة فراسخ، و سكة الأنبار بمرو في أعلى البلد

^{٢٠٨} (٤) انظر، يعقوبي، كتاب البلدان: ٢٣٧.

^{٢٠٩} (٥) و هو هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب. انظر، سيرة ابن هشام: ١/ ١٣٠ و ما بعدها، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢/ ١٣ و ما بعدها.

^{٢١٠} (١) الأنفال: ٧٥.

العبّاس لها^{٢١١}، و ذلك لقوله: «يا ابن أخى! هلمّ إلىّ أن أبايعك فلا يختلف عليك اثنان»^{٢١٢}. و لقول داود بن عليّ على منبر الكوفة يوم بويج لأبى العبّاس: يا أهل الكوفة، لم يقيم فيكم إمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا عليّ بن أبى طالب، و هذا القائم فيكم، يعنى أبا العبّاس السّفاح^{٢١٣}.

ص: ٩٩

و حرص أبو العبّاس فى يوم البيع له على إحياء سنّة الرّسول صلى الله عليه وآله، فخطب على المنبر قائما، و كانت بنو أميّة تخطب قعودا، فضجّ الناس و قالوا:

أحييت السنّة يا ابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله^{٢١٤}.

رحب كثير من المسلمين بانتصار العبّاسيين على إعتبار أنّهم كانوا يمثلون النّظرية الحقيقية فى الخلافة، أو فكرة الحكومة الدّينية، على عكس أسلافهم الأمويّين الذين كانوا يمثلون الحكومة الزّمنية. و قد حرص الخلفاء العبّاسيون على إضفاء الصّفة الدّينية على دولتهم، حتّى أنّهم أشاعوا أنّ السّلطان سيظل إلى الأبد فى أيدي العبّاسيين حتّى يسلموه فى آخر الأمر إلى المسيح^{٢١٥}.

و الواقع أنّ هذا التّغيير الدّينى إنّما كان فى الظّاهر أكثر منه فى الحقيقة و لو أنّ العبّاسيين كانوا يختلفون عن الأمويّين بتظاهر بالتّقوى و الورع، فإنّ الخليفة فى بغداد قد أثبت أنّه لا يقل اتّساعا فى الأفق و عالمية فى التّفكير عن الخليفة الأموى فى دمشق. و لكنّه يختلف عنه أساسيا من ناحية واحدة، ذلك أنّ الدّولة الأمويّة كانت عربية على حين أنّ الدّولة العبّاسيّة كانت أكثر دولية، إذ كانت تضم عناصر المسلمين الجدد، و لم يكن العرب فيها إلّا عنصرا واحدا بين عناصر أخرى متعددة^{٢١٦}.

دخل أحد الشعراء على أبى العبّاس مهنّا بالخلافة، و أنشد قصيدته، فأعتبر الخلافة العبّاسيّة هى إسترداد لحقّ بنى هاشم المغتصب، فأنشد^{٢١٧}:

^{٢١١} (٢) انظر، مروج الذهب: ٣ / ٢٥٢، الزّائدة فرقة من فرق الزّنادقة. انظر، الخطط: ٤ / ١٦٤، الفرق بين الفرق: ٢٢٣، التّبصير فى الدّين: ٧١، الفصل فى الأهواء: ٤ / ١٤٦، ٣٦٥، البدء و التّاريخ: ٥ / ١٢٩.

^{٢١٢} (٣) انظر، اصول الدّين لعبد القاهر البغداديّ: ٢٨٤.

^{٢١٣} (٤) انظر، يذكر نيلكسون فى كتابه. ٢٥٣. P; s̄barAeht fO .tsiH .tiL.

إنّ لفظ السّفاح معناه الرّجل المناح الكثير العطايا، و قد أطلق اللفظ على بعض شيوخ القبائل فى الجاهليّة.

^{٢١٤} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٢٢٦ - كان معاوية أوّل من استن القعود عند الخطبة.

الصّفدي، الوافي بالوفّيّات: ١٧ / ٢٣٢، الكتي، فوات الوقيّات: ١ / ٥٦٧.

^{٢١٥} (٢) انظر، ابن الأثير، الكامل فى التّاريخ: ٥ / ٣١٨.

^{٢١٦} (٣) انظر، حيّ: تلخيص العرب: ٣٥٦.

^{٢١٧} (٤) انظر، العمري، المجدي فى أنساب الطّالبيين: ١٣٤، كان الشّعر سلاحا ماضيا ظهر خلال الصّراع بين الشّيعة و الخلفاء العبّاسيين، و كان الشّيعة شعراء عبّروا عن آرائهم و دعوا إلى مناصرة الحركات العلوية.

و يعنى يزيد بن عليّ بن الحسين بن أبي طلب الّذى خرج على هشام بن عبد الملك و قتله يوسف ابن عمر التّفقي، و صلبه بالكناسة عريانا هو و جماعة من أصحابه

و نسب قتل حمزة بن عبد المطلب إلى بني أميّة، لأنّ أبا سفيان بن حرب كان قائدا للنّاس يوم أحد

و القتل فى حرّان، هو إبراهيم بن محمّد بن عليّ و هو الّذى يقال له الإمام.

أصبح الملك ثابت الاساس

بالبهايل من بنى العباس

طلبوا وتر هاشم فشفوها

بعد ميل من الزمان و ياس

و أراد هذا الشاعر أن يحرض أبا العباس على التّكيل بالأمويّين فذكره بقتلى بنى هاشم، علويّين و عبّاسيّين، فأنشد:

و اذكروا مصرع الحسين و زيد

و قتيلا بجانب المهراس

و القتيل الذى بحرّان أضحى

ثاويا بين غربة و تناس

كان العبّاسيون أكثر نشاطا و إيجابية من أبناء عمومته، العلويّين، فقد وضعوا برنامجا دينيا و سياسيا و إجتماعيا يسرون بمقتضاه فى حكمهم بينما أكتفى العلويون بالدّعوة إلى أنفسهم إعتقادا على حبّ المسلمين للرّسول و لعلّى بن أبى طالب و أولاده. و لذلك تحقّق النّصر للعبّاسيّين فيما أخفق فيه العلويون و شيعتهم^{٢١٨}.

موقف الخليفة العبّاسيّ من زعماء العلويّين:

كافح العلويون كثيرا من أجل الوصول إلى الخلافة، و انتزاعها من الخلفاء

الأمويّين (٤٠ هـ - ١٣٢ هـ)، و ناهضهم الأمويون و تتبعوهم بالقتل و التّكيل، حتّى لجأوا إلى الكتمان و النّقية، و ركنوا فى أواخر العصر الأموى إلى الهدوء و الإشتغال بالتّجارة أو الإنصراف إلى الدّين بدلا من الإشتغال بالسياسة و الحرب^{٢١٩}، و تولّى أبناء عمومته العبّاسيون الكفاح و النّضال و نجحوا فى القضاء على الدّولة الأمويّة، و أقاموا الدّولة العبّاسيّة و بدأت حركة المعارضة ضدّ قيام الدّولة العبّاسيّة و حملت الشيعة الزيدية لواء المقاومة الإيجابية، و أصبح بيت عبد الله بن الحسن بن الحسن مركزا للثّورة ضدّ العبّاسيّين.

انظر، المعتزلي، شرح نوح البلاغة لابن أبي الحديد : ١٢٥ / ٧، الإصبهاني، الأغاني: ٣٤٤ / ٤ طبع دار الكتب، الشّوكاني، فتح القدير: ٢ / ٤٠٤، يعقوبي، تاريخ يعقوبي: ٢ / ٣٥٩، ابن الأثير، الكامل فى التّاريخ: ٥ / ٤٣٠، قتيبة، الإمامة و السياسة: ١٢٣ / ٢ تحقيق الزّيني، ابن أعثم، الفتوح لابن أعثم: ٨ / ٣٤٣.

^{٢١٨} (١) انظر، الخرطوطي، تأريخ العراق: ٢٢٩.

^{٢١٩} (١) مال عليّ زين العابدين و محمّد الباقر إلى الهدوء و السلام و الإنصراف إلى الدّين و العلم انظر، السّاعدي، حياة الإمام عليّ بن الحسين: ٣٣٠، الكليني، الكافي: ٩٦.

و بعد مقتل أبى سلمة الخلال، نتيجة إتهامه بميوله إلى العلويين - كما سنرى فى الفصل القادم - قدم وفد علوى من الحجاز، برئاسة عبد الله بن الحسن و أخيه الحسن إلى الأنبار، فاستقبل أبو العباس أبو جعفر المنصور الوفد بالحفاوة و التّكريم، و أنزلاه فى دار رحبة^{٢٢٠}.

خصّ أبو العباس عبد الله بن الحسن بالتّكريم و التّرحيب، فكان يدعوه إلى السّمر معه فى كلّ ليلة، فكان يسأله دائماً عن ابنه محمّد و إبراهيم و يقول له: ما خلفهما و منعهما أن يفدا إلى أمير المؤمنين مع أهل بيتهما^{٢٢١}؟.

فجيب عبد الله: ما كان تخلفهما لشيء يكرهه أمير المؤمنين. و ألحّ أبو العباس على عبد الله فى السّؤال، و هدّده و توعده و أصبح موقفه حرجاً أمام الخليفة، و أفضى بذلك إلى أخيه الحسن، فأشار عليه أن ينبىء أبا العباس أن عمّهما

ص: ١٠٢

الحسن هو الذى يعلم وحده مكان إختفائهما^{٢٢٢}.

و توجه أبو العباس إلى الحسن بالسّؤال عن مكان محمّد النّفس الزّكيّة و إبراهيم فقال الحسن : يا أمير المؤمنين، أكملك على هيبة الخلافة، أو كما يكلم الرّجل ابن عمّه؟.

فأجاب أبو العباس: بل كما يكلم الرّجل ابن عمّه، فإنّك و أخاك عندى بكلّ منزلة.

فقال الحسن: إن قدر الله لمحمّد و إبراهيم أن يليا من هذا الأمر شيئاً فجهدت و جهد أهل الأرض معك أن يردوا ما قدر لهم أتردونه؟.

فأجاب العباس بالنّفى.

فقال الحسن: فأنشدك الله إن كان لم يقدر لهما أن يليا هذا الأمر شيئاً فاجتمعا و اجتمع أهل الأرض معهما على أن ينالا ما لم يقدر لهما، أ ينالانه؟.

فأجاب أبو العباس أيضاً بالنّفى^{٢٢٣}.

و أبدى أبو العباس إقتناعه بمقالة الحسن، أو تظاهر بالإقتناع.

فقال الحسن: يا أمير المؤمنين فقيم تنغيصك على هذا الشّيخ - أى عبد الله - نعمتك التى أوليته و إيانا معه؟.

فقال أبو العباس: فلست بعارض لذكرهما بعد مجلسى هذا ما بقيت، إلّا أن يهيجنى شيء فأذكره^{٢٢٤}.

^{٢٢٠} (٢) قدم هذا الوفد فى صحبته الوالى العباسي داود بن علي. الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد: ٢٩٣ / ٧.

^{٢٢١} (٣) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ١٥٨ / ٦.

^{٢٢٢} (١) انظر، تأريخ اليعقوبي: ٩٦ / ٣، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ١٧٤.

^{٢٢٣} (٢) انظر، الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد: ١٩٤ / ٧.

وكان الخليفة أبو العباس قد بنى قصره الجديد في الهاشمية و أراد الخروج إليه

ص: ١٠٣

لنتفقدته و رؤيته بعد الفراغ من بنائه، و دعا الوفد العلوي إلى مرافقته، و تجول أبو العباس مع العلويين في حجرات القصر، ثم سأل عبد الله بن الحسن عن رأيه في القصر الجديد، فتمكّن عبد الله ببيتين من الشعر هما^{٢٢٥}:

قصورا نفعها لبنى نفيلة

ألم تر حوشبا قد صار بينى

فأمر الله يحدث كل ليلة

يؤمل أن يعمر عمر نوح

و ثار غضب أبي العباس، و كتم غيظه، و سأل عبد الله: ما أردت بهذا؟.

فأستدرك عبد الله و حاول التخفيف من ثائرة الخليفة.

فأجاب: أزهك في القليل الذي بنيت^{٢٢٦}.

و في ليلة، كان عبد الله بن الحسن يسمر مع أبي العباس، حتّى إذا انفضّ المجلس، طلب أبو العباس الإنفراد بالزعيم العلوي، و أدخل يده تحت فراشه، فأخرج كتابا أعطاه لعبد الله ليطلعه عليه، فإذا هو كتاب من ابنه محمّد النفس الزكية إلى هشام بن عمرو بن البسطام التغلبي يدعوه فيه إلى نفسه . و قرأ عبد الله الكتاب ثمّ قال لأبي العباس : يا أمير المؤمنين لك عهد الله و ميثاقه ألا ترى منهما شيئا تكرهه ما كانا في الدنيا^{٢٢٧}.

و حان أوان عودة الوفد العلوي إلى الحجاز فقال أبو العباس لعبد الله: احتكم علىّ.

فقال: ألف ألف درهم فإنّي لم أرها قطّ. و لم يكن لدى أبي العباس هذا القدر الكبير من المال، فاقترضها من أحد الصيّاف. كما منحه مبلغا آخر من المال ليفرقه

ص: ١٠٤

^{٢٢٤} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٧٤ .

^{٢٢٥} (١) انظر، ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٧٤ / ٥، المعتزلي، شرح التّهج لابن أبي الحديد: ٢٥٦ / ٧ و:

١٩ / ٢٥٩، ابن قتيبة، المعارف: ٢١٢، الخطيب، تأريخ بغداد للخطيب البغدادي: ٩ / ٤٣٨، ابن عساكر، تأريخ مدينة دمشق: ٢٧ / ٣٧٨.

^{٢٢٦} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٧٥ .

^{٢٢٧} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٧٧ .

في العلويين بالحجاز^{٢٢٨}. و حانت لحظة الوداع، فذكر أبو العباس عبد الله بأن ابنه لم يبايعا بعد له بالخلافة، وأنه أصبح يشك في أمرهما و يتوجس منهما خيفة.

فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين! ما عليك من ابني شيء تكره.

فقال أبو العباس: و بك أثق و على الله أتكل^{٢٢٩}.

عاد الوفد العلوي إلى المدينة، ففرق عبد الله بن الحسن الأموال التي أعطاهها له الخليفة أبو العباس بين العلويين، فأبدوا سرورهم و فرحهم و استنكر عبد الله هذا السرور فسألهم: أفرحتم؟.

فأجابوا: و ما لنا لا نفرح بما كان محجوبا عنا بأيدي بني مروان حتى أتى الله بقرابتنا و بنى عمنا، فأصاروه إلينا؟.

فغضب عبد الله و قال: أفرضيتم أن تنالوا هذا من تحت أيدي قوم آخرين؟^{٢٣٠}.

و انتقلت هذه العبارات من المدينة إلى مسامع أبي العباس و أبي جعفر المنصور في العراق، فثار غضبهما، إذ لم تجد سياسة المهادنة و إغداق الصلات على العلويين في كسب ولائهم. و لكن الأخوين العباسيين لم يجدا بدا من السكوت و إرجاء أمر العلويين إلى حين، فقد كانت الدولة العباسية الوليدة تواجه كثيرا من المشكلات.

غير أن أبا جعفر المنصور حين تولّى الخلافة كان أبعد نظرا، و أحزم أمرا من أخيه و هو يعلم أن التخاذل في مثل هذا الموقف، يؤدي حتما إلى نتيجة لا تحمد عقباها، و ليس من الحكمة في رؤية أن يترك هذا النشاط على عواهنه^{٢٣١}.

ص: ١٠٥

في سنة (١٤١ هـ) أحدث المنصور تغييرا في النظام الإداري في الحجاز، فقد كانت الحجاز في العصر الأموي و عصر أبي العباس ولاية واحدة فجعلها المنصور ولايتين : الأولى مركزها مكة، و الثانية مركزها المدينة، و جعل على كل منهما واليا مستقلا^{٢٣٢}.

فرق الشيعة في مطلع العصر العباسي الأول:

بدأ التشيع فكرة بسيطة، فكان كل «من وافق الشيعة في أن عليا رضي الله عنه أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و أحقهم بالإمامة و ولده من بعد فهو شيعي، و إن خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف عليه المسلمون، فإن خالفهم فيما ذكرنا فليس شيعيا»^{٢٣٣}.

^{٢٢٨} (١) انظر، ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٢٤ / ٥، هذا الصّيرفي هو (ابن مقرن).

^{٢٢٩} (٢) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٧٠ / ٤.

^{٢٣٠} (٣) انظر، ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٧٥ / ٥.

^{٢٣١} (٤) انظر، الجومرد، أبو جعفر المنصور: ١٨١.

^{٢٣٢} (١) انظر، ابن حبان، أخبار القضاة: ٢٠٢ / ١.

^{٢٣٣} (٢) انظر، ابن حزم، الفصل في الملل و التحل: ١١٣ / ٢. انظر، الفصل في الملل و الأهواء و التحل لابن حزم الظاهري: ١١٣ / ٢ طبعه بغداد.

تفرقت الشيعة في العصر الأموي إلى عدة فرق، أشهرها السبئية، والإمامية و الكيسانية والزيدية، فقال الشهرستاني : «و يجمعهم - أى الشيعة - القول بوجوب التعيين والتنصيب، و ثبوت عصمة الأنبياء و الأئمة وجوبا عن الكبار و الصغار و القول بالتولى و التبرئ قولاً، و فعلاً، و عقداً، إلّا في حالة النّقية و يخالفهم بعض الزيدية في ذل ك، و لهم في تعدية الإمام كلام و خلاف كثير . و عند كلّ تعدية و توقف، مقالة، و مذهب، و خبط، و هم خمس فرق : كيسانية، و زيدية، و إمامية، و غلاة، و إسماعيلية و بعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال و بعضهم إلى السنة و بعضهم إلى التشبيه^{٢٣٤} .

و قد اختلفت فرق الشيعة في التفاصيل، و لكنها اتفقت جميعها على أنّ علياً

ص: ١٠٦

أحقّ المسلمين بالإمامة و القيام بالأمر في أمته^{٢٣٥} . و كانت فرقنا الإمامية و الزيدية أبرز فرق الشيعة و أكثرها أنصاراً في العصر العباسي الأول، و هما الفرقتان الشيعيتان اللتان قامتتا بدور واضح في التاريخ السياسي لهذا العصر.

و لجأت فرقة الشيعة الزيدية إلى القيام بحركات ثورية مسلحة، بدت بوادرها و طلائعها في عصر الخليفة أبي العباس، أبو الخلفاء العباسيين، ثم تبلورت و ظهرت على مسرح الأحداث و اتخذت شكل الصدام العسكري في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، فكانت حركتنا محمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم، أمّا فرقة الشيعة الإمامية فقد التفت حول زعيمها الإمام جعفر الصادق الذي اكتفى بالإمامة الروحية، و اكتفى بالمعارضة السياسية السلمية دون إعلان الثورة و سنى موقف الإمام جعفر من المنصور، و سندرس تعاليم فرقة الإمامية في الباب الثاني من هذا البحث.

و سنركز الحديث في هذا الفصل على فرقة الشيعة الزيدية التي كان لها موقفها الواضح من قيام الدولة العباسية، و من خليفاتها الأول أبي العباس. و قبل دراستنا للزيدية نتحدث عن فرقتي السبئية و الكيسانية.

فرق السبئية:

أمّا فرقة السبئية، فقد ورد ذكرها في المصادر العربية باسم «الغلاة» و هم أصحاب عبد الله بن سبأ^{٢٣٦}، و قد غالوا فيما خلعوه على علي بن أبي طالب من

ص: ١٠٧

الصفات^{٢٣٧}، و قد انقسمت السبئية إلى أربعة فرق بعد مصرع علي بن أبي طالب، و تتفق هذه الفرق كلّها في أنّهم «يقولون بالبدا» و يصفهم الملطي^{٢٣٨} بأنهم «أحزاب الكفر، و فرقه الجهل» و يرفض المستشرقان (برنارد لويس) و (كايتاني) ما

^{٢٣٤} (٣) انظر، الشهرستاني، الملل و التحل: ١٤٦ - ١٤٧.

^{٢٣٥} (١) انظر، ابن نشوان، الحور العين: ١٠٣.

^{٢٣٦} (٢) و هو رجل يمني يهودي اعتنق الإسلام للكيد له انظر، البغدادي، الفرق بين الفرق: ٣٥، الإسفرايني، التبصير في الدين: ٨٥.

^{٢٣٧} (١) انظر، الملطي، النقي و الرد على أهل الأهواء و البدع: ١٨ - ١٩ قالت السبئية لعلي: أنت الخالق الباري... فاستأجهم فلم يرجعوا فأوقد لهم نارا ضخمة و أحرقهم. و قد قسمهم الملطي إلى أربعة فرق:

فرقة: ترى أنّ علياً لم يمت و أنّه حيّ.

و الفرقة الثانية: تقول أنّ علياً لم يمت و أنّه مستقر في السحاب.

ذكره المؤرخون العرب من أن بداية التشيع الثوري يرجع إلى عبد الله بن سبأ وجماعته، ويرى (كايتاني) أن مؤامرة مثل هذه بهذا التفكير و هذا التنظيم لا يمكن أن يتصورها العالم العربي سنة (٣٥ هـ)، بنظامه القبلي القائم على سلطان الأبوة، و إنها تعكس أحوال العصر العباسي الأول بجلاء^{٢٣٩} و يشير بعض الكتاب المحدثين كثيرا من الشكوك حول السبئية الأوائل بعد مصرع علي بن أبي طالب^{٢٤٠}، و قد تحدثنا عن فرقة السبئية في تمهيدنا لبحثنا هذا حينما درسنا

ص: ١٠٨

تأريخ الشيعة قبل العصر العباسي.

فرقة الكيسانية:

أما فرقة الكيسانية، و قد سبق الإشارة إليها أيضا - فقد ظهرت خلال حركة المختار بن أبي عبيد الثقفي، الذي دعا إلى محمد بن علي بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية و نادى المختار بأن الدين طاعة رجل، مما أدى إلى تأويل الأركان الشرعية من الصلاة و الصيام و الزكاة و الحج و غيرها، مما حمل البعض على «ترك القضايا الشرعية بعد الوصول إلى طاعة الرجل، و حمل بعضهم على ضعف الاعتقاد بالقيامة، و حمل بعضهم على القول بالتناسخ و الحلول، و الرجعة بعد الموت. فمن مقتصر عليه و أحد معتقد أن لا يموت، و لا يجوز أن يموت حتى يرجع، و من معتقد حقيقة الإمامة إلى غيره، ثم متحسر عليه، متحير فيه، و من مدح حكم الإمامة، و ليس من الشجرة و كلهم حيارى متقطعون»^{٢٤١}. و نادى الكيسانية أن محمد بن الحنفية بعد أن اختفى في جبال رضوى^{٢٤٢} سبيعت هو

ص: ١٠٩

و شيعته فيملاً الأرض عدلاً^{٢٤٣}.

فرقة الهاشمية:

و الفرقة الثالثة: تقول أن علياً مات و لكنه يعث قبل القيامة ليقاتل الرجال و ينشر العدل و هم لا يؤهلون علياً و لكنهم يقولون بالرجعة و الفرقة الرابعة: تقول بإمامة محمد بن علي (ابن الحنفية) و إنه اختفى في جبال رضوى و إنه حي و لم يموت و إنه صاحب الزمان الذي يعود و يهدي الناس و يصلح الأرض، و يقتل الرجال.

^{٢٣٨} (٢) انظر، الملطي، التنبيه و الرد: ١٩.

^{٢٣٩} (٣) انظر، برنارد لويس، أصول الإسماعيلية ٨٦.

^{٢٤٠} (٤) يرى الدكتور علي سامي النشار، (نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام): ٣١ / ٢ أن آراء السبئية لا تمثل في أول الأمر فرقة، و لكن هي الآراء الفولكرية التي تنتشر حول قداسة الأشخاص حين يموتون و يشعر أتباعهم بالحسرة و يؤيد الدكتور محمد جابر العال (المستشرقين وجود فكرة تأليه علي بن أبي طالب في أيامه. اسم الكتاب «حركات الشيعة المطرفين، و أثرهم في الحياة الاجتماعية و الأدبية لمدن العراق إبان العصر العباسي الأول» «محمد جابر عبد العال مدير الشؤون الاجتماعية بجامعة القاهرة، خبط فيه كاتبه خبط عشواء، و شحنه بالكذب و الافتراء، شأنه في ذلك شأن أسلافه الكثيرين، و لكن كلمة حق ظهرت على فلتات قلمه، و هو يكتب مقدمة الكتاب من حيث يريد أو لا يريد، قال: إنا نعلم أن بين أهل السنة من تعصب على الشيعة، و أمعن في ذلك إمعانا جعله يرميهم دون تثبيت لإتهامات يتبين لذي العين الب صيرة أنها باطلة، أملاها التعصب و التشاحن المذهبي». و انظر، طه حسين، الفتنة الكبرى: ٣٢٧ / ٢، ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٤ / ٢٦٠.

^{٢٤١} (١) انظر، الشهرستاني، الملل و التحل: ١٤٧ / ١، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٢ / ٢٢٠.

^{٢٤٢} (٢) جبال في الحجاز شمال ينبع مطلة على البحر الأحمر.

^{٢٤٣} (١) انظر، ابن نشوان، الحور العين: ١٨١، المجلسي، بحار الأنوار: ٩ / ١٧٣.

و تفرّعت فرقة الهاشمية عن الكيسانية، فقد قالوا: «بانتقال محمد بن الحنفية إلى رحمة الله و رضوانه، و إنتقال الإمامة إلى ابنه أبي هاشم»^{٢٤٤}. و أهتم أبو هاشم بتنظيم دعوته و توحيد صفوف الشيعة، سواء أكانوا غلاة أم معتدلين ما داموا يتفقون في مناهضتهم للدولة الأموية، و حاول التوفيق بين الإسلام و العقائد غير الإسلامية، و خاصة هذه العقائد المنتشرة في خراسان التي اعتبره أهلها «الإمام» إذ ورث الإمامة عن وصية لأبيه ابن الحنفية^{٢٤٥}.

استخدم أبو هاشم الدعاة و الحجج، و أصبح مصطلح الداعي و الحجة من أهم مصطلحات الشيعة، و أصبح الدعاة و الحجج أعمدة هذه العقيدة، سواء لدى العباسيين ثم الاثنى عشرية، ثم الإسماعيلية . و هو الذي استخدم النقباء و من أشار بإستخدامهم و هو الذي نادى بفكرة «العلم السري» المتوارث عن أبيه عن الإمام عليّ، و أخيرا كان أبو هاشم أول من أخرج الوصية فعلا من البيت الفاطمي، و لم يكن هو نفسه فاطميا، و أخرجها أيضا من البيت العلوي إلى بني عبد المطلب عامة^{٢٤٦}.

ص: ١١٠

[الفرق الفرعية لفرقة الهاشمية بعد أبي هاشم]

و انقسمت الفرقة الهاشمية بعد أبي هاشم إلى عدة فرق، أشهرها^{٢٤٧}:

فرقة المنتظرين التي زعمت أن أبا هاشم أوصى إلى ابن أخيه الحسن بن عليّ ابن محمد بن الحنفية، فهو الإمام بعده، و أن الحسن بن عليّ أوصى إلى ابنه عليّ ابن الحسن و لكن هذا الأخير قد مات دون أن يعقب ولدا، فهم ينتظرون رجعة ابن الحنفية.

و الفرقة الثانية العباسية : و ترى أن الإمام بعد أبي هاشم هو محمد بن عليّ بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب الذي تنازل له أبو هاشم عن الإمامة^{٢٤٨}.

و فرقة ثالثة: قالت أن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي^{٢٤٩}، و أن الإمامة خرجت من أبي هاشم إلى عبد الله، و تحولت روح أبي هاشم إليه، و لكن هذا الرجل لم يكن على دين أو علم فاتهموه بالكذب و الخيانة و أعرضوا عنه، و قالوا بإمامة عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^{٢٥٠}.

و هناك فرقة البيانية : أتباع بيان بن سمعان التميمي، و قالوا بانتقال الإمامة من أبي هاشم إليه، و هو من الغلاة القائلين بألوهية عليّ بن أبي طالب^{٢٥١}.

^{٢٤٤} (٢) انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ١/ ١٥٠، ابن نشوان، الحور العين: ١٥٩، أبو خلف القمي:

المقالات و الفرق: ٢٥.

^{٢٤٥} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٩١.

^{٢٤٦} (٤) انظر، النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢/ ٦٣.

^{٢٤٧} (١) انظر، إختيار معرفة الرجال: ٢/ ٧٠٢، معجم رجال الحديث: ٣/ ٣٠٥ و ٤/ ٢١٨ و ١٥/ ٢٦٢.

^{٢٤٨} (٢) انظر، ابن نشوان، الحور العين: ١٥٩ - ١٦٠، الكامل في التاريخ لابن الأثير: حوادث سنة (١٢٩ هـ).

^{٢٤٩} (٣) انظر، مقالات الإسلاميين: ١/ ٤١، ٦٨، ٩٤، التبصير في الدين: ٧٣، الفرق بين الفرق: ١٤٩، الحور العين لنشوان الحميري: ٦٠٠، الملل و النحل: ١٥١.

^{٢٥٠} (٤) انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ١/ ١٥١، أبو خلف القمي، المقالات و الفرق: ٣٤ - ٣٦.

و فرقة الرّزاميّة: أتباع رزام بن رزم، و ساقوا الإمامة من عليّ إلى ابنه محمّد ثمّ إلى ابنه أبو هاشم، ثمّ منه إلى عليّ بن عبد الله بن العباس بالوصيّة، ثمّ ساقوها إلى محمّد بن عليّ، و أوصى محمّد إلى ابنه إبراهيم الإمام^{٢٥٢}.

و يذكر الشّهريستاني^{٢٥٣} أنّ أبا مسلم الخراساني كان في أوّل أمره على مذهب الكيسانيّة، و اقتبس من دعائهم العلوم التي اختصوا بها ثمّ أرسل إلى الإمام جعفر الصادق إمام الشّيعّة الإماميّة، يقول له : إنّي قد أظهرت الكلمة و دعوت النّاس عن موالاة بنى أميّة إلى موالاة أهل البيت، فإن رغبت فيه، فلا مزيد عليك . فكتب إليه الصادق «ما أنت من رجالي، و لا الزّمان زمانى»^{٢٥٤}. فحاد أبو

^{٢٥١} (٥) هم أصحاب بيان بن سمعان التّميمي، التّهادي، المقتول عام (١١٩ هـ). نالت هذه الشّخصيّة أهميّة أكثر من غيرها من الشّخصيّات في تأريخ العقائد الغالية . انظر، الفصل في الأهواء و الملل: ١٨٥/٤، مقالات الإسلاميين: ١/٦٦، المقالات و الفرق:

١٣٦، الاعتقادات للزّاري: ٥٧، فرق الشّيعّة: ٢٥، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٧/١٢٩.

و يقول الإيجي صاحب المواقف: إنّ بيان بن سمعان التّميمي اليميني، و الذي كان ظهوره في العراق بعد المئة. و كان يعمل تّبانا، يتّبن التّبن في الكوفة و هو تلميذ حمزة البربري. و قد تبرّأ منهما الإمام الصادق عليه السّلام، كما يذكر الكشيّ و الحليّ، و كانا من جملة السّبعة الملعونين

و قد زعم بيان في بداية الأمر: أنّ أبا هاشم مهدي كآبيه، و أنّه لم يوص لأحد، و لذا جعل نفسه رئيسا للفريق الثّابت على إمامة أبي هاشم، بعد أن ادّعى محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العباس، أنّه هو الإمام.

انظر، شرح المواقف: ٨/٣٨٥، الملل و التّحل: ١/٢٠٣. لسان الميزان: ٢/٦٥، فرق الشّيعيّة للتّوحيدي: ٢٥-٢٨، الإعتصام: ٢/٦٧، سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون: ٢٩٣، لابن نباتة، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي القاهرة (١٩٦٤ م)، المقالات للقمي: ٧٥، فرق الشّيعيّة: ٢٣، المقالات و الفرق: ٣٣.

^{٢٥٢} (١) انظر، الشّهريستاني، الملل و التّحل: ١/١٥٢-١٥٤، الزّاري، إعتقادات فرق المسلمين و المشركين: ٦٣ و ما بعدها، البغدادي، الفرق بين الفرق: ١٥٣-١٥٥.

أصحاب رزام بن رزم، و هؤلاء أفرطوا في موالاة أبي مسلم الخراسانيّ، و ساقوا الإمامة من أبي هاشم، إلى أبي مسلم، ثمّ في محمّد بن عليّ، ثمّ في أخيه عبد الله بن عليّ السّفاح، و بعد السّفاح صارت إلى أبي مسلم، و لكنّهم أقرّوا بموت أبي مسلم. لكن جماعة منهم تسمّى «أبو مسلميّة» أفرطوا في موالاته و ادّعوا أنّه إله، بحلول روح القدس فيه، و قالوا: إنّ أبا مسلم، خير من جبريل و سائر الملائكة، و هؤلاء سكنوا في هراة، و عرفوا بـ «البركوكية».

انظر، مقالات الإسلاميين: ١/٩٤، الملل و التّحل: ١/١٥٣، التّبصير في الدّين: ٧٦، إعتقادات فرق المسلمين: ٦٣.

و من الجدير ذكره: أنّ بعض المؤرّخين حاولوا أن يؤرّخوا للعباس بن عبد المطلب، و يضعوه في صفوف السّابّقين إلى الإسلام، و أن يضيفوا عليه الكثير الكثير من القداسة، و ممّن كتّم إيمانه، حتّى صار عينا للرّسول صلّى الله عليه و آله، على كفّار قريش

غير أنّ التّأريخ لا يدهن، و لا يرائي في ذلك؛ لأنّه- العباس- حضر معركة بدر الكبرى مع كفّار قريش ضدّ الرّسول صلّى الله عليه و آله، و أنّه أسر، لكن رسول الله صلّى الله عليه و آله- لرحمته- ممّن عليه بالفداء، و بالتالي أصبح ندبا لأبي سفيان، حتّى أرفده على بغلته و التّأريخ يشهد أنّه وقف بجانب الإمام عليّ عليه السّلام، يوم بيعة السّقيفة، و كان يرى أنّ عليّا أحقّ النّاس بالخلافة، لكنّه ظلّ مخلصا لأبي بكر، و عمر، و تذكر الزّوايات أنّ عمرا استسقى به السّماء

انظر، مروج الذهب للمسعودي: ٣/٤٥، تأريخ يعقوبي: ٣/٤١-٤٢.

^{٢٥٣} (١) انظر، الملل و التّحل: ١/١٥٤.

^{٢٥٤} (٢) لا نعرف الدّوافع التي حملت أبا سلمة الخلّال على أن يحوّل ولاءه عن ال عباسيين إلى العلويّين قبيل إعلان الدّولة العبّاسيّة. فحين لجأ أبو جعفر و أبو العباس إلى الكوفة أنزلهما أبو سلمة في دار الوليد بن سعد و وكلّ بهما مساورا القضاة، و يقطننا الأيزاري و كانا من كبار الشّيعّة (شيعّة العبّاسيين؟) و عزّهما عن النّاس، و كتب إلى الإمام جعفر الصادق، و عمر الأشرف بن الإمام زين العابدين، و عبد الله المحض، و أمر رسوله (محمّد بن عبد الرّحمن بن أسلم) أن يلقى الإمام الصادق، فإن أجابه أبطل الكتابين الآخرين. و إلّا لقي عبد الله المحض، فإن أجابه و إلّا لقي عمرا الأشرف.

فقابل الرّسول الإمام جعفرا، و سلّمه الكتاب.

فقال الإمام «مالي و لأبي سلمة، و هو شيعة لغيري؟».

فقال الرّسول: اقرأ الكتاب.

فقال الإمام لخادمه: أدن السّراج ممّي فأدناه، فوضع الكتاب على النّار حتّى احترق.

فقال الرّسول: ألاّ تجيئه؟ فقال الإمام: قد رأيت الجواب، عزّف صاحبك بما رأيت.

و قابل رسوله عبد الله المحض بن الإمام الحسن بن عليّ ففرّج بكتاب أبي سلمة و جرى بينه و بين الإمام الصادق حوار عاصف حين نهّاه لإمام عن الرّكون إلى دعوة أبي سلمة.

مسلم إلى أبي العباس السفاح وقلده الخلافة.

الشَّيعة الزَّيدِيَّة:

ثمَّ نصل إلى فرقة الشَّيعة الزَّيدِيَّة، وهي الفرقة التي حملت لواء المعارضة الإيجابِيَّة للدولة العبَّاسِيَّة منذ قيامها، و طوال العصر العبَّاسِيَّ الأوَّل، واستمرت هذه المعارضة في العصور التَّالية.

و تنتسب فرقة الزَّيدِيَّة إلى زيد بن عليٍّ الَّذي أعلن الثَّورة على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك^{٢٥٥}، وقد تحدثنا عن ثورته في التَّمهيد الَّذي درس تأريخ الشَّيعة قبل العصر العبَّاسِيَّ^{٢٥٦}. و نشأ زيد في المدينة التي اختارها العلويون مقاما لهم، و أخذ العلم عن أبيه زين العابدين، ثمَّ عن أخيه محمَّد الباقر

بعد وفاة أبيه، و لكن لم تطمئن نفس الفتى ال علوى الشَّعوف الطَّلعة إلى حياة المدينة الرَّتيبة و لا إلى طريقة الحياة التي عاشها أبوه بعد محنة كربلاء و عاشها أخوه الباقر أيضا متبعا سنَّة أبيه عليٍّ زين العابدين . و بدأ الفتى رحلاته إلى الكوفة، ثمَّ زارها مرارا ثمَّ مضى إلى البصرة يقابل علماءها و مفكرها، و في البصرة التقى بواصل بن عطاء شيخ المعتزلة و تأثر بكثير من آرائه^{٢٥٧}.

انظر، الإمامة و السِّياسة: ٢/ ١٥٢-١٥٣ و ١٥٥-١٥٦، مروج الذهب: ٣/ ٢٦٨-٢٦٩ و ٢٨٤-٢٨٥. بل إنَّ ثمة اتِّهاما يوجه إلى أبي مسلم الخراساني نفسه بأنَّه حاول استدراج الإمام الصَّادق عليه السَّلام إلى الموافقة على تحويل الدَّعوة إليه، فقد كتب إلى الإمام بقوله: (إني قد أظهرت الكلمة، و دعوت الناس عن مولاة بني أميَّة إلى مولاة أهل البيت، فإن رغبت فلا مود عليك). فكتب إليه الإمام: (ما أنت من رجالي، و لا الزَّمان زماني). انظر، الكامل في التَّاريخ: ٥/ ٤٣٧، ابن جرير، تأريخ الطَّبري: ٦/ ١٠٢، ينابيع المودة: ٣/ ١٦١، الملل و النحل: ١/ ١٥٤، طبع مؤسسة الحلبي في القاهرة. ^{٢٥٥} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطَّالبيين: ١٢٨ و ما بعدها. ^{٢٥٦} (٢) و هو زيد بن عليٍّ زين العابدين بن الحسين بن عليٍّ بن أبي طالب كان مولده سنة (٨٠ هـ)، و مصرعه سنة (١٢٢ هـ)، (ابن كثير، البداية و النِّهاية: ٩/ ٣٢٨ و ما بعدها. ^{٢٥٧} (١) انظر، النِّشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢/ ١٤٨-١٤٩.

ذكر أحمد بن يحيى بن المرتضى صاحب المنية و الأمل في شرح الملل و النحل، و القاضي عبد الجبار، صاحب فضل الإعتزال و طبقات المعتزلة- لقاء زيد بواصل، فقالا: (فروي: إنَّ واصلا دخل المدينة، و نزل على إبراهيم بن يحيى، فتسارع إليه زيد بن عليٍّ، و ابنه يحيى بن زيد، و عبد الله بن الحسن و إخوته، و محمَّد بن عجلان، و أبو عبَّاد اللَّيثي، فقال جعفر بن محمَّد الصَّادق لأصحابه:

قوموا بنا إليه.

فجاءه و القوم عنده- يعني: زيد بن عليٍّ و أصحابه- فقال جعفر: أمَّا بعد، فإنَّ الله تعالى بعث محمَّدا بالحقِّ، و البينات، و النذر، و الآيات، و أنزل عليه: \: و أوَّلوا الأرحام بَعْضُهُمْ أوَّل يَبْغِي فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٍ عَالِمٌ\، الأنفال: ٧٥. فنحن عترة رسول الله، و أقرب النَّاس إليه، و إنَّك يا واصل، أتيت بأمر يفرِّق الكلمة، و تطعن به الأئمة. و أنا أدعوكم إلى التَّوبة).

انظر، المنية و الأمل في شرح الملل و النحل، أحمد بن يحيى المرتضى: ١٤٢، و فضل الإعتزال و طبقات المعتزلة: ٢٣٩. و السَّؤال الَّذي يدور في أذهان بعض المؤرِّخين و الكتَّاب، هو: هل أنَّ زيد ابن عليٍّ تلمذ على يد واصل بن عطاء و أخذ عنه، أم أنَّ العلاقة التي بينهما اقتضرت على مجرد تذاكر في المسائل الإعتقاديَّة كما يرى الأستاذ أبو زهرة؟.

انظر، تأريخ المذاهب الإسلاميَّة لأبي زهرة: ٦٧١.

إنَّ الواقع يكشف لنا عن بطلان هذه الدَّعوى- تلمذة زيد بن عليٍّ رضی الله عنه على يد واصل بن عطاء- بمعنى التَّلميذ و الأستاذ، لما يأتي:

١. لم يتذكر واحد من المؤرخين القدماء- كالطبري، وابن الأثير، واليعقوبي، والبغداد، والمسعودي، والمقدسي، وابن عساکر. تلمذة زيد على يد واصل.
٢. ذكر أصحاب السيرة- إنَّ زيد بن علي رضي الله عنه اختار البصرة و نزل فيها، حتَّى يأخذ أو- يتعلَّم أصول عقائده و ما ذكره الأستاذ أبو زهرة، والدكتور علي سامي التَّشَار من إقامة زيد بالبصرة و اختياره لها، ليعلم أصول العقائد عند الفرق المختلفة.
- انظر، الإمام زيد بن علي لأبي زهرة: ٣٩، و نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام الدكتور علي سامي التَّشَار: ١٢١ / ٢.
٣. و قد ذكر الطبري في تأريخه إقامة زيد بالبصرة لمدة شهرين فقط، وكذلك صاحب كتاب الإفادة في تأريخ الأئمة السادة، للإمام التاطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين بن هارون الهاروني الحسني. أمَّا ابن العماد- صاحب الشُّذرات- فقد ذكر: أنَّ زيدا لم يمكث في البصرة إلَّا شهرا واحدا.
- انظر، تأريخ الطبري: ١٧١ / ٧، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة، شذرات الذهب: ١ / ١٥٨، الإمام زيد بن علي المفترى عليه، لصالح أحمد الخطيب: ٤١.
- و في هذه الفترة الزمنية- خلال إقامته بالبصرة- كان يعدَّ العدة، و يجمع الرجال و السلاح، و ذلك للخروج على بني أمية بعد خروجه من الكوفة، و قد جاوز الأربعين من عمره، و هو في أشدَّ و أوج نضوجه العلمي و الفكري، فكيف يتلمذ على يد واصل بن عطاء؟
- انظر، تأريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة: ٤٧٣.
٤. أمَّا القصة التي ذكرها بعض المؤرخين من المعتزلة، و هما : المرتضى، و القاضي عبد الجليل، و ما قيل من ذهاب واصل إلى المدينة، و إجتماعه بآل البيت : و الخلاف الذي وقع بينه- أي بين واصل- و بين الإمام الصادق عليه السلام فلم تذكرها كتب القدماء: كالطبري، و المسعودي و غيرهما، علما بأنَّ الرواية ليس لها سند تاريخي.
٥. لم يعرف الإمام جعفر الصادق عليه السلام عن عمه الاعتزال.
- انظر، التَّوضيح التَّصنيف شرح مجموع الفقه الكبير: ٩٨ / ١، إحتلاف الزيدية عن المعتزلة في الإمامة في كتاب شرح الأصول الخمسة ٧٥١-٧٥٣، الخطط للمقريزي: ٣ / ٣٣٥.
٦. كان الإمام زيد رضي الله عنه يعلم بأنَّ جدَّه علي بن أبي طالب عليه السلام أفضل الصَّحابة، و أنَّ منزلته عظيمة كمنزلة هارون من موسى بنص الحديث: « أنت متي بمنزلة هارون من موسى غير أنَّه لا نبيَّ بعدي »؛ بل يرى إنَّ نفس علي بن أبي طالب عليه السلام هي نفس المصطفى صلى الله عليه و آله كما ورد في القرآن الكريم، و أنَّ واصل- بن عطاء لم يكن يرى، و لم يكن يعلم بذلك أصلا، فكيف يجتمع الرجلان على مذهب واحد مع وقوع الخلاف العقادي، و الفكري بينهما؟ اللهمَّ إلَّا من باب المناظرة كما ذكرنا سابقا.
- و انظر، كتاب الأصول: ٣٩، الأمالي لأبي طالب: ٣٩، الصَّواعق المحرقة لابن حجر: ٢٩، صحيح البخاري: ٢ / ٢٠٠ و ٣٢٢، و روى بسنده، و: ٤ / ٢٠٨، و: ١٤ / ٢٤٥ / ٣٤٧٠، و: ١٦ / ٢١٧ / ٤١١٥ بشرح الكرماني، صحيح مسلم في فضائل علي: ٣٢٤، المستدرک للحاكم النيسابوري: ٣ / ١٠٩، مسند ابن ماجة: ١ / ٢٨، مسند الإمام أحمد: ١ / ١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ٣٣١ و ٣٦٩، كنز العمال: ٦ / ١٥٢ ح ٢٥٠٤، و تلخيص الحافظ الذهبي على المستدرک: ٣ / ١٣٣، و خصائص النسائي: ١٧، و الإصابة لابن حجر: ٤ / ٥٤٨، و ينابيع المودة للقندوزي: ٢ / ٥٨.
- و آية المباهلة قوله تعالى: *فَمَنْ خَالَجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَ أَبْنَاءَكُمْ وَ نِسَاءَنَا وَ نِسَاءَكُمْ وَ أَنْفُسَنَا وَ أَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ* E. آل عمران: ٤١.
٧. يذكر أنَّ أبا حنيفة تلمذ على الإمام زيد، و أخذ العلم عنه، و كان يتعصَّب له، و قد أتده في خروجه على هـ شام، و أمده بثلاثين ألف درهم، و كان يحثُّ النَّاس على الخروج معه، و لم يخرج- أبو حنيفة- مع الإمام زيد بن علي رضي الله عنه لأنَّه كان مريضا.
- انظر، التَّوضيح التَّصنيف شرح مجموع الفقه الكبير: ١ / ٩٤ و ١٠٤، المصاييح لأحمد بن إبراهيم: ٤٠١، شذرات الذهب: ٣ / ١٥٩.
- و قيل: إنَّ أبا حنيفة كان على بيعته و من جملة شيعته، حتَّى رفع أمره، إلى المنصور، فحبسه حبس الأبد حتَّى مات في الحبس سنة ١٥٠ هـ).
- و قيل: إنَّه إنَّما بايع محمَّد الإمام في أيام المنصور، و لما قتل محمَّدا بقي أبو حنيفة على تلك البيعة يعتقد موالاة أهل البيت، فرفع أمره إلى المنصور، فتمَّ عليه ما تمَّ، و ذلك لأنَّ أبا حنيفة كتب إلى إبراهيم أخي محمَّد الإمام يشير عليه بقصد الكوفة سرا لأنَّ فيها من شيعتهم من يبيت للمنصور فيقتلونهم.
- فظفر المنصور بكتابه، و بعث إليه، و أشخصه، و سقاها شرية فمات منها، و دفن ببغداد.
- انظر، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٨٤.
- ثمَّ إنَّها لا تستقيم تاريخيا، لأنَّ عمر يحيى الذي ذكرت الرواية أنَّه تلمذ أيضا على واصل كان في أحسن الفروض لا يزيد عن عشر سنوات، فكيف يعي مسائل دقيقة تقال في أصول الدين و هو بهذه السن؟!- فعلم أصحاب هذا الرأي ذهبوا إليه بعد أن رأوا الأخبار التي تفيد أنَّ زيدا لم يتبرأ من الخليفين الأول و الثاني، و هذا يخالف رأي الشيعة المشددين، فلا بدَّ أنَّه أخذ هذا الرأي من واصل، لكنَّ هذا لا دليل عليه. و لعن أصحاب هذا الرأي لم يطلعوا على روايات أخرى تفيد أنَّ أساتذة زيد قالوا بملكه ما نقل عن واصل.
- انظر، حلية الأولياء: ٣ / ١٣٧ و ١٨٥، تأريخ الإسلام: ٦ / ٤٦-٤٧، و السنة لأحمد بن حنبل: ١٩٧.
- إنَّ أول ما اطلق لفظ الزيدية على طائفة من الناس لم يكن على أساس إنتمائهم لمذهب معيَّن، و إنما كان على إطلاق اللفظ سياسيًا، و حصَّ به الجماعة التي استمرت في مناصرة زيد بعد أن تحاذل عنه بعض من سبق أن بايعه، و سمَّوا بالرَّافضة انظر، الإرشاد: ٢٤٨.
- أي أنَّ الذين اطلق عليهم لفظ الزيدية بادئ الأمر، كانوا من مذاهب مختلفة، يجمعهم رأي واحد، هو مناصرة زيد.
- و لعن من مرجحات من ذهب إلى أنَّ زيدا كان صاحب مذهب مستقل، ظنه بأنَّه كان يدعو إلى نفسه في أثناء قيامه بالتهنئة . انظر، غضة زيد: ١٤٤، و التَّسبيح بين الإمام الصادق و زيد في رسائل العدل و التَّوحيد: ٨٠، و البداية و النهاية: ٩ / ٣٣٠، و عيون أخبار الرضا: ١٩٥.
- لكنَّ الوقائع لا تؤيِّد هذا القول، فنصَّ الشيعة الذي بويح به زيد ينصَّ على نصرة آل البيت، و لا يوجد ما يدلُّ على أنَّه كان يدعو لنفسه.
- و كذلك رسائله التي بعثها إلى الأمصار للحثَّ على التَّهضة، كانت تؤكِّد أنَّه في حالة التَّصنُّر تكون القيادة العامَّة للمسلمين لمن يقع عليه الإختيار، فقد جاء في إحدى رسائله:

أصبحت فرقة الزيدية أكثر فرق الشيعة إعتدالا^{٢٥٨}. و ركّز الشَّهرستاني آراء الزيدية في قوله : «ساقوا الإمامة في أولاد فاطمة رضى الله عنها، و لم يجوزوا

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ؛ ص١١٨

ثبوت الإمامة في غيرهم، إلّا أنّهم جوزوا أن يكون كلّ فاطمي عالم شجاع سخي خرج بالإمامة أن يكون إماما واجب الطاعة، سواء كان من أولاد الحسن أم من أولاد الحسين رضى الله عنهما. و عن هذا جوز قوم منهم إمامة محمد و إبراهيم الإمامين ابني عبد الله الحسن بن الحسن اللذين خرجا في أيام المنصور و قتل ذلك و جوزوا خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، و يكون كل واحد منهما واجب الطاعة^{٢٦٠}. و يذهب الشَّهرستاني أيضا أن زيدا تأثر بآراء واصل بن عطاء رأس المعتزلة فكان مذهبه «جواز إمامة المفضول مع قيام الأفضل»^{٢٦١}.

و اختلفت الزيدية مع الإمامية في نظرتهم و تقديرهما لشرعية خلافة أبي بكر الصديق و عمر بن الخطاب^{٢٦٢}، و بينما لا تعترف الإمامية بصحة خلافتهم

(و لسنا نريد اليوم غير هذا حتّى نرى من أمرنا، فإن أتم الله لنا و لكم ما نرجوا، كان أحقّ لهذا الأمر أن يتولّى أمركم الموثوق عند المسلمين بدينه، و فهمه، و بابه، و علمه بكتاب الله، و سنن الحق من أهل بيت نبيكم. فإن اختاروا آل محمد و عترته أتبعتمهم و كنت معهم على ما اجتمعوا إليه، و إن عرفوا إلى أقوامهم بذلك، استعنت بالله و رجوت توقيفه). انظر، تفسير فرات الكوفي: ١٤٢.

أي أنّ زيدا سوف يتبع ما يقع عليه المسلمين إذا كانوا من آل البيت، و يدعو له بالتوقيف إذا لم يكن منهم، و هذا نصّ صريح بأنّه لم يكن يدعو لنفسه.

^{٢٥٨} (١) انظر، ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٣ / ٤٦٦.

^{٢٥٩} ليثي، سمير مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

^{٢٦٠} (١) انظر، الملل و النحل: ١ / ١٥٥ - ١٥٤.

^{٢٦١} (٢) انظر، الشَّهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٥٥، ينكر الشَّيخ محمد أبو زهرة في كتابه الإمام زيد:

٣٨ - ٤١) تلمذة زيد على واصل بن عطاء و تأثره به فيقول أنّ الرجلين كانا في سنّ واحدة إذ ولدا سنة ٨٠ هـ، و أن التقاءهما كان «التقاء مذاكرة علمية» بل أنّ واصل هو الذي أخذ آراءه عن آل البيت بل أنّ آراء المعتزلة هي آراء الزيدية و آراء الاثني عشرية بصفة عامّة.

و يرى محمد الحسين آل كاشف الغطاء: ٧١ أنّ المعتزلة اقتبسوا كثيرا من تعاليمهم من الشيعة و عن عليّ بن أبي طالب و تلمذ شيوخ المعتزلة على أبي هاشم بن محمد بن الحنفية. انظر، (أصل الشيعة و أصولها: ٧١).

^{٢٦٢} (٣) يتساءل الإمام الهادي عن الإجماع الذي حصل في بيعة أبي بكر، فقد غاب عنه الإمام عليّ، و أتباعه و لم يبايعوه. انظر، الإصباح على المصباح في معرفة الملك الفتح: ١٦٨.

و اختلاف الأنصار و المهاجرين، و الأوس و الخزرج، و أين سعد بن عباد، و ابنه، و أين قول عمر بن الخطاب بيعة أبي بكر فلتة، و أين الإجماع في خلافة عمر بعد أن اختاره أبو بكر، كما أنّ عمر جعلها شورى. و ينتهي الإمام الهادي إلى رفض الإجماع، و البيعة ليصل إلى نظرية متكاملة تقوم على إثبات الإمامة بأنّها إختيار من الله، فهي مفرّضة على الخلق. انظر، الأحكام في الحلال و الحرام كتاب السيرة مخطوط: ٤٦٠، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٧٩ - ٨٠.

و قد خطأ الشَّيخين أبا بكر و عمر، منتقدا توليهاما الخلافة، و منكرا أحقيتهما بها، و مفندا لمن قال بصحة خلافة أبي بكر قولا قولا - و حجة حجة. انظر، تثبيت الإمامة لبيحي الهادي: ٩٦، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٨٦، الزيدية قراءة في المشروع: ٩٦.

و تعتبرهما مغتصبين لحقّ عليّ بن أبي طالب، نجد الزيدية لا تتبرأ من أبي بكر و عمر و لا تسيء إليهما، بل تعترف بصحة خلافتيهما، و إن كان عليّ أفضل منهما، فالزيدية ترى أن الإمام قد عينه الرسول بالوصف لا بالشخص، كما ترى الزيدية أن الإمامة «في ولد فاطمة كائنا من كان بعد أن يكون عنده شروط الإمامة»^{٢٦٣}.

و ترى الزيدية أيضا أن الإمامة مسألة عملية إيجابية و ليست سلبية فيجب على الإمام أن يقود الشيعة في طريق الجهاد و النضال، دون اللجوء إلى كتمان أو تقية، كما أن الزيدية تختلف مع الإمامية في الصفات التي أضفتها الإمامية على الإمام مما جعل له صفات إلهية^{٢٦٤}. و ترفض الزيدية ما ذهبت الإمامية إليه من

عصمة الأئمة^{٢٦٥}.

أيدت فرقة الشيعة الكيسانية فرقة الزيدية عند أول ظهورها، فقد كانت الشيعة أنصار ابن الحنفية تنطلق إلى حركة شيعية إيجابية ضد الدولة الأموية^{٢٦٦}.

و لكن غلاة الشيعة أبدوا سخطهم الشديد على آراء زيد المعتدلة التي تعترف بشرعية خلافة أبي بكر و عمر، و رفضوا هذه الآراء، و لذا أطلق عليهم اسم «الرافضة»^{٢٦٧}.

و قد ظهرت آراء زيد بمظهر الاعتدال نتيجة سيادة آراء الغلو التي سادت في العصر الأموي نتيجة التضيق الفكري الذي عانت منه الشيعة، فظهرت آراء متطرفة منحرفة وسط ظلام الكتمان، فكانت مزاعم ألوهية عليّ، رجعة النبيّ، و عدم موت عليّ و غيرها، و ظهرت آراء زيد وسط آراء أربعة:

و خطأً أبا بكر في مسألة فدك متحاملاً عليه تحاملاً شديداً. انظر، المصدر السابق: ٩٨، التحديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٨٦.

إنّ الذين كتبوا و تحدّثوا عن أحداث التاريخ، و عن الزيدية بالذات، جرت على ألسنتهم و أقلامهم العبارة المشهورة (إنّ الزيدية معتزلة في الأصول، و أحناف في الفروع).

و أصحاب الصباح مازني، و هم يتبرأون من أبي بكر و عمر، و يؤمنون بالرجعة، و لعلها الفرقة التي ذكرها الأشعري دون أن يذكر اسمها، حيث قال: (و الفرقة الخامسة من الزيدية يتبرأون من أبي بكر و عمر، و لا ينكرون رجعة الأموات). انظر، مقالات الإسلاميين للأشعري: ١.

و يذكر صاحب مجموعة الرسائل اليمنية: (إنّ مقالة هذه الفرقة كمقالة سائر الفرق في الموالاة و التعظيم). انظر، الرسالة الوازنة عن سب صحابة سيّد المرسلين: ٣٣.

^{٢٦٣} (١) انظر، ابن التميمي، الفهرست: ٢ / ٤٥٦.

^{٢٦٤} (٢) انظر، أحمد أمين، فجر الإسلام: ٣٢٤ - ٣٢٥.

^{٢٦٥} (١) انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٥٥، التوحيدي، فرق الشيعة: ٤٩.

أما الرأي المنسوب إليه في العصمة فليس له نصّ يمكن الإعتماد عليه في ذلك

و الأدلة على عدم جواز إمامة المفضول مع وجود الفاضل كثيرة ذكرناها سابقاً و مذكورة في الكتب المفصلة، و لكن نورد قول ابن تيمية في ذلك قال: «تولية المفضول مع وجود الأفضل ظلم عظيم...».

انظر، منهاج السنة: ٣ / ٢٧٧.

و قال محبّ الدين الطبري «قولنا: لا ينعد ولاية المفضول عند وجود الأفضل»، و يظهر من هذا و ذاك أنّ القول بمنع إمامة المفضول متفق عليه بين الإمامية و غيرهم فيكون إمامته باطلة بالكتاب، و السنة، و العقل، و الإجماع.

انظر، الرياض النضرة - باب خلافة أبي بكر -.

^{٢٦٦} (٢) انظر، رولندسن، عقيدة الشيعة: ١٣٠، و لكن الكيسانية كانت تدعو إلى إمام علوي لا فاطمي.

^{٢٦٧} (٣) انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٥٥، الملطي، التبيين و الرد: ١٨.

أولها: أن الخلافة تثبت بالوراثة لا بالإختيار.

و ثانيهما: الإعتقاد بإغتصاب أبي بكر و عمر من علىّ حقّ الخلافة.

ص: ١٢١

و ثالثها: عصمة الأئمة.

و رابعها: فكرة المهدي المنتظر التي ذهب إليها المختار الثَّقَفِي بعد إختفاء ابن الحنفية، و لذا كانت آراء زيد هي تصحيحا لهذه الآراء الشيعة كلها^{٢٦٨}.

و يرى الدكتور النّشار أن فكرة «تجويز خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، و يكون كل واحد منهما واجب الطّاعة»^{٢٦٩}. لم تصدر عن الإمام زيد، بل وضعتها الزيدية أتباع الإمامين محمد النفس الزكية و إبراهيم بن عبد الله ابن الحسن بن الحسن، في ثورتهم ضدّ الخليفة المنصور^{٢٧٠}، و يشك الشيخ أبو زهرة أيضا في نسبة هذا الرأي لزيد، و يقول : إننا لا نجد في المصادر ما يبرر نداء زيد بهذا الرأي، و يتساءل هل اعتمد زيد على المهادنة بين علىّ و معاوية؟.

ثمّ يجيب على تساؤله فيقول : أن عليّا لم يعترف بأن معاوية إمام، و لكنها كانت مهادنة لمصلحة المسلمين و لأداء فرائض الحجّ، ثمّ ينسب الشيخ أبو زهرة هذا الرأي إلى إتساع الدولة الإسلامية شرقا و غربا، بحيث تكون المصلحة في تجزئة الحكم على أن يكون الولاء بينهما كاملا و التعاون شاملا^{٢٧١}.

ص: ١٢٢

^{٢٦٨} (١) انظر، أبو زهرة، الإمام زيد: ١٨٦ - ١٨٧. و قد ردنا على هذه المقولات واحدة تلو الأخرى في كتابنا: «الزيدية بين الإمامية و أهل السنة، دراسة تاريخية تحليلية في نشأتها و ظهورها و عقائدها و فرقها».

^{٢٦٩} (٢) انظر، الشّهرستاني، الملل و النحل: ١/ ١٥٥.

^{٢٧٠} (٣) انظر، النّشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢/ ١٦٥.

^{٢٧١} (٤) انظر، أبو زهرة، الإمام زيد: ١٩٣ - ١٩٤.

تجويز خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال، و يكون كل واحد منهما واجب الطّاعة انظر، البدء و التّاريخ: ٥/ ١٣٣.

اعتقد إنّ هذا النصّ لم يصدر عن الإمام زيد بل وضعه الزيدية الذين بايعوا الإمامين محمد - إبراهيم أبناء عبد الله بن الحسن في نخضتهما على المنصور.

انظر، نشأة الفكر الفلسفي، الدكتور سامي النّشار: ٢/ ١٦٥.

ثمّ يقول: أللهمّ إلّا إذا فسّرنا ذلك النصّ تفسيراً آخر و هو تجويز الخروج و الطّاعة في الخروج بمعنى التّهضة على الإمام الظّالم فيجوز أن يقوم إمام من أئمة أهل البيت عليهم السلام بالتّهضة على الظّلم ثمّ يسلم أحدهما الأمر للآخر، و هذا تخريج بعيد انظر، المصدر السابق: ٢/ ١٣١.

فكيف يدعو الإمام زيد إلى هذا المبدأ الذي يخالف مفهوم الإسلام.

قالت طائفة منهم بإمامة محمد، و إبراهيم الإمامين ابني عبد الله بن الحسن المثنى، اللذين خرجا في أيام المنصور، و قتلا على ذلك، و جؤزوا خروج إمامين في قطرين يجمعان هذه الخصال، و يكون كل واحد منهما واجب الطّاعة في قومه، و لو افق أحدهما بخلاف ما يفق به الآخر كان كل واحد منهما مصيبا، و إن افق باستحلال دم الإمام الآخر.

انظر، الأحكام في الحلال و الحرام كتاب السيرة (مخطوط)، جمع و ترتيب علي بن أحمد بن أبي حريصه: ٤٦٤، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٨٣، الملل و النحل: ٤/ ١٦١ و ١٧٦، تهذيب التهذيب: ٢/ ٢٨٨.

استفاد الخلفاء العباسيون من الخلاف الذي نشب طوال العصر العباسي الأول بين الشيعة الإمامية و الشيعة الزيدية، فقد رأت الشيعة الزيدية أن الإمامة في أولاد فاطمة يتولاها كل عالم زاهد شجاع خرج بالسيف، سواء من أولاد الحسن أو الحسين^{٢٧٢}، ولذا أيدت الزيدية محمد النفس الزكية الذي أعلن الثورة في عهد الخليفة المنصور . كما ترى الزيدية أن الإمامة تجوز لشخصين في عصر واحد إذا خرجا في قطرين و جمعا شروط الإمامة^{٢٧٣}.

ص: ١٢٣

تطور فرقة الشيعة الزيدية:

و تطورت فرقة الزيدية في العصر العباسي الأول، فتنفّرع منها فرقة الجارودية و هم أصحاب أبي الجارود زياد بن أبي زياد^{٢٧٤} . و تحدث الشهرستاني عن آراء الجارودية فقال: «زعموا أن النبي صلى الله عليه و آله نصّ على عليّ رضي الله عنه بالوصف دون التسمية و هو الإمام بعده . و الناس قصرُوا حيث لم يتعرفوا الوصف، و لم يطلبوا الموصوف، و إنما نصبوا أبا بكر بإختيارهم فكفروا بذلك . و قد خالف أبو الجارود في هذه المقالة إمامه زين بن عليّ، فإنه لم يعتقد هذا الاعتقاد . و اختلف الجارودية في التوقف و السّوف. فساق بعضهم الإمامة من عليّ إلى الحسن، ثم إلى الحسين ثم إلى عليّ بن الحسين زين العابدين، ثم إلى ابنه زيد بن عليّ، ثم منه إلى الإمام محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، و قالوا بإمامته»^{٢٧٥}. كما ذكر الشهرستاني أيضا أن الإمام أبا حنيفة كان من

ص: ١٢٤

الجارودية^{٢٧٦}.

و يطلق النّوبختي^{٢٧٧} على الجارودية اسم السّرحوبية، فقد كان أبو الجارود يسمّى أيضا (سرحوب)، و يذكر الشهرستاني^{٢٧٨} أن الإمام محمد الباقر قد أطلق عليه هذا الاسم، فقد تلقى أبو الجارود علومه عن هذا الإمام ثمّ خالفه و فارقه.

^{٢٧٢} (١) انظر، قال النّوبختي: «و فرقة قالت أنّ الإمامة صارت بعد مضي الحسين في ولد الحسن و الحسين.

ففي فهم خاصة دون سائر ولد عليّ بن أبي طالب، و هم كلّهم فيها شرع سواء من قام منهم و دعا إلى نفسه فهو الإمام المفروض الطّاعة بمنزلة عليّ بن أبي طالب واجبة إمامته من الله عزّ و جلّ على أهل بيته و سائر الناس كلّهم من تبعه على ذلك و كلّ من قال بإمامته و هم الذين سمّوا السّرحوبية».

انظر، فرق الشيعة: ٤٨.

^{٢٧٣} (٢) انظر، الشهرستاني، الملل و التحل: ١/ ١٥٥.

^{٢٧٤} (١) و يكنى بأبي التّحم الهمداني الخراساني العبدي و التّهدي و الثّقفي الكوفي و توفّي بين سنة (١٥٠ هـ و سنة ١٦٠ هـ)، ابن التّدم، الفهرست: ٢٦٧. و هو تابعي كما يقول الرّازي في الزّينة: ٢٤٥، و قيل: إنّه كوفي من بني عدي كما يذكر ابن شهر آشوب في معالم العلماء: ٤٥، و يقال له: الهندي، و الثّقفي، و الأعمى، و الهمداني.

و ذكره البخاري في فصل من مات من الخمسين و مئة إلى الستين . و قد سمّاه الإمام محمد الباقر عليه السّلام (سرحوب) أي شيطان أعمى، يسكن البحر كما يقول الكشي في رجاله: ١٩٩، فرق الشيعة للنّوبختي: ٤٨، تحفة الأزهار لابن شدقم: ٣/ ورقة ٨، تاريخ الإسلام: ٦/ ٦٧، تهذيب الكمال: ١/ ١٥٦.

و قد وصفه الإمام عليه السّلام إنّه أعمى البصر، أعمى القلب كما يذكر النّوبختي في كتابه فرق الشيعة: ٦٨، و المقالات للقمي: ٧١، و الشهرستاني في الملل و التحل: ١/ ٢١٣، من هم الزيدية، السيّد يحيى بن عبد الكريم الفضيل: طبع مؤسسة الإمام زيد بن عليّ الثقافية: ٣٨.

^{٢٧٥} (٢) انظر، الملل و التحل: ١/ ١٥٨، المعالم الدّينية في العقائد الإلهية يحيى بن حمزة: ١٣١-١٤١، الزيدية لأحمد محمود صبحي: ١٦٥، من هم الزيدية، السيّد يحيى بن عبد الكريم الفضيل: طبع مؤسسة الإمام زيد بن عليّ الثقافية: ٣٨، الحور العين نشوان الحميري: ١٥٥.

^{٢٧٦} (١) انظر، الملل و التحل للشهرستاني: ١/ ١٥٨.

^{٢٧٧} (٢) انظر، النّوبختي، فرق الشيعة: ٤٨.

^{٢٧٨} (٣) انظر، الملل و التحل: ١/ ١٦٩، فسر الإمام محمد الباقر لفظ سرحوب فقال: شيطان أعمى يسكن البحر.

و لم ترض الجارودية عن سياسة كل من الإمام محمد الباقر ثم الإمام جعفر الصادق في الإكتفاء بالإمامة الروحية، دون إعلان الثورة و مواجهة اغتصاب الأمويين ثم العباسيين للخلافة من آل علي بن أبي طالب.

فقالت الجارودية: «و من ادعى منهم الإمامة و هو قاعد في بيته مرخى عليه ستره فهو كافر مشرك، و كل من اتبعه على ذلك و كل من قال بإمامته»^{٢٧٩}.

هذه هي آراء الجارودية السياسية، و هي التي تهمنا في بحثنا هذا، و كان للجارودية آراء فلسفية و مشاركة في علم الكلام مما يخرج عن نطاق بحثنا^{٢٨٠}.

ثم تطرفت فرقة الجارودية فاختلقت في سوق الإمامة، و آمنت بالمهدية و خلود

ص: ١٢٥

الإمام، و شاركت في حركة محمد النفس الزكية، و اختلفت بعد مقتله، فمنهم من قال : أنه لم يقتل و هو حي و سيخرج و يملأ الأرض عدلاً^{٢٨١}. و منهم من أثر بموته و ساق الإمامة إلى محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين صاحب الطالقان^{٢٨٢}، و منهم من قال بإمامة يحيى بن عمر^{٢٨٣}، و قد تشتت الجارودية بعد ذلك في الإمامية و الزيدية، و لم يظفر أبو الجارود بمحبة أى من طوائف الشيعة المختلفة، و إن كان هو يمثلها جميعها^{٢٨٤}.

و من الفرق التي تفرعت عن الشيعة الزيدية فرقة السليمانية، و هم أصحاب سليمان بن جرير، و قد ظهر في عهد الخليفة العباسي الثاني أبي جعفر المنصور، و كان في أول أمره من الشيعة الإمامية أتباع الإمام جعفر الصادق، ثم فارقه و كون فرقة شيعية مستقلة^{٢٨٥}، و تحدث الشهرستاني^{٢٨٦} عن آراء سليمان السياسية فقال : «و كان يقول أن الإمامة شورى فيما بين الخلق، و يصح أن تتعقد بعقد رجلين من خيار المسلمين، و إنها تصح في المفضل، مع وجود الأفضل . و أثبت

ص: ١٢٦

إمامة أبي بكر و عمر رضی الله عنهما حقاً بإختيار الأمة حقاً إجتهدياً . و ربما كان يقول: أن الأمة أخطأت في البيعة لهما مع وجود علي رضي الله عنه خطأ لا يبلغ درجة الفسق، و ذلك الخطأ خطأ إجتهدى^{٢٨٧}، غير أنه طعن في عثمان رضي

^{٢٧٩} (٤) انظر، التوحي، فرق الشيعة: ٤٨ - ٤٩، المير محمد بن حبيب البغدادي: ٩٥ و ما بعدها، من هم الزيدية، السيد يحيى بن عبد الكريم الفضيل: ٧٢.

^{٢٨٠} (٥) من هذه الآراء ما ذكرها التوحي إذ قالوا: «الحلال حلال آل محمد صلى الله عليه و آله، و الحرام حرامهم، و الأحكام أحكامهم، و عندهم جميع ما جاء به النبي...» انظر، فرق الشيعة: ٤٩ و ما بعدها، الشهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٥٩. أن بعضهم يزعم أن علم الحسن و الحسين كعلم النبي فيحصل لهم العلم قبل التعليم فطرة و ضرورة، و بعضهم يزعم أن العلم مشترك فيهم و في غيرهم، و جائز أن يؤخذ عنهم، و عن غيرهم من العائمة

^{٢٨١} (١) انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٥٨ طبعة بيروت، أما في كتاب فرق الشيعة: ٧ فقد قال من مرجحة أهل العراق.

^{٢٨٢} (٢) و هو الذي سيعمل الثورة في عهد الخليفة العباسي الثامن المعتصم كما سنشهد في هذا البحث انظر، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٥٣.

^{٢٨٣} (٣) هو يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي (ت ٢٥٠ هـ).

^{٢٨٤} (٤) انظر، النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢ / ١٩٢.

^{٢٨٥} (٥) انظر، التوحي، فرق الشيعة ص: ٥٥ و ما بعدها- يرجع السبب في فراق سليمان بن جرير للإمام جعفر الصادق إلى قول جعفر بعد موت ابنه و وليّ عهده إسماعيل: أن الله عزّ و جل بدأ له في إمامة إسماعيل، و أنكر سليمان هذا البدء» و كان المختار التقفي- كما ذكرنا آنفا- يدعو إلى البدء، أي أن الله يغيّر مشيئته في بعض الأمور.

^{٢٨٦} (٦) انظر، الملل و النحل: ١ / ١٥٩ - ١٦٠.

^{٢٨٧} (١) انظر، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٥٧.

الله عنه، للأحداث التي أحدثها، وأكفره بذلك، وأكفر عائشة والزبير وطلحه رضي الله عنهم أقدامهم على قتال علي رضي الله عنه»^{٢٨٨}. كما عارض سليمان بن جرير مما ذهب إليه الرافضة حول الب داء و التقية^{٢٨٩}. وانضم إلى سليمان جماعة من

^{٢٨٨} (٢) انظر، من هم الزيدية، السيد يحيى بن عبد الكريم الفضيل: ٢٧، الإمام المجتهد يحيى بن حمزة وآراؤه الكلامية: ١٧٧.

انظر، شرح رسالة الخو العن: ١٥٠، الملل و التحل للمرتضى: ٢٠، مقالات الإسلاميين:

١/ ١٤٣، و الملل و التحل: ١/ ٢١٤، مجموعة الرسائل اليمنية الأولى: ٣٣، النية و الأمل في شرح الملل و التحل، أحمد بن يحيى بن المرتضى: ٩٠، و الفرق بين الفرق: ١٣٢، التجديد في فكر الإمامة عند الزيدية في اليمن: ٥٧، الملل و التحل للشهرستاني: ١/ ٣١٥، المقالات لأشعري: ١/ ٣١٥، نشأة الفكر للتشار: ٢/ ١٩٦، و اعتقاد فق المسلمين و المشركين للزاري: ٧٨.

^{٢٨٩} (٣) و البداء معناه: بدا لله في كذا، أي ظهر له فيه، و معنى ظهر فيه أي ظهر منه.

و ليس المراد منه تعقب الرأي، و وضوح أمر كان قد خفي عنه، و جميع أفعاله تعالى: «الظاهرة في خلقه بعد أن لم تكن. فهي معلومة فيما لم يزل، و إنما يوصف منه بالبداة ما لم يكن في الإحتساب ظهوره، و لا في غالب الظن وقوعه، فأما ما علم كونه، و غلب في الظن حصوله؛ فلا يستعمل فيه لفظ (البداة)، و هو طريقه السمع دون العقل، و قد جاءت به الأخبار عن أئمة الهدى».

إن لفظ البداء اطلق في أصل اللغة على تعقب الرأي، و الإنتقال من عزيمة إلى عزيمة، و إنما اطلق على الله تعالى على وجه الإستعارة، كما يطلق عليه الغضب، و الرضا غير حقيقة، و إن هذا القول لم يضر بالمذهب، إذ المجاز من القول يطلق على الله تعالى فيما ورد به السمع و قد ورد السمع بالبداة على ما بينا. نظر، تصحيح الإعتقاد: ٥١.

و يقول الشيخ المفيد رضي الله عنه أيضا في معنى البداء، ما يقوله المسلمون بأجمعهم في التسخ، و أمثاله، من الإفكار بعد الإغناء، و الإمرار بعد الإعفاء، و الإمامة بعد الإحياء، و ما يذهب إليه أهل العدل خاصة، من الزيادة في الآجال، و الأرزاق و التقصان، منها بالأعمال انظر، أوائل المقالات: ٥٣.

و قسم السيد الخوئي رضي الله عنه، القضاء إلى ثلاثة أقسام:

١. قضاء الله الذي لم يطلع عليه أحدا من خلقه و العلم المخزون استأثر به لنفسه، و البداء لا يقع في هذا القسم.

٢. قضاء الله الذي أخبر نبيه، و ملائكته، بأنه سيقع حتما، و لا ريب في أن هذا القسم أيضا لا يقع فيه البداء

٣. قضاء الله الذي أخبر نبيه، و ملائكته بوقوعه في الخارج، إلا أنه موقوف على أن لا تتعلق مشيئة الله بخلافه، و هذا القسم هو الذي يقع فيه البداء. انظر، البيان في تفسير القرآن: ٣٨٧.

إذن مسألة البداء من المسائل الصعبة التي تتجاوزها آراء العلماء قبل الإسلام، و بعده

فاليهود مثلا يعتقدون: أن الله سبحانه قد فرغ من الأمر فلا يحدث شيئا غير ما قدره في التقدير الأول، و لذا لا يقولون بنسخ الشرائع.

أما فلاسفة اليونان: أصرّوا على أن الواحد لا يصدر منه إلا الواحد، و إن واجب الوجود خلق العقل الأول فقط، و العقل الأول بسبب كونه ذا جهتين. خلق العقل الثاني، و الفلك الأول، و هكذا حتى وصلوا إلى العقل التاسع، الذي بدوره خلق العقل العاشر، و العاشر خلق باقي الموجودات.

فالله سبحانه و تعالى: عندهم معطل الآن- و العباد بالله- و سار على ذلك أصحاب الكمون، و الظهور، و كذلك النظام من المعتزلة. انظر، تصحيح الإعتقاد: ٥٣، الإعتقادات للشيخ الصدوق باب البداء، المسائل العكبرية للشيخ المفيد: ٢/ ٣٣٧، الفصول المختارة: ٢٥١.

أما البداء الذي يذكره القصيمي: أنه تعالى يعلم ما لم يكن يعلم، و يبدو له من الأمر ما لم يكن باديا....

فلا ريب و لا شك في كفر القائل به، بل كفره أعظم كفر يقع في العالم لإستلزامه التناقض، و هو كون الله واجبا غير واجب. انظر، الدعوة الإسلامية للإمام أبي الحسن الخنيزي: ٣٦/١.

و التراجع في الحقيقة بين الشيعة، و السنة، في صحة إطلاق لفظ البداء بعد الإتفاق على صحة المعنى. لأن الشيعة لم تطلق البداء على الباري عز و جل إلا مجازا، كما يطلق عليه الغضب، و الرضا، و هذا ما صرح به الشيخ المفيد.- لكن السيد المرتضى، يرى جواز إطلاقه على الله بنحو الحقيقة فقال: «يمكن حمل ذلك على معناه حقيقة، بأن يقال: بدا لله، بمعنى أنه ظهر له من الأمر، ما لم يكن ظاهرا له، و بدا له من التهي ما لم يكن ظاهرا له، لأن قبل وجود الأمر و التهي لا يكونان ظاهرين، و إنما يعلم أنه يأمر و ينهى في المستقبل، و أما كونه أمرا، أو ناهيا، فلا يصح أن يعلمه إلا إذا وجد الأمر و التهي. و جرى ذلك مجرى أحد الوجهين في قوله تعالى: إِنْ تَنْبَحُوا لِلَّهِ مَا يَشَاءُ وَ يُنَبِّئُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ E. الزعد: ٣٩.

الصائرين E، محمد: ٣١.

بأن نحمله على أن المراد به: حتى نعلم جهادكم موجودا؛ لأن قبل وجود الجهاد، لا يعلم الجهاد موجودا، و إنما يعلم كذلك بعد حصوله. فكذا يكون البداء، و هذا وجه حسن جدا». انظر، تذكرة طرائف الحق الفصل الخامس: ١٠٦.

و هناك من يذهب إلى أن البداء، نسب إلى عمر، و ابن مسعود، حين ذهبوا في تفسير قوله تعالى:

إِنْ يَمْخُوا لِلَّهِ مَا يَشَاءُ وَ يُنَبِّئُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ E. الزعد: ٣٩.

و قالوا: إن الله يحمو من الزرق، و يزيد فيه، و كذا القول في الأجل، و السعادة، و الشقاوة، و الإيمان، و الكفر.

و قال الفخر الرازي- و هو مذهب عمر، و ابن مسعود- و إنهم كانوا يدعون و يتضرعون، إلى الله في أن يجعلهم سعداء، لا أشقياء. و هذا ما رواه جابر عن رسول الله صلى الله عليه و آله. انظر، التفسير الكبير للرازي:

١٩/ ٦٥، تاريخ بغداد: ١/ ٣٨٦.

إذن الشيعة، و السنة، يقولون بالبداة بهذه المعاني السابقة.

ص: ١٣٠

و من هذه الفرق فرقة ال بترية أصحاب كثير النوى الملقب بالأبتر^{٢٩٥}، و يذكر الشهرستاني : أن الفرقتين تتفقان مع فرقة السليمانية في آرائهم حول الإمامة،

ص: ١٣١

و لكن الفرقتين تختلفان عن السليمانية في رأيها حول تكفير عثمان، و تترك الحكم عنه إلى الله عزّ و جلّ فهو **أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ**^{٢٩٦}، ثم تقول الفرقتان أن عليًا هو أفضل الناس بعد الرسول و أولاهم بالإمامة، و كلنّه سلّم إلى الخلفاء الراشدين الثلاثة الأوائل الأمر لهم راضيا ترك حقّه راغباً «فنحن راضون بما رضى، مسلّمون لما سلّم»^{٢٩٧}، و ترى الفوقتان «إمامة المفضول و تأخير الفاضل و الأفضل إذا كان الفاضل راضيا بذلك»^{٢٩٨}، ثم تقول الفرقتان: «من شهر سيفه من أولاد الحسن و الحسين عليهما السلام، و كان عالما زاهدا شجاعا، فهو الإمام»^{٢٩٩} و شرط بعضهم صباحة الوجه، و لهم خبط عظيم في إمامين وجدت فيهما هذه الشرائط و شهرا سيفيهما ينظر إلى الأفضل و الأزهر و إن تساويا ينظر إلى الأمتن رأيا و الأحزم أمرا، و إن تساويا تقابلا فينقلب الأمر عليهم كلّا و يعود الطلب جذعا، و الإمام مأموما، و الأمير مأمورا»^{٣٠٠}.

و ترى الفرقتان أنّه في حالة ظهور إمامين في قطرين «إنفرد كل واحد منه ما بقطره، و يكون واجب الطاعة في قومه و لو أفتى أحدهما بخلاف ما يفتى الآخر كان كل واحد منهما مصيبا، و إن أفتى بإستحلال دمّ الإمام الآخر»^{٣٠١}.

يصف التوبختي آراء فرقتي الصالحية و البترية بالإعتدال، و أقترابها من آراء أهل السنّة و عامّة الناس فهم و إن فضلوا عليّا و جعلوا الإمامة من حقّه، إلّا أنّهم لا

ص: ١٣٢

يطعنون في أبي بكر و عمر^{٣٠٢}.

انظر، المنية و الأمل في شرح الملل و التحل، أحمد بن يحيى بن المرتضى: ٩٠، الملل و التحل:

١/ ٢٧٨، الفرق بين الفرق: ٣٢.

و قيدها الشهرستاني بما نقله عن مذهبه من اشتراط رضى الفاضل بذلك

انظر، الملل و التحل: ١/ ٢٧٨.

^{٢٩٤} انظر، البغدادى، الفرق بين الفرق: ٢٤.

^{٢٩٥} (٤) انظر، كان كثير من علماء الحديث، و اسمه الكامل في التاريخ أبو إسماعيل كثير بن إسماعيل بن نافع التّوّاع الأشعري، مقالات الإسلاميين: ٩٨ / ١ و ما بعدها).

^{٢٩٦} (١) هود: ٤٥.

^{٢٩٧} (٢) انظر، الصّمدى: الوافي بالوفيات: ٢٤ / ٢٤٧، الشهرستاني، الملل و التحل: ١ / ١٦١.

^{٢٩٨} (٣) انظر، الشهرستاني، الملل و التحل: ١ / ١٦١.

^{٢٩٩} (٤) انظر، الصّمدى: الوافي بالوفيات: ٢٤ / ٢٤٧، الشهرستاني، الملل و التحل: ١ / ١٦١.

^{٣٠٠} (٥) انظر، الشهرستاني، الملل و التحل: ١ / ١٦١.

^{٣٠١} (٦) انظر، انظر، الشهرستاني، الملل و التحل: ١ / ١٦١ - ١٦٢.

^{٣٠٢} (١) انظر، التوبختي، فرق الشيعة: ٥٥ و ما بعدها.

يصف الدكتور النشار^{٣٠٣} الحسن بن صالح بأنه كان أخطر رجال الحركة الزيدية على الإطلاق، فقد أعلن ولاءه لأبناء زيد و أخلص لهم دون أولاد فاطمة الآخرين. و كان الحسن بن صالح قد شارك هو و أهل بيته في ثورة زيد بن علي، و لكنه لا يبدو أنه شارك في خروج إبراهيم بن عبد الله حتى إذا قتل إبراهيم، و توارى عيسى بن زيد عن أنظار العباسيين، التجأ إلى دور بني صالح، و أصبح صالح الساعد الأيمن لعيسى بن زيد، و رافقه في أدائه الحج، ثم نظم له الدعوة، و حاول حثه على الخروج و لكن عيسى رفض هذه الدعوة، و مات الحسن بن صالح بعد موت عيسى بشهرين^{٣٠٤}.

هذه هي فرق الشيعة الأربع التي شهدها العصر العباسي الأول^{٣٠٥} و قد قامت الزيدية بالغالبية العظمى من الحركات الثورية التي شهدها العصر العباسي الأول، فقد أصبح المذهب الزيدي أكثر مذاهب الشيعة نموًا و إتساعًا في ذلك العصر.

و يفسر الشيخ أبو زهرة^{٣٠٦} هذا الإتساع فيجعل له أربعة أسباب:

[أسباب اتساع المذهب الزيدي الاربعة]

أولها: فتح باب الإجتهد، فكان الإجتهد من غير الأئمة إجتهد منتسبين و لم يكن إجتهد مستقلين.

ص: ١٣٣

و ثانيها: فتح باب الإختيار من المذاهب الأخرى فقد صار المذهب الزيدي حديقة غناء تلتقى فيها أشكال الفقه الإسلامي المختلفة، و قد اختار الزيدون بإجتهدهم من المذاهب الأخرى ما يتفق مع منطق المذهب أو أصوله.

و ثالثها: هذه العوامل وجود المذهب في عدة أماكن مختلفة متباعدة و كل إقليم يختلف في بيئته عن الأقاليم الأخرى فأصبح المذهب الزيدي يعتبر من أهل كل بلد عرفه و عاداته و تقاليده و أفكاره مما أدى إلى تجديد دماء هذا المذهب.

أما العامل الرابع: فهو وجود أئمة مجتهدين متبعين في كل عصر من العصور الأولى و حتى القرن الثامن الهجري.

و مما أفسح المجال أمام الشيعة الزيدية لتقوم بحركاتها الثورية التي استمرت طوال العصر العباسي الأول، ركون الشيعة الإمامية غلبا إلى الهدوء و السلام، و اكتفاء الزعماء العلويين بالإمامة الروحية.

ص: ١٣٥

محاولات أبي سلمة الخلال لتحويل الخلافة إلى العلويين

اعتقد العلويون أن العباسيين قد خدعوه حين كانوا ينادون بتولية (الرضا من آل محمد) دون تحديد، إذ إنفرد العباسيون بالخلافة دونهم، و خاصة أن العباسيين قد استفادوا من شيعة العلويين و اعتمدوا عليهم في دعوتهم، كما اتخذوا من وصية

^{٣٠٣} (٢) انظر، النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١٩٤.

^{٣٠٤} (٣) كان موت عيسى و الحسن في عهد الخليفة العباسي الثالث المهدي، كما سنرى في الباب الثالث من هذا البحث، و قد أبدى المهدي سروره لموت الحسن. الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤١٧.

^{٣٠٥} (٤) انظر، اقتصر الشهرستاني في كتابه للتلل و التحل على ذكره هذه الفرق الأربع بينما يضيف المسعودي في كتابه مروج الذهب فرقاً أخرى ثانوية

^{٣٠٦} (٥) انظر، أبو زهرة، الإمام زيد: ٤٨٨.

أبى هاشم للإمام العباسي محمد بن عليّ طريقاً أوصلهم إلى الخلافة، ولذا بدأ العلويون يناضلون الخلفاء العباسيين كما كانوا يناهضون الخلفاء الأمويين بالأمس. واضطر الخلفاء العباسيين إلى الدفاع عن أنفسهم وعن دولتهم وبدأت مرحلة طويلة حفلت بمظاهر مختلفة للعداء بين العباسيين والعلويين.

أبو سلمة الخلال:

وكان أول هذه المظاهر، مصرع أبي سلمة الخلال^{٣٠٧}. وهو حفص بن سليمان،

ص: ١٣٦

وكان مولى لبنى الحارث بن كعب وهو من وجوه الكوفة، وقد اشتهر بالعلم والفصاحة والكرم، وقد اتصل بالعباسيين عن طريق صهره بكير بن ماهان كاتب إبراهيم الإمام، وحينما أدرك بكير قرب م نيته، أوصى الإمام بأن يعهد إلى أبي سلمة بالقيام بأمر الدعوة العباسية بدله. وقد بذل أبو سلمة كثيراً من الجهود من أجل هذه الدعوة.

بعدبيعة أبي العباس بالخلافة، استوزر أبا سلمة، ولقبه (وزير آل محمد)^{٣٠٨} ولم يكن أبو العباس محباً له، فقد كان «فى النفس أشياء»^{٣٠٩}، ولكنه اضطر إلى توليته، و نرى أن ذلك كان بدافعين:

[ما دفع أبا العباس إلى استوزار أبي سلمة]

أولهما: مكانته بين أهالى خراسان وهم عصب الدولة العباسية وأنصارها.

و ثانيهما: منزلته من شيعة العلويين وكان أبا العباس قد أراد تسكين خواطريهم وقد بدأ هذا فى تسمية أبي سلمة بوزير آل محمد دون تسميته بوزير بنى العباس^{٣١٠}.

يجمع المؤرخون على ميل أبي سلمة إلى تحول الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي، مما أدى إلى مصرعه بأمر من الخليفة أبي العباس. فيقول الطبري: «لما بلغ أبا سلمة قتل مروان بن محمد بن إبراهيم الذى كان يقال له

ص: ١٣٧

الإمام بدأ له الدعاء إلى أولاد العباس، و أضمر الدعاء لغيرهم»^{٣١١}.

^{٣٠٧} (١) انظر، العسفرى، تاريخ خليفة بن خياط: ٣٢٢، حاشية سير الأعلام: ٨/٦، حلكان: وفيات الأعيان: ١٩٥/٢، عساكر، تهذيب ابن عساكر: ٣٧٧/٤، ابن كثير، البداية و النهاية: ٥٥/١٠، مجهول، الدولة العباسية: ٢٥٩.

ذكر صاحب الفخرى، المجدى فى أنساب الطالبين: ١٣٦، ثلاثة تفسيرات لتسميته بالخلال فقال: « قيل فى تلقيبه بالخلال ثلاثة أوجه: أحدها: أن منزله بالكوفة كان قريباً من محلة الخلالين وكان يجالسهم فنسب إليهم.

و ثانيها: أنه كان له حوانيت يعمل فيها الخلّ فنسب إلى ذلك.

و ثالثها: أنها نسبة إلى خلل السيوف و هي إغمادها.

^{٣٠٨} (١) منحه نقباء الدعوة العباسية هذا اللقب و سلموا إليه الرئاسة الجهشيارى: الوزراء و الكتاب: ٨٤.

^{٣٠٩} (٢) انظر، العمري، المجدى فى أنساب الطالبين: ١٣٨.

^{٣١٠} (٣) فى الحقيقة كانت مهام أبي سلمة تشبه مهام الكاتب الأموي، فيقول المسعودى « استخارت بنو العباس تسمية الكاتب وزيراً. التنبية و الأشراف: ٢٩٤.

و يقول اليعقوبي أن أبا سلمة «دبر أن يصير الأمر إلى بني علي»^{٣١٢}.

و يقول المسعودي: «و قد كان أبو سلمة، حفص بن سليمان، حين بلغه مقتل إبراهيم الإمام، أضمر الرجوع عما كان عليه من الدعوة العباسية إلى آل أبي طالب»^{٣١٣}.

و يقول صاحب الفخرى: «و قام أبو سلمة بأمر دعوتهم، أي العباسيين، قياما عظيما، فلما سير أحوال بني العباس عزم على العدول عنهم إلى بني علي»^{٣١٤}.

كما أشار ابن عساكر^{٣١٥}، و المقدسي^{٣١٦} إلى محاولة أبي سلمة لتحويل الخلافة إلى العلويين و يصف الدينوري^{٣١٧} أبا سلمة بأنه كان من كبار الشيعة.

أسباب ولاء أبي سلمة للعلويين:

و قد نتساءل: ما الذي جعل أبا سلمة يتحول عن ولائه من العباسيين إلى العلويين؟.

و لا نستطيع أن نقول أن أبا سلمة كان مخدوعا في الدعوة العباسية حينما دعت إلى (الرضا من آل محمد) كما خدع كثير من شيعة العلويين، فقد كان أبو سلمة في مقدمة الدعاة العباسيين و هو صهر بكير بن ماهان من أوائل و أكابر

ص: ١٣٨

الدعاة، و قد كانا يدعوا أن للإمام محمد بن علي العباس، و يقفان على كل أسرار الدعوة العباسية و أبعادها و وسائلها . و لكننا نستطيع أن نقول أن إختيار أبي مسلم الخراساني لقيادة الثورة في خراسان كان العامل الأول في هذا التحول في ولاء أبي سلمة، فقد استطاع أبو مسلم أن يتقدم الصفوف، و يحجب جميع الدعاة العباسيين و كان صاحب اليد الطوالى في إسقاط الدولة الأموية و إقامة الدولة العباسية إلى جانب شعوبيته و قسوته، و ما أقدم عليه من إضطهاد للعناصر العربية . و التكتيل بأنصار الأمويين مما حفلت به المصادر العربية القديمة^{٣١٨}.

و خير ما يبرز ما كان من عدااء بين أبي سلمة الخلال و أبي مسلم الخراساني، ما رواه المسعودي، فقد كتب أبو مسلم إلى أبي العباس يشير عليه بقتل أبي سلمة، و جاء في كتابه: «قد أحل الله لك دمه، لأنه قد نكث و غيّر و بدل»^{٣١٩}.

^{٣١١} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٨٥.

^{٣١٢} (٢) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣ / ٨١.

^{٣١٣} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٢٤٨.

^{٣١٤} (٤) انظر، العمري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٣٧.

^{٣١٥} (٥) انظر، ابن عساكر، التاريخ الكبير: ٤ / ٣٧٧.

^{٣١٦} (٦) انظر، المقدسي البدء و التاريخ: ٦ / ٦٧.

^{٣١٧} (٧) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٣٦.

^{٣١٨} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٧٠ - ٧٥، الفخري العمري، المجدي في أنساب الطالبين:

١٣٥ - ١٣٦.

^{٣١٩} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٢٨، ابن أعثم، الفتح لابن أعثم: ٨ / ٣٥٠ هامش رقم «١».

و لكن أبا العباس رفض ذلك و قال : « ما كنت لأفتح دولتي بقتل رجل من شيعتي، لا سيما مثل أبي سلمة و هو صاحب الدعوة و قد عرض نفسه، و بذل مهجته و أنفق ماله، و ناصح إمامه و جاهد عدوه »^{٣٢٠}. و أشار أبو جعفر المنصور و داود بن عليّ على أبي العباس بقتل أبي سلمة، فرفض ذلك فنصحه بأن يحترس منه، فأجاب أبو العباس : « كلاً إنني لآمنه في ليلي و نهاري، و سرّي و جهري، و وحدتي و جماعتي »^{٣٢١}.

ص: ١٣٩

اتخذ تحول ميول أبي سلمة عن العباسيين إلى العلويين، صورا كثيرة، سلبية و إيجابية . أمّا الصّور السّلبية فبدت في موقفه من أبي العباس و أبي جعفر المنصور فعند قدومها إلى الكوفة، بعد القبض على الإمام إبراهيم و موته في سجن الخليفة الأموي مروان بجرّان.

فروى الطّبري^{٣٢٢}، و المسعودي^{٣٢٣} أنّ أبا سلمة أخفى أبا العباس و المنصور و كتم أمرهما أربعين يوما عن جميع القواد و الشّيعّة و كان كلّما سأله عن الإمام قال: ليس هذا وقت خروجه . و قد رفض أبو سلمة أن يمنح أبا العباس مئة دينار، كان قد طلبها منه ليمنحها لصاحب الإبل التي حملت العباسيين من الحميمة إلى الكوفة^{٣٢٤}. و كان أبو العباس يتوقع إمتناع أبي سلمة عن البيعة له، و لذا حينما خرج أبو سلمة للقاءه عند أوّل قدومه إلى الكوفة، طلب أبو العباس من أنصاره أن يكونوا على حذر، و أن يقدموا على قتل أبي سلمة إن هو أمتنع عن البيعة، و لكن أبا سلمة خيّب ظنون أبي العباس، و سلّم عليه بالخلافة^{٣٢٥}.

و يروى الطّبري أنّ أحد رجال أبي العباس، و هو أبو حميد، قال لأبي سلمة حينما بايع أبا العباس : على رغم أنفك^{٣٢٦}. و كان أبو سلمة يمن على أبي العباس بأفضاله على وصوله إلى الخلافة فيقول ابن قتيبة : « و كان أبو سلمة يظهر الإدلال و القدرة على أمير المؤمنين »^{٣٢٧}.

ص: ١٤٠

كان أبو العباس واقفا على ميول أبي سلمة نحو العلويين، و لكنّه آثر السّكوت عليها، إذ كان يمر بفترة قلقه حرجة فلا تزال الدّولة الأمويّة قائمة و خليفتها مروان ابن محمّد على قيد الحياة . و بعد البيعة لأبي العباس، رأى أن يرحل عن مسعركه بظاهر الكوفة إلى الهاشمية بعد أن تأكّد من اتّجاهات أبي سلمة، فروى الطّبري: « و أقام أبو العباس في المعسكر أشهراً، ثمّ ارتحل فنزل المدينة الهاشمية، في قصر الكوفة و قد كان تنكر لأبي سلمة قبل تحوله حتّى عرف ذلك »^{٣٢٨}.

^{٣٢٠} (٣) انظر، الأميني، أعيان الشّيعّة: ٢٠٣ / ٦.

^{٣٢١} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٨٤ / ٣، يعقوبي، تاريخ يعقوبي: ٨٩ / ٣، و الأخبار الطّوال للدينوري: ٣٦٨.

^{٣٢٢} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٨٠ / ٦.

^{٣٢٣} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٦٨ / ٣.

^{٣٢٤} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٨٦ / ٦.

^{٣٢٥} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٨٧ / ٦.

^{٣٢٦} (٥) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٨١ / ٦.

^{٣٢٧} (٦) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ٢٣١ / ٢.

^{٣٢٨} (١) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ٢٣٢ / ٢.

رسائل أبي سلمة إلى زعماء العلويين:

ثم بدأت المرحلة الإيجابية، فقد رأى أبو سلمة أن تتخذ ميوله نحو العلويين صورة فعّالة. فكتب ثلاث رسائل إلى ثلاثة من زعماء العلويين حينئذ، وهم جعفر بن محمد الصادق^{٣٢٩}، و عبد الله المحض بن الحسن بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب^{٣٣٠}، و عمر الأشرف بن زين العابدين^{٣٣١}. و الثلاث رسائل من نسخة واحدة، و في كلّ رسالة «يدعو كلّ واحد إلى الشّخص إليه ليصرف الدّعوة إليه و يجتهد في بيعه أهل خراسان له»^{٣٣٢}.

أعطى أبو سلمة رسائله الثلاث إلى رسول أمين من شيعة العلويين المخلصين و أمره بأن يقصد أولاً جعفر بن محمد الصادق فإن أجاب أبطل الكتابين الآخرين

ص: ١٤١

و إن لم يجب قصد عبد الله المحض فإن أجاب هذا أبطل الرّسالة الثّالثة، و إن لم يجب قصد عمر^{٣٣٣}. فقد كان جعفر أعظم شخصيات البيت العلوي، فهو من أحفاد الحسين بل يصفه ابن العماد^{٣٣٤} بأنّه سيّد بني هاشم جميعاً في عصره.

رحل الرّسول، و هو محمد بن عبد الرّحمن إلى المدينة حيث إلّقى بجعفر بن محمد الصادق، و دفع إليه بكتاب أبي سلمة، فقال جعفر: و ما أنا و أبو سلمة؟.

و أبو سلمة شيعة لغيري. و وضع جعفر الكتاب على سراج حتّى احترق.

و قال للرّسول: عرّف صاحبك بما رأيت. ثم تمثّل بيت شعر للكميّ بن زيد هو^{٣٣٥}:

أيا موقدا نارا لغيرك ضوءها و يا حاطبا في غير حبلك تحطب

و خرج الرّسول بالكتاب الثّاني إلى عبد الله المحض فأبدى هذا سروره بما حوته الرّسالة و خرج من فوره إلى دار جعفر بن محمد الصادق و أطلعه على الكتاب و قال له : هذا كتاب أبي سلمه يدعوني إلى ما أقبله، و قد قدمت عليه شيعتنا من أهل خراسان.

^{٣٢٩} (٢) انظر، سنتحدث عن موقف الإمام جعفر الصادق من الخلافة العبّاسيّة في فصل خاصّ من هذا البحث.

^{٣٣٠} (٣) انظر، و هو الذي سيثور ابنه محمد النفس الزكيّة و إبراهيم في عهد الخليفة المنصور كما سنرى في الباب القادم من هذا البحث

^{٣٣١} (٤) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٣٧.

^{٣٣٢} (٥) انظر، المسعودي: مروج الذهب: ٢٦٨ / ٣.

^{٣٣٣} (١) انظر، العمري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٣٧.

^{٣٣٤} (٢) انظر، ابن العماد، شذرات الذهب: ٢٢٠ / ١.

^{٣٣٥} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٦٩ / ٣، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ٨٦، رولندسن، عقيدة الشّيعية: ١٢٨ طبعة مؤسسة المفيد بيروت، المعتزلي، التّوضيعة المختارة

شرح قصائد الهاشميات للكميت بن زيد: ٣٨.

فقال جعفر: يا أبا محمد! و متى كان أهل خراسان شيعة لك؟ . أنت بعثت أبا مسلم إلى خراسان، و أنت أمرته بلبس السّواد؟. و هؤلاء الذين قدموا العراق أنت كنت سبب قدومهم أو وجهت فيهم؟ . و هل تعرف منهم أحدا؟ . و لم يقشع عبد الله المحض بمقالة جعفر.

ص: ١٤٢

و قال: إنّما يريد القوم ابنيّ محمّدا لأنّه مهدي هذه الأّمة.

فقال جعفر: و الله ما هو مهدي هذه الأّمة و لئن شهر سيفه ليقتلن . و غضب عبد الله المحض، و صاح في جعفر: و الله ما يهنك من ذلك إلّا الحسد.

فقال جعفر: و الله ما هذا إلّا نصح مني لك، و لقد كتب إلى أبو سلمة بمثل ما كتب به إليك، فلم يجد رسوله عندي ما وجد عندك، و لقد أحرقت كتابه من قبل أن أقرأه. و غادر عبد الله دار جعفر غاضبا^{٣٣٦}.

و قصد الرّسول الزّعيم العلوي الثّالث عمر بن زين العابدين، فرد الكتاب و قال: أنا لا أعرف صاحبه فأجيبه^{٣٣٧}.

مصرع أبي سلمه خلال:

و رأى الخليفة أبو العبّاس أن يقف من أبي سلمة موقفا حازما، فجمع خاصته و حاشيته ليشاورهم في أمره و ذكرهم بما فعله أبو سلمة مع العبّاسيّين عند قدومهم إلى الكوفة، و حجبهم عن أنصا رهم أربعين يوما، و نقل إليهم نبأ مكاتبة أبي سلمة لزعماء العلويّين.

فقال أحد خاصّة العبّاسيّين: ما يدريكم لعلّ ما صنع أبو سلمة كان عن رأي أبي مسلم.

ص: ١٤٣

فقال أبو العبّاس: لئن كان هذا عن رأي أبي مسلم أنا لبعض بلاء إلّا أن يدفعه الله عنّا^{٣٣٨}.

لم يشأ أبو العبّاس أن تكون نهاية أبي سلمة الخلّال على يديه، حتّى لا يثير مشاعر الشيعة ضدّه، و رأى أن يعهد بذلك إلى خصمه اللدود أبي مسلم الخراساني فبعث إليه بكتاب «يعلمه فيه بما عزم عليه أبو سلمة من نقل الدّولة عنهم، و يقول له :

^{٣٣٦} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٢٦٩- روى البيهقي في تاريخه: ٢/ ٣٤٩ أنّ عبد الله بن الحسن قال لرسول أبي سلمة: أنا شيخ كبير و ابني محمّد أولى بهذا الأمر.

ثمّ أرسل إلى جماعة من بني أميّة و قال: بايعوا لابني محمّد، فلمّا هذا كتاب أبي سلمة حفص بن سليمان إلى.

فقال جعفر بن محمّد: أيّها الشّيخ لا تسفك دم ابنك.

^{٣٣٧} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٣٨- و كان عمر بن زين العابدين قد انصرف عن مشاكل السّياسة إلى الدّين و العلم

^{٣٣٨} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦/ ١٠٢، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٤/ ٣٣٦.

إنني قد وهبت جرمه لك». و باطن الكتاب يقتضى تصويب الرأى فى قتل أبى سلمة^{٣٣٩}، و بعث أبو العباس هذا الكتاب مع أخيه أبى جعفر المنصور و بعث أبو مسلم، بجماعة من أهل خراسان قتلوا أبا سلمة، و زعم أن الخوارج هى التى قتلت^{٣٤٠}.

و من هذا كله نرى أن العلويين لم يكن لهم من القوة و كثرة الأنصار ما يعيد لهم سبيل الوصول إلى الخلافة، فلم يرو أبدا من الإستكانة حتى تنهيا لهم الأحوال فيمتشقون الحسام و يقومون بطلبها . و من هذا لا نعجب إذا رفض العلويون عروض أبى سلمة عليهم فى عضده، مما أدى إلى قتله على يد السفاح بعد أن وقف على رغبته فى تحويل الخلافة إلى العلويين^{٣٤١}.

ص: ١٤٤

علق الدكتور الجومرد على محاولة أبى سلمة الخلّال تحويل الخلافة إلى العلويين فقال : و الواقع أن محاولة أبى سلمة، هذه كانت أشبه باللعب بالنار، و لا ندري على ماذا كان إعتماده فى هذه المحاولة، بعد أن تكلفت الثورة العباسية بنصر كبير، و سيوف زعيمها أبى مسلم الخراساني من بنى العباس؟ . و الظاهر، أنه كان يريد أن يخلق جبهة ثالثة علوية، تقوم بعد أن تضعف الجبهتان المتصارعتان، الأموية، و العباسية، فتكون النتيجة لها . و لكنه أخطأ تقدير الزمن إذ كانت الثورة العباسية تتقدّم نحو نهاية النصر بأسرع مما كان يتصور^{٣٤٢}.

أهمل أبو مسلم الخراساني أبا جعفر المنصور حين كان لديه فى خراسان، مما أثار غضبه، فعاد إلى أبى العباس يقول : «لست خليفة و لا أمرك بشىء إن تركت أبا مسلم و ل م تقتله»^{٣٤٣}، و لكن أبا العباس أدرك خطورة الاقتراح، و رأى إرجاء تنفيذه^{٣٤٤}.

استوزر السفاح بعد مصرع أبى سلمة، أبا الجهم بن عطية، و هو مولى فارسى من صنائع أبى مسلم الخراساني، و لذا أصبح عينا على الخليفة ينقل أخباره إلى أبى مسلم^{٣٤٥}.

و حدث بعد مصرع أبى مسلم، أن شهدت مدينة واسط قتالا عنيفا بين الجيش العباسي بقيادة الحسن بن قحطبة، و الجيش الأموي بقيادة يزيد بن عمر بن هبيرة، فقد رأى ابن هبيرة، رغم مقتل الخليفة الأموي و سقوط دولته، الإستمرار

ص: ١٤٥

^{٣٣٩} (٢) انظر، الفخري، المجدي فى أنساب الطالبيين: ١٣٨.

^{٣٤٠} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٠٣ / ٦، المسعودي، مروج الذهب: ٢٧٠ - ٢٧١. و ذكر الجهشيارى الوزراء و الكتاب: ٨٤ - ٨٥ أن أبا مسلم الخراساني كلف مرار بن أنس الضبي بقتل أبى سلمة الخلّال و روى ابن خلّكان فى وفيات الأعيان: ١ / ١٩٦، الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٣ / ٦٣، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٠ / ٦٠، أن أبا العباس السفاح أنشد حينما علم بمصرع أبى سلمة

على أي شيء فاتنا منه نأسف

إلى النار فليذهب و من كان مثله

^{٣٤١} (٤) انظر، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام: ٨٦ / ٢.

^{٣٤٢} (١) انظر، أبو جعفر المنصور: ٩٩ يرى الدكتور الدوري (التنظيم الإسلامية: ٢١٨) أن نكبة الخلّال كانت مظهرًا لغموض وضع الوزارة، و للتصادم بين سلطة الخليفة و سلطة الوزير.

^{٣٤٣} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٠٤ / ٦، ابن الأثير: الكامل فى التاريخ: ٤٣٧ / ٥.

^{٣٤٤} (٣) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣٥١ / ٢، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٠٤ / ٦.

^{٣٤٥} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٠٧ / ٦، الجهشيارى: الوزراء و الكتاب: ٩٣.

في مقاومة العباسيين. ثم رأى ابن هبيرة أن يدعو لزعيم علوى. فبعث برسالة إلى محمد بن عبد الله بن الحسن، ولكنه أبطأ عليه في الرد، ولذا اضطر ابن هبيرة إلى قبول الأمان الذي عرضه أبو جعفر المنصور نيابة عن أخيه أبي العباس^{٣٤٦}.

أبدى عبد الله بن الحسن العلوى سخطه على السياسة التي انتهجها والى الأموى داود بن على في التنكيل بأنصار بني أمية، حيث أسرف في سفك دمائهم، فقال الزعيم العلوى له : «يا ابن أخى، إذ قتلت هؤلاء كلهم فمن تباهى بملك الله»^{٣٤٧}؟ ولكن داود بن على رفض النصيحة واستمر في سياسته الدموية^{٣٤٨}.

و يبدو أن ركون الشيعة الإمامية إلى الهدوء، إلى جانب إنشغال أبي العباس فى هدم بقايا آثار الدولة الأموية، لم يدع مجالاً لقيام حركات شيعية ثورية : ولذا لم يلق أحد من العلويين حتفه على يد أبي العباس، فيقول الإصفهاني : «و لا أعلمه قتل أحدا منهم و لا أجرى إلى جليس له مكروها»^{٣٤٩}.

ص: ١٤٧

الباب الثانى: جهاد الشيعة الزيدية والإمامية فى عصر الخليفة العباسى المنصور

١- ثورة محمد النفس الزكية فى الحجاز

٢- ثورة إبراهيم بن عبد الله فى البصرة

٣- موقف الإمام جعفر الصادق عليه السلام و الشيعة الإمامية من الخليفة المنصور

٤- الصراع الفكرى بين الشيعة و العباسيين و موقف مالک و أبى حنيفة

ص: ١٤٩

ثورة محمد النفس الزكية فى الحجاز

شهد عصر أبى جعفر المنصور، أول حركة ثورية تقوم بها جماعة الشيعة الزيدية ضد الدولة العباسية، و قد حمل لواء هذه الثورة زعيمان أخوان، هما محمد النفس الزكية و أخوه إبراهيم، و هما ابنا عبد الله بن الحسن الذى أصبح أبناؤه و أحفاده يحملون لواء الثورة ضد الدولة العباسية.

يتفق المؤرخون على أن أبا جعفر المنصور، ثانى الخلفاء العباسيين، هو المؤسس الحقيقى للدولة العباسية، فقد قام بنصيب كبير فى الدعوة العباسية و فى الخلاص من الدولة الأموية و إقامة الدولة العباسية، و كان الساعد الأيمن لأخيه أبى العباس،

^{٣٤٦} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٠٧/٦، مروج الذهب للمسعودي: ٣/٣٠٦- واسط: هي المدينة التي أنشأها بالعراق الحجاج الثقفي في العصر الأموي (اليعقوبي،

كتاب البلدان: ٣٢٢، و ياقوت، معجم البلدان: ٨/٣٧٩-٣٨٠.

^{٣٤٧} (٢) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١/٣٤، و: ٥/٤٤٨، ابن عساکر، تاريخ مدينة دمشق:

٢٧/٣٨٠، ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١/٢٦٠، المعتزلي، شرح التهج لابن أبي الحديد: ٧/١٥٦.

^{٣٤٨} (٣) انظر، أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر: ٢/١٣٥.

^{٣٤٩} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٧٣.

أول الخلفاء العباسيين، حتى إذا تولى المنصور الخلافة سنة (١٣٦ هـ) أرسى قواعد الدولة العباسية، إذ قضى على أعدائها وخصومها، وبنى العاصمة العباسية الكبيرة بغداد، كما وضع أسس النظم الإدارية والمالية.

محمد النفس الزكية:

كان أبرز زعماء الشيعة عند تولى أبي جعفر المنصور الخلافة، جعفر الصادق بن محمد الباقر إمام الشيعة الإمامية ومحمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية، أما جعفر الصادق فقد أثر الركون إلى الهدوء والإمتناع عن المطالبة بالخلافة إذ رأى أن الظروف غير مؤاتية فقد كادت الدولة العباسية لا تزال في أول عهدها،

ص: ١٥٠

و في أوج قوتها كما رأى بطش أبي العباس وأبي جعفر المنصور بأعدائهما، إذ لم يجد المنصور بأسا من الخلاص من أبي مسلم الخراساني الذي حمل لواء الدعوة العباسية وأرسى قواعد الدولة العباسية، كما أقدم على التكنيل بعمه عبد الله بن علي رغم بلائه من أجل قيام دولة بني العباس^{٣٥٠} : و سنتحدث بالتفصيل عن موقف جعفر الصادق في فصل خاص من فصول هذا البحث.

أما الزعيم الأخير، وهو محمد النفس الزكية، فكان أكثر العلويين تطلعا إلى الخلافة، وقد بدأ طموحه فيها منذ أواخر العصر الأموي، حين بايعه كثير من بني هاشم ومن بينهم أبو جعفر المنصور^{٣٥١}.

أطلق القوم على محمد بن عبد الله اسم (النفس الزكية)^{٣٥٢}، ويفسر المسعودي هذه التسمية فيقول : وكان يدعى بالنفس الزكية لزهده ونسكه كما أطلق عليه أيضا اسم «المهدي»^{٣٥٣}، وفي ذلك يقول صاحب ال فخرى كان النفس الزكية من سادات بني هاشم و رجالهم فضلا و شرفا و دينا و علما و شجاعة و فصاحة و رئاسة و كرامة و نبلا، و كان في إبتداء الأمر قد شيع بين الناس أنه المهدي الذي بشر به، و أثبت أبوه هذا في نفوس طوائف من الناس^{٣٥٤}.

و كان يروى أن الرسول صلى الله عليه وآله قال : «لو بقي من الدنيا يوم لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث فيه مهديا أو قائما اسمه كاسمي و اسم أبيه كاسم أبي»^{٣٥٥}.

^{٣٥٠} (١) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٦٠ و ما بعدها، ابن قتيبة: الإمامية و السياسة: ١٣٤/٢ و ما بعدها.

^{٣٥١} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٢٠٦، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٤٧.

^{٣٥٢} (٣) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣١٤.

^{٣٥٣} (٤) انظر، مروج الذهب: ٣/٣٠٦.

^{٣٥٤} (٥) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٤٨.

^{٣٥٥} (٦) انظر، أبو نعيم في صفة المهدي لوجه: ٩٣، و هذا الحديث مع هذه الزيادة الموجودة فيه «... و اسم أبيه اسم أبي» يختلف عن بقية الأحاديث الواردة حول الإمام المهدي المنتظر من حيث السند، و المتن، فمن حيث السند فالراوي «زائدة» رفعه إلى عبد الله بن عمر، و قد ترجم له بأنه كان يزيد في الأحاديث أما من حيث المتن فقد روي هذا الحديث عن زر بطرق عديدة و ليس فيها «اسم أبيه اسم أبي» مما يدل على أن هذه الزيادة جاءت من تصرفات الراوي... أو مما دس في حديث ابن مسعود، و ابن عمر، أما ما قيل من بعض العلماء من احتمال التصحيف في «ابني» بأبي و المراد بالابن «الحسن السبط» و إطلاق الابن على السبط شائع في الألسنة، أو زيادة لفظة «أبيه» أو أن للمهدي ثلاثة أسماء منها عبد الله، أو كان للإمام الحسن العسكري اسمان: «الحسن» و «عبد الله» لهما ذكر صاحب جنات الخلود، و صاحب مناقب السادات القاضي شهاب الدين الدولت آبادي، و المولى معين الهروي صاحب تفسير أسرار الفاتحة كما في العنبري الحسان، و نقله أيضا صاحب كفاية الموحدين حتى يسلم الحديث من الدس، و الاحتمال فكل هذه الاحتمالات، و التوجيهات ضعيفة فلم يبق إلا احتمال الدس من قبل زائدة.

ص: ١٥٢

كما أطلق على النفس الزكية أيضا اسم «صريح قريش»^{٣٥٦}، ويفسر الإصفهاني هذه التسمية فيقول «لأنه لم يبق عنه أم ولد في جميع آبائه وأمهاته وجداته»^{٣٥٧}.

ظل محمد النفس الزكية منذ أواخر العصر الأموي يعتقد أنه صاحب الحق الشرعي في الخلافة دون أبي العباس، وأبي جعفر المنصور، بل اعتقد أن هذين الخليفين العباسيين قد اغتصبا حقه في الخلافة، وأن في عنقهما بيعه له، ولذا امتنع محمد النفس الزكية عن البيعة للخليفين^{٣٥٨}.

ويفسر الإصفهاني حرص أبي العباس والمنصور على طلب البيعة من النفس الزكية وأخيه إبراهيم، بما كان في عنقهما من بيعه للنفس الزكية، فيقول الإصفهاني: «فلما ظهرت الدعوة لبنى العباس وملكوا، وحرص السفاح، والمنصور على الظفر بمحمد وإبراهيم، لما في أعناقهم من البيعة لمحمد، وتورايا فلم يزاالا ينتقلان في الاستتار، والطلب يزعهما من ناحية إلى أخرى،

ص: ١٥٣

حتى ظهرها فقتلا»^{٣٥٩}.

و تحدث الإصفهاني عن بيعه المنصور لمحمد النفس الزكية في أواخر العصر الأموي، فروى عن عبد الله بن سعد الجهنى أنه قال: «بايع أبو جعفر محمدًا مرتين^{٣٦٠} أنا حاضر أحدهما بمكة في المسجد الحرام، فلما خرج أمسك له بالركاب ثم قال: أما أنه أن أفض إليكما الأمر نسيت لي هذا الموقف»^{٣٦١}.

أما المصادر التي ذكرت الحديث فهي: رواد أبو داود: ١٠٦ / ٤، حلية الأولياء: ٧٥ / ٥، غاية المرام: ٦٩٨ ح ٦١، مشكاة المصابيح: ١٥١ / ٣ ح ٥٤٥٢، سنن الترمذي: ٣٣٣ / ٣ ح ٢٣٣٢، ولكن بلفظ «... حتى يملك العرب رجل...» وقال: «هذا حديث حسن صحيح». والحديث سكت عنه أبو داود، والمنذري، وكذا ابن القيم الجوزي في تهذيب السنن، وأشار إلى صحته في المنار المنيف: ٨٤، وصححه شيخ الإسلام ابن تيمية في منهاج السنة النبوية: ٢١١ / ٤، ورواه البغوي في مصابيح السنة في فضل الحسان، وحسن إسناده الألباني في تخريج أحاديث المشكاة راجع عون المعبود: ١١ / ٣٧٢، تحفة الأخوذ: ٤ / ٤٨٦، فيض القدير: ٥ / ٣٣٢، جواهر العقدین: ٢ / ٢٢٧، مودة القري: ٢٩، ينابيع المودة: ٣ / ٣٨٩ و ٢٥٦ و ٢٦٢ و ٢٦٨ طبعة اسوة، مسند أحمد: ١ / ٣٧٦ و ٣٧٧ و ٤٤٨، وأسانيد كلها صحيحة كما جاء في الإحتجاج بالآثر: ١٣٢، تاريخ الخطيب البغدادي: ٤ / ٣٨٨، كنز العمال: ٧ / ١٨٨، كفاية الطالب: ٤٨٣، الحاكم: ٤ / ٤٤٢، ملاحم ابن طاووس: ١٣٩، المصنف لابن أبي شيبة: ١٥ / ١٩٨، غاية المرام: ٦٩٨ ح ٦١، أبو داود: ١٠٦ / ٤ و: ٣ / ٣٠٩ ح ٤٢٨٢، الطبراني الكبير: ١٠ / ١٦٦، الإعتقاد للبيهقي: ١٧٣، مصابيح البغوي: ٣ / ٤٩٢ ح ٤٢١٠، وقريب منه في مشكاة المصابيح: ٣ / ١٥١ ح ٥٤٥٢، جامع الأصول: ١١ / ٤٨ ح ٧٨١٠، سنن الداني: ٩٤، العلل المتناهية: ٢ / ٨٥٦ ح ١٤٣٤، مطالب السؤول مخطوط ورق: ٨١، بيان الشافعي: ٤٨٢، تذكرة القرطبي: ٢ / ٧٠٠، عقد الدرر: ٢٧، فتن ابن كثير: ١ / ٣٨، مجمع الزوائد: ٧ / ٣١٤، المطالب العالية: ٤ / ٣٤٢ ح ٤٥٥٣، عرف السيوطي: ٢ / ٦٠، صواعق ابن حجر: ١٦٣، جواهر العقدین: ٢ / ٢٢٧ و ٢٢٦، ابن حماد: ١٠١، القول المختصر: ٤، الإذاعة: ١٣٣، والحديث صححه العلامة أحمد شاكر في تحقيق المسند: ٥ / ١٩٦ رقم ٣٥٧١، والحديث في المسند: ١ / ٣٧٦.

^{٣٥٦} (١) انظر، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٥٥، عقد الدرر للسلمي: ١ / ٦٦.

^{٣٥٧} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٢٣٣، الشريف تاج الدين، غاية الإختصار: ١٢ و ما بعدها، غاية الإختصار للشريف تاج الدين: ١٢، الحدائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية: ١ / ١٥٨، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٥٥.

^{٣٥٨} (٣) انظر، نهاية الإرب في فنون العرب، شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن التويري: ٢٣ / ورقة (٢)، غاية الإختصار: ٢٧، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٧٠ و ٧٦، مقاتل الطالبين: ٣٠٩ و ٢٣٣، الأخبار الطوال: ٢٦٠، الإمامة والسياسة: ٢ / ١٣٤.

^{٣٥٩} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٢٣٣ - ٢٣٤.

شاع بين الناس أن النفس الزكية هو «المهدي»، وقد اجتهد أبوه عبد الله بن الحسن في نشر هذه العقيدة، فكان يقول «أنّ ابنه محمّد هو المهدي الذي بشرّ به الرّسول صلّى الله عليه وآله». ثمّ ألقى الله محبّته على الناس، فمالوا إليه كافة ثمّ عضد ذلك أن أشراف بنى هاشم بايعوه و رشحوه للأمر، فقدموه إليه كافة ثمّ عضد ذلك أن أشراف بنى هاشم بايعوه و رشحوه للأمر، فقدموه على نفوسهم فزادت رغبته في طلب الأمر و زادت رغبة الناس فيه^{٣٦٢}.

و شاع بين الناس رواية تقول أنّه «يملك رجل اسمه اسم النّبي صلّى الله عليه وآله، واسم أمّه على ثلاثة أحرف أولها هاء و آخرها دال»^{٣٦٣}. و كان هذه الرواية تنطبق على النفس الزكية، فاسمه محمّد و أمّه هي هند بنت أبي عبيدة بن عبد الله بن زمة بن

ص: ١٥٤

الأسود بن المطّلب^{٣٦٤}، و تشبع محمّد النفس الزكية بهذه الرواية التي تناقلها الناس، حتّى أنّه كان يعد نفسه منذ صغره لتولي الإمامة، فيقول الإصفهاني «لم يزل محمّد بن عبد الله بن الحسن، منذ كان صبيّاً، يتوارى و يرسل الناس بالدعوة إلى نفسه و يسمّى بالمهدي»^{٣٦٥}. و يذكر الإصفهاني أيضاً أنّ أبا جعفر المنصور أراد صرف عواطف الناس الزكية، فسمى ابنه محمّداً كما لقبه بالمهدي أيضاً^{٣٦٦}.

موقف النفس الزكية و أخيه إبراهيم من خلافة المنصور:

امتنع محمّد النفس الزكية و أخوه إبراهيم عن البيعة لأبي العباس أوّل الخلفاء العبّاسيين . و قد سكت الخليفة عن ذلك، فقد كانت الدولة العبّاسية في أوّل عهدها، تواجه كثيراً من المشاكل و الإضطرابات . فرأى أن يؤجل أمر الزعيمين العلويين إلى حين تنهياً الظروف له.

و في أواخر عهد أبي العباس، رحل أخوه و ولي عهده أبو جعفر المنصور إلى الحجاز حاجاً سنة (١٣٦ هـ)، و في المدينة، خرج وجوه القوم إليه لتحيته و السّلام عليه، و لم يتخلّف منهم غير محمّد و إبراهيم ولدى عبد الله بن الحسن فسأل المنصور عبد الله عن ولديه فأنكر علمه بمكانهما و أغلظ كلّ منهما القول للآخر، ممّا أدى إلى غضب المنصور فاقترح أحد خاصته عليه قتل عبد الله، و لكن والي المدينة زياد بن عبد الله الحارثي هدأ من ثورة المنصور، و تعهد بالبحث عن محمّد و إبراهيم و القبض عليهما^{٣٦٧}، و اكتفى المنصور بهذا التعهد،

^{٣٦٠} (٢) كانت البيعة القانية في الأبناء، و هو مكان بأعلى المدينة و مثل البيت العبّاسي إبراهيم بن محمّد ابن عليّ، و أبو جعفر المنصور، و صالح بن عليّ، و مثل بيت الحسن بن عليّ عبد الله بن الحسن و ابنه محمّد النفس الزكية و إبراهيم، كما حضر الاجتماع بعض بني عثمان الشّريف تاج الدّين، غاية الإختصار: ٢٧، مقاتل الطّالبيين: ٣٠٩.

^{٣٦١} (٣) انظر، غاية الإختصار: ٢٧، الإفادة في تأريخ الأئمة السّادة: ٧٤، مقاتل الطّالبيين: ٣١٠ و ٢٣٦.

^{٣٦٢} (٤) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٤٨، الشّريف تاج الدّين، غاية الإختصار: ٢٧.

^{٣٦٣} (٥) انظر، مقاتل الطّالبيين: ٢٤٠، كان النفس الزكية يعتز بأن اسمه محمّد و بأن اسم أبيه هو عبد الله تشبيهاً بالرّسول.

^{٣٦٤} (١) انظر، كان عبد الله المحض هاشميّاً خالصاً فأبوه من سبط الحسن و أمّه من سبط الحسين

^{٣٦٥} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٣٩.

^{٣٦٦} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٤٠.

^{٣٦٧} (٤) انظر، ابن جرير، الطّبري: ١٥٦/٦، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢١٣.

و أقر الوالى فى ولايته، و بدأ رحلته إلى بلاد العراق^{٣٦٨}.

و فى طريق المنصور إلى العراق، جاءه بئاً وفاة أخيه أبى العباس، و علم أنّ الخلافة قد آلت إليه، فبعث برسول إلى الحجاز، لياخذ البيعة له بالخلافة من أهل مكّة و المدينة دون أن يتخلف أحد عنها، كما بعث المنصور مع رسوله رسالة إلى زياد بن عبد الله يحثه فيها بالجد فى البحث عن النفس الزكية و إبراهيم، و أخذ البيعة منهما^{٣٦٩}.

ثمّ توالى أحداث خطيرة عاجلة، شغلت الخليفة الجديد، أباً جعفر المنصور فقد كان عليه الخلاص من أبى مسلم الخراساني، و من عمّه عبد الله بن علىّ، و كان عليه مواجهة حركات الزنادقة، و ثورات الخوارج . حتّى إذا انتهى من مواجهة هذه الأخطار و التغلب عليها، عاود الإهتمام بأمر الحجاز، حتّى تستقر الأوضاع فى القطر الإسلامى المقدّس الذى شهد مشرق أنوار الإسلام و مهبط الوحي، و الذى تتجه إليه أنظار المسلمين جميعاً فى مشارق الأرض و مغربها.

و كانت الأنباء تتواتر إلى المنصور بآتساع الدّعوة لمحمّد النفس الزكية^{٣٧٠}.

و فى خضم هذه الأحداث، رأى المنصور أن يقف على أمر النفس الزكية، و لذا نراه فى موسم الحج سنة (١٣٨ هـ)، يعبد إلى أمير الحجّ الفضل بن صالح بن علىّ العباسيّ بالوقوف على أمر النفس الزكية و أخيه إبراهيم دون أن يثير اضطراباً فقال المنصور له: «إن وقت عيناك على محمّد، و إبراهيم ابنيّ عبد الله بن الحسن فلا يفارقك، و إن لم ترهما فلا تسأل عنهما»^{٣٧١}. و قدم الفضل إلى

المدينة فتلقاه أهلها جميعاً، عدا محمّداً و إبراهيم فتوجّه لعبد الله بالسؤال عن ولديه.

فقال: ما منع ابنك أن يلقياني مع أهلها؟.

فأجاب عبد الله: ما منعهما من ذلك ريبة و لا سوء . و لكنّهما مهومان بالصّيد و اتّباعه لا يشهدان مع أهلهما خيراً و لا شراً.

و سكت الفضل، و ما لبث أن عاد إلى العراق بعد نهاية موسم الحجّ^{٣٧٢}.

^{٣٦٨} (١) انظر، تاريخ يعقوبي: ٣٤٩ / ٢.

^{٣٦٩} (٢) انظر، ابن جرير، الطبري: ١٥٦ / ٦، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ: ٢٧٠ / ٤.

^{٣٧٠} (٣) انظر، ابن جرير، الطبري: ١٥٦ / ٦، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ: ٢٧٠ / ٤.

^{٣٧١} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٥٨ / ٦.

^{٣٧٢} (١) انظر، ابن جرير، الطبري: ١٥٨ / ٦، كان علماء آل أبى طالب يقولون عن النفس الزكية (المقتول بأحجار الزيت) و هي أحجار قرب المسجد عند السوق بالمدينة قرب الزّوراء و هي ثلاثة أحجار كان يضع الزّياتون عليها زيتهم انظر، الشّعراي، مختصر تذكرة القرطبي: ٢٣١، ياقوت، معجم البلدان:

١ / ١٣٣، ابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق: ٣٠٧ / ١.

و في عام (١٤٠ هـ، ٧٥٧ م) خرج المنصور إلى بلاد الحجاز حاجًا و رأى أن يولى أمر الدّعوة العلوية الإهتمام . و جمع المنصور بنى هاشم و فيهم العلويون فأغدق ع ليهم الصّلات و الأعطيات، ثمّ أختلى بكل منهم على حدة، فكان المنصور يسأل عن محمّد النّفس الزّكيّة. فكان كلّ منهم يقول: «يا أمير المؤمنين قد علم أنك قد عرفته يطلب هذا الشّأن قبل اليوم، فهو يخافك على نفسه، و هو لا يريد لك خلافا، و لا يحبّ لك معصية»^{٣٧٣}.

و لم يحدع ن هذا القول من بنى هاشم غير الحسن بن زيد الحسن بن عليّ الذي قال للمنصور : «و الله ما آمن و ثوبه عليك، فإنّه للذي لا ينام عنك، فسرّ رأيك»^{٣٧٤}.

و رأى المنصور أن يعاود الكرّة مع عبد الله بن الحسن، و لعلّه يظفر منه بمكان

ص: ١٥٧

ابنيه محمّد النّفس الزّكيّة و إبراهيم. فدعا المنصور إلى مائدته بنى العباس و فيهم عبد الله بن الحسن. و توجه المنصور إليه فقال: يا أبا محمّد! و إبراهيم أراهما قد استوحشا من ناحيتي، و إنّي لأحبّ أن يأنسا بي و يأتيا، فأصلهما و أزوجهما و أخلطهما بنفسى، فأطرق عبد الله طويلا ثمّ قال : و حقك يا أمير المؤمنين ما لى بهما و لا بموضعهما من البلاد علم، و لقد خرجا عن يدى»^{٣٧٥}.

و رأى المنصور أن يتمالك نفسه و يصبر على عبد الله، فروى الإصفهاني أنّه امتنع عن غذائه ذلك اليوم ليتفرغ للترحيب بعبد الله بن الحسن و محادثته فى أمر ابنه، و استمر المنصور يلح على عبد الله فى السّؤال عن مكان إخفاء ابنه، و استمر عبد الله يقسم بأنّه لا يعرف موضعهما، فيقول المنصور: لا تفعل يا أبا محمّد لا تفعل يا أبا محمّد^{٣٧٦}.

و طلب عبد الله بن الحسن من المنصور إمهاله، ثمّ خرج سرّا إلى سليمان بن عليّ العباسيّ، فقال له : يا أخى، بيننا من الصّهر و الرّحم، فما قولك فيما نحن فيه مع أبى جعفر؟.

فقال سليمان: أن أخى عبد الله بن عليّ فى محبسه لأنّه ثار عليه و الموت بيننا و بينه فى كلّ ساعة، و لو كان المنصور عافيا عن ابنك لعفونا عن عمّه قبله^{٣٧٧}.

و التقى عبد الله بالمنصور ثانية، ثمّ كانت القسّة الّتى قصمت ظهر البعير فقد كان المنصور مع ابنه المهدي يطّلعان على كتاب ورد عليهما، و تكلم المهدي مع أبيه فلحن فى الكلام.

ص: ١٥٨

^{٣٧٣} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٥٦ / ٦.

^{٣٧٤} (٣) انظر، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ١٨٧ / ٣، ابن عساكر، تاريخ دمشق: ٣٠٧ / ١، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ١٤٣، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٥٦ / ٦، ابن الأثير، الكامل فى التّاريخ: ٥ / ٥١٤.

^{٣٧٥} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٦٠ / ٦، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢١٣ - ٢١٤.

^{٣٧٦} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢١٤.

^{٣٧٧} (٣) انظر، ابن الأثير، الكامل فى التّاريخ: ٣٧٠ / ٤.

فقال عبد الله: يا أمير المؤمنين ألا تأمر بهذا من يعدل لسانه فإنه يفعل كما تفعل الأمة؟.

و أبدى المنصور غضبه فصاح في عبد الله: أين ابنك؟.

فأجاب: لا أدري.

فقال المنصور: لتأتيني به.

فقال عبد الله: لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فأمر المنصور من فوره بالقبض على عبد الله و أسرته و سجنهم^{٣٧٨}.

روى الطبري أن أنصار محمد النفس الزكية و إبراهيم أرادوا إغتيال أبي جعفر المنصور حينما حجّ في سنة (١٤٠ هـ) و تعهد الأشر عبد الله بن محمد بن عبد الله بالقيام بالإغتيال، و لكن النفس الزكية رفض هذا المشروع، و قال: و الله لا أقتله أبدا غيلة حتى أ دعوه و كان قد انضم إلى هؤلاء المتآمرين قائد من قواد الخليفة يدعى خالد بن حسان، و هو من أهالي خراسان. و علم المنصور بأمر هذا القائد و حاول القبض عليه و لكنه أخفق في ذلك^{٣٧٩}. و وجه النفس الزكية هذا القائد إلى خراسان للدعوة إليه، و انتقم المنصور من هذا القائد بأن قتل كثيرا من رجاله.

إضطهاد العلويين بالمدينة:

سجن عبد الله بن الحسن في دار مروان بالمدينة حيث ظل حبيسا ثلاث سنوات^{٣٨٠} و أبدى محمد النفس الزكية ألمه لما نال أباه و أسرته من إضطهاد و ما يعانونه في سجنهم، فقدم مع أمه هند سرّا، و طلب منها أن تتوجه إلى أبيه عبد الله

ص: ١٥٩

في سجنه لتقول له: «يقول لك محمد بأنه يقتل رجل من آل محمد خير من أن يقتل بضعة عشر رجلا»^{٣٨١}.

و نقلت هند إلى زوجها مقالة ابنها.

فقال عبد الله: «حفظ الله محمدا، لا و لكن قولي له فليأخذ في الأرض مذهبا، فو الله ما يحتج عند الله غدا إلّا أنا خلقنا و فينا من يطلب هذا الأمر»^{٣٨٢}.

و كانت هذه العبارات كافية ليمضى محمد د النفس الزكية في طريقه و في دعوته ساعيا إلى تولى الخلافة و مواجهة الدولة العباسية و خليفاتها المنصور.

^{٣٧٨} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ١٦١، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢١٣-٢١٤.

^{٣٧٩} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ١٦١-١٦٢.

^{٣٨٠} (٣) انظر، ابن نشوان، الحور العين: ٢٧٢.

^{٣٨١} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٤٦.

^{٣٨٢} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢١٥-٢١٦.

و أدرك المنصور أنّ إرهاب العلويين و سجن عبد الله بن الحسن و أسرته لم تجد نفعا، و رأى أن يتخذ طريق الحيلة و الدهاء للكشف عن مكان إختفاء محمد النّفس الزّكيّة، فكتب رسالة على لسان الشيعة موجهة إلى محمد النّفس الزّكيّة، يذكرون فيها طاعتهم له و يطالبونه بالمسارعة في إعلان ثورته . و أرفق المنصور الرسالة بكثير من الأموال و الهدايا توجه هذا الرّجل إلى عبد الله بن الحسن في سجنه فاطلعه على الرسالة.

فقال عبد الله للرّجل : أنّ ابنه النّفس الزّكيّة مختف في جليل جهينة و طلب منه أن يقصد عليّ بن الحسن ليدله على مكان النّفس الزّكيّة . و كادت حيلة المنصور أن تنجح، لو لا أنّ كاتباً للمنصور كان يعتنق مذهب الشيعة، كتب إلى عبد الله بن الحسن يطلعه على خبر هذا الرّسول المزيّف الذي بعثه المنصور، فبعث عبد الله ببعض رجاله يحذرون عليّ بن الحسن و محمداً النّفس الزّكيّة من رسول

ص: ١٦٠

المنصور، و عاد هذا الرّسول إلى المنصور خائبا^{٣٨٣}.

كان والي المدينة زياد بن عبيد الله الحارثي قد ت عهد للخليفة المنصور قبل رحيلة إلى العراق، بالبحث عن مكان إختفاء محمد النّفس الزّكيّة . و لكنّه تعاون في البحث عنه، فقد كان يدرك أنّ المنصور يقتل محمداً إذا قبض عليه و لم يشأ هذا الوالي أن يلقي دمه على عاتقه . و توالى كتب المنصور على واليه يستحثه على البحث ع ن مكان محمد . و حدث أن قدم محمد إلى المدينة فاستقبله زياد مرحباً و أعطاه الأمان، و تواعدا على مواجهة النّاس في سوق المدينة^{٣٨٤}.

و وقف زياد يقول: أيّها النّاس، هذا محمد النّفس الزّكيّة و تصايح أهل المدينة «المهدي المهدي» ثمّ وجّه زياد الحديث إلى محمد فقال له: إلحق بأى بلاد الله شئت^{٣٨٥}، و توجه محمد إلى عدن ثمّ إلى السّند فالكوفة، و عاد أخيرا إلى المدينة.

علم أبو جعفر المنصور بموقف زياد من محمد النّفس الزّكيّة فغضب لذلك غضبا شديدا إذ عصا أوامر الخليفة، و خرج على ولائه للدولة العبّاسيّة، فكتب إلى قاضى المدينة عبد العزيز بن عبد المطّلب بن عبد الله بالقبض على زياد و مصادرة أمواله، و عزل رجاله، و أنصاره. و نفّذ القاضى أوامر الخليفة، فقبض على ابن زياد و كبّله بالأغلال و وجد في بيت المال خمسة و ثمانين ألف دينار.

و قال زياد: «و الله ما أعرف لى عند أمير المؤمنين ذنبا، غير أنّي أحسبه وجد عليّ في ابني عبد الله و وجد دماء بنى فاطمة عليّ عزيزة»^{٣٨٦} ثمّ أنشد زياد:

ص: ١٦١

^{٣٨٣} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٦٣ / ٦ - ١٦٤ .

^{٣٨٤} (٢) تقع هذه السّوق عند الزّوراء و على مقربة من المسجد الحموي، معجم البلدان: ١ / ١٣٣ .

^{٣٨٥} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٦٤ / ٦ ، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٥ / ٢٥٤ - ٢٥٥ .

^{٣٨٦} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٦٤ / ٦ ، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٥ / ٢٥٥ ، الإمامة و السّياسة لابن قتيبة: ١ / ١٥٢ .

ولّى الخليفة المنصور على المدينة واليا جديدا، هو محمد بن خالد بن عبد الله القسرى، وأمره بالجد في طلب محمد النفس الزكية، و بسط يده في النفقة، فقدم إلى المدينة في أول رجب سنة (١٤١ هـ). ومضت الأيام دون أن ينجح محمد بن خالد في مهمته التي وكلها المنصور إليه واستبطأه الخليفة، وكتب إليه يأمره بكشف المدينة وأعراضها^{٣٨٧}. ولكن الوالى الجديد كان كسلفه في إمتناعه عن إراقة دماء بنى الحسن، فكتب إلى المنصور يعلمه بأن النفس الزكية قد غادر المدينة قبل قدومه إليها، و تنقل في كثير من الأمصار الإسلامية، فعزله المنصور من ولاية المدينة^{٣٨٨}.

استشار الخليفة المنصور أحد خاصته وهو أبو العلاء، فيمن يوليه على المدينة و يوكل إليه أمر محمد النفس الزكية، فأشار عليه الرجل بتولية رجل من آل الزبير بن العوام أو من آل طلحة بن عبد الله، فهم يعلمون جميعا عداهم لعلى ابن أبى طالب، وأنه قد وقف الزبير و طلحة من على بن أبى طالب موقفا عدائيا في حرب الجمل^{٣٨٩} كما بايع عبد الله بن الزبير نفسه خليفة في الحجاز واضطهد آل على بن أبى طالب وخاصة ابنه محمد بن الحنفية^{٣٩٠}، كما قضى على المختار

ص: ١٦٢

التقى نصير آل على^{٣٩١}.

رفض أبو جعفر المنصور هذا الاقتراح، وقال: قاتلك الله، ما أجود رأيا جئت به، والله ما غاب هذا على، ولكنى أعاهد الله أن لا أثار من أهل بيتى بعدوى وعدوهم، ولكنى أبعث عليهم صلوكا من العرب فيفعل ما قلت.

ولّى الخليفة المنصور على المدينة رباح بن عثمان بن حيان، وهو ابن عم مسلم بن عقبة، قائد الخليفة الأموى يزيد بن معاوية، الذى حاصر المدينة، و قاتل أهلها فى موقعة الحرّة، و قتل كثيرا من أهلها وأباح المدينة لجنده أيا ما أعملوا فيها القتل والسلب وإنتهاك الأعراض^{٣٩٢}.

استدعى المنصور رباح بن عثمان إليه، وأخبره بإخبطاره واليا على المدينة وأمره بأن يتكتم هذا الاختيار، و شرح له مهمته و حدثه بأعمال زياد و ابن القسرى فى البحث عن محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، وأمره بالإسراع فى الرحيل إلى المدينة.

^{٣٨٧} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٦٦/٦، الشريف تاج الدين، غاية الإختصار: ١٥.

^{٣٨٨} (٢) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٣٩.

^{٣٨٩} (٣) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ٦٢/١، ابن كثير، البداية و النهاية: ٢٢٧-٢٢٨.

^{٣٩٠} (٤) انظر، اضطهد ابن الزبير بعض الهاشميين لإمتناعهم عن البيعة له بالخلافة، و منهم محمد بن الحنفية الذى غادر مكة إلى ناحية رضى، و منهم عبد الله بن العباس الذى خرج إلى الطائف. انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٤/٣.

^{٣٩١} (١) قضى مصعب بن الزبير، والي أخيه عبد الله بالعراق، على حركة المختار فى موقعة حروراء. انظر، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ: ١١١/٤، المسعودي، مروج الذهب: ٣/٤٣.

^{٣٩٢} (٢) أباح مسلم بن عقبة المدينة لجنده ثلاثة أيام، أحرقوا فيها معظم أحياء المدينة و قتلوا النساء و الأطفال و يذكر ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ١٥٢/١. أن مسلم قتل ثمانية من صحابة الرسول، و إنه أفنى البدرين و قتل من القرشيين و الأنصار سبعة فضلا عن عشرة آلاف من سائر الناس، ثم زحف مسلم نحو مكة لقتال ابن الزبير، و لكنه مات فى الطريق. ابن الأثير، الكامل فى التاريخ: ٥١/٤.

قدم رباح إلى المدينة في أواخر شهر رمضان سنة (١٤٤ هـ)، وقصد من فوره إلى دار مروان، وكان عبد الله بن الحسن محبوسا في قبة الدار منذ عهد زياد بن عبيد الله. وبعث رباح بأحد العلويين، وهو الحسن بن زيد، إلى السجين يطلب منه الكشف عن مكان إختفاء ابنه محمد.

ص: ١٦٣

فقال عبد الله: «يا بن أخي، والله لبليتني أعظم من بلية إبراهيم صلى الله عليه وآله، وإن الله عز وجل أمر إبراهيم أن يذبح ابنه، وهو لله طاعة.

قال إبراهيم: **إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ**^{٣٩٣}. وإنكم جئتموني في أن أتى بابني هذا الرجل فيقتلهما، وهو لله عز وجل وعرّ معصية»^{٣٩٤}.

ثم دخل رباح على عبد الله بن الحسن في سجنه، فقال له: أيها الشيخ! أن أمير المؤمنين والله ما استعملني لرحم قريبة، ولا يد سلفت إليه، والله لا لعبت بي كما لعبت بزياد وابن القسري، والله لأزهقن نفسك، أو لتأتيني بابنيك محمد وإبراهيم^{٣٩٥}، ولم يظفر رباح من السجين بجواب.

وبدأ رباح ينزل سخطه على سلفه محمد بن خالد القسري فقبض عليه وكبّله بالأغلال وأمر بضربه بالسياط ضربا مبرحا.

وقف رباح على منبر المدينة، فخطب في أهلها خطبة تذكروا بالخطبة التي ألقاها الحجاج بن يوسف الثقفي في مسجد الكوفة^{٣٩٦} وجاء في خطبة رباح:

«يا أهل المدينة، أنا الأفعى ابن الأفعى، عثمان بن حيّان، وابن عمّ مسلم بن عقبة المبيد خضراكم، المغني رجالكم، والله لأدعنها بلقعا لا ينبح فيها كلب»^{٣٩٧}.

زادت كلمات رباح أهل المدينة سخطا، فاستشاطوا غضبا، فما زالت وقعة الحرّة وما صحبها من فظائع ماثلة في أذهان أهالي المدينة، فصاحوا في وجه

ص: ١٦٤

رباح: «يا ابن المجلود حدّين، لتكفنّ أو لنكفنك عن أنفسنا»^{٣٩٨}.

^{٣٩٣} (١) الصّافات: ١٠٦.

^{٣٩٤} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢١٦.

^{٣٩٥} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٦٨ / ٦.

^{٣٩٦} (٤) انظر، ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ٣١ / ٢.

^{٣٩٧} (٥) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٤٥٢ / ٢.

^{٣٩٨} (١) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣٧٥ / ٢.

و تناهى إلى أسمع رباح أن محمد النفس الزكية مختف في شعب من شعاب رضوى^{٣٩٩}، فعهد إلى عم رو بن عثمان بن مالک الجهني، و هو من بنى جشم، بالخروج في خيل و رجال، للبحث عن محمد النفس الزكية و القبض عليه . و علم محمد بقدم رجال رباح فأسرع إلى الفرار، و لكن ولدا من أولاده، هوى من فوق الجبل فلقى حتفه، فأنشد محمد^{٤٠٠}:

تتكب أطراف مور حداد

منخرق السربال يشكو الوجى

كذاك من يكره حرّ الجلال

شرده الخوف فأزرى به

و الموت حتم من رقاب العباد

قد كان في الموت له راحة

نجا محمد النفس الزكية بنفسه، و ظل ينتقل من مكان إلى آخر، و لم يجد رباح من ينزل به سخطه غير أهل المدينة، فصعد على المنبر يسب محمداً و أخاه إبراهيم و وصفهما بالفاسقين الخالعين الطاعة، ثم هجا أمهما هند ابنة أبى عبيدة هجاء فاحشا مما أثار سخط أهل المدينة، فأحتجوا عليه، فقال مهدداً:

«ألصق الله بوجوهكم الذلّ و الهوان، أما و الله لأكتبن إلى خليفكم فلاعلمنه غشكم و قلّة نصحكم .» فثار الناس عليه و صاحوا في وجهه «الناس لا تسمع منك يا ابن المحدود» و رجموه بالحصى، فأسرع بالفرار و الإلتجاء إلى دار

ص: ١٦٥

٤٠١

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ؛ ص١٦٥

مروان، و احتشد الناس حول الدار يوجّهون إليه أقذع الشتائم و السباب^{٤٠٢}.

طلائع الثورة في المدينة:

كتب رباح إلى الخليفة يشرح له عصبان أهل المدينة و يفوض له أمرهم، فكتب المنصور رسالة وجّهها إلى أهالي المدينة، و طلب من رباح أن يقرأها عليهم من فوق المنبر و جاء في هذه الرسالة:

^{٣٩٩} (٢) و يسمّى جبل جهينة و هو من عمل ينبع.

^{٤٠٠} (٣) انظر، يعقوبي، تاريخ يعقوبي: ٢/ ٣٢٦، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦/ ١٧١ - ١٧٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥/ ٢٥٨، ابن أعثم، الفتوح لابن أعثم: ٧/ ١٠٠، المجدي، أنساب الطالبيين: ١٨٧، الذهبي، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٦/ ٢١٢، ابن عساكر، تاريخ دمشق:

٦٦/ ٣٤٦، ابن عنبه، عمدة الطالب: ٢٨٨، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٥٦ و ٢٠٧ و ٢٧٢.

^{٤٠١} ليثي، سميره مختار، جهاد الشيعه في العصر العباسي الاول، جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ ه.ق.

^{٤٠٢} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦/ ١٧١ - ١٧٢.

«يا أهل المدينة، فأنّ واليكم كتب إليّ يذكركم غشكم و خلافتكم و سوء رأيكم و استمالتكم على بيعة أمير المؤمنين . و أمير المؤمنين يقسم بالله لئن لم تنزعوا لبيدلتكم بعد أمنكم خوفاً، و ليقطعن البر و البحر عنكم، و لبيعن عليكم رجالاً غلاظ الأكباد بعاد الأرحام»^{٤٠٣}.

و قد قصد المنصور بهؤلاء الرّجال بعاد الأرحام أن يبعث إلى المدينة جيشاً من أهالي فارس و خراسان و هم شيعة العبّاسيّين لإنزال العقاب بأهل المدينة.

لم تفلح رسالة المنصور في تهدئة النفوس الثائرة في المدينة، فلم ير المنصور بدا من الرّحيل إلى الحجاز في موسم الحجّ سنة (١٤٤ هـ)، و رأى المنصور أنّ يدخل المدينة و هي تضطرم بنار السّخط و الثّورة عليه، فنزل موضعا خارجها يسمّى (الرّبذة)^{٤٠٤} و قدم والي المدينة رباح على الخليفة، يصف له ما عاناه من عصيان أهل المدينة و أمر الخليفة واليه بإحضار المسجونين من بنيّ الحسن، لعلّه يظفر منهم بمكان إختفاء محمّد النّفس الزّكيّة.

ص: ١٤٤

حمل رباح المسجونين إلى الخليفة، و هم مكبلون بالأغلال و ألقوا بهم في الموضع الذي أقام المنصور فيه . و شعر عبد الله بن الحسن بالعطش الشديد فصاح يا معشر النّاس، من يسقى ابن رسول الله شربة ماء، فلم يجد مجيباً.

و مثل المسجونون بين يدي المنصور، فقال عبد الله للخليفة : يا أبا جعفر و الله ما هكذا فعلنا بأسرائكم يوم بدر، فتفل المنصور عليه^{٤٠٥}.

سأل المنصور بنيّ الحسن عن مكان محمّد النّفس الزّكيّة فلم يظفر منهم بجواب فأخذ يعنفهم و نكل ببعضهم^{٤٠٦}. ثمّ أمر المنصور بإنفاذهم إلى الكوفة على ظهور إبل بدون وطاء^{٤٠٧}. و هناك أنزلوا في سجن قصر ابن هبيرة. قرب الهاشميّة و كان السّجن سرداباً تحت الأرض، حيث لا يفرقون بين ضياء النّهار و سواد اللّيل^{٤٠٨}. و لقي كثير من المسجونين حتفهم في هذا السّجن المظلم، فكان منهم محمّد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان، فأختزوا رأسه و بعثوا بها مع جماعة من الشيعة إلى خراسان فطافوا بالرّأس في مدن خراسان، و هم يزعمون أنّه رأس محمّد النّفس الزّكيّة^{٤٠٩}.

أفاض الجاحظ في وصف ما لحق بنيّ الحسن، فقال : و مضى المنصور ببنيّ حسن إلى الكوفة فسجنهم بقصر ابن هبيرة، و أحضر محمّد بن إبراهيم بن الحسن و أقامه، ثمّ بنى عليه أسطوانة و هو حيّ و تركه حتّى مات جوعاً و عطشاً ثمّ قتل أكثر من معه من بنيّ الحسن. و كان إبراهيم الغمر بن الحسن بن الحسن بن

ص: ١٤٧

^{٤٠٣} (٢) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٥٢.

^{٤٠٤} (٣) الرّبذة: من قرى المدينة على بعد ثلاثة أميال منها و بما قبر أبي ذر الغفاري. انظر، ياقوت، معجم البلدان: ٤ / ٢٢٢.

^{٤٠٥} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ١٧١، يذكره بوقوع العبّاس بن عبد المطلب أسيراً يوم بدر.

^{٤٠٦} (٢) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٤٥٠.

^{٤٠٧} (٣) انظر، أي بدون غطاء.

^{٤٠٨} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٠٦، الجاحظ، التّزاع و التّخاصم: ٧٤.

^{٤٠٩} (٥) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ١٨٣، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٢٦.

على بن أبي طالب فمن حمل مصفدا بالحديد من المدينة إلى الأنبار، وكان يقول لأخويه عبد الله والحسن: تمنينا ذهاب سلطان بني أمية، وأستبشرنا بسلطان بني العباس، ولم يكن قد انتهت بنا الحال إلى ما نحن عليه^{٤١٠}.

أدرك المنصور خطورة ما أقدم عليه من سجن كثير من آل على بن أبي طالب و كان يعرف تشييع كثير من أهل فارس و خراسان، و تقديرهم الكبير لعلی و آل بيته. و لذا كان عليه أن يبرر موقفه من هؤلاء العلويين فصعد على المنبر بالهاشمية و ألقى خطبة طويلة^{٤١١} بدأها بقوله:

«يا أهل خراسان، أنتم شيعتنا و أنصارنا، و أهل دعوتنا، و لم بايعتم غيرنـا لم تبائعوا خيرا منّا، أن ولد ابن أبي طالب تركناهم و الذي لا إله إلا هو و الخلافة فلم نعرض لهم لا بقليل و لا بكثير».

ثم استعرض المنصور تأريخ العلويين فتحدث عن موقف الحكمين من على ابن أبي طالب و إنقسام جنده، و ما كان من مصرعه. ثم تحدث المنصور عن تنازل الحسن بن على عن الخلافة لمعاوية بن أبي سفيان، ثم أشار إلى خذلان أهل الكوفة للحسين بن على مما أدى إلى مصرعه. ثم تحدث المنصور عن ثورة زيد ابن على و تحذير محمد بن على العباسي، والد المنصور، و داود بن على، عمه، لزيد من خذلان أهل الكوفة^{٤١٢}، ثم أشار المنصور إلى ما لاقاه بنو العباس من اضطهاد الأمويين لهم نتيجة ثورات العلويين^{٤١٣} ثم تحدث عن موقف

ص: ١٦٨

العلويين من الدولة العباسية فقال: «فلما استقرت الأمور فينا على قرارها من فضل الله و حكمه العدل و ثبوا علينا، حسدا منهم لنا و بغيا عليهم، بما فضلنا الله به عليهم، و أكرمنا من خلافته ميراثنا من نبيه، و جبننا من بني أمية و جرأة علينا. و إنني و الله يا أهل خراسان ما أتيت من هذا الأمر من جهالة و لا عن ظنة^{٤١٤}.

البيعة لمحمد النفس الزكية بالخلافة:

فطن المنصور إلى أنه أخفق تماما في التوصل إلى مكان محمد النفس الزكية.

و كان عليه الإنتظار حتى يقوم محمد بالثورة. و ما لبث محمد حتى ظهر في المدينة سنة (١٤٥ هـ)، و أخذ البيعة من الناس بالخلافة، و تلقب بأمير المؤمنين.

و قد نتساءل ما الذي دفع محمد النفس الزكية إلى إعلان الثورة في هذه السنة؟.

^{٤١٠} (١) انظر، الجاحظ، النزاع و التخاصم: ٧٤.

^{٤١١} (٢) انظر، نص الخطبة في مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٣١١.

^{٤١٢} (٣) قال داود بن علي لزيد: «إني لخائف إن رجعت معهم- أي الشيعة- أن لا يكون أحد أشد عليك منهم و أنت أعلم». ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢٦٥ / ٨، المسعودي، مروج الذهب: ١٣٩ - ١٤٠.

^{٤١٣} (٤) بعد إخفاق ثورة زيد بن علي اضطهد الوالي الأموي يوسف بن عمر الثقفي بني هاشم عاقبة ابن- قتيبة، الإمامة و السياسة: ٢ / ١٣٠.

^{٤١٤} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣١١، نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشيعة الإمامية: ١٨٩.

ذكر المؤرخون روايات كثيرة تعدد أسبابا مختلفة دفعت محمدا إلى المبادرة بإعلان ثورته، فيرى الطبري أن ملاحقة رباح لمحمد و تنبئه له دفعه إلى الظهور، فيقول : لما انحدر أبو جعفر ببني الحسن، رجع رباح إلى المدينة، فألح في الطلب، و أخرج محمدا، حتى عزم على الظهور^{٤١٥}.

أما المسعودي فيرى أن ما لحق ببني الحسن على يد المنصور، كان هو الدافع إلى ثورة محمد فقال : «كان أي محمد، مستخفيا من المنصور، و لم يظهر حتى قبض المنصور على أبيه عبد الله بن الحسن و عمومته و كثير من أهله و عدلهم و عدتهم»^{٤١٦}. و يرى ابن طبابا مثل هذا الرأي فيقول: «كان عبد الله المحض يقول

ص: ١٦٩

للناس عن ابنه محمد هذا هو المهدي الذي بشر به هذا محمد بن عبد الله، ثم ألقى الله محبته على الناس فمالوا إليه كافة، ثم عضد ذلك أن أشراف بني هاشم بايعوه و رشحوه للأمر، فقدّموه على نفوسهم فزادت رغبته في طلب الأمر و زادت رغبة الناس فيه . و ما زال متغريا منذ أفضت الدولة إلى بني العباس خوفا منهم على نفسه، فلما علم بما جرى لوالده، و لقومه ظهر بالمديق و أظهر أمره»^{٤١٧}.

أما الإصفهاني، فيرى أن ما هدّد موسى أخاه محمد كان سبب التعجيل بثورته فيقول : «و كان سبب عجلته بالخروج قبل أن يتم أمر دعائه الذين أنفذهم إلى الآفاق^{٤١٨}، إنفاذ عبد الله بن الحسن إليه موسى أخاه ليصير إلى أبي جعفر، و يزول عما كان عليه فما أظهر له، و أسرّ إلى موسى غير ذلك، فصار إلى المدينة فأقام بها حولا يدافع رباح بن عثمان، ثم أستبطأه، و كتب إلى أبي جعفر في أمره يعلمه بتربصه، فكتب إليه يأمره بأن ينحدر إلى العراق ففعل ذلك، و قال للرسل : إن رأيتم قد أقبل من المدينة في طلبكم فأضربوا عنق موسى، و قد كان أحسنّ بخبر محمد و بلغ ذلك محمدا فظهر»^{٤١٩}.

و لكننا نرى أن إلحاح أنصار محمد النفس الزكية عليه في إظهار نفسه و إعلان ثورته، كان السبب في التعجيل بذلك، قبل أن تتوفر لهذه الثورة كل مقومات النجاح.

ص: ١٧٠

فيروى الطبري^{٤٢٠} و المسعودي^{٤٢١} و الإصفهاني^{٤٢٢} أن جماعة من أنصار النفس الزكية^{٤٢٣}، دخلوا عليه فقالوا له : ما تنتظر الخروج، و الله ما تجد هذه الأمة أحدا أشأم عليها منك، ما يمنعك أن تخرج وحدك؟.

^{٤١٥} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٨٣/٦، ابن قتيبة: المعارف: ١٦٤.

^{٤١٦} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٦/٢.

^{٤١٧} (١) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٤٨.

^{٤١٨} (٢) بعث محمد ابنه الحسن إلى اليمن و أخاه موسى إلى الجزيرة و أخاه يحيى إلى الرّي ثم إلى طبرستان و أخاه إدريس إلى المغرب و أخاه إبراهيم إلى البصرة، و ابنه عليا إلى مصر و سترى مصر هؤلاء الدعاة في هذا الفصل. انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٨/٣، المقرئ، الخطط: ١٥٣/٤، أبو الحسن، التجوم الزاهرة: ٢٨٠/٢.

^{٤١٩} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٦٠.

^{٤٢٠} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٨٤/٦.

^{٤٢١} (٢) انظر، المسعودي، التنبيه و الأشراف: ٣٤٠.

^{٤٢٢} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٦١.

^{٤٢٣} (٤) و هم عبيد الله بن عمر، و ابن ذئب، و عبد الحميد بن جعفر.

بدأ محمد النفس الزكية ثورته في المدينة في أول رجب سنة (١٤٥ هـ)، وأقبل كثير من أهلها على البيعة له بالخلافة فقد كان محمد، كما وصفه صاحب الفخرى^{٢٢٤} من سادات بني هاشم ورجالهم فضلا وشرفا وعلما وشجاعة وفصاحة ورياسة وكرامة ونبلا.

قام محمد النفس الزكية بثورته فجأة، دون أن يكون رباح بن عثمان والي المدينة قد أخذ للأمر أهميته. و قدم محمد في رفقة مئتين وخمسين رجلا إلى سجن المدينة^{٢٢٥}، فأقتحموه وأطلقوا سراح المسجونين فيه. و طاف الجميع بطرقات المدينة يكبرون ويصيحون فتردد صيحاتهم في جنبات مدينة الرسول تعلن قيام أحد أحفاده بالثورة ضد بني العباس و حرص محمد النفس الزكية أن تكون ثورته بيضاء، فنهى أصحابه عن إراقة الدماء فكان يقول لأصحابه لا تقتلوا، لا تقتلوا^{٢٢٦}.

فوجيء والي المدينة رباح بقيام الثورة، فلم يستطع أن يحرك ساكنا، و لم يجد

ص: ١٧١

مفرّا غير الإعتصام بدار مروان، و هدم درج الدار حتى لا يصل التّوار إليه. و لم يجد رباح ما ينفس به عن حنقه و سخطه غير كلمات عنيفة وجهها إلى مجالسيه، حيث قال: «يا أهل المدينة، أمير المؤمنين يطلب بغيته في شرق الأرض و غربها و هو يتفق بين أظهركم، أقسم بالله لئن خرج لا أترك منكم أح دا إلّا ضربت عنقه^{٢٢٧}. و لم يجد رباح من يؤيده من أهالي المدينة غير بنى زهرة فقدم بعضهم بسلاحه إلى دار الإمارة لحماية والي العباسي. بينما آثر بنو سلمة الإنضمام إلى محمد النفس الزكية.

قدم زعيم الثورة مع أنصاره إلى دار الإمارة فأقتحموها و استولوا على بيت المال و قبضوا على رباح و على أخيه عباس بن عثمان و حبسوهما في دار مروان^{٢٢٨}.

و صعد محمد النفس الزكية منبر المدينة، فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال:

«أما بعد، أيها الناس، فإنّه كان من أمر هذا الطاغية عدوّ الله أبي جعفر أ لم يخف عليكم من بنائه القبّة الخضراء التي بناها معاندا لله في ملكه، و تصغيرا للكعبة الحرام، و إنّما أخذ الله فرعون حين : **فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**^{٢٢٩}. و أنّ أحقّ الناس بالقيام بهذا الدّين أبناء المهاجرين الأولين و الأنصار المواسين، ألّهم أنّهم قد أحلوا حرامك، و حرّموا حلالك، و آمنوا من أخفت، و أخافوا من آمنت، ألّهم فأحصهم عددا و أقتلهم بددا، و لا تغادر منهم أحدا.

أيّها الناس، إنّني و الله ما خرجت من بين أظهركم، و أنتم عندى أهل قوّة، و لا شدّة، و لكنّي اخترتكم لنفسى، و الله ما جئت هذه و في الأرض مصر يعبد الله فيه

^{٢٢٤} (٥) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٤٨.

^{٢٢٥} (٦) كانت السّجن في دار هشام.

^{٢٢٦} (٧) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٦٣.

^{٢٢٧} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٨٥ / ٦.

^{٢٢٨} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢١٣.

^{٢٢٩} (٣) التّازعات: ٢٤.

إِلَّا وَ قد أخذ لي فيه البيعة^{٤٣٠}.

وصف النفس الزكية الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور بالطغيان و شبهه بفرعون و غيره ببناء القبة الخضراء في عاصمته الجديدة بغداد، و ذكر محمد أنه أحق أبناء المهاجرين في تولي الخلافة فلم يقصر الأمر على آل علي بن أبي طالب، أو على بني هاشم، كما أنه كان يعرف أن المدينة هي موطن أنصار الرسول، و لذا لم تفته الإشارة إليهم . ثم أشار محمد إلى أن جميع الأمصار الإسلامية قد بايعت، و لا نعلم إذا كان محمد قد ذكر ذلك لأهل المدينة تأييدا لحقه و لحثهم على البيعة له أنه كان موقنا فعلا أن البيعة قد أخذت له في سائر الأمصار و إن كنا نرجح الرأي الأول.

يلقى الدكتور حسن إبراهيم على خطبة محمد النفس الزكية، فيقول : «أن الناظر في هذه الخطبة ليقف على أن محمدا كان مدفوعا في خروجه بعدة عوامل : فقد كان ينشد الخلافة، و يرى أنه أحق الناس بها . كما كان يحقد على المنصور لإعتلائه عرش الخلافة و تعذيبه أهل بيته حتى مات أكثرهم في السجن . و ساعد على ذلك موالاة الناس له، و لا سيما بعد أن أفتى مالک بجواز بيعته و إعتقاده أنه قد أصبح أقوى من المنصور»^{٤٣١}.

قدم كثير من أهالي المدينة على الإمام مالک بن أنس يستفتونه في الخروج مع محمد النفس الزكية، و قالوا له : إن في أعناقنا بيعة لأبي جعفر فقال مالک لهم:

«إنما بایعتم مكرهين و ليس على كل مكره يمين»^{٤٣٢}.

و كان للإمام قدر عظيم و منزلة كبيرة في المدينة، و لذا كانت لتفواه أثرها في إقبال أهالي المدينة على البيعة للنفس الزكية^{٤٣٣}.

بايع وجوه المدينة محمدا عدا نفر قليل، منهم أبو سلمة بن عبيد الله بن عبد الله ابن عمر بن الخطاب، و حبيب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، و عبد الوهاب بن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير^{٤٣٤}. كما انضم إلى محمد النفس الزكية فقيه المدينة محمد بن عجلان، و كان موضع تقدير أهالي المدينة، فكان له حلقة في مسجد النبي صلى الله عليه و آله يفتي فيها

^{٤٣٠} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٨٨ / ٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٥٥ / ٥.

^{٤٣١} (٢) انظر، حسن، تاريخ الإسلام: ١١٥ / ٢.

^{٤٣٢} (٣) انظر، الإفادة في تاريخ الأئمة الستة: ٥٨، التحف شرح الزلف، لمجد الدين بن محمد المؤيدي: ٧٩، الطبعة الثالثة.

^{٤٣٣} (١) انظر، ابن حجر، تاريخ الطبري: ١٩٠ / ١، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ٨١ / ٣.

^{٤٣٤} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٩٠ / ٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٥٧ / ٥.

النَّاسَ و يَحْدِثُهُمْ حَتَّى إِذَا قَامَتِ الثَّوْرَةُ شَارَكَ فِيهَا ^{٢٣٥}، وَ انْضَمَّ إِلَيْهِ أَيْضًا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْمَصُورِ بْنِ مَخْرَمَةَ، وَ كَانَ مِنْ أَبْرَزِ عُلَمَاءِ الْمَدِينَةِ فِي الْفَقْهِ وَ الْحَدِيثِ وَ الْفَتْوَى ^{٢٣٦}.

وَ أَطْلَقَ مُحَمَّدُ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةُ سِرَاحَ مُحَمَّدِ بْنِ خَالِدِ الْقَسْرِيِّ ^{٢٣٧}، وَ إِلَى الْمَدِينَةِ السَّابِقِ الَّذِي كَانَ قَدْ سَجَنَهُ رِبَاحُ بْنُ عَثْمَانَ بْنِ حَيَّانَ. وَ خَطَبَ الْقَسْرِيُّ أَهَالَيَ الْمَدِينَةِ قَائِلًا: «هَذِهِ دَعْوَةُ حَقٍّ وَ اللَّهُ لَأُبْلِينَ اللَّهَ فِيهَا بِلَاءَ حَسَنًا» وَ لَكِنِ الْقَسْرِيُّ لَمْ يَسْتَمِرَّ عَلَى تَأْيِيدِهِ لِلنَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ، فَكَتَبَ سِرًّا إِلَى الْخَلِيفَةِ الْمَنْصُورِ يَعْلَمُهُ بِقَلَّةِ جِنْدِ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ وَ أَنْصَارِهِ وَ عِلْمِ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ الْأَمْرِ، فَسَجَنَهُ. وَ ظَلَّ الْقَسْرِيُّ حَبِيسًا، حَتَّى أَطْلَقَ عَيْسَى بْنُ مُوسَى سِرَاحَهُ بَعْدَ قَتْلِ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ ^{٢٣٨}.

ص: ١٧٤

الدَّعْوَةُ لِلنَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ فِي الْأُمُصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ:

بَدَأَ مُحَمَّدُ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ يُمَارِسُ سُلْطَانَهُ كَخَلِيفَةٍ، فَاخْتَارَ وَلَاتَهُ وَ عَمَّالَهُ:

فَوَلَّى الْحَسَنَ بْنَ مَعَاوِيَةَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ عَلَى مَكَّةَ، كَمَا وَلَّى الْقَاسِمَ بْنَ إِسْحَاقَ عَلَى الْيَمَنِ وَ مُوسَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ عَلَى الشَّامِ، وَ لَكِنِ الْوَالِيَّيْنِ لَمْ يَتَسَنَّ لِهَمَا مُمَارَسَةَ الْحُكْمِ، فَقَدْ قَتَلَ مُحَمَّدُ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَا إِلَى وَلَايَتِهِمَا ^{٢٣٩}.

[إِرْسَالُ مُحَمَّدِ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ بَعْضَ أُخُوْتِهِ وَ أَوْلَادِهِ إِلَى الْأُمُصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ]

وَجَّهَ مُحَمَّدُ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ بَعْضَ أُخُوْتِهِ وَ أَوْلَادِهِ إِلَى الْأُمُصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ فَوْجَهُ ابْنَهُ عَلِيًّا إِلَى مِصْرَ، وَ بَعَثَ ابْنَهُ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى خُرَاسَانَ فَلاحقه العباسيون فهرب إلى السُّنْدِ حَيْثُ لَقِيَ حَتْفَهُ . كَمَا بَعَثَ مُحَمَّدُ ابْنَهُ الْحَسَنَ إِلَى الْيَمَنِ، حَيْثُ قَبِضَ عَلَيْهِ وَ سَجَنَ، وَ مَا لَبِثَ أَنْ مَاتَ فِي سَجَنِهِ. وَ بَعَثَ مُحَمَّدُ أَيْضًا أَخَاهُ مُوسَى إِلَى الْجَزِيرَةِ ^{٢٤٠}، كَمَا وَجَّهَ أَخَاهُ يَحْيَى إِلَى الرَّيِّ ثُمَّ إِلَى طَبْرِسْتَانَ وَ سَنَرَى فِي الْفُصُولِ الْقَادِمَةِ مِنْ هَذَا الْبَحْثِ مَاذَا يَكُونُ الْمَوْقِفُ بَيْنَ يَحْيَى وَ الْخَلِيفَةِ هَارُونَ الرَّشِيدِ . كَمَا وَجَّهَ مُحَمَّدُ أَخَاهُ إِدْرِيسَ إِلَى الْمَغْرِبِ حَيْثُ إِنْتَفَى حَوْلَهُ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِهَا، وَ كَانَ رَحِيلُهُ نَوَاطِءَ قِيَامِ دَوْلَةِ الْأَدَارِسَةِ فِي هَذِهِ الْبِلَادِ، كَمَا بَعَثَ مُحَمَّدُ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ أَيْضًا أَخَاهُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى الْبَصْرَةِ، فَأَخَذَ الْبَيْعَةَ مِنْ أَهَالِي فَارَسَ وَ الْأَهْوَازَ وَ غَيْرِهِمَا مِنَ الْأُمُصَارِ، ثُمَّ أَعْلَنَ الثَّوْرَةَ فِي الْبَصْرَةِ حَيْثُ لَقِيَ حَتْفَهُ كَمَا سَنَرَى فِي الْفَصْلِ التَّالِي ^{٢٤١}.

قَدَّمَ عَلَى بْنِ مُحَمَّدِ النَّفْسِ الزُّكِّيَّةِ إِلَى مِصْرَ، فَكَانَ أَوَّلَ عُلُوِّ يَقْدُمُ إِلَيْهَا ^{٢٤٢}

ص: ١٧٥

^{٢٣٥} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٨٩.

^{٢٣٦} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٩١.

^{٢٣٧} (٥) كان أبوه خالد القسري واليا على العراق في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك و قد أحسن معاملة بني هاشم انظر، الدَّينوري، الأخبار الطَّوال: ٣٣٩.

^{٢٣٨} (٦) انظر، ابن جرير، لُتُخُجِ الطَّيْرِي: ١٩١ / ٦، ابن الأثير، الكامل في التَّأْرِيخ: ٢٥٧ / ٥.

^{٢٣٩} (١) انظر، ابن جرير، تَأْرِيخِ الطَّيْرِي: ١٩١ / ٦.

^{٢٤٠} (٢) لم يَجْزِئَنَا الْمَسْعُودِي الَّذِي نَقَلَ عَنْهُ هَذَا النَّصَّ مَصِيرَ مُوسَى.

^{٢٤١} (٣) انظر، المسعودي، مَرْوَجُ الدَّهَبِ: ٣٠٨ / ٣.

^{٢٤٢} (٤) انظر، محمد الحسين المظفري، تَأْرِيخُ الشَّيْعَةِ: ١٧٥.

و تحدد الأستاذة الدكتورة سيّدة كلشف^{٤٤٣} بداية الدّعوة العلوية في مصر بقدوم هذا العلوى، في عهد المنصور، و في إمارة حميد بن قحطبة (١٤٣ - ١٤٤ هـ)^{٤٤٤}، حيث دعا لأبيه و عمّه . و قام بأمر الدّعوة العلوية خالد بن محمد بن أبى طالب و شيعته. و لكن جهود هذا العلوى ما لبثت أن انتهت بنهاية حركتى النفس الزكيّة و أخيه إبراهيم . و ركنت الشّيعه في مصر إلى الهدوء طوال العصر العبّاسيّ الأوّل، حتّى كان عهد الخليفة العبّاسيّ المتوكّل، الذى شنّ حربا شعواء على آل علىّ بن أبى طالب، فكتب إلى واليه بمصر يأمره بإخراج العلويّين من مصر إلى العراق سنة ٢٣٦ هـ^{٤٤٥}.

و اختلفت الروايات حول مصير علىّ بن محمد النفس الزكيّة، فقليل أنّه قبض عليه و أرسل إلى الخليفة المنصور، و تذكر روايات أخرى أنّه اختفى عن الأنظار في مصر حتّى أدركته منيته. و ترجّح الأستاذة الدكتورة سيّدة كلشف^{٤٤٦} الرّأى الثّانى.

و ممّا يلفت النّظر، أنّ بعض الأمويّين الذين كانوا يعيشون في مصر، قد بايعوا علىّ بن محمد، رغم ما نعرفه من عداء تقليدى قديم بين الأمويّين و العلويّين، و من هؤلاء الأمويّين مصعب، و منور، و زيد أبناء الأصبق بن عبد العزيز بن مروان^{٤٤٧}.

[اختلاف موقف القبائل في بلاد الحجاز من ثورة محمد النفس الزكيّة]

اختلف موقف القبائل في بلاد الحجاز من ثورة محمد النفس الزكيّة، و كانت أولى القبائل الثّى واثه هى قبيلة جهينة الثّى آوته و أخفته و حمته، كما

ص: ١٧٦

أعلنت قبيلة مزينة ولاءها للنفس الزكيّة . و لكن موقف هاتين القبيلتين من الزعيم العلوى جرّ عليهما سخط الخليفة المنصور، فقد أمر بالقبض على أربعئة من أبناء القبيلتين و تعذيبهم فى (الربذة) قرب المدينة قيظ الشّمس، بعد أن قبض على آل عبد الله عبد الحسن^{٤٤٨}.

و من القبائل الثّى انضمت إلى محمد النفس الزكيّة و أصبح أبناؤها عدة قواته العسكريّة، قبائل : بنو سليم، و بنو بكر، و أسلم و غفار. و قد اشتركت قوات من مهيئة و مزينة فى السّيطرة على الطّائف و انتزاعها من الوالى العبّاسيّ^{٤٤٩} و كان بنو شجاع من جهينة أكثر جنود النفس الزكيّة حماسة و استبسالا.

و لكن كانت هناك قبائل أعلنت ولاءها للخليفة العبّاسيّ و لم تنضم إلى محمد النفس الزكيّة، و هم بنو زهرة، و بنو عمرو و بنو غفار. و قد ساعد بنو غفار العبّاسيين على طعن قوات محمد النفس ال زكيّة من الخلف حين غزت القوات العسكريّة العبّاسيّة المدينة^{٤٥٠}.

^{٤٤٣} (١) انظر، سيّدة كلشف، مصر في عصر الولاة: ٨٨.

^{٤٤٤} (٢) انظر، الإفادة في تأريخ الأئمة السّادة: ٦٠، التّحف شرح الزّلف، لجّد الدّين بن محمد المؤيدى: ٧٩، الطّبعة الثّالثة، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢١٦.

^{٤٤٥} (٣) انظر، المقرئى، الخطط: ١٥٣ / ٤.

^{٤٤٦} (٤) انظر، سيّدة كلشف، مصر في عصر الولاة: ٨٨.

^{٤٤٧} (٥) انظر، أبو المحاسن، التّحوم الزّاهرة: ٢ / ٢٨٠.

^{٤٤٨} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ١٩٠.

^{٤٤٩} (٢) انظر، الإصفهاني، الأغاني: ١٠ / ٣٠١.

جزع الخليفة المنصور و وسائله في مواجهة الثورة:

و لنترك المدينة حيث أعلن محمد النفس الزكية ثورته، و بايع لنفسه خليفة، و لنرحل إلى بلاد العراق، لنرى موقف الخليفة أبي جعفر المنصور من هذه الثورة العلوية.

خرج رسول من المدينة يدعى أوس العامري، يسرع الرّحال إلى الخليفة المنصور لينبئه بأمر ثورة النفس الزكية، فقطع المسافة في تسعة أيام فقط،

ص: ١٧٧

فوصل إلى دار المنصور ليلا، و كانت هذه الدار على شاطئ دجلة، حيث كان يشرف على بناء عاصمته الجديدة بغداد^{٤٥١} و ألح الرسول في لقاء الخليفة إلحاحا شديدا، حتّى إذا أدخله الحاجب الربيع بن يونس على الخليفة أنبأه بالثورة، و أبدى المنصور سروره لوصول الرسول في أيام قليلة و منحه تسعة آلاف درهم، ألفا عن كلّ ليلة قضاهما في السفر^{٤٥٢}.

كان المنصور قد بدأ بناء عاصمته الجديدة بغداد فبدأ بناءها بالقصب و بلغ ارتفاع السور عند قيام ثورة النفس الزكية قامة. و رأى المنصور أن يتوقف عن البناء حتّى يتفرغ للقضاء على الثورة و خرج المنصور إلى الكوفة^{٤٥٣}.

و يرجع سبب خروج المنصور إلى ا لكوفة إلى أنّه كان قد بعث بعض خاصته إلى عمّه عبد الله بن عليّ في سجنه يستشيرونه في هذا الأمر الخطير، و كان عبد الله قد اشتهر بين العباسيين بالرأى السديد فتوجّه عبد الله إلى المنصور بالنصيحة فقال: ارتحل الساعة حتّى تأتى الكوفة، فاجثم على أكبادهم فا نهم شيعة هذا البيت و أنصارهم ثمّ أحففها بالمسالح فمن خرج منها إلى وجه من الوجوه أو أتاهما من وجه من الوجوه فأضرب عنقه و ابعث إلى سلم بن قتيبة ينحدر عليك^{٤٥٤} و أكتب إلى أهل الشام فمرهم أن يحملوا إليك أهل البأس و النجدة ما يحمل البريد فأحسن جوائزهم و وجههم مع سلم^{٤٥٥}.

ص: ١٧٨

و كان المنصور معروفا بالشج و التقدير^{٤٥٦}، و لذا توجّه عبد الله بن عليّ إلى خاصّة المنصور بنصيحة أخرى فقال: إنّ البخل قد قتله، فمروه فليخرج الأموال فليعط الأجناد، فإن غلب فما أوشك أن يعود إليه ماله و إن غلب لم يقدم صاحبه على درهم واحد^{٤٥٧}.

^{٤٥٠} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٩٥ / ٦.

^{٤٥١} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٨ / ٣.

^{٤٥٢} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٤٨ - ١٤٩.

^{٤٥٣} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٩٢ / ٦.

^{٤٥٤} (٤) كان سلم بن قتيبة حينئذ بالري.

^{٤٥٥} (٥) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٦٤ / ٦.

^{٤٥٦} (١) اشتهر المنصور باسم (الدوانيقي) لأنّه كان حريصا على الدّانق. و قيمته أقل من المليم.

^{٤٥٧} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٦٤ / ٦، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٦٦.

استشار المنصور كثيراً من خاصته و من بينهم منجمه الحارث^{٤٥٨} الذي قال للمنصور: يا أمير المؤمنين، ما يجرعك منه، فوالله لو ملك الأرض ما لبث إلّا تسعين يوماً^{٤٥٩}.

تراسل المنصور و النفس الزكية:

رأى المنصور أن يكتب رسالة إلى م حمد النفس الزكية. و لم يذكر المؤرخون تعليلاً لذلك، و لكننا نرى أنه أراد أن يبذل آخر محاولة سليمة لإثناء النفس الزكية عن عزمه، و حتى يبرر لعامة الناس ما هو مقدم عليه من إنفاذ الجيوش، و حتى يبدو محمد أمام الناس كنائر على الدولة العباسية إذا أبى الرجوع عما انتواه.

بدأ المنصور رسالته بآيات كريمة تحمل التحذير و الوعيد^{٤٦٠}، ثم تقدّم

ص: ١٧٩

بعروض كثيرة. إن رأى محمد النفس الزكية العدول عن ثورته، فكتب المنصور و لك على عهد الله و ميثاقه و ذمته و ذمة رسوله صلى الله عليه و آله، إن تبت و رجعت من قبل أن أقدر عليك أن أوّمنك و جميع ولدك و أخوتك و أهل بيتك، و من أتبعكم على دمائكم و أموالكم و أسوغك ما أصبت من دمّ أو مال، و أعطيك ألف ألف درهم، و ما سألت من الحوائج و أنزلك من البلاد حيث شئت و أن أطلق من في الحبس من أهل بيتك و أن أوّمن كلّ من جاءك و ما بعدك و أتبعك أو دخل معك في شىء من أمرك، ثم لا أتبع أحدا منهم بشىء كان منه أبداً، فإن أردت أن تتوثق لنفسك فوجهه إلى من أحببت يأخذ لك من الإيمان و العهد و الميثاق ما تتق به^{٤٦١}.

و بعث محمد النفس الزكية برّد مسهب على رسالة المنصور، فبدأها بآيات كريمة تتحدث عن طغيان فرعون^{٤٦٢}، ثم عرض محمد الأمان على المنصور إن دخل في طاعته، حيث أنه صاحب الحق في الخلافة، فقال: «و أنا أعرض عليك من الأمان مثل الذي عرضت علىّ، فإن الحق حقنا، و إنما ادعيت هذا الأمر بنا و خ رجتم له بشيعتنا و حظيتم بفضلنا، و إنّ أبانا علينا كان الوصي و كان الإمام، فكيف ورثتم ولايته و ولده أحياء؟ ثم افتخر محمد على المنصور بانتسابه إلى

ص: ١٨٠

^{٤٥٨} (٣) كان المنصور يستعين بالمنجمين، و قد اعتمد عليهم في تحديد اليوم الذي وضع فيه حجر الأساس لمدينة بغداد فقد استشار ابن نوبخت، إيراهيم بن معقل الغزازي، ابن الكثير، البداية و النهاية:

٩ / ٩٨، ياقوت، معجم البلدان: ١ / ٤٥٨.

^{٤٥٩} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ١٦٤.

^{٤٦٠} (٥) انظر، هذه الآيات هي: $\text{إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَ رُسُلَهُ وَ يَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْرَأُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ$ E المائدة: ٣٣ - ٣٤.

^{٤٦١} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٧ / ١٩٥.

^{٤٦٢} (٢) انظر، و هذه الآيات القرآنية هي: $\text{طَسَمَ تِلْكَ آيَاتِ الْكِتَابِ الْمُبِينِ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ مِنْ نَبِإِ مُوسَى وَ فِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَ جَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَبْنَاءَهُمْ وَ يَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ وَ نُفِذْ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ يُجْعَلُهُمْ أُتُمَةً وَ يُجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَ تُمْكِنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ تُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ$ E القصص: ١ - ٦.

فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وآله وإلى السيدة خديجة زوج الرسول وإلى الحسن والحسين ابني عليّ، ثم عير المنصور لأنّه ابن أمة»^{٤٦٣}. ثم سخر النفس الزكية من الأمان الذي عرضه المنصور عليه، لما اشتهر المنصور به من نكته لعهوده، فكتب محمّد: «و أنا أولى بالأمر منه و أوفى بالعهد لأنك أعطيتني من العهد و الأمان ما أعطيته رجلا قبلي، فأى الأمانات تعطيني؟. أمان ابن هبيرة؟. أم أمان عمك عبد الله بن عليّ، أم أمان أبى مسلم؟»^{٤٦٤}.

غضب المنصور غضبا شديدا، حين قرأ رسالة النفس الزكية، و أبى إلّا أن يجيب عليها بنفسه، فقد عرض عليه وزيره أبو أيوب المورياني أن يتولى عنه ذلك، فأصر على رأيّه فكتب رسالة طويلة كلّها فخر بالأنسب و الآباء و الأمّهات و الأعمام، ثم حاول أن يدفع عن نفسه ما عيره محمّد به من أن أمّه جارية^{٤٦٥}، فذكر له أسماء بعض زعماء العلويين الذين إنحدروا من أمّهات أولاد^{٤٦٦}.

و نفى المنصور ما يذهب النفس الزكية إليه من أنّه ابن الرسول صلى الله عليه وآله، فنفى ذلك بذكر الآية الكريمة: **ما كان مُحَمَّدٌ أبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ**^{٤٦٧}. ثم ذكر أن النفس الزكية إنّما هو ابن بنت الرسول، و لكنّها «لا تجوز الميراث، و لا ترث الولاية، و لا تجوز لها الإمامة». ثم ذكر المنصور أن المسلمين اختاروا أبا بكر و عمر و عثمان خلفاء دون عليّ بن أبى طالب، ثم عدّد المنصور مواقف المسلمين من

ص: ١٨١

زعماء العلويين و كيف إنتهى مصيرهم بالقتل، و ذكر المنصور النفس الزكية بأنّ العباسيين هم الّذين طالبوا بئثار شهداء العلويين من الأمويين، ثم أشاد المنصور بجده الأكبر العباس بن عبد المطلب، و أمجاده فى الجاهلية و الإسلام، و أنّه هو وريث الرسول حيث لم يبق من بنى عبد المطلب بعده على قيد الحياة غيره . و ذكر المنصور النفس الزكية بأنّ العباس^{٤٦٨} كان ينفق على عليّ بن أبى طالب و أولاده خلال الأزمنة التي أصابتهم، و أنّ العباس فدى عقيل بن أبى طالب يوم بدر^{٤٦٩}. ثمّ ختم المنصور رسالته بقوله : «فكيف تفخر علينا، و قد علناكم فى الكفر، و فديناكم من الأسر، و حزنا عليكم مكارم الآباء و ورثنا دونكم خاتم الأنبياء، و طلبنا بئاركُم، فأدركنا منه ما عجزتم عنه، و لم تدركوا لأنفسكم»^{٤٧٠}.

المواجهة العسكرية:

بعث المنصور إلى ولى عهده عيسى بن موسى فعهد إليه بقيادة الجيش الذى يوجهه للقضاء على ثورة محمّد النفس الزكية، و قال له: «امض أيّها الرجل فوالله ما يراد غيرى و غيرك، و ما هو إلّا أن تشخص أو أشخص»^{٤٧١}. و يرجع سبب إختيار

^{٤٦٣} (١) انظر، كانت أم المنصور أم ولد و هي سلامة البربرية، و لذا تقدم عليه أبو العباس فى الخلافة، رغم أنّ المنصور كان أكبر منه سنّا. ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢ / ٤٣٦.

^{٤٦٤} (٢) انظر، نصّ الكتاب فى ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ١٩٥ - ١٩٦.

^{٤٦٥} (٣) انظر، أم المنصور هي سلامة البربرية كما ذكرنا آنفا.

^{٤٦٦} (٤) انظر، أم ولد: هي الجارية التي تنجب لسيدّها.

^{٤٦٧} (٥) الأحزاب: ٤٠.

^{٤٦٨} (١) انظر، كان العباس ثريا و يمتلك عقارات و بساتين فى الطائف

^{٤٦٩} (٢) انظر، كان العباس أيضا ممن وقعوا فى الأسر يوم بدر.

^{٤٧٠} (٣) انظر، نصّ الرسالة فى ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ١٩٧ - ١٩٩.

^{٤٧١} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٠٤.

المنصور لعيسى بن موسى، دون غيره، لقيادة الجيش، إلى أنه كان كارها لتوليته ولاية العهد، و كان المنصور يأمل أن تؤول الخلافة إلى ابنه محمد المهدي، و لذا قال لأصحابه حينما بعث عيسى لقتال النفس الزكية: «لا أبالي

ص: ١٨٢

أيهما قتل صاحبه»^{٤٧٢}، و كانت سياسة المنصور هي رمي خصمين ببعضهما، كما فعل بين عمه عبد الله بن عليّ و أبي مسلم الخراساني.

أعدّ المنصور جيشا من أربعة آلاف فارس بقيادة عيسى بن موسى^{٤٧٣}، ثمّ أوقفه بجيش آخر من خمسة آلاف جندي بقيادة حميد بن قحطبة الطائي. و زود المنصور الجيش بالخيول و البغال و السلاح و المؤن^{٤٧٤}.

كان معظم جند الجيشين اللذين بعثهما المنصور للقضاء على ثورة محمد النفس الزكية من الخراسانية، و كانت هذه سياسة رسمها المنصور، فلم يختار الجند من بين العرب، خوفا من أن يتأثروا بحرمة المدينة، و مكانة الثوار من آل البيت العلوي، فتخفق الحملة و تكون العاقبة و خيمة. و كانت هذه سياسة المنصور منذ البداية، يضرب المتمردين من العجم بالعرب، حتّى و طّد أركان دولته و جمع شتاتها^{٤٧٥}.

و قبل رحيل عيسى بن موسى إلى بلاد الحجاز، اجتمع الخليفة المنصور به و تحدث إليه و رسم له الطريق، و أوصاه بأهل المدينة خيرا، و ذكره بما فعله الخليفة الأموي يزيد بن معاوية بأهل المدينة، فقال المنصور : «يا أبا موسى، إذا صرت إلى المدينة فأدع محمد بن عبد الله بن الحسن إلى الطاعة، و الدّخول في الجماعة، فإن أجابك فأقبل منه، و إن هرب منك فلا تتبعه و إن أبى إلّا الحرب فناجزه، و استعن بالله عليه . فإن ظفرت به فلا تخيفن أهل المدينة و أشملهم بالعفو فإنهم الأصل و العشيرة و ذرية المهاجرين و الأنصار، و جيران قبر النبي صلى الله عليه و آله

ص: ١٨٣

فهذه وصيتي إيتاك لا كما أوصى يزيد بن معاوية قائده مسلم بن عقبة^{٤٧٦}، حين وجّهه إلى المدينة، و أمره أن يقتل من ظهر له إلى ثنية الوداع^{٤٧٧}، و أن يبيحها ثلاثة أيّام، ففعل»^{٤٧٨}.

^{٤٧٢} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٠٤ / ٦.

^{٤٧٣} (٢) انظر، أحمد بن إبراهيم، المصابيح: ٤٤٣، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢١٥.

^{٤٧٤} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٠٥ / ٦، المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٧ / ٣.

^{٤٧٥} (٤) انظر، الجومرد، أبو جعفر المصنوع: ١٨٨.

^{٤٧٦} (١) ذكر ابن قتيبة وصيّة يزيد بن معاوية لمسلم بن عقبة حين وجهه لقتال ابن الزبير الذي أعلن الثورة في مكة . انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة : ١ / ١٥٢ قال يزيد لمسلم: «فأعّض باسم الله إلى ابن الزبير و اتّخذ المدينة طريقا إليك، فإن صدوك أو قاتلوك فاقتل من ظفرت به منهم، و أئبها ثلاثا، فإذا قدمت المدينة فمن عاقلك عن دخولها أن نصب لك الحرب فالسيف السيف، إجهز على جريهم و أقبل على مدبرهم، و إيتاك أن تبقي عليهم».

^{٤٧٧} (٢) سميت ثنية الوداع؛ لأنّ الخارج من المدينة يمشي معه المودعون إليها قال سليمان: بين الحفياء إلى ثنية الوداع خمسة أميال أو ستة. انظر، السيوطي، تنوير الحوالك: ٣٩٠، قدامة، المغني لابن قدامة:

١٢٧ / ١١.

^{٤٧٨} (٣) انظر، ابن الجوزي، صفوة الصفوة: ٥٤ / ٢، المزني، تهذيب الكمال: ٤٥٤ / ٣، كانت وقعة الحرّة سنة (٦٣ هـ)، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٠٩.

وكان المنصور يعلم أنّ مكة تأتي دورها بعد المدينة، فأوصى عيسى بن موسى بأهل مكة، وذكره بما فعله الحجاج بن يوسف الثقفي في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، حينما حاصر عبد الله بن الزبير في الكعبة، فقال:

«ثمّ أكتب إلى أهل مكة بالعفو عنهم و الصّفح، فإنّهم آل الله و جيرانه، و سكان حرمه و أمنه، و مثبت القوم العشرة و عظم البيت و الحرم، لا تلحد فيه بظلم فإنّه حرم الله الذي بعث منه نبيّه صلى الله عليه و آله، و شرف به آباءنا لتشريف الله أيّانا. فهذه وصيّتي لا كما أوصى به الذي وجّه الحجاج إلى مكة، فأمره أن يضع المجانيق على الكعبة، و أن يلحد في الحرم بظلم، ففعل ذلك»^{٤٧٩}.

و حين ودّع المنصور قائده عيسى بن موسى، أوصاه أيضا فكان ممّا قال: «يا

ص: ١٨٤

عيسى إنّي أبعثك إلى ما بين هذين - و أشار إلى جنبيه - فإن ظفرت بالرّجل فضم سيفك، و أبذل الأمان و إن تغيب فضمنهم إياه حتّى يأتوك به فإنّهم يعرفون مذاهبه^{٤٨٠}. فقال عيسى: أوصيت داعيا، ثمّ أنشد:

أكلت جفنى و فريت غمدى

إنّى أنا السيّف الحسام الهندى

فكلّ ما تطلب عندى^{٤٨١}

تقدم عيسى بن موسى على رأس جيشه نحو المدينة، حتّى إذا بلغ (فيد)^{٤٨٢} كتب إلى وجوه المدينة و رؤساء قريش رسائل على خرق الحرير، يؤمّنهم و يعدّهم أن تخلوا عن محمّد النّفس الزّكيّة فاستجاب كثير منهم إلى دعوته، و خرج بعضهم إلى عيسى بن موسى، و كان على مسيرة خمسة أيّام من المدينة، و استطاع محمّد النّفس الزّكيّة أن يقبض على بعضهم قب ل مغادرتهم المدينة و سجنهم^{٤٨٣}.

و بعث عيسى بن موسى برسالة إلى محمّد النّفس الزّكيّة، يمنحه فيها الأمان و قد حمل محمّد بن يزيد كتب عيسى إلى النّفس الزّكيّة، و وجوه المدينة. و وقف محمّد بن زيد في المدينة يخاطب أهلها و يقول: «يا أهل المدينة أنا محمّد بن زيد، و الله لقد تركت أمير المؤمنين حيّا، و هذا عيسى بن موسى قد أتاكم، و هو يعرض عليكم الإمان». فقال أهل المدينة له: «قد خلعنا أبا الدّوانيق»^{٤٨٤}.

ص: ١٨٥

^{٤٧٩} (٤) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢٠٥ / ٦.

^{٤٨٠} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢٠٥ / ٦، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٢٥٨ / ٥.

^{٤٨١} (٢) انظر، ابن عبد ربه، العقد الفريد: ٨٦ / ٥.

^{٤٨٢} (٣) منزل بطريق مكة، شرفها الله تعالى، و الفيد ورد الزّعفران. انظر، ابن منظور، لسان العرب: ٣ / ٣٤٢.

^{٤٨٣} (٤) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢٠٦ / ٥، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٢٥٨ / ٥.

^{٤٨٤} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ١٨٠، ابن أعثم، الفتوح: ٩٢ / ٧.

و كتب محمد النفس الزكية رسالة إلى عيسى بن موسى يدعوهُ إلى طاعته، و يعطيه الأمان^{٤٨٥}.

اقترب عيسى بن موسى من المدينة، و أدرك محمد النفس الزكية خطورة الموقف، فجمع أصحابه و قال لهم : أشيروا عليّ في الخروج و المقام. فاختلقت الآراء ثم سألهُ أحد أصحابه و هو عبد الحميد بن جعفر : ألسنت تعلم أنّك في أقل بلاد الله فرسا و طعاما و سلاحا و أضعفها رجالا؟.

فأجاب محمد: بلى. فتوجّه ابن جعفر إليه بالنصيحة فقال : فالرأى أن تسير بمن معك حتّى تأتى مصر، فالله لا يردك راد فتقاتل الرجل بمثل سلاحه و كراعته و رجاله و ماله . و لم يعجب هذا الرأى أحد أصحاب النفس الزكية و هو حسنين بن عبد الله، فرأى أن يقيم محمد في المدينة، و ذكره بحديث الرسول صلى الله عليه و آله يوم أحد:

«رأيتني أدخلت يدي في درع حصينة فأولها بالمدينة»^{٤٨٦}. و رأى محمد النفس الزكية أن يستمر في إقامته بالمدينة دون أن يرحل إلى غيرها من الأمصار^{٤٨٧}.

انضمت قبائل جهينة، و مزينة، و سليم، و بنو بكر، و أسلم، و فقار، إلى محمد النفس الزكية، و لكنّه كان يقدم جهينة ممّا أثار العصبية القبلية فغضبت لذلك

ص: ١٨٦

قبائل قيس^{٤٨٨}.

رأى محمد النفس الزكية أن يلجأ إلى الوسيلة التي لجأ إليها الرسول صلى الله عليه و آله حينما غزت الأحزاب المدينة و هى حفر خندق حول المدينة يحميها من المغيرين.

و بدأ النفس الزكية حفر الخندق، فأخرج لبنة من خندق الرسول، فكبر و كبر الناس معه و قالوا : أبشر بالنصر، هذا خندق جدك رسول الله صلى الله عليه و آله^{٤٨٩}.

نهاية الثورة:

تقدم عيسى بن موسى حتّى وصل إلى (الجرف) فنزل قصر سليمان بن عبد الملك صبيحة يوم (١٢ رمضان سنة ١٤٥ هـ)، و أراد أن يؤخّر القتال حتّى ينتهى شهر رمضان، و لكنّه علم أن محمدا النفس الزكية قال : «أنّ أهل خراسان على بيعتي، و

^{٤٨٥} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٦٧ - اشتهر المنصور باسم «أبو الدّوانيق» أو «الدّوانقي» لشحه و تقتيره.

^{٤٨٦} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٨١، الأحوذى، تحفة الأحوذى: ٥ / ١٤٨، الزيلعي، تخرّيج الأحاديث و الآثار: ١ / ٢١٧، ابن جرير، جامع البيان: ٤ / ٩٤، ابن

جرير، تاريخ الطبري: ٢ / ١٨٨، القرطبي، تفسير القرطبي: ٩ / ١٢٦، الرازي، تفسير الرازي: ٨ / ٢١٨، ابن العربي، تفسير الأحكام:

٣ / ٣٧، السّفي، تفسير السّفي: ١ / ١٧٦، البغوي، تفسير البغوي: ١ / ٣٤٦، التّعلي، تفسير التّعلي: ٣ / ١٣٨، السّمرقندي، تفسير السّمرقندي: ١ / ٢٧٥.

^{٤٨٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٠٧، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٦٨.

^{٤٨٨} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٠٧.

^{٤٨٩} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٠٨، كان صاحب فكرة حفر الخندق في عهد الرسول هو الصّحابي سلمان الفارسي.

حميد بن قحطبة قد بايعني، و لو ق در أن ينفلت فلت «^{٤٩٠}. فرأى عيسى ابن موسى أن يعاجل محمداً بالقتال فتقدم نحو المدينة^{٤٩١}.

حاصر عيسى بن موسى المدينة من جميع جهاتها، عدا جهة واحدة من ناحية مسجد أبي الجراح، فقد تركها ليخرج منها من أراد مفارقة محمد النفس الزكية.

و خاطب عيسى أهل المدينة يدعوهم إلى التسليم، فقال: «يا أهل المدينة أن الله قد حرم دماء بعضنا على بعض، فهلّموا إلى الأمان فمن قام تحت رايتنا فهو آمن

ص: ١٨٧

و من دخل داره فهو آمن و من دخل المسجد فهو آمن، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من خرج من المدينة فهو آمن، خلّوا بيننا و بين صاحبنا، فأما لنا، أو له «^{٤٩٢}. فوجّه أهل المدينة إليه أقذع الشّائم و السّبّاب، فعاد من يومه، ثمّ عاد في اليوم التّالي، فألقى مثل هذه الخطبة فواجهوه بنفس الشّائم، فانصرف إلى معسكره أيضا ثمّ خرج في اليوم التّالث في أعداد كبيرة من الفرسان المزودين بالأسلحة و بدأت المعركة^{٤٩٣}.

رمى جند الخرسان أهالي المدينة بالنّشاب، فقتلوا و جرحوا عددا كبيرا منهم، ممّا أثار الرّعب فأسرع بعضهم إلى الفرار، و أبلى محمد النفس الزّكية و رجاله بلاء حسنا، و أستبسلوا في القتال . و صاح عيسى بن موسى يعاود عرض الأمان على النفس الزّكية و بذل له كثيرا من الوعود، و لكن محمداً رفض دعوته و أصرّ على القتال و قال : «لا يثني عنكم فزع، و لا يقربني منكم طمع»^{٤٩٤}. و أبدى محمد شجاعة نادرة حتّى أنّه قتل من أعدائه في ذلك اليوم سبعين رجلا^{٤٩٥}. و كان محمد متقلدا سيف الرّسول (ذى الفقار)^{٤٩٦}، و كان شعاره «أحد، أحد»، و هو

ص: ١٨٨

شعار الرّسول صلّى الله عليه و آله يوم حنين^{٤٩٧}.

هدم جند العبّاسيون جدار الخندق كما ألقوا بقتائب^{٤٩٨} الإبل في الخندق فنجحت الخيل في اجتيازه، و بدأ القتال في طرقات المدينة، و دبّ الخوف في قلب كثير من أهلها، و رأوا أن لا جدوى من القتال، فكفوا عنه، و غادر بعضهم المدينة

^{٤٩٠} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين : ١٨١، الذّهي، سير أعلام النّبلاء: ٦ / ٢١٧، ابن جرير، تأريخ الطّبري : ٦ / ٢١١، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ : ٥ / ٥٤٦، الذّهي، تأريخ الإسلام: ٩ / ٢٨.

^{٤٩١} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٦٨.

^{٤٩٢} (١) انظر، الذّهي، سير أعلام النّبلاء: ٦ / ٢١٧، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢١١، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٥ / ٥٤٦، الذّهي، تأريخ الإسلام: ٩ / ٢٨.

^{٤٩٣} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢١١.

^{٤٩٤} (٣) انظر، الذّهي، تأريخ الإسلام: ٩ / ٢٨، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢١١.

^{٤٩٥} (٤) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢١١.

^{٤٩٦} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٧١، لما شعر النفس الزّكية بقرب منيته، أعطى سيفه إلى رجل من التّجار كان محمداً مدينا له بأرعمئة دينار فقال له : «خذ هذا السّيف فإنّك لا تلقى به أحدا من آل أبي طالب إلّا أخذه و أعطاك حقّه». و استمر السّيف عند هذا التّاجر حتّى اشتراه منه والي المدينة جعفر بن سليمان : ثمّ أخذه منه الخليفة المهدي؛ ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢١٩. انظر، التّحفة شرح الزّلف، لمجد الدّين بن محمّد المؤيدي: ٧٩، الطّبعة القائلة، الإفادة في تأريخ الأئمّة السّادة: ٦٠، الهامش رقم «١».

^{٤٩٧} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢١٣، ابن قتيبة، المعارف: ١٦٤.

إلى أطرافها، وإلى الجبال المحيطة بها . و أدرك محمد النفس الزكية حرج الموقف . فخرج إلى دار مروان، فاغتسل و تحنط، و تقدم أحد خاصته و هو عبد الله ابن جعفر، ين صحه بالخروج إلى مكة حيث الحسن بن معاوية، فرفض محمد الفكرة، و قال: «يا أبا جعفر و الله لو خرجت لقتل أهل المدينة، و الله لا أرجع حتى أقتل، كما تقدم ابن خضير إليه يشير عليه بالخروج إلى البصرة، فرفض محمد هذا الإقتراح أيضا . و لكن محمدا سمح لأصحابه بالخروج من المدينة و النجاة بأنفسهم. و استمر محمد النفس الزكية يناضل و يقاتل، حاملا سيفه حتى لقي حتفه لأربع عشرة ليلة خلت من رمضان، بيد حميد بن قحطبة^{٤٩٩}.

ارتفعت الرايات السوداء على منارة مسجد الرسول صلى الله عليه و آله، تعلن إستيلاء العباسيين على المدينة و احتز حميد بن قحطبة رأس محمد و حملها إلى عيسى

ص: ١٨٩

ابن موسى^{٥٠٠}. و وضع القوم الرأس بين يدي عيسى، فسألهم : ما تقولون في هذا؟. فحاول بعضهم الإساءة إلى محمد النفس الزكية، فنهاهم عيسى عن ذلك و قال : كذبتم و الله و قلتهم باطلا، لما على هذا قاتلناه و لكنه خالف أمير المؤمنين و شق عصا المسلمين و أنه كان لصوآما قوآما^{٥٠١}. و حملت الرأس إلى الخليفة المنصور بالكوفة فأمر بأن يطاف بها في طبق أبيض^{٥٠٢}. و تقدمت أخت محمد النفس الزكية، زينب و ابنته فاطمة إلى عيسى بن ع يسى تطلبان منه الإذن بدفن الشهيد، فسمح لهما بذلك، فدفن في البقيع، و كان قبره في مواجهة زقاق دار علي بن أبي طالب . و نصب عيسى عدة ألوية على أبواب دور بعض أنصار العباسيين بالمدينة، و صاح مناديه في طريق المدينة : «من دخل تحت لواء منها أو دخل دارا من هذه الدور فهو آمن»^{٥٠٣}. و هدأت الأمور في المدينة و أسدل الستار على هذه الثورة بعد أن استمرت شهرين و سبعة عشر يوما، و غادر المنصور الكوفة إلى بغداد ليتم بناءها.

أمن عيسى بن موسى أهل المدينة، و صادر أموال بني الحسن، و قتل كثيرا من أنصار النفس الزكية، و صلبت جثثهم ما بين ثنية الوداع إلى دار عمر بن عبد العزيز، فاستمر ذلك ثلاثة أيام حتى ضج الناس بالشكوى، حتى أمر عيسى

ص: ١٩٠

بالقاء الجثث في مقبرة لليهود^{٥٠٤}. ثم استعد لمغادرة المدينة، فولّى عليها كثير بن حصين فاستمر ح كمه شهرا حتى بعث الخليفة واليا آخر هو عبد الله بن الربيع الحارثي^{٥٠٥}. و خرج عيسى إلى مكة.

^{٤٩٨} (٢) و هي الأغطية و البراذع التي كانت على ظهور الإبل.

^{٤٩٩} (٣) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢١٦ / ٦، كانت سر محمد النفس الزكية عند مصرعه (٦٣) سنة و قد توفي كل من الرسول صلى الله عليه و آله و علي بن أبي طالب و هما في نفس السن. انظر، الإفادة في تأريخ الأئمة السادة: ٦١، مقاتل الطالبين: ٢٣٨، الحقائق الوردية في مناقب الأئمة الزيدية: ١ / ١٦٥.

^{٥٠٠} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٥٩٧ / ٧، ابن كثير، البداية و النهاية: ٨٩ / ١٠، البخاري، سر الرسائل العلوية: ٧، البلاذري، أنساب الأشراف: ٣ / ١١١.

^{٥٠١} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢٢٠ / ٦.

^{٥٠٢} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ١٨٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٢١٧ / ٦، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢٢٣ / ٦، ابن كثير، البداية و النهاية: ٩٦ / ١٠، الذهبي، تأريخ الإسلام: ٢٨ / ٩.

^{٥٠٣} (٤) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢٢٢ / ٦، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٢٧٥.

^{٥٠٤} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢٢٣ / ٦، كان لبني الحسن كثير من الضياع في المدينة و في ضاحية الفرع القريبة منها.

^{٥٠٥} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢٣٠ / ٦.

وكان قد انضم إلى محمد النفس الزكية كثير من آل الزبير وولى بعضهم المناصب، كما آزره بعض أحفاد عمر بن الخطاب، فعفا المنصور عن أحفاد عمر بينما عاقب آل الزبير عقابا شديدا و قتل كثيرا منهم، وقال: «أما والله لعن غير مودة بهما له - أى لمحمد - النفس الزكية - ولا محبة له، ولا لأهل بيته». ثم قال:

«لو وجدت ألفا من آل الزبير كلهم محسن وفيهم مسيء واحد لقتلتهم جميعا، ولو وجدت ألفا من آل عمر كلهم مسيء وفيهم محسن واحد، لأعفيتهم جميعا»^{٥٠٦}، كما انضم إلى النفس الزكية أبناء زيد بن علي وأبدى المنصور عجة من اشتراكهما في الثورة، فقال: «وا عجباً لخروج ابنى زيد بن علي، وقد قتلنا قاتل أبيهما، كما قتله و صلبناه كما صلبه و أحرقناه كما أحرقه»^{٥٠٧}.

كان محمد النفس الزكية قد ولى على مكة الحسن بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب . و بعد مصرع النفس الزكية، اختفى الحسن بن معاوية عن الأنظار، ثم حاول مع جماعة من آل أبي طالب أن يثوروا على والى مكة

ص: ١٩١

العباسي جعفر بن سليمان، ولكن جعفرا قبض عليه، و ضربه أربعمئة سوطا، و حبسه، و استمر فى سجنه حتى مات الخليفة المنصور، و تولى المهدي الخلافة فأطلق سراحه^{٥٠٨}.

و بعد إخماد ثورة محمد النفس الزكية، رأى المنصور أن يزيد من الترابط بين عاصمة الخلافة العباسية و بلاد الحجاز، فأصرت مدة حكم الولاة قصيرة كما كان الولاة يكتبون إلى الخليفة بكل الأخبار السياسية و الإجراءات الإدارية مهما كانت كبيرة أو صغيرة^{٥٠٩}، كما عمل المنصور على عزل كل من يتهم بالتشيع من المناصب الحكومية^{٥١٠}.

و سيطر الجيش العباسي على المدينة بعد القضاء على الثورة العلوية، و لكن الجند العباسيين أساءوا معاملة الأهالي، مما أدى إلى قلق و اضطراب فى المدينة فقد أعلن العباسيون نوعا من الأحكام العرفية أو النظام العسكرى، كما سطا بعض الجند العباسيين على الأسواق فأخذوا سلعا من التجار دون أداء أثمانها^{٥١١}، و تجمعت طائفة من الأرقاء سود البشرة، و يطلق عليهم (السودان)، و أعلنت العصيان، و هاجمت بعض جند العباسيين و هم فى طريقهم إلى صلاة الجمعة و قتلوا معظمهم و هجموا على دار الوالى و مخازن الطعام المخصصة للجيش العباسي فنهبوها^{٥١٢}، ثم أقتحموا السجن و أطلقوا سراح من فى من

ص: ١٩٢

^{٥٠٦} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٢٧ / ٦، انضم إلى النفس الزكية أيضا بعض خاصة الباقر و منهم عبد الله بن عطاء

^{٥٠٧} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٦٦ / ٦، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٢٥٢، و ابن زيد هما الحسن و عيسى.

^{٥٠٨} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٦٧ / ٦.

^{٥٠٩} (٢) انظر، القلقشندي، صبح الأعشى: ٢٩٧ / ٤، ابن حبان، أخبار القضاة: ٢٥٦ / ١.

^{٥١٠} (٣) انظر، الحصري، القيرواني، زهر الآداب: ٨٨ / ١، أمر المنصور الوالي زياد بن عبيد الله بعزل كاتبه و كان منشئها.

^{٥١١} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٧٠ / ٦.

^{٥١٢} (٥) انظر، مؤلف مجهول، العيون و الحقائق في معرفة الحقائق: ٢٤٩.

المسجونين و خاصة من أنصار العلويين و منهم محمد بن أبي سيرة، الذي عمل هو و قاضي المدينة محمد بن عمران الطلحي على تهدئة ثورتهم، و بدأ الولاة العباسيون سياسة تحسين أحوال هؤلاء الرقيق، حتى إذا قام ت، حركة الحسين بن علي في الحجاز في عهد الخليفة الهادي انضم عبيد مكة إليه^{٥١٣}.

ص: ١٩٣

ثورة إبراهيم بن عبد الله في البصرة

شهد عهد المنصور حركة شيعية كبرى، شغلت كثيرا من الأمصار الإسلامية و اتخذت الحركة مركزين ثوريين:

أولهما: في المدينة حيث ثار محمد النفس الزكية، و بعث دعائه إلى مدن الحجاز، و اليمن و مصر و الشام غيرها.

و ثانيهما: في البصرة، حيث ثار أخوه إبراهيم بن عبد الله، و نجح في السيطرة على الأهواز و فارس و انتشر نفوذه في واسط و المدائن و أرض السواد. و قد شهدنا نهاية ثورة النفس الزكية في بلاد الحجاز و سنشهد في نهاية هذا الفصل نهاية ثورة أخيه إبراهيم في البصرة.

إبراهيم بن عبد الله:

كان إبراهيم يكنى بأبي الحسن، و قد تحدث الإصفهاني عنه، فقال «و كان إبراهيم بن عبد الله جاريا على شاكلة أخيه محمد في الدين و العلم و الشجاعة و الشدة و كان يقول شيئا من الشعر»^{٥١٤}.

بعد القبض على عبد الله بن الحسن غادر ابنه إبراهيم الحجاز ناجيا بنفسه،

ص: ١٩٤

و تنقل بين كثير من الأمصار و المدن^{٥١٥}. فقد رحل إلى عدن، و السند، و الكوفة، و الموصل، و الأنبار، و بغداد، و المدائن، و واسط. ثم استقر في البصرة مختفيا في أوّل سنة (١٤٣ هـ)^{٥١٦}.

و قد روى الطبري كثيرا من الروايات حول ما قام به إبراهيم من مغامرات خلال تنقله بين الأمصار، ففي الموصل كان إبراهيم يرتاد الموائد التي كان الخليفة المنصور يمدّها لعامة الناس . و قد نزل إبراهيم في الموضع الذي كان المنصور يقيم فيه عاصمته الجديدة بغداد، و كان المنصور يحتفل ببناء قنطرة الصّراة العتيقة^{٥١٧}، فوقع نظره على إبراهيم و عرفه، و لكن إبراهيم أسرع إلى الاختفاء، و بحث المنصور عنه طويلا دون أن يصل إليه و ا ختفى إبراهيم فترة على شاطئ دجيل في

^{٥١٣} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٧١ و ما بعدها.

^{٥١٤} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣١٥.

^{٥١٥} (١) انظر، ابن نشوان، الحوار العين: ٢٧٢.

^{٥١٦} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٤١، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣١٧.

^{٥١٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٤٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٥٦١.

ناحية مدينة الأهواز و أخبر المنجمون الخليفة المنصور بوجود إبراهيم في الأهواز، فبعث إلى عمّاله يحثهم على البحث عنه، ولكنه أسرع إلى الفرار فلم يصلوا إليه^{٥١٨}.

و روى اليعقوبي رواية طريفة حول طريقة وصول إبراهيم إلى البصرة تتدل على دهائه و ذكائه . فقد بعث إبراهيم برجل من أنصاره، يدعى سفيان بن يزيد إلى الخليفة المنصور، فقال له : يا أمير المؤمنين، تؤمنني و أدلك على إبراهيم بعد أن أدفعه إليك؟.

فقال المنصور: أنت آمن، و أين هو؟.

فأجاب: بالبصرة، فوجّه معي برجل تتق به و احملني على دواب البريد،

ص: ١٩٥

و اكتب إلى عامل البصرة حتّى أدله عليه، فيقبض عليه، و وجّه المنصور معه أبا سويد . و خرج سفيان بن زيد و معه غلام عليه جبّة من الصّوف، و على عنقه سفرة فيها طعام، فركبا مع أبي سويد على خيل البريد . حتّى إذا وصلوا جميعا إلى البصرة.

قال أبو سفيان لأبي سويد: انتظرني حتّى أعرف خبر الرّجل. ثمّ مضى و لم يعد. و كان ذلك الغلام الذي عليه الجبّة الصّوف هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن، ثمّ بدأ إبراهيم نشر دعوته لأخيه محمّد النّفس الزّكيّة في البصرة^{٥١٩}.

عوامل اختيار البصرة مركزا ثوريا:

نزل إبراهيم في البصرة في دار، تدعى دار أبي فروة، اتّخذها مركزا للدّعوة و أقبل عليه كثير من وجوه البصرة يبائعون أخاه محمّدا، كما أجابه «فتيان من العرب» و أحصى ديوانه أربعة آلاف. ثمّ انتقل إبراهيم إلى دار أخرى في وسط البصرة تدعى دار أبي مروان، و استمر في دعوته لأخيه.

ثمّ فوجيء إبراهيم برسالة تقدّم عليه تحمل إليه إعلان أخيه محمّد النّفس الزّكيّة الثّورة . و يبدو أنّ إبراهيم كان يشعر أنّ الدّعوة لم تنضج بعد، و أنّ أخاه محمّدا قام بالثّورة قبل أوانها، و لذا كانت الرّسالة مفاجأة له، فيروى كلّ م ن الطّبري^{٥٢٠} و الإصفهاني^{٥٢١} عن سفيان، أحد أنصار إبراهيم أنّه قال : أتينا إبراهيم يوما و هو مرعوب، فأخبرني إنّ كتاب أخيه محمّد جاءه، يخبره أنّه قد ظهر و يأمره بالخروج، فوجم من ذلك، و اغتمّ له فجعلت أسهل الأمر عليه.

و قلت: قد اجتمعت لك أمرك، و محلها المضاء و الطّبوى، و المغيرة، و أنما،

ص: ١٩٦

^{٥١٨} (٤) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢٤١ - ٢٤٢.

^{٥١٩} (١) انظر، اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي: ٣ / ٤٥٣ - ٤٥٤.

^{٥٢٠} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢٤٦.

^{٥٢١} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣١٩.

و جماعة، فنخرج بالليل فنقصد الحصن فنفتحه، فتصبح حين تصبح و معك عالم من الناس فطابت نفسه^{٥٢٢}.

لم يكن إختيار إبراهيم لمدينة البصرة ليقيم فيها الدّعوة لأخيه محمّد النفس الزّكية إخت يارا عفويًا، بل نتيجة الظروف السّياسيّة، فكانت المدينة الوحيدة الّتي يمكن أن تصبح مركزا للدّعوة، و إن لم تكن المدينة المثلى أو المركز الأفضل لقيام الثّورة و يتّضح ذلك في رواية للمسعودي^{٥٢٣}، إذ قال: «لَمَّا ظَهَرَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بِالْمَدِينَةِ دَعَا الْمَنْصُورَ إِسْحَاقَ بْنَ مُسْلِمِ الْعَقِيلِي، وَ كَانَ شَيْخًا ذَا رَأْيٍ وَ تَجَرِبَةٍ، فَقَالَ لَهُ: أَشْرَ عَلَيَّ فِي خَارِجِي خَرَجَ عَلَيَّ.

قال: صفّ لي الرّجل.

قال: رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله ذو علم و زهد و ورع.

قال: فمن تبعه؟. ولد عليّ و ولد جعفر و عقيل و ولد عمر بن الخطّاب و ولد الزبير بن العوام و سائر قريش و أولاد الأنصار.

قال له: صفّ لي البلد الّذي قام به.

قال: بلد ليس به زرع و لا ضرع و لا تجارة واسعة، ففكّر ساعة ثم قال:

اشحن يا أمير المؤمنين البصرة بالرّجال.

فقال المنصور في نفسه: قد خرف الرّجل، أسأله عن خارجي خرج بالمدينة يقول لي اشحن البصرة بالرّجال.

فقال له: انصرف يا شيخ ثمّ لم يكن إلّا يسير حتّى ورد الخبر أنّ إبراهيم قد ظهر بالبصرة.

ص: ١٩٧

فقال المنصور: عليّ بالعقيلي. فلمّا دخل عليه أدناه ثم قال له: إنّني كنت قد شاورتك في أمر خارجي خرج بالمدينّة فأشرت عليّ أنّ أشحن البصرة بالرّجال، أو كان عندك من البصرة علم؟.

قال: لا، ذكرت لي خروج رجل إذا خرج مثله لم يتخلف عنه أحد، ثمّ ذكرت لي البلد الّذي هو فيه، فإذا هو ضيق لا يحتمل الجيوش، فقلت: أنّه رجل سيطلب غير موضعه، ففكّرت في مصر فوجدتها مضبوطة، و الشّام و الكوفة كذلك، و فكّرت في البصرة فخفت عليها منها لخلوها، فأشرت بشحنها.

فقال له المنصور: أحسنت، و قد خرج بها أخوه^{٥٢٤}.

^{٥٢٢} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢٤٦ / ٦.

^{٥٢٣} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٦ / ٣.

^{٥٢٤} (١) انظر، المصادر السّابقة، و محسن الأمين، أعيان الشّيعّة ١٧٩ / ٢.

لم يكن أمام إبراهيم سوى مدينة البصرة يعلن فيها ثورته مما حتمته الأوضاع السياسية في الأمصار الإسلامية، وإن كانت مدينة الكوفة هي أصلح المدن لهذه الدعوة الشيعية، فهي موطن الشيعة منذ عصر الخلفاء الراشدين وهي المدينة التي اتخذها علي بن أبي طالب حاضرة للدولة الإسلامية^{٥٢٥}، وشهدت الكوفة أمجاد علي ثم البيعة لابنه الحسن^{٥٢٦}. ثم دعت الكوفة الحسين بن علي ليقيم من الحجاز للقيام بثورة علوية شيعية ضد الدولة الأموية^{٥٢٧}. وسارعت الكوفة إلى تأييد المختار بن أبي عبيد الثقفي الذي أعلن أنه وزير وداعية محمد بن علي ابن أبي طالب المعروف بابن الحنفية^{٥٢٨}. ثم شهدت الكوفة كثيرا من

ص: ١٩٨

ثورات الشيعة، أشهرها ثورة زيد بن علي، وساهمت الكوفة في أواخر العصر الأموي في الدعوة العباسية التي استمرت وراء الدعوة لتولية آل محمد الخلافة، ثم كان إعلان قيام الخلافة العباسية في الكوفة^{٥٢٩}. ولكن إبراهيم، رغم إدراكه لصلاحيه الكوفة التامة لدعوته الشيعية، إلا أنه لم يكن يستطيع اتخاذها مركزا لهذه الدعوة، فقد كان المنصور مقيما في الهاشمية على مقربة من الكوفة^{٥٣٠}. وقد اتخذ من الأمر عدته، بحيث يستطيع القضاء على دعوة إبراهيم في مهدها.

أما بلاد الشام، فلم تكن تصلح بأي حال لتكون مركزا لدعوة شيعية فأهله ا رغم قيام الدولة العباسية ما زالوا على ولائهم لبنى أمية، فقد ارتبطت بلاد الشام بالأمويين ارتباطا وثيقا، وقف أهالي الشام وراء معاوية بن أبي سفيان في صراعه لعلي بن أبي طالب واستعان الخلفاء الأمويون بجند الشام في إخماد جميع ثورات الشيعة.

أما مصر، فقد استقرت أحوالها السياسية تماما في عهد المنصور، ولم تشارك في مجريات الأحداث في الدولة العباسية مشاركة إيجابية فعالة، كما لم تكن مصر أرضا صالحة لبذر المذهب الشيعي فيها، فكانت الغالبية العظمى من أهلها من أهل السنة^{٥٣١}.

أما خراسان فهي موطن شيعة بنى العباس فقد شهدت أرضها مواد الدعوة العباسية وتطورها ونموها، حتى أينعت وكانت ثمارها قيام دولة بنى العباس وحرص الخلفاء العباسيون على الارتباط بأهالي خراسان ارتباطا وثيقا فكانوا

ص: ١٩٩

يتملقونهم ويمتدحونهم ويحسنون إليهم، وقد شهدنا في الفصل السابق كيف تألف معظم جند الجيش العباسي الذي بعثه المنصور لقتال النفس الزكية من الخراسانية، كما رأينا الخطب التي ألقاها الخليفة المنصور وجهها إلى أهالي خراسان، يبرر لهم ما أقدم عليه من سجن عبد الله بن الحسن وأسرتهم، ثم إقدامه على قتل محمد النفس الزكية^{٥٣٢}.

^{٥٢٥} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٧٢ / ٥، كان علي بن أبي طالب يقول: «الكوفة فيها رجال العرب وبيوتهم».

^{٥٢٦} (٣) انظر، ابن كثير، البداية والنهاية: ١٤ / ٨.

^{٥٢٧} (٤) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٩ / ٤.

^{٥٢٨} (٥) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٠٠، البلاذري، أنساب الأشراف: ٢١٨ / ٥.

^{٥٢٩} (١) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٦٥.

^{٥٣٠} (٢) انظر، يعقوبي، كتاب البلدان: ٢٣٧.

^{٥٣١} (٣) قال صاحب الفخرى، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٢٨ عن اتجاهات وميول أهالي الشام ومصر:

«وَأَمَّا أَهْلُ الشَّامِ وَمِصْرُ فَهُوَ هُمْ فِي بَنِي أُمَيَّةٍ، وَحُبُّ بَنِي أُمَيَّةٍ رَسَخَ فِي قُلُوبِهِمْ».

و يتّضح سرّ إختيار إبراهيم للبصرة، في رواية للطّبري، فقد أشار أحد خاصّة المنصور، وهو جعفر بن حنظلة البهراني، على الخليفة بالإهتمام بالبصرة، فلمّا سأله المنصور عن سبب ذلك أجاب : «لأنّ محمّد ظهر بالمدّينة و ليسوا بأهل حرب فحسبهم أن يقيموا شأن أنفسهم، و أهل الكوفة تحت قدمك، و أهل الشّام أعداء آل أبي طالب، فلم يبق إلّا البصرة»^{٥٣٣}. و كان الجميع يعرفون عداء أهالي الشّام لآل عليّ بن أبي طالب، و لذا نصّح أحد خاصّة المنصور بإستقدام جند من أهل الشّام^{٥٣٤}.

و إن كانت الظروف السّياسيّة هي التي حثّت عليّ إبراهيم إختيار البصرة مركزا لثورته، فإنّها لم تكن صالحة تماما لذلك، فقد وصف الأصمعي أحوال الأمصار الإسلاميّة و اتّجاهاتها فقال : «البصرة كلّها عثمانيّة، و الكوفة كلّها علويّة، و الشّام كلّها أمويّة، و الجزيرة خارجيّة و الحجاز سنيّة»^{٥٣٥}. و كان تعرّض البصرة لغارات الخوارج في العصر الأموي و ما لحق بها من تخريب و تدمير، دافعا لأهلها على الجنوح إلى السّلام و الهدوء و الإبتعاد عن السّياسة التي أفسدت

ص: ٢٠٠

العلاقات بين الكوفة و دمشق، ف قد أصبحت الكوفة مركزا للمعارضة و هدفا للإضطهاد السّياسي و موضع الرّقابة الحكوميّة^{٥٣٦}.

و كان المنصور يدرك ميول أهالي الكوفة منذ أمد بعيد نحو آل عليّ بن أبي طالب، فرأى أن يأخذ للأمر أهمّيّته، و يقبض على الكوفة بقبضة من حديد.

فنزّل المنصور الرّصافة في ظهر الكوفة، يحيط به ألف و خمسمئة من جنده.

و أجل المنصور بناء عاصمته بغداد حتّى يتفرّغ للقضاء على ثورة العلويّين، و قد كان حينئذ مقيما في دير في شرق نهر دجلة يشرف على أعمال البناء، فتوجّه إليه أحد خاصّته فنصّحه بالخروج إلى الكوفة فقال له : «إنّ أهل الكوفة لمحمّد شيعة، و الكوفة قد يفور أنت طبقها، فأخرج حتّى تنزلها»^{٥٣٧}، و وصف الطّبري إجراءات المنصور التي اتّخذها في الكوفة، فقال: «و كان المسيب بن زهير على حرسه فجراً الجند ثلاثة أجزاء خمسمئة، فكان يطوف الكوفة كلّها في كلّ ليلة، و أمر مناديا فنادى: من أخذناه بعد عتمة فقد أحلّ دمه بنفسه، فكان إذا أخذ رجلا بعد عتمة لفّه في عباءة و حمّله فبيّته عنده، فإذا أصبح سأل عنه فإن علم براءته أطلقه و إلّا حبسه»^{٥٣٨}.

^{٥٣٢} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٨٣ / ٦.

^{٥٣٣} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٢٤٦ / ٦.

^{٥٣٤} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٢٤٧ / ٦.

^{٥٣٥} (٤) انظر، ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٢٥٩ / ٣.

^{٥٣٦} (١) انظر، الدّكتور محمّد جابر النّعال (حركات الشّيعيّة المنطرفين و أثرهم في الحياة الاجتماعيّة و الأدبيّة لمدينة العراق): ١٨٥.

^{٥٣٧} (٢) انظر، ابن حجر، تاريخ الطّبري: ٢٤٧ / ٦.

^{٥٣٨} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٢٤٨ / ٦.

و كان المنصور إذا علم بميل أحد أهالي الكوفة إلى إبراهيم، بعث برجاله إلى بيته ليلاً، حتّى إذا غسق الليل و هدأ الناس، تسلق هؤلاء الرّجال سلماً و تسللوا إلى داره فقتلوه و حملوا خاتمه إلى الخليفة^{٥٣٩}.

ص: ٢٠١

و لما كان المنصور يعلم بميل أهالي الكوفة إلى مذهب الشيعة، فقد أمرهم جميعاً بأن يلبسوا السّواد و هو شعار العبّاسيّين، و هدد من يمتنع منهم عن ذلك بالعقاب، فسارع الجميع إلى صبغ ملابسهم باللّون الأسود، و لم تتمكن محال الصّباغة من القيام بصبغ ملابس جميع أهالي، فكان البقالون يبيعون المدااد لهم ليسودوا به ملابسهم^{٥٤٠}.

إتساع الدّعوة:

اتّسعت دعوة إبراهيم في البصرة و خرج إليه كثير من أهالي المدن . فقدم عليه كثير من أهالي الأهواز، و وجه رجال المنصور أنظاره إلى ذلك، فاتّخذ إجراءات لمنع خروجهم . كما خرج كثير من أهالي الكوفة إلى البصرة، رغم تشديد المنصور في مراقبتهم و منعهم من الخروج، فكانوا يتسللون متّخذين طرقاً ملتوية إلى القادسيّة ثمّ العذيب، ثمّ وادى السّباع، ثمّ ينعطفون برّاً نحو اليسار حتّى يقدموا البصرة . و نجح المنصور في قتل بعض هؤلاء الذين خرجوا إلى إبراهيم، و احتز رؤوسهم فنصبها في بعض طرقات الكوفة لإرهاب أهلها^{٥٤١}.

و أقام المنصور المسالح على الطّرق الرّئيسية بين المدن، فكان الجند يرغمون كلّ مار بهم أن يقسم بالطّ لاق و العتاق، و الحلال و الحرام، أنّه ليس لإبراهيم شيعة، و لا يهوى هواه، و لا يضرّ إلّا مثل ما أظهر^{٥٤٢}.

امتدت دعوة إبراهيم إلى فارس، و قدم عليه في البصرة قوم من (الدّهجرائيّة) أصحاب الضّيايع، فقالوا لإبراهيم: يا بن رسول الله، إنّنا قوم لسنا

ص: ٢٠٢

من العرب، و ليس لأحد علينا عقد و لا ولاء، و قد أتيناك بمال فاستعن به، فقال إبراهيم لهم : من كان عنده مال فليعن به أخاه، فأماً أن أخذه فلا^{٥٤٣}.

أدرك الخليفة المنصور خطورة دعوة إبراهيم، و رأى أن يحشد الجند إستعداداً لمواجهة الثّورة فبعث إلى قائد الجيش العبّاسيّ الّذى كان يقاتل الخوارج في الجزيرة يأمره بالعودة، و في الطّريق اعترض أهالي (باحمشا) طريق الجند، و كان

^{٥٣٩} (٤) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢٤٨ .

^{٥٤٠} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيّين: ٣١٩ .

^{٥٤١} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٢٤٩ .

^{٥٤٢} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيّين: ٣٣٧ .

^{٥٤٣} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيّين: ٣٣٣ .

عدهم نحو الفين، و قالوا للقائد العباسي داود بن سليمان : لا ندعك تجوزنا لتنصر أبا جعفر على إبراهيم . أشتبك الأهالي مع جند العباسيين و انتهى القتال بقتل خمسمئة من الأهالي^{٥٤٤}.

ذكر الطبري أن إبراهيم قدم إلى البصرة في أول سنة (١٤٣ هـ)^{٥٤٥}، فأقام بها مختفيا يدعو أهلها في السر إلى البيعة لأخيه محمد. و يتفق الطبري و الإصفهاني بأن أول خروج إبراهيم بالبصرة كان في غرة شهر رمضان سنة (١٤٥ هـ)^{٥٤٦}.

خرج إبراهيم في ليلة أول رمضان في أربعة عشر فارسا قاصدين ناحية بنى يشكر، و قدم إليه هناك بعض أنصاره من بنى تميم. و قصدوا جميعا إلى دار الإمارة حيث يقيم والي العباسي سفيان من معاوية فحاصروا الدار . و قدم أبو حماد الأبرص لنجدة والي على رأس ألفين من الجند، فنجح إبراهيم و أنصاره في الإلتصار عليهم، و استولوا على دوابهم و استخدموها في القتال. و أشعل إبراهيم النيران في رحبة القصر فاضطر سفيان و من معه من رجاله إلى طلب الأمان فأمتهم إبراهيم على أرواحهم و أمر بحبس سفيان في القصر. و قدم جعفر

ص: ٢٠٣

و محمد ابنا سليمان بن علي العباسي و كانا في البصرة يومئذ على رأس ستمئة جندي لنجدة والي العباسي، و لكن أحد أنصار إبراهيم قاد ثمانية و أربعين رجلا و نجح في هزيمة الأخوين العباسيين و استولى إبراهيم على بيت المال فوجد فيه مليوني درهم ففرض لكل رجل من رجاله خمسين درهما، فكان الناس يقولون: خمسون و الجنة^{٥٤٧}.

ثم أتجه إبراهيم إلى السيطرة على الأهواز و فارس، فبعث إلى كل مصر منهما جماعة من رجاله، و نجحوا في السيطرة عليهما، و في هزيمة أعداد كبيرة من جند ال عباسيين «فصارت البصرة و الأهواز و فارس في سلطان إبراهيم»^{٥٤٨}. ثم استطاع إبراهيم أن يمد نفوذه إلى مدينة واسط أيضا بعد اشتباكات حربية عنيفة بين أنصاره و أنصار العباسيين «و لم يزل إبراهيم مقيما بالبصرة بعد ظهوره يفرق العمال في النواحي، و يوجه الجيوش إلى البلدان حتى أتاه نعي أخيه محمد»^{٥٤٩}.

و تحدث المسعودي عن اتساع دعوة إبراهيم فقال : «و مضى إبراهيم إلى البصرة، فأجابه أهل فارس و الأهواز و غيرهما من الأمصار»^{٥٥٠}، و سار من البصرة في عساكر كثيرة من الزيدية، و جماعة ممن يذهب إلى قول البغداديين من المعتزلة و غيرهم و معه عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب^{٥٥١}. و كان عيسى هذا زعيم الشيعة الزيدية في ذلك الحين، و قد حاول الخليفة المنصور استمالة ليصرفه عن تأييد إبراهيم، دون جدوى،

ص: ٢٠٤

^{٥٤٤} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٣٣.

^{٥٤٥} (٣) انظر، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ٨٤، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٤١، مقاتل الطالبين: ٣١٧.

^{٥٤٦} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١ / ٢٥١، مقاتل الطالبين: ٣٢١.

^{٥٤٧} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٥١ - ٢٥٢، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٢٣.

^{٥٤٨} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٥٢، الحور العين: ٢٧٢، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ٨١.

^{٥٤٩} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ: ٦ / ٢٥٤.

^{٥٥٠} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٥٢.

^{٥٥١} (٥) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٠٨.

فقد استمر عيسى على إخلاصه لإبراهيم حتى قتل، فتوارى عيسى إلى أن مات^{٥٥٢}.

انضم إلى إبراهيم كثير من أصحاب زيد بن علي، وفي مقدمتهم سلام بن أبي واصل الحذاء، و حمزة بن عطاء البرني، و خليفة بن حسان الكيال^{٥٥٣}.

و أعلن الإمام أبو حنيفة النعمان تأييده لإبراهيم^{٥٥٤} فيقول الإصفهاني: «كان أبو حنيفة يجهر في أمر إبراهيم جهرا شديدا، و يفتي الناس بالخروج معه». و قد سبق أن شهدنا تأييد الإمام مالك بن أنس لحركة محمد النفس الزكية في بلاد الحجاز . و كان لموقف هذين الإمامين من ثورة الأخوين، أثره في انضمام كثير من الناس إلى الثورة^{٥٥٥}.

كتب الإمام أبو حنيفة إلى إبراهيم يشير عليه أن يقصد الكوفة حيث تؤيده الزيدية فكتب إليه : «أنتها سرا فأنا هنا من شيعتكم يبيتون^{٥٥٦} أبا جعفر فيقتلون، أو يأخذون برقبته فيأتونك به^{٥٥٧} و أدى موقف أبي حنيفة من إبراهيم إلى غضب الخليفة المنصور عليه، حتى قيل أن المنصور وضع له السم في شربة عسل فمات^{٥٥٨}.

ص: ٢٠٥

انضم الفقهاء إلى ثورة إبراهيم، فيقول الإصفهاني : «و لم يتخلف أحد من الفقهاء و من هولاء الفقهاء عباد بن العوام، و أبو العوام القطان، و كان الأخير من جملة محدثي البصرة، و هو من أصحاب الحسن البصري»^{٥٥٩}.

الموقف في البصرة بعد إستشهاد محمد النفس الزكية:

و بينما كان إبراهيم يمضي من نجاح إلى فوز جاءه نبأ إستشهاد أخيه محمد النفس الزكية في المدينة قبل عيد الفطر بأيام ثلاثة، فكان لهذا النبأ أسوأ الأثر في نفسه فبكى أ خاه طويلا، و خرج يوم عيد الفطر يصلي بالناس «و هم يعرفون فيه الإنكسار و أخبر الناس بقتل محمد فازدادوا في قتال أبي جعفر بصيرة»^{٥٦٠}.

وقف إبراهيم على المنبر يرثي أخاه بهذه الأبيات:^{٥٦١}

^{٥٥٢} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٥٧.

^{٥٥٣} (٢) انظر، الإفاداة في تاريخ الأئمة السادة: ٨٦.

^{٥٥٤} (٣) انظر، الإفاداة في تاريخ الأئمة السادة: ٨٦.

^{٥٥٥} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٦١، الحصري، زهر الآداب: ٢ / ٧١٠.

^{٥٥٦} (٥) انظر، يبيتونه: أي يهاجمونه ليلا.

^{٥٥٧} (٦) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٦٦، الحصري، زهر الآداب: ٢ / ٧١٠.

^{٥٥٨} (٧) انظر، الشَّهرستاني، الملل و التحل: ٨٩ / ١، مقاتل الطالبين: ٢٤٧، الخطيب البغدادي:

١٣ / ٣٩٨، الكواكب الدرية: ١ / ١٧٥، الفصول في الأصول للحصَّاص: ١ / ٧٨، الطبقات الكبرى:

٧ / ٣٢٢، عمدة الطالب: ١١٠، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر: ١ / ٢١٤.

^{٥٥٩} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٦٦، الحصري، زهر الآداب: ٢ / ٧١٠.

^{٥٦٠} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٧١.

^{٥٦١} (٣) الأبيات لراسع بن حشرم يرثي هدية . انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٢٢٢، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٢٢٨، الأغاني: ٢١ / ١٧٧، المعتزلي، شرح نهج البلاغة: ٣ / ٣٠٩.

يفجع بمثلك فى الدنيا قد فجعا

أبا المنازل يا خير الفوارس

و أوجس القلب من خول لهم فرعا

الله يعلم أنى لو خسيتهم

حتى نموت جميعا أو نعيش معا

لم يقتلوه و لم أسلم أخى لهم

ثم ألقى إبراهيم خطبة موجزة، كان يتخللها، بكاء حار، فقال: «اللهم أنك تعلم أن محمدا إنما خرج غاضبا لك، و نفيا لهذه المسودة^{٥٦٢} و إيثارا لحقك، فأرحمه و اغفر له، و أجعل الآخرة خير مرد له، و منقلب من الدنيا»^{٥٦٣}.

ص: ٢٠٦

و لم يزد مقتل محمد النفس الزكية أخاه إبراهيم و أنصاره إلّا حماسة و استبسالا فعزموا جميعا على الأخذ بثأر الشهيد من العباسيين و انطلقت ثورة إبراهيم فى عنف تكتسح أمامها كل مقاومة من الدولة العباسية . و خرج إبراهيم من فوره إلى (الساجور) حيث عسكر بجيشه، و بدأ استعداداته للزحف نحو الكوفة لقتال الخليفة المنصور، و استنفز الناس للمعركة القريبة، و أقبلت الرايات من كل صوب، و احتشدت الشيعة فى البصرة و الأهواز و بعث إبراهيم كتائب تسيطر على البلاد المجاورة.

و كان موقف الخليفة المنصور حرجا . فما زال الجيش الذى يتولى عيسى بن موسى قيادته فى بلاد الحجاز، كما فرق المنصور جيوشه فى الأمصار المختلفة.

و قد جعفر و محمد ابنا سلمان على المنصور، من البصرة، يرويان له مشاهداتهما فى البصرة، و يتحدثان عن قوة إبراهيم و كثرة جنده و شيعته.

و أعترف المنصور بقوة جنده و حرج موقفه فقال لهما : «و الله ما أدري كيف أصنع، و الله ما فى عسكرى إلّا ألفا رجل، فرقت جندى، فمع المهدي بالرى ثلاثون ألفا، و مع محمد ابن الأشعث فأفريقيا أربعون ألفا، و الباقون مع عيسى بن موسى، و الله لئن سلمت من هذه لا يفارق عسكرى ثلاثون ألفا»^{٥٦٤}.

لم يكن مع الخليفة المنصور غير ألفى جندى، معظمهم من السودان . و أراد المنصور خداع أهالى الكوفة بأبهامهم بكثرة جنده حتى لا يشجعهم على الثورة عليه فكان يأمر بالحطب فيحزم ثم يوقد بالليل، فيراه بالليل، فيراه الرائي فيحسب أن هناك ناسا، و ما هى إلّا نار تضرم و ليس عندها أحد^{٥٦٥}.

ص: ٢٠٧

^{٥٦٢} (٤) انظر، المسودة: أي العباسيون إذ اتخذوا اللون الأسود شعارا لهم.

^{٥٦٣} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٤٣.

^{٥٦٤} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٥٤ / ٦.

^{٥٦٥} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٥٥ / ٦.

كتب المنصور إلى عيسى بن موسى بالمدينة يستحثه على الرجوع، فسرعان ما قدم عليه ثم قدم مسلم بن قتيبة من الرى، فضم المنصور جيشه إلى جيش عيسى، رغم ما كان بين القائدين من تحاسد و بغضاء ^{٥٦٦}. و راسل مسلم قبيلة بالبصرة، فأعلنت ولاءها للعباسيين و كتب الخليفة المنصور إلى ابنه و ولى عهده المهدي، و كان بالرى، يأمره بتوجيه حازم بن خزرجة إلى الأهواز، فأنفذه المهدي في أربعمئة ألف جندي ^{٥٦٧}.

شهدت الأهواز أوّل صدام حربى بين جند العباسيين و قوات إبراهيم . فقد قدم حازم على رأس الجيش العباسي إلى الأهواز، حيث كان المغيرة مسيطرا عليها باسم إبراهيم، و قام حازم بقطع الجسر، و استولى على السفن . و بدأ الصدام بين القوتين، و رغم أن اتجاه هبوب الرياح كان لصالح الجيش العباسي، إلّا أن حازما نجح في إلحاق الهزيمة في أوّل الأمر بالعباسيين. و لكن توافد الإمدادات على حازم نجح في الانتصار على المغيرة الذى آثر الانسحاب إلى البصرة، و فقد إبراهيم بذلك الأهواز ^{٥٦٨}.

قضى الخليفة المنصور فترة قلقة ينتظر فيها عودة جيش عيسى بن موسى من بلاد الحجاز، حتّى يعهد إليه بالقضاء على ثورة إبراهيم بالبصرة . و كان المنصور مقدرا خطورة الموقف، شاعرا بالحرص حتّى أنّه خرج من قصره فأقام في معسكر وسط جنده، و ظل يقيم فوق مصلى أكثر من خمسين ليلة، فكان عليه مجلسه و نومه، و لم يغير الجبة حتّى اتسخت . و كان إذا حاول أحد خاصته تهدئة

ص: ٢٠٨

٥٦٩

١٨٢١١ جهاد الشيعة فى العصر العباسي الاول ؛ ص ٢٠٨

خاطره، أنشد ^{٥٧٠}:

و نصبت نفسى للرماح دريئة
إنّ الرئيس لمثل ذاك فعول

قدم عيسى بن موسى على الخليفة المنصور، فتنفس الصّعداء، فعهد إليه بقتال إبراهيم . و يبدو مدى تقدير المنصور لمقدرة عيسى فى هذه العبارات التى قالها لأحد خاصّته : (أنّ إبراهيم قد عرف و عورة جانبى، و صعوبة ناصيتى، و خشونة قرنى،

^{٥٦٦} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٢٤.

^{٥٦٧} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٥٥ / ٦.

^{٥٦٨} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٢٧ - ٣٢٩.

^{٥٦٩} ليثى، سميره مختار، جهاد الشيعة فى العصر العباسي الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامى - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

^{٥٧٠} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٥٥ - ٢٥٦، الذهبي، سير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٢١، لمجهول، الدولة العباسية: ٣١٩، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ: ٥ / ٥٦٦، الذهبي، تاريخ الإسلام: ٩ / ٣٩.

وإنما جرّاه على المسير إلى من البصرة، إجتماع هذه الكور المطلة على عسكر أمير المؤمنين و أهل السّواد معه على الخلاف و المعصية و قد رميت كلّ كورة بحجرها، و كل ناحية بسهمها، و وجهت إليهم الشّهم النّجد الميمون المظفر عيسى بن موسى، في كثرة من العدد و العدة، و استعنت بالله عليه، و أستكفّيته إيّاه فإنّه لا حول و لا قوّة لأمير المؤمنين إلّا به^{٥٧١}.

الصّدام العسكري:

وجّه الخليفة المنصور عيسى بن موسى لقتال إبراهيم فتقدم على رأس جيش عدّته خمسة عشر ألفا، و جعل المنصور على مقدّمة الجيش حميد بن قحطبة على ثلاثة آلاف جندي و سحب المنصور الج يش العبّاسيّ حتّى بلغ نهر البصريّين ثمّ عاد إلى الكوفة. و تقدّم إبراهيم على رأس جيشه، و كان يتألّف من نحو عشرة آلاف جندي و رغم أنّ ديوان إبراهيم كان يضم أسماء مئة ألف من أهل البصرة. و بدأ إبراهيم زحفه من خريبة البصرة نحو الكوفة^{٥٧٢}.

ص: ٢٠٩

تقدّم أحد رجال إبراهيم بالنّصيحة إليه، فأشار عليه ألاّ يتوجه لقتال عيسى ابن موسى بل يسلك طريقا آخر يوصله إلى الكوفة حيث يفاعى أبا جعفر المنصور و أنهى نصيحته لإبراهيم بقوله: «إنّك غير ظافر على هذا الرّجل حتّى تأخذ الكوفة فإن صارت لك مع تحصنه بها لم تقم له بعدها قائمة^{٥٧٣}. و أشارت الزّيدية^{٥٧٤} على إبراهيم برفض هذه الفكرة و اعتبرت هذه الخطّة من فعال السّراق . تقدم رجل آخر إلى إبراهيم يدعى عبد الواحد بن زياد بإقتراح آخر، فقال : «فأرجع إلى البصرة، و دعنا نقاتل عيسى فإن هزمنا أمددتنا بالإمداد».

و أعتزّت الزّيدية أيضا على هذا الإقتراح و قالت : «أترجع عن عدوك و قد رأيته؟ فعود الرّجل النّصيحة فاقترح على إبراهيم حفر خندق حول معسكره فأعتزّت الزّيدية أيضا على الإقتراح و قالت: أتجعل بينك و بين الله جنّة»^{٥٧٥}.

فتقدم الرّجل بإقتراح أخير، فقال لإبراهيم : «إجعل عسكرك كراديس، إذا هزم منهم كردوس ثبت كردوس « فرفضت الزّيدية هذا الإقتراح أيضا، و قالت «لا نكون إلّا صفاً واحدا كما قال الله تعالى: **كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ**»^{٥٧٦}.

التقى الجيشان في (باخمرا)^{٥٧٧} و هي على ستّة عشر فرسخا من الكوفة و دارت معركة رهيبه و لحقت الهزيمة بقوات حميد بن قحطبة، و كان على مقدّمة جيش عيسى بن موسى، و سارع الجند العبّاسيون إلى الفرار فعرض لهم عيسى

ص: ٢١٠

^{٥٧١} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢٥٦ / ٦ - ٢٥٧.

^{٥٧٢} (٣) انظر، ابن جرير، ت. ريخ الطّبري: ٢٥٨ / ٦، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣٢٧ - ٣٢٨.

^{٥٧٣} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢٥٨ / ٦، الدّهلي، سير أعلام النبلاء: ٩ / ٤٠.

^{٥٧٤} (٢) انظر، أنصار عيسى بن زيد الذي كان منضمّا إلى إبراهيم.

^{٥٧٥} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٢٩، محسن الأمين، أعيان الشّيعه: ١٧٩ / ٢.

^{٥٧٦} (٤) الصّف: ٤.

انظر، الإصفهاني: مقاتل الطّالبيين ص: ٣٤٤، ابن الأثير: الكامل في التّاريخ ج ٥ ص: ٢٢٩.

^{٥٧٧} (٥) انظر، ياقوت، معجم البلدان: ٣١٦ / ١، الإفاده في تأريخ الأئمة السّادة: ٦٩.

ابن موسى يناشدهم الله والطاعة فلا يلوون عليه، و مروا منهزمين، و أقبل حميد ابن قحطبة منهزماً، فقال له عيسى بن موسى: يا حميد، الله الله و الطاعة فقال : لا طاعة في الهزيمة^{٥٧٨}، و سمع الخليفة المنصور نبأ الهزيمة التي لحقت بجيشه، فأمر بأعداد الإبل و الدواب على جميع أبواب الكوفة ليهرب عليها.

صمد عيسى بن موسى في موضعه، رغم فرار جنده حتى أنه بقي في مئة رجل من خاصته و حشمه و نصحه البعض بالانسحاب و النجاة بنفسه، فقال : لا أزول عن مكاني هذا أبداً حتى أقتل أو يفتح الله على يدي و لا يقال إنهم^{٥٧٩}. كما صمد أيضاً جعفر و محمد ابنا سليمان و قد نجحاً في إنقاذ الجيش العباسي من مصيره المؤلم الذي كان قاب قوسين أو أدنى.

تقدم إبراهيم في جنده ليقا تل عيسى بن موسى الذي ظل صامدا في ميدان القتال، و نجح حميد بن قحطبة في جمع أشات جنده المنهزمين، و انضم إلى عيسى و حدث أن أصيب عيسى بسهم، فاضطر إلى الانسحاب مع جنده و تبعهم جند إبراهيم، فنادى منادى إبراهيم : ألا لا تتبعوا مدبرا فعاد هؤلاء الجند و ظن جند عيسى أن الهزيمة قد لحقت بجند إبراهيم المنسحبين، فكروا في آثارهم و نجحوا في إلحاق الهزيمة بهم و أصيب إبراهيم بسهم قاتل.

و طلب إبراهيم من خاصته أن ينزلوه من فوق فرسه، و هو يقول : **وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا**^{٥٨٠}، «أردنا أمرا و أراد الله غيره»^{٥٨١}. و إجتمع حوله بعض

ص: ٢١١

أصحابه و خاصته يحمونه و يقاتلون دونه . و شدد حميد بن قحطبة و رجاله الهجوم عليهم حتى اضطروهم للانسحاب. و تقدم مولى لعيسى بن موسى فاحتز رأس إبراهيم و حملها إلى سيده^{٥٨٢}.

شهيد باخمري:

و هكذا كانت النهاية المؤلمة لحياة إبراهيم بن عبد الله، في (٢٥ من ذى القعدة سنة ١٤٥ هـ)، و كان عمره حينئذ ثمانى و أربعين سنة، و استمرت ثورته منذ خرج إلى أن أستشهد ثلاثاً أشهر إلا خمسة أيام^{٥٨٣}.

و ظلت موقعة باخمري ماثلة في الأذهان، تروى للأجيال قصة استشهاد أحد زعماء العلويين، و خبر حلقة من حلقات سلسلة مقاتل الطالبين، و أطلق الناس على هذه الموقعة اسم (بدر الصغرى)^{٥٨٤}.

^{٥٧٨} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٤٦.

^{٥٧٩} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٦٠ / ٦.

^{٥٨٠} (٣) الأحزاب: ٣٨.

^{٥٨١} (٤) الكليني، الكافي: ١ / ٢٧٨ ح ٣، الجصاص، أحكام القرآن: ٢ / ٢٣٦، ابن عنبه، عمدة الطالب:

١١٠، الواحدي، أسباب النزول: ١٠٠، القرطبي، تفسير القرطبي: ٥ / ١٦٨.

^{٥٨٢} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٦١ - ٢٦٢، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٤٧ - ٣٤٩، العمري، المجدي في أنساب الطالبين: ٤٢.

^{٥٨٣} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٦٢.

^{٥٨٤} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٦٥.

حملت رأس إبراهيم إلى الخليفة المنصور، فنظر إليها ثم تمثل بقول الشاعر:

فألقت عصاها و استقرت بها النوى كما قرّ عينا بالإياب المسافر^{٥٨٥}

و يروى الطبري أنّ المنصور بكى حتّى قطرت دموعه على خدّ إبراهيم ثمّ خاطب الرّأس : أما و الله إنّى كنت لهذا لكارها، و لكنّك أبتليت بى، و أبتليت بك

ص: ٢١٢

و عقد المنصور مجلسا عامّا و أذن للنّاس بالدّخول عليه، فكان بعضهم يتملق الخليفة فيهبجو إبراهيم، فيبدي المنصور إستياءه، حتّى دخل جعفر بن حنظلة البهراني فقال للخليفة : «عظّم الله أجرك يا أمير المؤمنين فى ابن عمّك، و غفر له، ما أفرط فيه من حقّك فأبدى المنصور رضاه على هذا القول ممّا جعل سائر القوم الذين دخلوا على المنصور يقولون مثله»^{٥٨٦}.

نهى إبراهيم جنده عن أن يتبعوا المدبرين من الجند العبّاسيين، ممّا أدى إلى هزيمة جنده و مصرعه . رغم أنّ الإمام أبا حنيفة كان قد بعث برسالة إلى إبراهيم جا ء فيها: «إذا أظفرك الله بعيسى و أصحابه فلا تسرّ فيهم مسيرة أيبك فى أهل الجمل فإنّه لم يقتل المنهزم، و لم يأخذ الأموال، و لم يتّبع مدبرا و لم يذف على جريح، لأنّ القوم لم يكن لهم فئة، و لكن سرّ فيهم بسيرة يوم صفّين، فإنّه سبى الذّريّة، و ذفف على الجريح و قسّم الغنيمة لأنّ أهل الشّام كانت لهم فئة و كانوا فى بلادهم»^{٥٨٧}.

غادر الزعماء العلويون المدينة و البصرة بعد مقتل محمّد و أخيه إبراهيم و رحلوا إلى الكوفة حيث اختفوا شهرا، و لكن الرّبيع بن يونس حاجب المنصور فطن إلى مكانهم و قدم بهم ليمثلوا بين يدي الخليفة المنصور . و دخل اثنان منهم، و هما جعفر بن محمّد، و الحسن بن زيد على المنصور، فسألهما المنصور:

ص: ٢١٣

أتدرون لم دعوتكم؟.

فأجاب جعفر بن محمّد: لا.

^{٥٨٥} (٤) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ٤٥٦، المعتزلي، ابن أبي الحديد في شرح التّهج: ١/ ٦٣، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٣، ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣/ ٢٧، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٣/ ١٧١، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦/ ٨٧، المزني، تهذيب الكمال: ٢٤٩، الذّهي، ميزان الاعتدال: ٢/ ٣٠١، اسد الغابة: ٥/ ٤٦٨، المفيد، كتاب الجمل: ٨٤.

^{٥٨٦} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦/ ٢٦٣، المزني، تهذيب الكمال: ٢١/ ٣٣٨، أبو نعيم، حلية الأولياء: ٥/ ١٠٨، خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٣/ ١٩٦، الخطيب، تاريخ بغداد: ١٢/ ٢٦٩.

و قد بكى المنصور أيضا عند سماعه نبأ موت الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام انظر، تاريخ اليعقوبي:

٣/ ١١٧، كما سيبيكي الخليفة الهادي حينما يعلم بمصرع الحسين ابن عليّ عليه السّلام انظر، المسعودي، مروج الذّهب: ٣/ ٢٣٧.

^{٥٨٧} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣٦٧.

فقال المنصور: أردت أن أهدم رباعكم، و أروع قلوبكم، و أعقر نخلكم، و أترككم بالسّراة لا يغريكم أحد من أهل الحجاز و أهل العراق فإنّهم لكم مفسدة . فقال جعفر: يا أمير المؤمنين أنّ سليمان أعطى فشكر، و أنّ أيوب أبتلى فصبر، و أنّ يوسف ظلم فغفر، و أنت من ذلك النّسل، فعفا المنصور عنهم، و طلب منهم أن يختاروا مدينة يقيمون بها، فاختاروا المدينة المنورة^{٥٨٨}.

كان قد انضم كثير من الفقهاء و العلماء إلى إبراهيم، و فى مقدّماتهم الفقيه عبادة ابن العوام الذى أيد إبراهيم و شاركه حروبه و بحث المنصور عنه بعد مقتل إبراهيم فتوسط المهدي له عند أبيه ليعفو عنه، فوهبه له و اشترط عليه ألا يظهر و ألا يحدث فضل متواريا حتّى مات المنصور فأذن له المهدي بعد توليه الخلافة بالظهور و الحديث^{٥٨٩}.

ص: ٢١٤

غضب المنصور على الإمام أبى حنيفة لمناصرتة لإبراهيم فى ثورته، فكتب المنصور لعيسى بن موسى و هو على الكوفة يأمره بإنفاذ أبى حنيفة إلى بغداد^{٥٩٠}.

و يتحدث الإصفهاني عن مصير أبى حنيفة فيقول: دعا أبو جعفر أبا حنيفة إلى الطّعام فأكل منه ثمّ استقى فسقى شربة عسل مجدوحة، و كانت مسمومة فمات من غد، و دفن فى بغداد فى المقابر المعروفة بمقابر الخيزران^{٥٩١}.

و كان عبد الله بن الحسن و آله لا يزالون فى سجن المنصور، بعد مقتل محمد النّفس الزّكية و إبراهيم، و قد تناقص عددهم إذ مات كثير منهم فى ذلك السّجن المظلم غير الصّحى، فبلغ عدد من بقى منهم خمسة . و أمر الخليفة المنصور حاجبه الرّبيع بن يونس بحمل رأس إبراهيم إلى أبيه عبد الله فى سجنه. فأخذ

^{٥٨٨} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣٥١. جعفر بن محمد: هو الإمام جعفر الصّادق عليه السّلام.

^{٥٨٩} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣٦٧.

انظر، كشف الغمّة: ١٥٨/٢، البحار: ١٨٢/٤٧ و ١٧٨ ح ٢٨ و ٢٦، و: ٩٥/٢٢٣ ح ٢٢، إحقاق الحقّ: ١٩/٥١٤ و ٥١٣، و: ١٢/٢٥٠ و ٢٤٦، العقد الفريد: ٢٨/٢، المناقب لابن شهر آشوب:

٣/٣٥٨، و مدينة المعاجز: ٣٦١ ح ١٩، الأخبار الموقّيات: ١٤٩، الصّحيفة السّجّادية الجامعة:

٣٦٨ ح ٣٦٨، وسيلة النّجاة: ٣٥٩، سير أعلام النّبلاء: ٦/٢٦٦، الفرج بعد الشّدّة: ٧٠، تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ٣٥٣، و: ٣٤٤ طبعة أخرى، المختار للحزري: ١٨، كفاية الطّالِب:

٣٠٧، حلية الأولياء: ٣/١٩٢، مطالب السّؤول: ٨٢، نور الأبصار: ٢٩٥، و ٤٥٥ طبعة أخرى، الآيات البيّنات: ١٦٢، صفوة الصّفوة: ٢/١٧٦، روض الرّياحين: ٥٨، عين الأدب و السّياسة: ١٨٢.

و لا يخفى أنّ المنصور الدّوانيقي استدعى الإمام الصّادق عليه السّلام مرّات عديدة فالمرّة الأولى ذكرها صاحب مهج الدّعوات: ١٧٥، و المرّة الثّانية: ١٨٤، و الثّالثة: ١٨٦، و الرّابعة: ١٨٨، و الخامسة: ١٩٢، و السادسة: ١٩٨، و السّابعة: ٢٠١ و أخرى فى الحيرة ذكرها في: ٢١٢، و تاسعة: ٢١٣.

و انظر، دلائل الإمامة للطّبري: ١١٩، الخرائج و الجرائح: ٣٥٧، فصل الخطاب: ٣٨١ و ٣٣٥، إثبات الهداة: ٥/٤٤٦ ح ٢١٥، الثّاقب فى المناقب: ٢٠٨ ح ١٣، مقتل الحسين للخوازمي:

١١٣/٢ و قد ذكر الدّعاء فقط، مستدرک الوسائل: ١٣/١٧٣ ح ١، و: ١٥/٢٤١ ح ٢٨، البرهان:

٢/٢٩٩ ح ٧، عوالي اللآلي: ١/٤٣٧ ح ١٠، الكافي: ٦/٤٤٥ ح ٣، تأريخ دمشق ترجمة الإمام الصّادق عليه السّلام مخطوط، إثبات الوصية للمسعودي: ١٨٣، الإرشاد للشّيخ المفيد: ٢/١٨٢-١٨٤، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ٣/١١٢ و ١١٣ طبعة أسوة، الصّواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي:

٢٠١-٢٠٢، الفصول المهمّة فى معرفة الأئمّة لابن الصّبّاغ المالكي: ٢/٢٤٣، بتحقيقنا.

^{٥٩٠} (١) انظر، الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد: ١٣/٣٣١-٣٣٣.

^{٥٩١} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٤٧، الخطيب البغدادي: ١٣/٣٩٨، الكواكب الدّريّة:

١/١٧٥، الفصول فى الأصول للحصّاص: ١/٧٨، الطّبقات الكبرى: ٧/٣٢٢، عمدة الطّالِب:

١١٠، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر فى أيام العرب و العجم و البربر و من عاصروهم من ذوي السّلطان الأكابر: ١/٢١٤.

عبد الله رأس ابنه فوضعه في حجره و قال له: أهلا و سهلا يا أبا القاسم. و الله لقد كنت من الذين قال الله عز و جل فيهم: **الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَ لَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَ الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**^{٥٩٢}.

ثم قال عبد الله للربيع قل لصاحبك قد مضى من يؤسنا أيام و من نعيمك أيام، و الملتقى يوم القيامة و نقل الربيع هذا القول إلى المنصور، و يصف الربيع وقع هذه الكلمات في نفس المنصور فيقول: فما رأيت المنصور قط أشدّ إنكسارا منه في الوقت الذي بلغته فيه هذه الرسالة^{٥٩٣}.

و كان الجدير بالمنصور، بعد الذي حدث، أن يمن على من بقى من بنى الحسن و يخفف عنهم كربتهم و يطلق سراح المسجونين منهم، و لكنّه لم يفعل، فمات عبد الله بن الحسن في سجنه و جماعة آخرون معه، و بقى طوال مدّة خلافته غير راض عنهم و عمّن شهر السيّف معهم، و من أفتى لهم من الأئمة بالخروج عليه، و منهم الإمام أبو حنيفة و الفقيه عبد الحميد بن جعفر، و ابن عجلان في البصرة و الإمام مالك بن أنس في المدينة و قد أصيب هؤلاء كلّهم بأذى منه^{٥٩٤}.

و كان مصرع إبراهيم إيدانا بنهاية نفوذه في الأمصار الإسلامية. و كان إبراهيم قد بعث عمرو بن شداد و معه ثلاثون رجلا من أنصاره إلى فارس فطردوا عنها و إلى الخليفة المنصور و سيطروا على البلاد حتّى إذا علم عمرو بمصرع أبيه سارع إلى الفرار إلى كرمان ثمّ إلى البصرة، حيث إختفى هو و أصحابه. و ما لبث

المنصور أن قبض عليه فقطع يديه ثمّ رجله ثمّ ضرب عنقه^{٥٩٥}.

و استمر أهل واسط على ولائهم حتّى لقي إبراهيم حتفه و كان إبراهيم قد ولى عليها هارون بن سعد، فأسرع إلى الفرار إلى البصرة^{٥٩٦}.

عوامل إخفاق ثورتى النفس الزكيّة و إبراهيم:

انتهت حركتا محمد النفس الزكيّة و إبراهيم بالإخفاق، و استشهد الزعيمان و لنا أن نتساءل عن عوامل إخفاق هاتين الحركتين الشيعيتين الثورتين، رغم قوتها و خطورتها، و اتّساع انتشارهما في كثير من الأمصار الإسلامية، و إقبال كثير من المسلمين على تأييدهما في كثير من الأمصار الإسلامية، و إقبال كثير من المسلمين على تأييدها و مؤازرتها، فقد انتشرت الدّعوة للأخوين في الحجاز، و العراق، و خراسان، و مصر، و بلغ جند محمد النفس الزكيّة مئة ألف، كما أحصى ديوان إبراهيم بالبصرة مئة ألف أخرى^{٥٩٧}. كما قامت الحركتان في فترة حرجة من فترات حكم الدّولة العباسيّة فقد واجه

^{٥٩٢} (١) الزّعد: ٢٠ - ٢١.

^{٥٩٣} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣١٠ - ٣١١.

^{٥٩٤} (٣) انظر، الجومرد، أبو جعفر المنصور: ١٩٢.

^{٥٩٥} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣٣١.

^{٥٩٦} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣٣٢.

^{٥٩٧} (٣) انظر، الأشعري، مقالات الإسلاميين: ٢٩ / ١.

الخليفة المنصور كثيرا من الفتن و الإضطرابات الداخلية في مقدّماتها محاولات أبى سلمة الخللّ لتحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين و عداء أبى مسلم الخراساني، كما واجه المنصور أيضا الفتنة التي أثارها عمّه عبد الله بن عليّ و انضم إليها كثير من المناوئين لخلافة المنصور . كما ثارت في عهد المنصور حركات الزنادقة التي كانت تهدد كيان الدولة العباسية، فضلا عن تهديدها للإسلام و العروبة و النظم

ص: ٢١٧

الإجتماعية^{٥٩٨}. إلى جارب استمرار خطورة الخوارج و ترقب بنى أمية الفرصة للإنتقام و الثأر، فضلا عن المشاكل الخارجية مع الدولة البيزنطية.

يمكننا أن نصنف العوامل التي أدت إلى إخفاق حركتي محمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم إلى عوامل سياسية و عوامل اقتصادية، و عوامل عسكرية، و عوامل إجتماعية.

العوامل السياسية:

كان أول هذه العوامل السياسية التي أدت إلى إخفاق حركتي الأخوين، هو ما أبداه الخليفة المنصور من شجاعة و رباطة جأش و ما اتّخذ من إستعدادات و مقومات الإنتصار و ما اتّصف به من دهاء و ذكاء، و ما اشتهر به من عبقرية سياسية و حرية. فقد استطاعت هذه الصفحات كلّها أن تجمع و تتبلور لتواجه تلك الحركتين الخطيرتين، ممّا حقق للمنصور الفوز و الإنتصار.

لم يستبد المنصور برأيه حينما واجه الثورة، بل لجأ إلى المشورة دائما في كلّ موقف، فكان يستشير خاصته و رجاله على اختلاف مراكزهم و خبراتهم بل قد رأينا أنّه يبعث إلى عمّه عبد الله بن عليّ في سجنه، يستشير . و تعددت المشورات، فكان المنصور يناقش أصحابها و يقارن بينها و يقيسها بمقاييس العقل، و المنطق، و الظروف و يأخذ بأكثرها صلاحية و نفعا و إيجابية. بينما لا نجد في الروايات التي نقله المؤرخون إلينا لجوء محمد النفس الزكية و إبراهيم إلى الإعتماد على أهل المشورة و الرأى الصائب . بل كثيرا ما قبلا مشورة غير أهل الرأى، ممّا أدى إلى أوخم العواقب . فقد رضى محمد النفس الزكية إلى رأى

ص: ٢١٨

بعض أصحابه الذين حثوه على التعجيل بإعلان ثورته، رغم أنّه لم تكن قد توفرت لها بعد جميع مقومات النجاح و الفوز، حتّى أنّ أخاه إبراهيم أبدى وجله و ألمه حينما وصله كتاب أخيه محمد يعلن له فيه نبأ خروجه كما استجاب محمد لنصيحة من أشاروا عليه بالإستمرار في الإقامة في المدينة و عدم الخروج إلى مصر، رغم حرج موقفه في المدينة، ممّا ضيّع عليه فرصة ذهبية كانت تكتب له النجاة من مصيره المؤلم^{٥٩٩}. كما كان لرضوخ إبراهيم لمشورة بعض أصحابه حول

^{٥٩٨} (١) انظر كتابنا (الزندقة و الشعوبية) تجد كثيرا من التفاصيل حول حركات الزنادقة في عصر المنصور (طبعة مكتبة الانجلو المصرية سنة ١٩٦٨ م).

^{٥٩٩} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٠٧ / ٦.

الخطط الحربية و تنظيم الجيش . كما سيّضح بعد قليل، من عوامل هزيمته في موقعة (باخمري) بعد أن حاز في أوّل الأمر إنتصارات رائعة^{٦٠٠}.

تفوق محمد النفس الزكيّة و إبراهيم على المنصور، من عدة نواح فقد كان انتسابهما إلى بيت عليّ بن أبي طالب^{٦٠١}. و ما اتصفا به من تدين و تقوى، و علم و فقه^{٦٠٢} و سجايا كريمة، من عوامل إنتشار دعوتهما، و اتّجاه قلوب و مشا عر الناس نحوهما فتفوّق الأخوان على المنصور في إقبال الناس على تأييدهما دونه، و في غزو القلوب و النفوس و في حشد الجيوش و القوات الكثيفة . لكن المنصور تغلب عليهما بدهائه و بوسائله السياسيّة فانتصر عليهما، في ميادين السياسة، قبل أن ينتصر عليهما في ميادى ن الحرب، بل كان الإنتصار السيّاسي، تمهيدا للنصر العسكري و شهدنا صورا لهذه الإنتصارات السياسيّة التي أضعفت من شأن اتّساع دعوة محمد و إبراهيم . و قلّلت من أهمية كثرة أنصارهما و حدّت من نشاطهما السيّاسي و الحربي.

ص: ٢١٩

اختفى محمد النفس الزكيّة عن أنظار المنصور عدّة سنوات، و حاول المنصور الوقوف على مكان إختفائه . و سلك في سبيل ذلك كلّ المسالك، فبذل الوعود و المهود، و جرّب الوعيد و التهديد، و غير الولاة و العمّال و رحل إلى الحجاز عدّة مرّات، و قبض على عبد الله بن الحسن و آله، و اضطهدهم و عذبهم فلم يجد ذلك فتىلا، و كان المنصور يعلم أنه كلّما طالّت مدّة إختفاء محمد زاد قوّة، و زادت دعوته انتشارا . و لذا رأى المنصور أنّ من مصالحه أن يعجّل بظهور محمد و بإعلان ثورته قبل أن تنفج و تأتي أكلها كما أراد المنصور أن يشعر م حمّد قوّته و اتّساع نفوذه حتّى يظهر على الملأ، فيمكن للمنصور مواجهته و القضاء على حركته و هي لا تزال في المهد و في أوّل الطّريق.

و تحقيقا لهذه السياسة، اتّخذ المنصور الدّهاء و الحيلة سبيلا، فكان المنصور يزيّف كتبها يزعم أنّها واردة من قواده و أنصاره، و قد كتبوها إلى محمد النفس الزكيّة يدعونه فيها للظهور، و أنّهم ينبذون طاعة المنصور و يعدّون محمّدا بالولاء و الطّاعة إن هو أعلن ثورته^{٦٠٣} ممّا جعل محمّدا يظنّ أنّه إن أظهر أمره سارع قواد المنصور و رجاله بالإنضمام إليه.

فروى الطّبري: كان أبو جعفر يكتب إلى محمّد عن ألسن قواده يدعونه إلى الظّهور، و يخبرونه أنّهم معه، فكان محمّد يقول : لو التقينا مال إلى القواد كلّهم^{٦٠٤}.

بل أوعز المنصور إلى قائده الكبير حميد بن قحطبة أن يخدع محمد النفس الزكيّة فيتظاهر بطاعته و الولاء له، و قام حميد بدور بارز في الصّراع الذي دار بين محمّد و المنصور فقد تولّى قيادة أحد الجيش اللّذين بعثهما المنصور إلى المدينة

ص: ٢٢٠

^{٦٠٠} (٢) انظر، ابن الجوزي، صفوه الصّفوة: ٩٧ / ٢.

^{٦٠١} (٣) انظر، يتنسبان إلى الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السّلام

^{٦٠٢} (٤) انظر، الشّريف تاج الدّين، غاية الإختصار: ١٢ - ١٤.

^{٦٠٣} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٦٣ - ١٦٤.

^{٦٠٤} (٢) ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٨٩ / ٦.

لقتال محمد و كان محمد يعتمد على ما أبداه حميد من الولاء و لذا أبدى محمد تعجبه من استمرار حميد فى طاعة المنصور و فى إستبساله فى قتال أهل المدينة.

فقال محمد لحميد: ألم تبايعنى، فما هذا؟.

فقال حميد: هكذا نفعل بمن يفتشى سرّه إلى الصبيان^{٦٠٥}، و من سخرية الأقدار أن يكون مصرع محمد النفس الزكية على يد حميد بن قحطبة و قد قام حميد بإحتراز رأس الشهيد و حملها إلى عيسى بن موسى ثم إلى المنصور.

و أبدى المنصور ثباتا و رباطة جأش فى أخرج المواقف، فلم يستسلم لليأس و القنوط فبعث يستدعى جيوشه المتفرقة فى أرجاء الدولة العباسية كما استدعى الإمداد من بلاد الشام، فكان يقدم عليه فى كل يوم نفر قليل لا يزيد عددهم على عشرة نفر، و لكن المنصور رسم طريقة دخولهم إلى الكوفة بحيث يشعر أهلها أن الإمدادات تتدفق على المنصور، من كل صوب، فكان هؤلاء النفر يدخلون من أحد أبواب الكوفة حتى إذا اجتازوا طرقاتها عادوا للدخول مرة أخرى من باب آخر . و ظل المنصور حتى اللحظة الأخيرة متمسكا بحقه فى الخلافة، يصور نفسه على أنه صاحب الحق الشرعى و أن محمدا النفس الزكية نائر خارج على الطاعة. بينما دب اليأس فى قلب محمد حين اقتحمت الجيوش العباسية عليه المدينة، فأسرع يحلل أنصاره من البيعة له، فقد خطب:

«يا أيها الناس إن هذا الرجل - أى عيسى بن موسى - قد قرب منكم فى عدد و عدة و قد حللتكم من بيعتى، فمن أحبّ المقام فليقم، و من أحبّ الإنصراف فلينصرف»^{٦٠٦}.

ص: ٢٢١

و من أبرز عوامل إخفاق حركة محمد النفس الزكية ثم حركة أخيه إبراهيم تعجل محمد فى الظهور و قيامة بالثورة قبل أن تتوفر لها إمكانيات النجاح، و قبل إرساء دعائم وطيدة تحقق لها النصر . و يبدو أن عبد الله بن الحسن كان يعلم رغبة ولديه محمد و إبراهيم فى التّججيل بقيام الثورة، فكان ينصحهما دائما بالصبر و التّريث، فروى الإصفهاني : «أن محمدا و إبراهيم كانا يأتیان أباهما مقيمين فى هيئة الأعراب فيستأذنان فى الخروج، فيقول: لا تعجلا حتى تملكا»^{٦٠٧}.

و كان محمد النفس الزكية نفسه حينما أعلن ثورته، يدرك أنه لم يحن بعد الأوان و لكنّه رضخ لإلحاح خاصته و أصحابه الذين دفعوه دفعا إلى إظهار أمره، فقالوا له : ما تنتظر بالخروج، و الله ما تجد هذه الأمة أحدا أشأم منك عليها، و ما يمنعك أن تخرج و لو وحدك^{٦٠٨}، و يشير الطبري إلى خروج محمد قبل أن يأخذ للأمر أهبطه، فيقول : «أن محمدا أخرج، فخرج قبل وقته الذى فارق عليه أخاه إبراهيم»^{٦٠٩}، كما يقول الإصفهاني فى أول الفصل الذى عقده للحديث عن حركة محمد و قتله: «و كان سبب عجلته بالخروج قبل أن يتم أمر دعائه الذين أنفذهم إلى الآفاق ... إلخ»^{٦١٠}.

^{٦٠٥} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٧٠.

^{٦٠٦} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٣٠٨.

^{٦٠٧} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٣٠.

^{٦٠٨} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٣٠.

^{٦٠٩} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٠٦.

^{٦١٠} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٣٠.

اعتمد محمد النفس الزكية على محبة الناس لآل علي بن أبي طالب، واعتقادهم أن بني العباس قد اغتصبوا حقهم في الخلافة، إلى جانب بيعة بني هاشم لمحمد في أواخر العصر الأموي^{٦١١}، وما كان يتصف به من ورع وتقوى

ص: ٢٢٢

و أخلاق حميدة. و لكن محمدًا لم يهتم الإهتمام الكافي ببث دعوته في الأمصار الإسلامية، و لم يضع تنظيمًا دقيقًا لنشر الدعوة و تهيئة سبل النجاح لها. و إذا قارنا بين وسائل محمد النفس الزكية في دعوته بالأمصار بوسائل العباسيين حينما نشروا دعوتهم في أواخر العصر الأموي لأدركنا أن بني العباس كانوا أوفر نشاطًا، و أكثر دقة، و أحكم تنظيمًا. فقد بدأت الدعوة العباسية سنة (١٠٠ هـ)، و استمرت (٣٢) عاما حتى أُنِعت و أتت ثمارها سنة (١٣٢ هـ)، حين قامت الدولة العباسية. و وضع العباسيون لدعوتهم نظامًا دقيقة ثابتة، فنظموا الخلايا السرية و بعثوا الدعاة و النقباء إلى كل مكان، و رسموا لهم سبل الدعوة و أعدوا الجيوش و اهتموا بمدها بالأسلحة و بتدريب الجند مما حقق الفوز و الإنتصار للجيوش العباسية حين التقت بالجيوش الأموية^{٦١٢}. بينما أكتفى محمد النفس الزكية بإفناذ بعض أخوته و أبناءه إلى بعض الأمصار الإسلامية^{٦١٣}، ظانًا أن الناس يقبلون عليهم مبايعين له، حتى إذا أعلن الثورة في الحجاز، فدموا عليه مناصرين مؤازرين. و أحصت دواوين هؤلاء الدعاة من إخوته و أبناءه الألوفا من الناس، و لكنهم حينما قامت الثورة لم يحركوا ساكنًا. كما لم يهتم هؤلاء الأخوة و الأبناء بإعداد القوات العسكرية التي يمكن لها السيطرة على الأمصار حينما يحين الأوان. بل أخفق بعض هؤلاء الدعاة في الوصول إلى الأمصار التي بعثهم محمد إليها^{٦١٤}. و كان جديرًا بمحمد النفس الزكية أن يسير في نفس الطريق الذي انتهجه العباسيون حينما بدأوا دعوتهم، و هو الطريق الذي أثبت نجاحه،

ص: ٢٢٣

و أوصلهم إلى الخلافة و لكن محمدًا اتبع السبيل الذي سلكه الثوار العلويون الذين أعلنوا ثورتهم في العصر الأموي^{٦١٥}، فكان مصيرهم الإخفاق و الإستشهاد.

أرسل محمد النفس الزكية ابنه عليًا إلى مصر، فقتل بها و بعث ابنه عبد الله إلى خراسان فاضطر إلى الفرار إلى السند حيث لقي حتفه. و وجه محمد ابنه الحسن إلى اليمن، فسجنه العباسيون، و مات في سجنه، كما بعث أخاه موسى إلى الجزيرة و أخاه يحيى إلى الرى و طبرستان، فلم يحققا نجاحًا كبيرًا. كما وجه أخاه إدريس إلى المغرب و انتهت حياته بإغتياله بالسهم^{٦١٦}. و كان جديرًا بمحمد أن يعتمد على دعاة آخرين من غير آل بيته، كما كان عليه الإعتماد على دعاة من أهالي الأمصار. فقد اعتمد العباسيون على الموالي. فكان منهم معظم دعائهم، و أصبح أبو مسلم الخراساني، و هو من الموالي، حامل لواء الدعوة العباسية.

^{٦١١} (٥) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٣٤٩ / ٢، الشريف تاج الدين، غاية الإختصار: ١٢.

^{٦١٢} (١) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٦٥.

^{٦١٣} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٨ / ٣.

^{٦١٤} (٣) انظر، أخفق عبد الله في الوصول إلى خراسان، كما مات محمد في السجن في اليمن

^{٦١٥} (١) مثل زيد بن علي و ابنه يحيى و عبد الله بن معاوية

^{٦١٦} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٧ / ٣ - ٣٠٨.

و ظل العباسيون مختلفين، حتى اكتملت للدعوة العباسية مقومات النجاح، و تخلص أبو مسلم من مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فظهر العباسيون في الكوفة، و اعلنوا قيام دولتهم و بايعوا لأبي العباس بالخلافة و خير ما يثبت رأينا، ما انتهجه العلويون فيما بعد، حينما مهدوا لقيام الدولة الفاطمية فقد ساروا على النهج الّذي اختطه العباسيون و أثبت نجاحه، فأقاموا مركزا في بلاد اليمن لتخريج الدعاة، و اعتمدوا على دعاة من غير آل أبي طالب مثل ابن حوشب، و السقياني و الحلواني، و حمل أبو عبد الله الشيعي لواء الدعوة الفاطمية في بلاد المغرب^{٦١٧} مثلما حمل أبو مسلم الخراساني لواء الدعوة العباسية في خراسان،

ص: ٢٢٤

و لذا نجحت الدعوة الفاطمية و قامت خلافة علوية فاطمية في بلاد المغرب^{٦١٨} ما لبثت أن انتقلت إلى مصر^{٦١٩} و اتسعت رقعة نفوذها و نافست خلافة بني العباس.

و من عوامل إخفاق ثورة محمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم، أن الخليفة المنصور حال بينهما و بين خراسان و الكوفة.

أمّا خراسان، فقد كانت أرضا خصبة يستطيع محمد النفس الزكية أن يجد فيها أنصارا و شيعة. فقد بايع كثير من أهلها الدعاة العباسيين في أواخر العصر الأموي حينما كانوا يدعون إلى «الرّضا من آل محمد»، و كانوا يظنون أنّهم إنّما يبايعون آل أبي طالب. كما أصيب كثير من أهالي خراسان بخيبة أمل حينما تولى بنو العباس الخلافة . و كان موالي خراسان و فارس أكثر تهيؤا و استعدادا لقبول مذهب الشيعة.

و أدرك المنصور هذه الحقيقة، فرأى أن تصبح خراسان دائرة مغلقة و فرض عليها ستارا حديديا، يصعد دعاة محمد النفس الزكية، و يمنع خروج أهالي خراسان إلى المدينة. كما كان المنصور يدرك مشاعر أهالي خراسان نحو آل أبي طالب، و لذا حرص - كما رأينا - على تبرير موقفه منهم، و خاصة حينما سجن عبد الله بن الحسن و آله و حين قتل قواده محمدا النفس الزكية.

و من وسائل المنصور في الحيلولة دون تأييد أهالي خراسان لمحمد النفس الزكية، ما لجأ إليه لتثبيط همهم فيروى الطبري أنّه حينما مات محمد بن عبد الله ابن عمرو بن عثمان في سجن المنصور أخذ رأسه، فبعث به مع جماعة من

ص: ٢٢٥

الشيعة إلى خراسان، فطافوا في كور خراسان، «و جعلوا يحلفون بالله أن هذا رأس محمد بن عبد الله بن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه و آله، يوهمون الناس أنّه رأس محمد بن عبد الله بن الحسن، الذي كان وا يجدون خروجه على أبي جعفر»^{٦٢٠}.

^{٦١٧} (٣) انظر، المقرئ، إتحاف الحنفا: ٧٥.

^{٦١٨} (١) قامت الدولة الفاطمية في القيروان بالمغرب سنة (٢٩٧ هـ)، و كان عبيد الله المهدي أول الخلفاء الفاطميين.

^{٦١٩} (٢) فتح جوهر الصقلي قائد رابع الخلفاء الفاطميين المعز لدين الله، مصر سنة (٣٥٨ هـ).

^{٦٢٠} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٨٣ / ٦.

و أراد المنصور أن يوهم محمداً أن أهل خراسان على ولاء و طاعة له، و أنهم يلبنون النداء إذا أعلن ثورته، فكان يزيف كتباً يبعثها على ألسنة زعماء خراسان، يعلنون فيها ولاءهم . و نجح حميد بن قحطبة، قائد المنصور أن يوهم محمداً بأنه مؤيد له، ولكنه لا يستطيع أن يتحرر من ربة المنصور و يتضح من هذا كله من الخطبة التي ألقاها محمد في المدينة في (١٢) رمضان سنة ١٤٥ هـ، قبيل المعركة الفاصلة بأيام قليلة، إذ قال : «أن أهل خراسان على بيعتي و حميد بن قحطبة بايعني، و لو قدر أن ينفلت فعل»^{٦٢١}.

و كما سد المنصور أبواب خراسان أمام دعوة محمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم فقد قطع المنصور أيضاً و شائع أى صلة قد تقوم بين الزعيمين العلويين و شيعة على بالكوفة و قد كانت الكوفة دائماً معقل الشيعة و حصن العلويين الحصين، منذ عهد على بن أبي طالب . و كانت موطناً دائماً للمذهب الشيعي، و مؤثلاً للعلويين، و شهدت معظم ثوراتهم في العصر الأموي^{٦٢٢}. و لكن اختلف الحال بعد قيام الدولة العباسية، فقد كان الخلفاء الأمويون يقيمون في دمشق بالشام بعيداً عن الكوفة بالعراق، أما اليوم فالمنصور يعيش على أطراف الكوفة، و يقبض عليها بيد قوية. فقد كنم المنصور نبأ ظهور محمد و إعلان الثورة

ص: ٢٢٤

عن أهالي الكوفة، و أغلق أبواب الكوفة فلم يسمح لأحد بدخولها أو مغادرتها، و تتبع شيعة محمد و إبراهيم بالقتل و السجن و أرغم أهلها على خلع اللون الأبيض شعار العلويين، و اتخذ السواد شعار العباسيين.

و من عوامل إخفاق حركتي محمد و إبراهيم ما يشير إليه المؤرخون المحدثون من إخفاق الأخوين في تنسيق جهودهما، بحيث تقوم الثورات في وقت واحد، مما يجعل موقف الخليفة المنصور حرجاً . و ينسب هؤلاء المؤرخون المحدثون عدم قيام إبراهيم بالثورة في البصرة في نفس الوقت الذي أعلن فيه محمد النفس الزكية ثورة في الحجاز إلى مرض إبراهيم حيث أصيب بالجدري^{٦٢٣}. و لكننا نرى أن المرض لم يكن الحائل بين قيام إبراهيم بالثورة في الموعد المتفق عليه، بل كان تعجل محمد النفس الزكية بالظهور و إعلان الثورة قبل هذا الموعد : هو سبب عدم قيام الثورتين في وقت واحد، فإستطاع المنصور أن يتفرغ للقضاء على كل ثورة على حدة . و قد سبق لنا أن ذكرنا كثيراً من النصوص تثبت عجلة محمد في القيام بثورته.

العوامل الاقتصادية:

و أول هذه العوامل إعلان النفس الزكية ثورته في المدينة المنورة و هي مدينة تشتهر بقدرسيته و تأريخها الإسلامي المجيد و لكنها بلدة محدودة الموارد الاقتصادية بحيث لا تصلح لأن تكون مركزاً ثورياً، و قاعدة حربية . و قد أثبت التأريخ ذلك فقد رفض الزبير بن العوام و حليفه طلحة بن عبيد الله إتخاذ المدينة

ص: ٢٢٧

^{٦٢١} (٢) انظر، الإصفهاني، مقال الطالبيين: ٢٦٨ .

^{٦٢٢} (٣) مثل ثورات الحسين بن علي، و التوابين، و المختار الثقفي، و زيد بن علي

^{٦٢٣} (١) انظر، الحضري، تأريخ الأمم الإسلامية: ٢/ ٦٣، حسن إبراهيم، تأريخ الإسلام: ٢/ ١٣٥، الجومرد: أبو جعفر المنصور: ١٨٨ .

مركزا لثورتهما ضدَّ عليّ بن أبي طالب، فأعلنّا الثَّورة في البصرة ^{٦٢٤} وفقدت المدينة صلاحياتها لتكون حاضرة للدولة الإسلامية، فاتخذ عليّ بن أبي طالب الكوفة عاصمة له بدلا من المدينة ^{٦٢٥} ثمَّ قامت الدولة الأموية في الشَّام، و قامت الدولة العبَّاسية في العراق . و ابتعد كلُّ من الحسين بن عليّ، و عبد الله بن الزَّبير عن القيام بثو رتيهما في المدينة، فخرج الحسين إلى الكوفة كما أعلن ابن الزَّبير ثورته في مكَّة، رغم عدم صلاحيتها أيضا لتقوم بها ثورة ^{٦٢٦}، و لم يستطع أهل المدينة الصَّمود طويلا للجيوش الأموية في عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية، فكانت موقعة الحرَّة، التي أدَّت إلى هلاك كثير من أهالي المدينة ^{٦٢٧}.

و أدرك كثير من النَّاس أنَّ مصير ثورة محمَّد النَّفس الزَّكية الإخفاق منذ ظهر بالمدينة و أعلن فيها ثورته . و كان قبل مختفيا، ينتقل بين الأمصار المختلفة و لا يعلم الخليفة المنصور في أي إقليم يعلن محمَّد ثورته . و ربَّما لم يكن المنصور يتوقع أنَّ تقوم الثَّورة في المدينة، فقد رأينا الإجراءات الحازمة التي اتَّخذها في مدن العراق و خاصَّة الكوفة و في بلاد خراسان، كما شهدنا تتبع المنصور دعاة محمَّد، من اخوته و أبنائه، و القتل و السَّجن في الأمصار المختلفة.

و هناك نصوص كثيرة تثبت عدم صلاحية المدينة ليقوم محمَّد النَّفس الزَّكية بثورته في ربوعها فقد وصف المنصور المدينة حين أعلن محمَّد الثَّورة بأنَّها

ص: ٢٢٨

«بلد ليس به زرع و لا ضرع و لا تجارة واسعة» ^{٦٢٨}. و قد امتنع نافع بن ثابت بن عبد الله ابن الزَّبير عن الانضمام إلى محمَّد، و كلن محمَّد قد ألحَّ عليه في البيعة له، فقال محمَّد أليس السَّلاح يتأس بك غيرك .

فقال نافع: «إنَّي و الله ما أراك في شيء، خرجت في بلد ليس فيه مال و لا رجال، و لا كراع، و لا سلاح، و ما أنا بمهلك نفسي معك، و لا معين على دمي» ^{٦٢٩}، و قال جعفر بن حنظلة البيراني للخليفة المنصور حينما أنبأه المنصور بقيام ثورة محمَّد في المدينة: «فأحمد الله، ظهر حيث لا مال، و لا رجال، و لا سلاح، و لا كراع» ^{٦٣٠}.

كان المنصور يعلم أنَّ المدينة عاجزة عن أن تفي لمحمَّد النَّفس الزَّكية بحاجاته من المال، و الرِّجال، و السَّلاح، و المؤن . بينما كان المنصور مقيما في بلاد العراق و هي البلاد التي وصفها عليّ بن أبي طالب بأنَّها «موطن الرِّجال و الأموال» ^{٦٣١}. و لذا نجح المنصور في توفِّي ر الجند، و الأسلحة، و الإمدادات اللَّازمة لجيوشه، و استعان بما كان في بيوت أمواله العامرة بالأموال، فقد اشتهر المنصور بالشَّح و التَّقْتير و الإقتصاد في النَّفقات، و أدى ذلك إلى توفر الأموال في خزائن الدولة، فأنفقها المنصور في نضال ثورة محمَّد، و إنفاذ الجيوش الكثيفة

^{٦٢٤} (١) كان بالمدينة أيضا كثير من أنصار عليّ بن أبي طالب انظر، تاريخ الطَّبري: ١٦٧ / ٥ .

^{٦٢٥} (٢) كان عليّ بن أبي طالب يقول أنَّ الأموال و الرِّجال بالعراق. انظر، الذَّينوري، الأخبار الطَّوال: ١٥٢ .

^{٦٢٦} (٣) قام ابن الزَّبير بثورته في مكَّة على أساس الالتجاء إلى الكعبة و سَمَّى نفسه العائد بالبيت). انظر، ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ: ٧ / ٤ .

^{٦٢٧} (٤) هلك معظم البدرين كما هلك من أهالي المدينة نحو عشرة آلاف انظر، ابن قتيبة الإمامة و السَّياسة ١ / ١٥٣ .

^{٦٢٨} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٠٦، رسم الأمويون دائما سياسة إضعاف إقتصاديات الحجاز.

^{٦٢٩} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطَّبري: ٦ / ٢٠٠ .

^{٦٣٠} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطَّبري: ٦ / ٢٠٤ .

^{٦٣١} (٤) انظر، الذَّينوري، الإمامة و السَّياسة: ١ / ٥١، الإسكافي، المعيار و الموازنة: ٩٨، حَبَّان، الثَّقَات لابن حَبَّان: ٢ / ٢٧٣ .

للقضاء على ثورته^{٦٣٢}.

و قد رأينا كيف نصح عبد الله بن عليّ، ابن أخيه المنصور، و هو في سجنه بأن يدع شحه و تقتيره جانبا و يتوسع في الإنفاق و يصدق الأموال، حتّى يكتب له النصرة و قد أمدنا الطّبري بكثير من التفاصيل حول إهتمام المنصور بإعداد جيوشه و كيف جهّزهم بالخيّل، و البغال، و السّلاح، و الميرة^{٦٣٣}.

و أراد المنصور أن يحكم الحلقات حول مدّ النفس الزكيّة و أن يزيد الطّين بلة، و أن يشن عليه حربا إقتصاديّة شعواء، قد تكون أكثر أثرا و وطأة من الحرب العسكريّة، و علم أن بلاد الحجاز تعيش طوال العام على الغلّات و المحصولات التي ترد إليها من الشّام و مصر . و لذا أمر بمنع ورودها إلى بلاد الحجاز، حتّى يضيق على أهلها، فيزداد الضّغط الإقتصاديّ عليهم فيتمنون بدافع الجوع و الحرمان الخلاص من هذه الثّورة التي قامت في ربوعهم . و قد أدرك أحد خاصّة المنصور هذه الحقيقة، فتوجّه إليه بالنّصيحة، فقال : ابعث مولى لك تثق به، فليسر حتّى ينزل بوادي القرى، فيمنعه مير^{٦٣٤} الشّام. فيموت مكانه جوعا^{٦٣٥}.

كما أصدر المنصور أوامره بمنع الغلّات التي كانت ترد من مصر إلى الحجاز فقال المنصور لحاجبه الرّبيع : «نكتب السّاعة إلى مصر أن يقطع عن الحرمين

الطّريق إنّما هم في مثل حرجه، إذا إقطعت عنهم المادّة و الميرة من مصر^{٦٣٦}.

و أدرك أصحاب محمّد النفس الزكيّة حقيقة عدم صلاحية المدينة المنورة للثّورة فنصحوه بأن يغادر بلاد الحجاز، إلى بلاد أكثر موارد إقتصاديّة بحيث تكفي حاجاته الماديّة، و حتّى يستطيع أن يقف على قدم المساواة مع الخليفة المنصور الذي يعتمد على موارد بلاد العراق. و لذا أشار أصحاب محمّد عليه أن يرحل إلى مصر. فقالوا له: «أنت في أقلّ بلاد الله فرسا و طعاما، و أضغفه رجلا، و أقله مالا و سلاحا، تريد أن تقاتل أكثر النّاس مالا، و أشدّه رجالا، و أكثره سلاحا، و أقدره على الطّعام؟. الرّأى أن تسير بمن اتّبعك إلى مصر، فو الله لا يردك راد، فتقاتل بمثل سلاحه، و كراع، و رجاله، و ماله»^{٦٣٧}.

و نعتقد أنّ هذه النّصيحة كانت عن رأي صائب مخلص . و لكن محمّدا لم يستجب لها و استمع إلى نصيحة أخرى توجّه بها إليه أحد أصحابه و هو جبير بن عبد الله مدفوعا فيها بعا طفة دينيّة إذ قال له : أعيذك بالله أن تخرج من المدينة، فإنّ

^{٦٣٢} (١) استنفذ المنصور كثيرا من الأموال التي رصدها لبناء بغداد في إعداد الجيوش التي قضت على الثّورتين العلويّتين حتّى إذا عاود البناء اضطر إلى الإقتصاد في النفقات ببناء بغداد حتّى أنّه جلب أبوابها من الشّام و وسط الكوفة. انظر، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١ / ٧١ - ٧٢، ياقوت، معجم البلدان: ١ / ٦٨٣، كوك، بغداد: ٢٢.

^{٦٣٣} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ٢٠٥.

^{٦٣٤} (٣) انظر، الميرة: القوافل التي تحمل المؤن.

^{٦٣٥} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ٢٠٤.

^{٦٣٦} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ٢٣٩.

^{٦٣٧} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٦٨.

رسول الله صلى الله عليه وآله قال عام أحد : «رأيتني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها بالمدينة»^{٦٣٨}. ولكن ولا شك كانت الظروف في عهد الرسول صلى الله عليه وآله تختلف تماما عن الظروف السائدة وقت قيام محمد النفس الزكية بشورته «فقد فكر الرسول صلى الله عليه وآله

ص: ٢٣١

قبل هجرته إلى المدينة في الهجرة إلى الطائف لما اشتهرت به من خصوبة و رخاء إقتصادى و لقرىها من مكة و لوجودها على مرتفع من الأرض . و بعد الهجرة، ظلّ نفوذ الرسول عدّة سنوات مقتصرًا على المدينة في حين كانت مكة في أيدي القرشيين المشركين بينما سيطرت قبيلة ثقيف الوثنية على الطائف^{٦٣٩}. بل أن الرسول اتّبع يوم أحد^{٦٤٠} رأى المسلمين الذين أشاروا عليه بقتال مشركي قريش خارج المدينة و لم يكن ما لحق بالمسلمين في أحد نتيجة خروجهم من المدينة، بل نتيجة عصيان الرّماة لأوامر الرسول و تتبّعهم المشركين الفارين، لجمع الغنائم التي تركوها عند فرارهم»^{٦٤١}.

العوامل العسكريّة:

من عوامل إخفاق حركتي محمد النفس الزكية و إبراهيم فشل الخطط الحربية

ص: ٢٣٢

التي اتّبعها في قتالهما لجيوش المنصور. فقد اهتم العبّاسيون بجيوشهم و يرجع هذا الإهتمام إلى سنة (١٠٠ هـ)، حين بدأت الدّعوة العبّاسيّة و مضى التنظيم الحربى جنبا إلى جنب مع التنظيم السياسى و أثبتت الجيوش العبّاسيّة مقدرتها و تفوقها خلال حروبها مع الجيوش الأمويّة. و زاد الإهتمام بالقوات العسكريّة في عهد المنصور فقد جند آلافا من أهالى خراسان و فارس الذين اشتهروا بصحة الأبدان، و جمال المظهر، و القدرة على القتال و أصبح للمنصور عدّة جيوش يوجهها إلى ميادين عدّة، فى الدّاخِل و الخارج .

^{٦٣٨} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ١٨١، الأحوذى، تحفة الأحوذى: ٥/ ١٤٨، الزيلعي، تخرّيج الأحاديث و الآثار: ١/ ٢١٧، ابن جرير، جامع البيان: ٤/ ٩٤، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢/ ١٨٨، القرطبي، تفسير القرطبي: ٩/ ١٢٦، الزازي، تفسير الزازي: ٨/ ٢١٨، ابن العربي، تفسير الأحكام: ٣/ ٣٧، التّسفي، تفسير التّسفي: ١/ ١٧٦، البغوي، تفسير البغوي: ١/ ٣٤٦، الثّعلبي، تفسير الثّعلبي: ٣/ ١٣٨، السّمقندي، تفسير السّمقندي: ١/ ٢٧٥.

^{٦٣٩} (١) كانت ثقيف منافسة لقبيلة قريش، و كانت تحاول جذب الحجاج العرب إلى وثنها اللّات بدلا من حجّهم إلى الكعبة بمكة، و أقامت حول الوثن حرما على ميثل حرم الكعبة. انظر، الخربوطي، عبد المطلب جدّ الرسول: ٧٦.

^{٦٤٠} (٢) انظر، أحد جبل قرب المدينة و دارت عنده ثاني المعارك بين المسلمين و قريش

اسم جبل من جبال المدينة غير بعيد عنها سمّيت باسمه المعركة المشهورة بين قريش و المسلمين، محاولة انتقام المشركين من المسلمين ثأريلدر. انظر، ابن الأثير في الكامل: ٢/ ١٤٩، الواقدي، المغازي: ١/ ١٩٩، الحلبي، السيرة الحلبية: ٢/ ٢٢٧، السيوطي، الدّر المنثور: ٢/ ٨٠ و ٨٨ و ٨٩، المعتزلي، شرح التّهج لابن أبي الحديد: ١٥/ ٢٠ و ٢٢ و ٢٤ و ٢٥، و: ١٣/ ٢٩٣، و: ١٤/ ٢٧٦، لابن كثير، البداية و النّهاية: ٤/ ٢٨ و ٢٩، لابن كثير، السيرة النبوية: ٣/ ٥٥ و ٥٨، لابن هشام، السيرة النبوية: ٤/ ٨٥، الزّازي، تفسير الزّازي: ٩/ ٥٠ و ٥٧، المتقي الهندي، كنز العمال: ٢/ ٢٤٢، و: ١٠/ ٢٦٨ و ٢٦٩، الطيّالسي، منحة المعبود في تحذيب مسند الطيّالسي:

٢/ ٩٩، ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٣/ ١٥٥.

^{٦٤١} (٣) انظر، هاجم القرشيون بقيادة خالد بن الوليد المسلمين من الخلف

و قد انتصر بها على عمه عبد الله بن علي^{٦٤٢}، و على حركات الزنادقة و غيرها من الحركات السيّاسيّة . و استعان المنصور بقواد مهرة على جانب كبير من الكفاءة الحربيّة . بل لم يجد المنصور حرجا في الإستعانة ببعض قادة الجيوش الأمويّة، مثل معن بن زائد الشيباني^{٦٤٣}.

و لذا كان جديرا بمحمّد النّفس الزّكيّة و أخيه إبراهيم أن يضعوا من الخطط الحربيّة ما يحقق لثورتها النّجاح و الفوز، و لكن أثبت سير المعارك و نتائجها عكس ذلك؛ أعلن محمّد النّفس الزّكيّة ثورته فجأة، دون أن يضع خطة سياسيّة و حربيّة ينتهجها و توصله إلى ما كان يأمل هو و أنصاره من انتصار . فلم يكن محمّد يملك جيشا مستعدا مدربا مزودا بحاجته من السّلاح . و ظلّ مقيما في

ص: ٢٣٣

المدينة حتّى قدمت عليه الجيوش العبّاسيّة بقيادة عيسى بن موسى و حميد بن قحطبة، فأتخذ سياسة الدّفاع، بدلا من سياسة الهجوم رغم أن السّياسة الأخيرة أكثر جدوى و فعالية . و خاصّة أن عيسى بن موسى، كان قد أجل الهجوم أيّاما حتّى ينتهى شهر رمضان، و عسكر خارج المدينة و كان يمكن لمحمّد النّفس الزّكيّة أن يبادره بالهجوم، و لكنّه ظلّ مقيما في المدينة ممّا شجع عيسى على أن يحيد عن الإنتظار لما بعد رمضان و يسارع بالهجوم على المدينة.

جعل محمّد النّفس الزّكيّة حفر خندق حول المدينة^{٦٤٤}، أساسا لخطة الحربيّة الدّفاعية، متشبها في ذلك بما فعله الرّسول صلّى الله عليه و آله حينما غزت الأحزاب المدينة و إن كانت خطة الرّسول الكريم قد نجت و كان الفوز للمسلمين، إلّا أن الظروف كانت مختلفة، كما أن العناية الإلهية كانت تظلّل رسول الله و أصحابه و تعينهم على المشركين.

ص: ٢٣٤

كانت فكرة حفر الخندق حول المدينة لا تجدى شيئا، و لا تحول دون إجتياز جند العبّاسيين الخندق. فقد كان معظم هؤلاء الجند من الفرسان و تستطيع خيولهم اقتحام الخندق و الوصول إلى المدينة بينما كان معظم جند محمّد النّفس الزّكيّة من الرّجال و قد فطن بعض أصحاب النّفس الزّكيّة إلى هذه الحقيقة و أشاروا عليه بالعدول عن حفر الخندق، فقال أحدهم: «لا تخندق الخندق فإنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله خندق خندقه لما الله أعلم به، فإنّك إن خندقته لم يحسن القتال

^{٦٤٢} (١) أعلن عبد الله بن عليّ الثّورة ضدّ الخليفة المنصور لطمعه في الخلافة و انضمت إليه العناصر العربيّة السّاخطة على العبّاسيين لإعتمادهم على العناصر الفارسية، و نجح الجيش العبّاسيّ بقيادة أبي مسلم الخراساني في إخماد الثّورة سنّ ١٣٦ هـ). انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٢٢، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٤٤.

^{٦٤٣} (٢) كان لمعن الفضل في إنقاذ المنصور من تعرضه للقتل على أيدي الزّنادقة إحدى فرق الزّنادقة انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦/ ١٧٠ و ما بعدها.

^{٦٤٤} (١) لم يعرف العرب قبل الإسلام حفر الخندق، و صاحب فكرة الخندق هو الصّحابي سلمان الفارسي.

فأثّر سمع رسول الله صلّى الله عليه و آله بإجتماع الأحزاب استشار أصحابه و أجمع رأيهم على البقاء في المدينة و حرب القوم إن جاؤوا إليهم، و هنا أشار سلمان رضي الله عنه بحفر الخندق، فأمر رسول الله صلّى الله عليه و آله بحفره و عمل فيه بنفسه، و عمل فيه المسلمون لمدة أكثر من ستّة أيّام و قطعه رسول الله صلّى الله عليه و آله أربعين ذراعا بين كلّ عشرة، و لذا اختلف المهاجرون و الأنصار في سلمان كلّ يقول هو متّ، فقطع الرّسول صلّى الله عليه و آله نزاع القوم و قال قوله المشهور: «سلمان متّ، سلمان من أهل البيت».

و فرغ رسول الله صلّى الله عليه و آله من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام

انظر، ابن عسّاكر، تأريخ دمشق: ١/ ١٥٠، السّيرة الحلبية بمهامش السّيرة النبويّة: ٢/ ٣٠٩ ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢/ ٢٦٥، و: ٣/ ٢٣٤، و: ٥/ ٢٩-٣٣، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ:

٣/ ١٧٨، دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة: ١/ ٢٦٢، ابن هشام، السّيرة: ٣/ ١٨٤ و ١٩٢ و ٢٢٥ و ٣٢٠-٣٢٢، الواقدي، المغازي: ٢/ ٤٤١ و ٤٧٧، اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي: ٢/ ٥٠-٥١، المقرئ، إمتاع الأسماع: ٢٣٥ و ٢٣٦، البغوي، التفسير المسمى بمعالم التّنزيل: ٣/ ٥٢٣.

رجالها، ولم يوجه لنا الخيل بين الأزقة، وإن الذين يخذقونهم هم الذين يقتلون فيها، وإن الذين يخذقونهم يحول الخندق دونهم»^{٦٤٥}. وأصرّ النفس الزكية على رأيه، وقال: «إنما أتبعنا في الخندق أثر رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يردّني عنه أحد»^{٦٤٦}، فلست بتاركه»^{٦٤٧}.

ونجح العباسيون في اجتياز الخندق، ودارت المعارك في طرقات المدينة واختلط الحابل بالنابل، ودبّ الذعر في القلوب، وانشغل جند محمد بحماية ذراريهم، وخرجوا بهم إلى الجبال، وأمر محمد أحد أصحابه بإعادتهم، فردّ من قدر عليه منهم، فأعجز كثير منهم فتركهم»^{٦٤٨}.

وكان جديرا بمحمد النفس الزكية في هذا الموقف الحرج، أن يجمع أشتات جنده، وبيت الحمية في قلوبهم و يعيد تنظيم صفوفهم و يحثهم على الصمود

ص: ٢٣٥

و الإستمرار في النضال، ولكنه ألقى خطبة يائسة سمح فيها لجنده بالتفرق و النجاة بأنفسهم فخطب : «يا أيها الناس، إنا قد جمعناكم للقتال و أخذنا المناقب، و إن هذا العدو منكم قريب، و هو في عدد كثير، و النصر من الله، و الأمر بيده، و إنه قد بدا إلى أن آذن لكم و أخرج عنكم المناقب، فمن أحب أن يقيم أقام، و من أحب أن يظعن ظعن»^{٦٤٩}.

لم يحكم محمد النفس الزكية خطته الحربية، فكان جديرا به أن ينظم طريقة الانسحاب إذا كانت نتيجة القتال في غير صالحه. و كان الطريق الطبيعي للانسحاب هو الطريق إلى مكة، فكان عليه أن يؤمنه . و قد أدرك القائد العباسي عيسى بن موسى هذه الحقيقة، فرأى أن يسبق محمد النفس الزكية في السيطرة على طريق مكة، فأصدر أوامره لأحد قواده فقال : جاء تني العيون تخبرني أن هذا الرجل - أي النفس الزكية - في ضعف، و أنا أخاف أن ينكشف، و قد ظننت ألا مسلك له إلّا إلى مكة، فأضّم إليك خمسمئة رجل فأمض بها معاندا عن الطريق حتى تأتي الشجرة فنقيم بها»^{٦٥٠}.

و تحالفت العوامل الطبيعية مع الجيش العباسي و تخلت عن جيش محمد النفس الزكية فقد هطلت الأمطار مدرارا، ممّا جعل مهمة جند النفس الزكية عسيرة قال محمد لأخته قبيل المعركة الفاصلة : «إنني في هذا اليوم على قتال القوم، فأن زالت الشمس، و أمطرت السماء فإنني أقتل، و إن زالت الشمس و لم تمطر السماء، و هبت الريح، فإنني أضفر بالقوم»^{٦٥١}. و بعد سقوط الأمطار أمر

ص: ٢٣٦

^{٦٤٥} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٠٧ / ٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٥٤٥.

^{٦٤٦} (٢) كان محمد النفس الزكية يعتز بأن اسمه محمد و أن اسم أبيه هو عبد الله، تشبها بالرسول عليه الصلاة و السلام، كما كان محمد النفس الزكية خالسا نقيًا من قريش أبداً و

أما. انظر، الشريف تاج الدين، غاية الاختصار: ١٢.

^{٦٤٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٠٧ / ٦.

^{٦٤٨} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٠٩ / ٦.

^{٦٤٩} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٠٨ / ٦.

^{٦٥٠} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٠٩ / ٦.

^{٦٥١} (٣) انظر، الإصطخاني، مقاتل الطالبيين: ٢٧١.

عيسى بن موسى جنده بالآ بيتوا في المدينة و أن يعودوا إلى معسكرهم خارج المدينة^{٦٥٢}.

و من عوامل إخفاق محمد النفس الزكية، إستعانة المنصور بجند من خراسان و قد كانوا جفاة غلاظ الأكباد، أثارت قسوتهم و غلظتهم الرعب بين أهالي المدينة و يتضح ذلك في رواية للطبري، فقد وصف أحد أصحاب النفس الزكية قسوة هؤلاء الجند الخراسانيين فقال: أنا لعلّ ظهر سلع ننظر و عليه أعاريب جهينة^{٦٥٣}، إذ صعد إلينا رجل بيده رمح قد نصب عليه رأس رجل متصلا بحلقومه و كبده و أعفاج بطنه فرأيت منه منظرا هائلا و تطيرت منه الأعاريب و أجفلت هاربة، حتّى أسهلت و علا الرجل الجبل و نادى على الجبل رطانة لأصحابه بالفارسية (كوهيان) فصعد إليه أصحابه، حتّى علوا سلفا فنصبوا عليه راية سوداء ثمّ انصبوا إلى المدينة فدخلوها^{٦٥٤}.

كان المنصور قد ورّع قواه الحربية إلى فرق أغلبيتها عربية، من ربيعة و اليمن و مضر^{٦٥٥}، و بعضها من الفرق الخراسانية عليها قادة من العرب و بعض الموالى المقربين إليه و لكن المنصور شاء أن يوجّه بفرقة الخراسانية لقتال محمد النفس الزكية، و قد حققت النجاح المنشود.

و كما أدّى إخفاق الخطط الحربية التي انتهجها محمد النفس الزكية إلى نهايته

ص: ٢٣٧

المؤلمة، كان الحال كذلك بالنسبة لأخيه إبراهيم . فقد أصرّ إبراهيم على الخروج بنفسه لقتال الجيوش العباسية، و نصحه بعض خاصته بالبقاء في البصرة، و إنفاذ جيوشه لقتال العباسيين، فقالوا له: «أصلحك الله إنك قد ظهرت على البصرة، و الأهواز، و فارس، و واسط فأقم بمكانك، و وجّه الأجناد، فإن هزم لك جند أمّدتهم بجند و إن هزم لك قائد امددته بقائد خفيف مكانك و اتّكأ عدوك، و جبيت الأموال و ثبتت وطأتك^{٦٥٦}». و لكن أهل الكوفة نصحوه نصحية أخرى، فحثوه على الخروج إلى الكوفة، فقالوا: «أصلحك الله أن بالكوفة رجالا لو قد رأوك ماتوا دونك و إلّا يروك تعقد بهم أسباب شيء فلا يأتوك و أخذ إبراهيم بالنصيحة الثانية، و نسي ما كان من وعود الكوفة للزعماء العلويين طوال العصر الأموي^{٦٥٧} تلك الوعود التي تبخرت و تبددت ممّا أدّى إلى أن يلقي هؤلاء الزعماء حتفهم على أيدي الجيوش الأموية.

و لم تكن البصرة في الحقيقة هي المدينة المتلى التي تقوم فيها حركة علوية شيعية، فقد اشتهرت تلك المدينة طوال تاريخها بأنّها عثمانية أحيانا، و أموية أحيانا أخرى و لعلّ البصرة وجدت في حركة إبراهيم متنفسا لها تعبّر بها عن سخطها على الحكم الهاشمي العباسي، و أعتبرتها حركة مضادة للدولة العباسية^{٦٥٨}.

^{٦٥٢} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٢٢ / ٦. انظر، التحف شرح الزلف، لمجد الدين بن محمد المؤيدي: ٧٩، الطبعة الثالثة، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ٦٠، الهامش رقم «١».

^{٦٥٣} (٢) الأعاريب: أي البدو.

^{٦٥٤} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٥١٧ / ٦.

^{٦٥٥} (٤) ربيعة و مضر هما الفرعان الكبيران لعرب الحجاز و كانت هناك عصبية دائمة بين العرب الحجازيين و العرب اليمنيين و فضلا عن العصبية بين ربيعة و مضر.

^{٦٥٦} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٥٦ / ٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥٦٥ / ٥.

^{٦٥٧} (٢) و خاصة وعود أهل الكوفة للحسين بن علي. انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٨ / ٤ و وعودهم لزيد بن علي. انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ١٣٧.

^{٦٥٨} (٣) انظر، التّشّار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١٧٩.

و بدأ إبراهيم زحفه نحو الكوفة، فاقترح عليه أحد أصحابه و يدعى هريم أن يبعث برجاله إلى الكوفة لإعلام أهلها بقدومه و لدعوتهم إلى الثورة، فواجه المنصور الذي كان مقيما على أطراف الكوفة ثورة داخلية، ثم يواجه جيوش

ص: ٢٣٨

إبراهيم. و سأل إبراهيم رجلا آخر من أصحابه، هو بشير الرجال عن رأيه، فرفض الفكرة. و قال: «إننا لو وثقنا بالذي تصف لكان رأيا، و لكننا لا نأمن أن تجيبك منهم طائفة . فيرسل إليهم أبو جعفر خيلا فيطأ البرى ء، و النطف، و الصغير، و الكبير، فتكون قد تعرضت لما تمّ ذلك و لم تبلغ منه ما أملت».

فقال هريم: «أخرجت حين خرجت لقتال أبي جعفر و أصحابه و أنت تتوقى قتل الضعيف، و الصغير، و المرأة، و الرجل، أ و ليس قد كان رسول الله صلى الله عليه و آله يوجه السرية، فيكون في ذلك نحو ما كرهت؟».

فدافع بشير عن رأيه و قال : «إن أولئك كانوا مشركين كلهم، و هؤلاء أهل ملتنا و دعوتنا و قبلتنا حكمهم غير حكم أولئك».

و اتبع إبراهيم مشورة بشير الرجل، و نبذ الاقتراح الأول، و قد كان أكثر نفعا و جدوى^{٦٥٩}.

نزل الفريقان في (باخرى) و بدأت الإستعدادات لخوض معركة فاصلة و عرض أحد قواد إبراهيم عليه أن يهاجم الجيش العباسي ليلا. فيفاجئه و يلحق به الهزيمة فقال : (إن هؤلاء القوم مصبحوك بما يسد عليك مضرب الشمس من السلاح و الكراع، و إنّه معك رجال عراة من أهل البصرة فدعني أبيته^{٦٦٠}، فو الله لأشتتن جموعة». و رفض إبراهيم هذا الاقتراح.

و قال: «إنني أكره القتل».

فقال القائد: تريد الملك و تكره القتل؟^{٦٦١}.

ص: ٢٣٩

و كان تنظيم جيش إبراهيم من عوامل إخفاقه و عزيمته في معركة «باخرى» فقد جعل إبراهيم جيشه صفّا واحدا. و أشار بعض أصحاب إبراهيم عليه بنبذ هذا التنظيم فقالوا له : «إن الصف إذا انهزم بعضه تداعى فلم يكن لهم نظام . فاجعلهم كراديس فإنّ انهزم كردوس ثبت كردوس». و لكن فريقا رفض هذا الاقتراح و صاحوا : لا نكون إلّا صفّا واحدا، كما قال الله تعالى: **كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ**^{٦٦٢}.

^{٦٥٩} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢٥٩ / ٦.

^{٦٦٠} (٢) انظر، أي أهاجمه ليلا.

^{٦٦١} (٣) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢٥٩ / ٦.

^{٦٦٢} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٢٥٩ / ٦، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٤٥، نص الآية هو: **إِنَّ اللَّهَ يُجِبُّ الَّذِينَ يُعَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرصُوصٌ** E\ الصف: ٤.

لحقت الهزيمة بجيش إبراهيم في موقعة (باخمري) و أراد الجند الإنسحاب و لكن «اعترض لهم نهر ذو ثنيتين مرتفعتين، فحالتا بينهما و بين الوثوب و لم يجدوا مخاضة فكروا راجعين بأجمعهم». و يروى الطبري أن إبراهيم هو الذي جعل الماء خلف جيشه حتى إذا انهزم جنده «منعهم الماء من الفرار»^{٦٦٣}.

العوامل الإجتماعية:

قامت العصبية بدورها في إخفاق حركتي محمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم سواء أكانت عصبية قبلية، أو عصبية مذهبية. فقد انضم إلى محمد كثير من القبائل، منها قبائل جهينة فأثرها على سائر القبائل مما أثار حنقها و غضبها.

و اتضحت هذه العصبية في عدة مواقف، فقد عارض بنو سليم فكرة حفر خندق المدينة، و أبدوا عيوبها، و أصر بنو شجاع على حث محمد على القيام بحفر هذا الخندق^{٦٦٤}.

ص: ٢٤٠

كما ثارت العصبية أيضا بين أصحاب محمد و إبراهيم و بين الزيدية من أصحاب عيسى بن زيد الذي كان يرى أن تكون الخلافة له بعد قتل محمد النفس الزكية، و رفض إبراهيم و أصحابه هذا الرأي، مما أثار الخلاف.

فروى الإصفهاني: «قدم عيسى بن زيد^{٦٦٥} بعد قتل محمد فذكر أن محمدا جعل الأمر إليه، و دعا الزيدية إلى نفسه، فأجابوه و أبي البصريون ذلك حتى قالوا لإبراهيم إن شئت أخرجناهم عنك من بلادنا فالأمر لك و ما نعرف غيرك، حتى كادت تقع فرقة، فسفروا بينهم و قالوا: إنا إن اختلفنا ظهر علينا أبو جعفر، و لكن نقاتله جميعا و الأمر لإبراهيم، فإن ظهرنا عليه نظرنا في أمرنا بعد فأجمعوا على ذلك»^{٦٦٦}.

و يشير الإصفهاني إلى ما حدث من خلاف بين إبراهيم و عيسى بن زيد، فقد صلى إبراهيم على جنازة بالبصرة و كبر عليها أربعاً.

فقال له عيسى بن زيد: لم نقصت واحدة و قد عرفت تكبير أهل بيتك؟.

فقال إبراهيم: هذا أجمع لهم، و نحن إلى اجتماعهم محتاجون و ليس في تكبير تركتها ضرر إن شاء الله، ففارقه عيسى و اعتزل و علم الخليفة المنصور بأمر هذا الخلاف، فأرسل إلى عيسى يبذل له الوعود حتى يخذل الزيدية عن إبراهيم و رفض عيسى كل عروض المنصور حتى إذ قتل إبراهيم توارى عيسى عن الأنظار فقبل للمنصور: ألا تطلبن؟.

فقال المنصور: لا و الله لا أطلب منهم رجلاً أبداً بعد محمد و إبراهيم، أنا أجعل لهم بعدها ذكراً^{٦٦٧}.

^{٦٦٣} (٢) انظر، ابن جرير، الطبري: ٢٤١ / ٦.

^{٦٦٤} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٠٧ / ٦.

^{٦٦٥} (١) هو عيسى بن زيد بن علي بن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام.

^{٦٦٦} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٧٠.

^{٦٦٧} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٠٦.

و يستنتج الدكتور النشار من هذا الحديث أن الزيدية كانت فئة قليلة في البصرة و أن إبراهيم أراد أن يجذب إليه أهلها، و كانوا أهل سنة و جماعة فكبر أربعا، و هي عادة السنة فاعترض عليه عيسى بن زيد، و هذا ما فت في عضد الزيدية، و لا شك أن خذلان هذا البعض من الزيدية لإبراهيم كان عاملا من عوامل هزيمته^{٦٦٨}.

و عارضت جماعة عيسى بن زيد كثيرا من الإقتراحات البناءة التي أرتاها قواد إبراهيم فقد رفضت أن يهاجم إبراهيم جيش عيسى بن موسى ليلا و اعتبرت ذلك (من فعال السراق) و رفضت الإقتراح الذي تقدّم به أحد أصحاب إبراهيم يشير عليه بالبقاء في البصرة و قالوا : أترجع عن عدوك و قد رأيته؟ . كما عارضت أيضا فكرة حفر خندق حول معسكر إبراهيم، و قالوا له: اتجعل بينك و بين الله جنة؟^{٦٦٩}. و لكننا إنصافا للحق نقول: أن هذه الجماعة استبسلت في قتال الجيش العباسي، و استشهد منهم نحو خمسمئة رجل^{٦٧٠} و لكن هذه الدماء لم تحوّل الهزيمة إلى نصر.

موقف الإمام جعفر الصادق عليه السلام و الشيعة الإمامية من الخليفة المنصور

كان مولد الإمام جعفر بن محمد الصادق بالمدينة في سنة (٨٠ هـ)^{٦٧١}.

و أبوه: هو الإمام محمد الباقر^{٦٧٢} ابن الإمام عليّ زين العابدين^{٦٧٣}.

و أمّه: هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق^{٦٧٤}.

^{٦٦٨} (١) انظر، النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ١٨٠.

^{٦٦٩} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣٤٤.

^{٦٧٠} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٠٨.

^{٦٧١} (١) انظر، ابن خلّكان، وفيات الأعيان: ١/ ٢٩١، و هي نفس السنة التي شهدت مولد عمّه زيد بن عليّ و الإمام أبو حنيفة النعمان، و واصل بن عطاء رأس المعتزلة انظر، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/ ١٧٩، الكافي: ١/ ٤٧٢، البحار: ١/ ٤٧، و ٤ ح ١٢، و ٦ ح ١٧، دلائل الإمامة: ١١١، إثبات الوصية: ١٨٤، تاريخ أهل البيت عليهم السلام: ٨١، عيون المعجزات: ٨٥ تذكرة الحفاظ: ١/ ١٦٦، وسيلة النجاة: ٣٦٢، كفاية الطالب: ٤٥٥، روضة الواعظين: ٢٥٣، المناقب لابن شهر آشوب: ٣/ ٣٩٩، تاج المواليد للطبرسي: ١٣، إعلام الوري: ٢٧١، مطالب السؤول: ٨١، التحفة اللطيفة: ١/ ٤١٠، نزهة الجليس: ٢/ ٣٥، صفوة الصفوة: ٢/ ٦١، حلية الأولياء تاريخ يعقوبي: ٢/ ٣٨١، و المسعودي: ٣/ ٣٤٦.

^{٦٧٢} (٢) وصف شمس الدين بن طولون، الشذرات الذهبية: ٨١ الباقر بأنه كان « عالما سيّدا كبيرا، تأثر الباقر بأبيه زين العابدين فأصبح مثيله في دينه و تقواه و علمه ». ابن خلّكان، وفيات الأعيان:

١/ ٢٩١، ابن الجوزي، صفوة الصفوة: ٢/ ٦١.

^{٦٧٣} (٣) و هو عليّ زين العابدين ابن الإمام الحسين بن عليّ بن أبي طالب و قد توفّي حوالي سنة (٩٤ هـ)، و قد تزوّج من فاطمة بنت عمّه الحسن بن عليّ و أنجب منها ابنه محمد الباقر. انظر، ابن الصّبّاغ، الفصول المهمة: ٢/ ٢٣٨. بتحقيقنا.

^{٦٧٤} (٤) كان الإمام جعفر يفتخر بإنتسابه إلى أبي بكر الصديق. انظر، أبو المحاسن، التحوم الزاهرة: ١/ ٨. انظر، المبتكر الجامع لكتابي المختصر و المعاصر في علوم الأثر: ١٣٢، كشف الغمّة: ٢/ ١٥٥ و ١٨٧، الأنوار القدسية للسنيّهوتي: ٣٦، عمدة الطالب: ١٩٥، تاريخ أهل البيت عليهم السلام: ١٢٢، المعارف لابن قتيبة: ٢١٥، الهداية الكبرى للخصبي: ٢٤٧ بلفظ « أمّه أم فروة، و كانت تكنى أم القاسم - أي مثل فاطمة الزهراء عليها السلام أيضا كانت تكنى بأم أبيها و بنت رسول الله صلى الله عليه و آله - و بنت القاسم » عيون المعجزات: ٨٥ و ١٧٨.

ص: ٢٤٤

و قد عاش جعفر في حياة أبيه محمد الباقر نحو ثلاثين سنة^{٦٧٥}، وأخذ عنه زهده وإقباله على العلم^{٦٧٦}. وقد عهد الباقر بوصيته إلى ابنه عند ما أدرك قرب وفاته^{٦٧٧}.

و كان الإمامان عليّ زين العابدين و محمد الباقر قد انصرفا إلى الإمامة الروحية و لم يخوضا ميادين السياسة، و ظهرت غلبة الإمامة الروحية عند زين العابدين حتى تكاد تقترب تعاليمه من التصوف^{٦٧٨}، بينما غلب على الباقر طابع

ص: ٢٤٥

٦٧٩

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول؛ ص ٢٤٥

العلم - و لا سيما رواية الحديث - و طابع التشيع، حيث تبرز عقائد الشيعة في الإمامة و الولاية و الرجعة و إن نسب شيء من ذلك لزين العابدين، فإن معظم العقيدة المذهبية للشيعة الإثني عشرية تنسب للباقر ثم للصادق من بعده^{٦٨٠}.

و يذهب البعض إلى أن الصادق قد أطلق هذا الاسم عليه لصدقه أو لأن أمّه من حفيدات أبي بكر الصديق^{٦٨١}. بينما يذهب البعض إلى أن أبا جعفر المنصور هو الذي أطلق عليه هذا الاسم^{٦٨٢}. و يذكر السيوطي^{٦٨٣} أن نسبة الإمام جعفر إلى أبي

و ورد بحقه عن أبي عبد الله عليه السلام بلفظ «و كانت أمي ممن آمنّت، و اتقت، و أحسنت، و الله يحبّ المحسنين» جاء ذلك في الكافي: ١/ ٤٧٣ ح ١ و قريب منه في عيون المعجزات، و الوافي: ٣/ ٧٨٩ ح ١، ينابيع المودة للقندوزي الحنفي: ٣/ ١١٢ بلفظ «و أمّه أم فروة بنت القاسم» و الصواعق المحرقة: ٢٠١ - ٢٠٢، مقاتل الطالبين: ١٥١، الماوردي، الطبقات: ٢/ ٤٦، تهذيب الكمال: ١٦٦/ ٥.

٦٧٥ (١) انظر، الكليني، الكافي: ١/ ٤٧٥ ح ٧، البحار: ٤٧/ ٦ ح ١٨، و ٥ ح ١٦، الوافي: ٣/ ٧٩٦ ح ١٠، الإربلي، كشف الغمّة: ٢/ ١٥٥ و ١٦١ و ١٦٢ و ١٨٧، الطبرسي، إعلام الوري: ٢٧١، ابن شهر آشوب، المناقب: ٣/ ٣٩٩، الطبري، دلائل الإمامة: ١١١، الخصيبي، الهداية الكبرى: ٢٤٧، المفيد، الإرشاد: ٢/ ١٨٠.

٦٧٦ (٢) انظر، ابن قتيبة، المعارف: ٢٧٦ (٣) انظر، ابن سعد، الطبقات الكبرى: ٥/ ٣٢٣، ابن الجوزي، صفوة الصفوة: ٢/ ٦٣، ابن الوردي، تأريخ ابن الوردي: ١/ ١٨٤، أبو الفداء، تأريخ أبي الفداء: ١/ ٢١٤، الكليني، الكافي: ٣/ ٢٠٠ ح ٥، البحراني، حلية الأبرار: ٢/ ٢١٨، الصدوق، من لا يحضره الفقيه: ١/ ١٥٣٤ ح ٣٢١.

٦٧٨ (٤) المراد ب (التصوف هنا)، الزهد التورع عن الحرام، بالورع الكف عنه، و المعنى أنّ العفيف التزّه في غنى عن الناس، و أمان من شرهم، لأنّه بعفته و ن زاهته يرضى و يقنع بالميسور، و يلبث أذاه عن الآخرين، و القناعة كنز، و كفّ الأذى حصن، و صيانة، و تقدّم الكلام عن ذلك مرارا و تكرارا مفصلا و مجملا، انظر، نهج البلاغة: الخطبة (١٩١).

٦٧٩ ليثي، سميحة مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول، جلد ١، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ ه.ق.

٦٨٠ (١) انظر، دكتور أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية: ٣٥٨.

٦٨١ (٢) انظر، الكليني، الكافي: ٩٣، ابن خلّكان، وفيات الأعيان: ١/ ١٠٥.

٦٨٢ (٣) انظر، يذكر الحسيني، أعيان الشيعة ج ٤ القسم الثاني: ٩١؛ أنّ أبا مسلم كان قد طلب من الإمام جعفر عليه السلام أن يهديه إلى مكان قبر عليّ بن أبي طالب عليه السلام و كان خفيّا، فقال جعفر أنّ القبر إنّما يظهر في أيام رجل هاشمي يقال له أبو جعفر المنصور فاطلق المنصور عليه لقب الصّدّق.

٦٨٣ (٤) انظر، السيوطي، تأريخ الخلفاء: ١٢٥.

بكر، كانت سببا في تقديره الدائم له و لعمر بن الخطّاب، على غير ما كان يفعله كثير من زعماء الشيعة، فكان الإمام جعفر يقول: «أنا برىء ممّن ذكر أبا بكر و عمر إلّا بخير»^{٦٨٤}.

و أقبل الإمام جعفر على العلم و المعرفة، و اتّسعت دائرة نشاطه العلمي فشملت علوم القرآن و الحديث و أبواب الفقه المختلفة، و علم الكونيات، و قد

ص: ٢٤٦

بلغت رسائله العلمية التي جمعها تلميذه جابر بن حيان الكوفي الطّروطسي، خمسمئة رسالة^{٦٨٥} و اشتهر برواية الأحاديث، و بلغ عدد الأحاديث المروية عنه أربعة آلاف حديث، و لم تقتصر الرواية عنه على الشيعة فحسب، بل روت عنه سائر الفرق . و اكتسب جعفر محبة المسلمين و تقديرهم و رحلت الشيعة إليه لتنهل من علمه و فضله^{٦٨٦}.

انتقلت الإمامة الروحية للشيعة الإمامية من الإمام محمّد الباقر إلى الإمام جعفر الصادق، فأصبح الإمام السادس . و يهنا في هذا الفصل دراسة التّاريخ السّياسي للإمام جعفر، كما سندرس عقائد و آراء الشيعة الإمامية.

جهاد الإمام جعفر الصادق في العصر الأموي:

عاصر الإمام جعفر الصادق حركة زيد بن عليّ التي قامت بالعراق في عصر الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك . و لم يبد أحدهما عداً نحو الآخر، و إن لم يشارك الإمام جعفر في الثورة، و لا شك أنّه كان ساخطاً على الدّولة الأموية التي قتلت جدّه الحسين بن عليّ، و لم ير بأساً في أن يثار زيد بن عليّ لقتله، فقد تحدث زيد عن أسباب إعلانه الثّورة على الأمويين فقال: «خرجت على بني أمية الذين قاتلوا جدّي الحسين و أغاروا على المدينة يوم الحرة^{٦٨٧}، ثمّ رموا بيت

ص: ٢٤٧

الله بحجر المنجنيق و النار»^{٦٨٨}.

و قال الإمام زيد عن نفسه و عن الإمام جعفر: «من أراد الجهاد فإلىّ، و من أراد العلم فإلى ابن أخي»^{٦٨٩}. كما قال الإمام جعفر: «القائم إمام السّيف و القاعد إمام علم»^{٦٩٠}. و يرى المستشرق (رونلدسن) أن ركون أئمة الشيعة الإمامية إلى الهدوء دفع الشيعة عامّة و الشيعة الكيسانية إلى تأييد الزّيدية^{٦٩١}.

^{٦٨٤} (٥) انظر، الرّازي، تفسير ابن أبي حاتم الرّازي: ٢٨٢٧ / ٩ ح ١٦٠١٨، ابن عسّكر، تاريخ دمشق:

٣٨٧ / ٤٤، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ١٤٣، و الخلفاء الراشدون: ٢٧٤، الذّهي، تاريخ الإسلام:

٢٧٤ / ٣.

^{٦٨٥} (١) انظر، ابن خلّكان، وفيات الأعيان: ١ / ١٠٥.

^{٦٨٦} (٢) انظر، هاشم معروف، عقيدة الشيعة الإمامية: ١٤٧، كان جدّ الإمام جعفر الصادق لأئمّه هو القاسم بن محمّد و هو واحد من فقهاء المدينة السّبعة الذين يعتبرون مصدراً للفقه المدني، و هم الذين نقلوا علم الصّحابة و روايتهم و خاصة السيّد عائشة انظر، الشّيخ أبو زهرة، الإمام الصادق: ٨٩.

^{٦٨٧} (٣) و قد أغار على الحرة الجيش الأموي بقيادة مسلم بن عقبة حينما كان في طريقه إلى مكة لقتال ابن الزّبير في عهد الخليفة الأموي يزيد بن معاوية. ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٤ / ٤٨ و ما بعدها.

^{٦٨٨} (١) قذف الجيش الأموي بقيادة الحجاج بن يوسف مكة و الكعبة بالأحجار خلال حصاره لعبد الله بن الزّبير في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان. انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٤ / ١١٤، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٥.

تعرض الإمام جعفر الصادق لكثير من المحن في عهود الخلفاء الأمويين هشام، و الوليد، و إبراهيم، و مروان بن محمد، فقد تنبّع هؤلاء أهل بيته بالقتل الذريع، و امتحن الرجل أشدّ إمتحان، و صبر الإمام جعفر على كلّ ما نزل به من محن و اضطهاد و تضييق و تشديد و مهانة^{٦٩٢}. و لذا رأى الإمام جعفر أن ينصرف إلى العلم إنصرافاً كلياً فلم يشغل نفسه بدعوة الخلافة، و لا قيادة لأتباعه، ليقضوا على سلطان الأمويين أو سلطان العباسيين، كما فعل أولاد عمومته محمد النفس الزكية و أخوه إبراهيم بن عبد الله . و لم يذكر اسمه في الأحداث التي وقعت في عهده إلا إذا كانت ألماً أو أسفاً على الذين يقتلون من ذوى قرياه. و سواء أكان إنصرافه عن الإمرة و شذائدها كما تقول الإمامية أم كان رغبة في العلم كسائر

ص: ٢٤٨

أئمة العلم كما يقول الجمهور، فقد عكف الإمام جعفر على العلم و على العبادة^{٦٩٣}.

موقف الصادق من ثورة النفس الزكية:

لم يشهد الإمام جعفر الصادق، ذلك الاجتماع الشهير الذي عقد في أواخر العصر الأموي، و شهدته كثير من بنى هاشم، و بايعوا فيه محمد بن عبد الله المعروف بالنفس الزكية و كان معظم هؤلاء الهاشميين من بيت العباس بن عبد المطلب و بيت الحسن بن علي. و من العباسيين اشترك الإمام إبراهيم بن محمد بن عليّ و أبو جعفر المنصور و صالح بن عليّ، و اشترك من بيت الحسن، عبد الله بن الحسن و ابنه محمد و إبراهيم. كما شهد الاجتماع بعض بنى عثمان.

و قد بدأ صالح بن عليّ الحديث فطلب من الحاضرين عقد البيعة لأحد الهاشميين و تقدّم عبد الله بن الحسن يشرح ابنه محمد النفس الزكية، و بايعه الجميع و منهم أبو جعفر المنصور، بل أنّه غادر الاجتماع و هو يمسك برحال محمد و يقول للناس: هذا محمد بن عبد الله، هذا مهدينا أهل البيت^{٦٩٤}.

و لا شك أنّ عبد الله بن الحسن لم يرتح لغياب الإمام جعفر الصادق عن هذا الاجتماع التاريخي، فقد كان جعفر يمثل بيت الحسين بن عليّ، كما كان سيّد بنى هاشم جميعاً في زمانه^{٦٩٥}. و أراد عبد الله بن الحسن الوقوف على رأى جعفر فيما دار في هذا الاجتماع، و رآه في البيعة التي تمت لابنه محمد النفس الزكية الذي وصفوه بالمهدي، فبعث إلى الإمام جعفر يستدعيه إليه و استجاب الإمام جعفر لدعوة عبد الله ابن الحسن، الذي كان متقدماً في السنّ و موضع إحترام

ص: ٢٤٩

^{٦٨٩} (٢) انظر، الخزاز، كفاية الأثر: ٣٠٢.

^{٦٩٠} (٣) انظر، الشهرستاني، وضوء التّج: ١/ ٣١٦. لم أعثر على هكذا حديث، و لكن هو أيضاً أخذه من مصدر جهاد الشيعة للدكتور سميرة الليثي: ١٩٠.

^{٦٩١} (٤) انظر، رونلدسن، عقيدة الشيعة: ١٣٠.

^{٦٩٢} (٥) انظر، النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢١٤.

^{٦٩٣} (١) انظر، الشيخ محمد أبو زهرة، الإمام الصادق: ٩٤.

^{٦٩٤} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٠٩.

^{٦٩٥} (٣) انظر، ابن العماد، شذرات الذهب: ١/ ٢٢٠.

العلويين و العباسيين، و قصَّ عبد الله بن الحسن على الإمام جعفر تفاصيل أحداث الاجتماع، فأنكر جعفر عليهم كلَّ ما أقدموا عليه و قال: «إنَّ ابنك لا ينالها- يعنى الخلافة- و لن ينالها إلَّا صاحب القباء الأصفر و يقصد بذلك المنصور^{٦٩٦}».

و هكذا لم يبد الإمام جعفر إقتناعه أو إرتياحه للبيعة لمحمد النفس الزكية فهو إمام الشيعة الإمامية التي ترى أنَّ الخلافة مقصورة على أحفاد الحسين بن عليّ.

و على الرغم من ذلك، فإنَّ الإمام جعفر لم يتطلع إلى الخلافة، مكتفيا بالإمامة الروحية منكبا على العلم و التدبُّر، فيق ول الشَّهرستاني: «و هو ذو علم غزير في الدِّين و أدب كامل في الحكمة، و زهد بالغ في الدُّنيا، و ورع قام عن الشَّهوات^{٦٩٧}» . و قد أقام بالمدينة مرَّة يفيد الشيعة المنتمين إليه و يفيض على الموالين له أسرار العلوم . ثمَّ دخل العراق و أقام بها مدَّة ما تعرض للإمامة قطَّ، و لا نازع أحدا في الخلافة، ثمَّ غرق في بحر المعرفة، لم يطعم في شطط^{٦٩٨}.

كما كان الإمام جعفر - كما يذكر الشَّهرستاني أيضا - معتدلا في آرائه فقد أعلن براءته من القول بالرجعة، و البداء، و التَّناسخ، و الغلو، و الحلول، و التَّشبيه^{٦٩٩}.

ثمَّ كانت رسالة أبي سلمة الخلال، الوزير العباسي، إلى الإمام جعفر الصَّادق،

ص: ٢٥٠

يدعوه فيها إلى الإمامة و كان أبو سلمة - كما ذكرنا- قد وجَّه برسائل ثلاث إلى من العلويين أمَّا العلويان الآخرا فهما عبد الله بن الحسن و عمر بن زين العابدين، و يبدو تر كيز أبي سلمة على البيعة للإمام جعفر، بأنَّه طلب من رسوله أن يقصده أولا، فإنَّ أجاب أبطل الكتابين الآخرين، فإنَّ لم يجب قصد عبد الله بن الحسن^{٧٠٠}.

و خيَّب الإمام جعفر الصَّادق آمال أبي سلمة الخلال فيه، إذ رفض دعوته و أحرق الخطاب^{٧٠١}. و تلقى عبد الله بن الحسن الخطاب بسرور و حبور، و لكنَّه رشح ابنه محمد النفس الزكية، إذ كان عبد الله قد تقدَّمت به السنون، و يبدو تقدير عبد الله للإمام جعفر، في خروجه إليه لإستشارته في الأمر، و هو يعرف زهد الإمام جعفر في الخلافة . و نصحه جعفر بعدم الإستماع إلى دعوة أبي سلمة، فهو وزير بنى العباس و داعيتهم في خراسان ثمَّ قال جعفر : أيُّها الشَّيخ، لا تسفك دمَّ ابنك،

^{٦٩٦} (١) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطَّالبيين: ١٤٧، و روى صاحب الفخري أيضا أنَّ المنصور قال:

فرتبت العمَّال في نفسي من تلك الساعة.

^{٦٩٧} (٢) انظر، الشَّهرستاني، الملل و التَّحلل: ٢ / ٢٧.

^{٦٩٨} (٣) انظر، المصادر السَّابِق.

^{٦٩٩} (٤) دحض التَّهمة القائلة بأنَّ أحاديث الإمامية متضاربة مع التَّوحيد، و لذا يقول في مستهل كتاب التَّوحيد « إنَّ الَّذي دعاني إلى تأليف كتابي هذا أيَّ وجدت قوما من المخالفين ينسبون عصابتنا إلى القول بالتَّشبيه، و الجبر لما وجدوا في كتبهم من الأخبار التي جهلوا تفسيرها و لم يعرفوا معانيها و وضعوها في غير موضعها».

انظر، الصَّدوق، انظر، كتاب التَّوحيد: ١٧، علم الكلام و مدارسه للدكتور فيصل بدير عون: ١٦٥.

^{٧٠٠} (١) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطَّالبيين: ١٣٨.

^{٧٠١} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٢٤٨.

فأني أخاف أن يكون المقتول بأحجار الزيت^{٧٠٢}. و غضب عبد الله بن الحسن، و قال للإمام جعفر : و الله ما يمنعك من ذلك إلّا الحسد^{٧٠٣}.

و كان رأى الإمام جعفر أنّ يلج عبد الله بن الحسن و ولداه هذا الباب فلن يفتحوا الرّجاج، و إن أصّر عبد الله و تمسك برأيه في ابنه فإن أقطع الرّد أنه ليس في وصيّة عليّ بن أبي طالب، أن يكون أحد من أبناء الحسن إماما، و إن كان عبد الله يرى الإمامة لولديه محمّد و إبراهيم، أحدهما بعد الآخر، فإنّه ليس في وصيّة عليّ كذلك أن يلي الإمامة غير الحسن و الحسين. ذلك أمر إمامة الدّين عند

ص: ٢٥١

جعفر، أمّا إذا كان عبد الله يريد لولديه خلافة الدّنيا فإنّ البيت العبّاسيّ قد صار له فيها أعلى صوت و أقوى دعوة^{٧٠٤}.

و شاع بين النّاس في المدينة أنّ الإمام جعفر الصّادق قد تنبأ بمقتل محمّد بن عبد الله بن الحسن . و قدّم عليه الكثيرون يسألونه و منهم أمّ الحسن بنت عبد الله ابن محمّد الباقر، فلقال لها : «يقتل محمّد عند بيت رومة^{٧٠٥}، و يقتل أخوه - لأّمّه و أبيه - و حوافر فرسه في الماء»^{٧٠٦}. و كان كثير من الشيعة يؤمن بأنّ الإمام جعفر يعلم الغيب، و يتنبأ بالأحداث، و لكن الحقيقة التّاريخيّة أنّ جعفرا نفى عنه ذلك و قال إنّ لا يعلم الغيب إلّا الله^{٧٠٧}.

ص: ٢٥٢

تطور العلاقات بين الإمام الصّادق و الخليفة المنصور:

^{٧٠٢} (٣) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢ / ٣٤٩، و هي الأحجار التي يضع عليها الرّياتون زيوتهم في المدينة المنورة
^{٧٠٣} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٢٦٩.
^{٧٠٤} (١) انظر، عبد العزيز سيّد الأهل، جعفر بن محمّد الصّادق: ١٣٥، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة في القاهرة طبع عام (١٣٨٤ هـ).
^{٧٠٥} (٢) رومة: أرض بالمدينة. ياقوت، معجم البلدان: ٤ / ٣٣٦.
^{٧٠٦} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٢٤٨.
^{٧٠٧} (٤) انظر، الكليني، الكافي: ٥٧ - ذهب الشيعة إلى أنّ الإمام جعفر الصّادق يعلم بكلّ الأحداث حتّى يوم القيامة، و أطلقوا على ذلك (علم الجفر) - مقدّمة ابن خلدون: ٢٣٤.

و كتاب الجفر كتبه الإمام جعفر الصّادق بن محمّد الباقر رضي الله عنهما فيه كلّ ما يحتاجون علمه إلى يوم القيامة، و إلى هذا الجفياشار أبو العلاء المعري:
لقد عجبوا لآل البيت لما

أأهم علمهم في جلد جفر

أرته كلّ عامرة و قفر

و مرآة المنجم و هي صغرى

انظر، ابن حلّكان، وقيّات الأعيان: ٢ / ٤٠٥، التّمري، حياة الحيوان: ١ / ١٩٧ و: ٢ / ١٠٣.
و الجفر من أولاد المعز ما بلغ أربعة أشهر، و انفصل عن أمّه.

الجفر في أصل اللّغة ولد الشّاة إذا عظم و استكرش : ثمّ أطلق على جلد الشّاة. و في مختار الصّحاح: ١ / ٤٥، و لسان العرب: ٢ / ٦٢٤ و: ٤ / ١٤٢ قالوا: (من أولاد المعز - الصّان - ما بلغ أربعة أشهر - و فطم بعد خمسين يوما من الولادة - و جفر جنباه اتّسعا و فصل عن أمّه، و الأئني جفرة، و استكرش أي صارت إنفخته كرشا حين الرّعي . و في الفصول المهمّة نقل بعض أهل العلم: أنّ كتاب الجفر الذي بالغرب يتوارثه بنو عبد المؤمن بن عليّ من كلام جعفر الصّادق، و له فيه المنقبة السّنيّة، و الدّرجة التي في مقام الفضل عليه.

انظر، ابن الصّبّاغ المالكي، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٢ / ٢٤٠ و ٣٤٠، بتحقيقنا، نيل الأوطار: ٧ / ١٥١، المناقب: ٣٩٦، ينابيع المودّة: ٣ / ٢٢٢.

وكان أبو جعفر المنصور يخشى على خلافته ممّا وصل إليه الإمام جعفر الصادق من علو منزلة و سمو مكانة بين المسلمين عامّة و الشيعة خاصّة، حتّى أن المنصور كان يصفه بأنّه الشّجى المعترض حلقه^{٧٠٨} و لكن موقف المنصور كان ضعيفا أزاء ما إلترمه جعفر الصادق من خطّ سياسى، إذ أنّ لم يعلن العصيان، و لم يدع لنفسه . و اكتفى بإستدعاء جعفر الصادق عدّة مرّات إلى بلاد العراق، ليوقفه بين يديه، يريد بذلك إستنقاظه أمام النّاس، و التّصغير من شأنه^{٧٠٩}.

كانت أوّل زيارة للإمام جعفر الصادق للعراق، فى عهد الخليفة العبّاسى الأوّل أبى العبّاس السّفّاح، و قد توصل خلال هذه الزّيارة إلى معرفة مكان قبر علىّ بن أبى طالب فى النّجف^{٧١٠}. و يرى الشّيخ أبو زهرة أنّ هذه الدّعوة كانت تكريما و إكبارا للإمام جعفر، و ذلك لأنّ الخلاف بين العلويّين و العبّاسيّين لم يكن قد ثار و وضح . و قد عقد جعفر عدّة إجتماعات بأنصاره من الشيعة، و حتّهم على الإبتعاد عن الغلوّ و الآراء المتطرفة كما عقد عدّة مناظرات مع أهل الفرق الاخرى . و لا شك أنّ إقبال النّاس على الإمام جعفر قد أثار حسد أو مخاوف

ص: ٢٥٣

العبّاسيّين^{٧١١}.

أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور يستدعى إليه الإمام جعفر، لبروعه و يقيم معه بيت الحسين، فقد كان المنصور يعلم أنّ جعفرا إنّما يمنع محمّد النّفس الزّكيّة من أن يدعى أنّه المهدي، و لكنّه فى نفس الوقت لا يمنعه أن يغضب لله، و ليأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر^{٧١٢}.

و كان المنصور قد رحل إلى الحجاز و استقر بالرّبذة قرب المدينة، و أمر بالقبض على بنى الحسن، كما أمر بسجن عبد الله بن الحسن و آله فى قصر ابن هبيرة شرقى الكوفة و فى الرّبذة قال المنصور لحاجبه الرّبيع بن يونس^{٧١٣}: إبعث إلى جعفر بن محمّد من يأتينا به متعبا . و تلكأ الرّبيع فى تحقيق أمر الخ ليفة؛ فألح عليه المنصور الطّلب فى اليوم التّالى . و قدم الإمام جعفر إلى الرّبذة فاستقبله الرّبيع و قال له : يا أبا عبد الله، أذكر الله تعالى، فإنّه قد أرسل لك من لا يدفع شرّه إلّا بالله، و إنّى أتخوف عليك.

فقال الإمام جعفر: لا حول و لا قوّه إلّا بالله العلى العظيم. و تمّ اللقاء بين الخليفة المنصور و الإمام جعفر الصادق و أغلظ المنصور له القول ثمّ سمح له بالعودة إلى المدينة^{٧١٤}.

و روى الكليني أنّ جعفر الصادق رفض مرّة أن يستجيب إلى دعوة الخليفة المنصور بالرّحيل إلى العراق ليمثل بين يديه، فأمر المنصور والى المدينة بأن

^{٧٠٨} (١) انظر، اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى: ١١٧/٣.

^{٧٠٩} (٢) انظر، المظفرى، تاريخ الشيعة: ٤٥.

^{٧١٠} (٣) انظر، المظفرى، الصادق: ١٣٧/١، كان العلويون يعرفون مكان قبر علىّ و لكنّهم أخفوه عن بني أمية.

^{٧١١} (١) انظر، أبو زهرة، الإمام الصادق: ٦١.

^{٧١٢} (٢) انظر، عبد العزيز سيّد الأهل، جعفر بن محمّد الصادق: ١٤١، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية فى القاهرة طبع عام (١٣٨٤ هـ).

^{٧١٣} (٣) أصبح ابنه الفضل بن الرّبيع وزيرا فى عهد الخليفة الرّشيد.

^{٧١٤} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيّين: ٢٢٥، و ما بعدها.

يحرق دار جعفر، و نجح الإمام في تخطي النار و النجاة بنفسه، و هو يقول : أنا ابن أعراق الثرى، أنا ابن إبراهيم خليل الله. و هو يشير بذلك إلى إبراهيم عليه السلام الذى أنجاه الله عز و جل من النار^{٧١٥}. و روى ابن خلكان: أن الخليفة المنصور استدعى الرجال البارزين إلى العراق فأستعفاه جعفر و أراد البقاء فى المدينة فلم يقبل فاستأذنه أن يتأخر قليلا ريثما يدبر أمره، فرفض المنصور فقال الإمام للمنصور:

(لقد سمعت أبى عن أبيه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه و آله أنّه قال «من خرج فى طلب الرّزق رزقه الله، و من بقى مع عياله مدّ الله فى أجله»^{٧١٦}.

قال المنصور: أسمع ذلك حقّا عن أبيك عن أبيه عن جدّه رسول الله صلى الله عليه و آله؟.

قال: أشهد الله بذلك. فأعفاه المنصور من الذهاب إلى العراق، و سمح له بالبقاء فى المدينة مع أهله^{٧١٧}.

و رغم إبتعاد الإمام جعفر الصادق عن خوض السياسة، و رغم عدم مطالبته بالخلافة، و رغم عدم رضاه عن ثورة محمّد النفس الزكيّة و أخيه إبراهيم، فقد سمح لابنه موسى و عبد الله بالإنضمام إلى هذه الثورة . فقد روى الإصفهاني أن محمّدا النفس الزكيّة أراد إعفاء موسى و عبد الله ابني جعفر من مشاركتهما لثورته، و لكن جعفرا قال لهما : إرجعا فما كنت بالذى أبخل بنفسى و بكما عنه.

و أستمر ابناه إلى جانب النفس الزكيّة حتّى لقي حتفه^{٧١٨}.

و لا شك أن الم تصور قد غضب على الإمام جعفر الصادق لإنضمام ابنيه إلى ثورة النفس الزكيّة، و زاد من غضبه إيواء جعفر للحسن بن زيد بعد إخفاق الثورة . و قد كان الحسن ربيبا لجعفر بعد مصرع أبيه زيد بن عليّ، و ما لبث أن تفاقم الغضب، حينما ضمّ الإمام جعفر إليه يحيى بن عبد الله بعد مصرع أخويه النفس الزكيّة و إبراهيم^{٧١٩}.

و بعد القضاء على ثورة محمّد النفس الزكيّة، قدم المنصور إلى بلاد الحجاز سنة (١٤٦ هـ)، و استدعى إليه الإمام جعفر الصادق. و تمّ اللقاء فى الرّبذة^{٧٢٠}. و قد ذكر الإمام جعفر ما دار فى هذا اللقاء فقال : «لما رفعت إلى أبى جعفر المنصور بعد

^{٧١٥} (١) انظر، الكليني، الكافي: ١٩٤.

^{٧١٦} (٢) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١١٢ / ٢.

^{٧١٧} (٣) لا شك أن المنصور قد صدق رواية الإمام جعفر الصادق لهذا الحديث النبوي الشريف فقد كان جعفر من كبار رواة الأحاديث . ابن العماد، شذرات الذهب: ٢٢٠ / ١ و الشبلنجي، نور الأبصار: ٩٥ / ١، بتحقيقنا، ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة ٢ / ٢٤٩ بتحقيقنا، مقاتل الطالبيين: ٢٣٣.

^{٧١٨} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٧٧ و ما بعدها.

^{٧١٩} (١) انظر، المصدر السابق.

^{٧٢٠} (٢) الرّبذة- كما ذكرنا آنفا- تقع على مقربة من المدينة على بعد ثلاثة أميال و بها قبر أبي ذر الغفاري انظر، ياقوت، معجم البلدان ٤ / ٢٢٢.

قتل محمد بن عبد الله بن الحسن، نهرنى و كلمنى بكلام غليظ، ثم قال : يا جعفر قد علمت بفعل محمد بن عبد الله الذى تسمونه النفس الزكية و ما نزل به، و إنما انتظر الآن أن يتحرك منكم أحد فألحق الصغير بالكبير»^{٧٢١}.

و كان المنصور قد أمر بمصادرة أموال و ضياع بنى الحسن و كثير من العلويين و بنى هاشم^{٧٢٢}. و لذا طلب الإمام جعفر الصادق من الخليفة المنصور أن يرد إليه ضيعته^{٧٢٣} حتى يقتات منها، و كان عيسى بن موسى قد أمر بمصادرتها و غضب

ص: ٢٥٦

المنصور من جعفر إذ طالبه بذلك و صاح فيه: إياى تكلم بهذا الكلام؟.

ثم قال: قد رأيت أطباق أهل المدينة على حبى، و قد هممت أن أبعث إليهم من يغور عليهم و يحجر نخلهم . و واجه الإمام جعفر هذا التهديد و الوعيد بالهدوء و الحلم، و توجه بالنصح إلى المنصور، فقال : يا أمير المؤمنين أن سليمان أعطى فشكر، و أن أيوب ابتلى فصر، و أن يوسف قدر فغفر، فاقتد بأيهم شئت، و قد جعلك الله من نسل الذين يعفون و يصفحون^{٧٢٤}.

لقد كان الإمام جعفر الصادق، شجاعاً فى الحق، لا يتملق، و لا يداهن فلم يفعل ما كان يفعله غيره من التردد على الخليفة المنصور، فاستدعاه المنصور إليه يوماً و عاتبه على قطيعته له و قال: لم لا تغشانا كما يغشانا الناس؟.

فأجاب جعفر: ليس لنا من أمر الدنيا ما نخافك عليه، و لا عندك من أمر الآخرة ما نرجوه منك، و لا أنت فى نعمة نهنتك بها، و لا فى نقمة فنعزيك.

فقال المنصور: تصحبنا لتصلحنا.

فقال جعفر: من يريد الدنيا لا ينصحك، و من يريد الآخرة لا يصحبك^{٧٢٥}.

و بعد إخفاق ثورة إبراهيم بن عبد الله فى البصرة، و بعد مصرعه، أمر المنصور بترحيل بنى الحسن إلى العراق، كما أمر بأن يصحبهم الإمام جعفر الصادق، و روى جعفر هذه الأحداث فقال : «لما قتل إبراهيم بن عبد الله بياخمرى صرنا عن المدينة، و لم يترك فيها منا محتلم، حتى قدمنا الكوفة، فمكثنا فيها شهراً نتوقع فيها القتل، ثم خرج إلينا الربيع الحاجب فقال : أين هؤلاء العلوية؟.

ص: ٢٥٧

^{٧٢١} (٣) انظر، السبلنجي، نور الأبصار: ٩٥/١، بتحقيقنا، ابن الصباغ، الفصول المهمة فى معرفة الأئمة:

٢/ ٢٤٩ بتحقيقنا، مقاتل الطالبيين: ٢٣٣.

^{٧٢٢} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٧٣.

^{٧٢٣} (٥) كانت هذه الضيعة تدعى (عين أبي زياد) و تقع فى (الفرع) و هي قرية بنواحي الزبداء قرب المدينة، و تشتهر هذه القرية بالنخيل و عيون الماء . انظر، ياقوت، معجم البلدان: ٢٦٣/٦.

^{٧٢٤} (١) انظر، الحصري، زهر الآداب: ١/ ١٢٣، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٥١.

^{٧٢٥} (٢) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١١٢-١١٣، مستدرک وسائل الشيعة: ٣٠٧/١٢ ح ١، بحار الأنوار: ١٨٤/٤٧ ح ٢٩، كشف الغمّة: ٢/ ٤٢٧.

أدخلوا على أمير المؤمنين رجلين منكم من ذوى الحجا . فدخلنا إليه أنا و الحسن بن زيد، فلمّا صرت بين يديه قال لى : أنت الذى تعلم الغيب؟.

قلت: لا يعلم الغيب إلّا الله.

قال: أنت الذى يجبى إليك هذا الخراج؟.

قلت: إليك يجبى يا أمير المؤمنين الخراج.

قال: أتدرون لم دعوتكم؟.

قلت: لا.

قال: «أردت أن أهدم رباعكم و أروع قلوبكم ...». و عفا المنصور عن الإمام جعفر و منحه الهدايا النفيسة و أعاده إلى المدينة^{٧٢٦}.

و عاد الإمام جعفر إلى المدينة حيث أقام فيها منصرفا إلى العلم و الدين^{٧٢٧}، و فى سنة (١٤٨ هـ)، كانت وفاته^{٧٢٨}. و تتهم كتب الشيعة المنصور بأنّه حرّض من دسّ للصادق سمّا فى عنب، فمات مسموما و إن كنّا لا نستطيع تأكيد ذلك^{٧٢٩}. و لم

ص: ٢٥٨

يذكر الإصفهاني جعفر الصادق ضمن الطالبين الذين لقوا حتفهم على أيدي العباسيين، كما أن يعقوبى^{٧٣٠}، يذكر أن المنصور قد أبدى ألما شديدا حين علم ب وفاة الإمام جعفر الصادق، و بكى طويلا حتّى أخضلت لحيته بالدموع، و وصف جعفرا بأنّه «كان ممّن اصطفى الله، و كان من السابقين بالخيرات»^{٧٣١}.

و ينفى الشيخ أبو زهرة^{٧٣٢} عن الخليفة المنصور إتهامه بقتل الإمام جعفر الصادق بالسّم، و يذكر أنّ المنصور و إن كان حريصا على تثبيت ملكه و منع من يعارضه فقد تبين له أنّ الصادق لا يعارضه، و كانت مجالس لقائه فى حالة التّظنن و الاتّهام تنتهى بالثقة و الإطمئنان، كما كانت وفاة الصادق بعد أن استقرت الأمور للمنصور تماما، و أمّن أن تخرج عليه

^{٧٢٦} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٢٥١، الشبلنجي، نور الأبصار: ١٤٦، ابن الجوزي، صفوة الصفوة: ٩٧ / ٢، التنوخي، الفرج بعد الشدة: ٧٠ / ١، المجلسي، بحار الأنوار: ٢١١ / ٤٧، محسن الأمين، أعيان الشيعة: ١٨٠ / ٢، الجندي، الإمام الصادق: ٨٢.

^{٧٢٧} (٢) انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ٩٥ / ١.

^{٧٢٨} (٣) و هي السنة العاشرة من عهد الخليفة العباسي المنصور.

^{٧٢٩} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٩٧ / ٣، الكفعمي، المصباح: ٥٢٣، المجلسي، بحار الأنوار:

٢ / ٤٧ و ٥ ح ٤ و ١٥، ابن طلحة، مطالب السؤول: ٨١، إحقاق الحق: ١٢ / ٢١٢ و ٢١٦، ينابيع المودة: ٣ / ١١٧ ح ٣ طبعة اسوة، الصواعق المحرقة: ١٢١، دلائل الإمامة: ١١١ بلفظ «سمّه المنصور فقتله» إسعاف الراغبين: ٢٥٣، البرسي، مشارق الأنوار: ٩٣، إثبات الهداة: ٥ / ٤٢٣ ح ١٦٤، المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٣٩٩، ابن طابوس، إقبال الأعمال: ٩٧، ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢ / ٢٥٥.

^{٧٣٠} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٢٧٥ و ما بعدها.

^{٧٣١} (٢) انظر، يعقوبى، تاريخ يعقوبى: ٣٨٣ / ٢، انظر، عبد العزيز سيّد الأهل، جعفر بن محمد الصادق:

١٧٢، عضو المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية في القاهرة طبع عام (١٣٨٤ هـ)، نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشيعة الإمامية: ٢١٩، الحزاني، تحف العقول: ٢٤٥.

^{٧٣٢} (٣) انظر، الشيخ أبو زهرة، الإمام الصادق: ٦٤.

خارجة من جانب العلويين وأنه وقد استقرت الأمور لا يحاول إثارة أحقاد دفينه فيقدم على ما اتهمته به مصادر الشيعة . وينسب المستشرق (رونلدسن)^{٧٣٣} هذه الاتهامات الشيعة للمنصور إلى عقيدة الشيعة التي تذهب إلى أن جميع الأئمة، فيما عدا علي، والحسين، والمهدي ماتوا مس مومنين، وذلك حسب الأحاديث الواردة في أن الإمام لا يموت ميتة طبيعية، لا كما تقتضيه سنة الإحتمال^{٧٣٤}.

ص: ٢٥٩

هذا هو التأريخ السياسي للإمام جعفر الصادق، وموقفه من الخليفين العباسيين أبي العباس، والمنصور، ومن حركتي الزيدية التي تزعمها محمد النفس الزكية وأخوه إبراهيم.

الآراء السياسية للشيعة الإمامية:

كانت فرقنا الإمامية والزيدية أبرز فرق الشيعة نشاطا في العصر العباسي الأول وقد حملتا لواء المعارضة السياسية للدولة العباسية. وقد كان ظهور الفرقتين في العصر الأموي، ثم تطورت آراؤهما في العصر العباسي، ويهنا في بحثنا هذا الإشارة إلى الآراء السياسية.

ظهرت الشيعة الإمامية في العصر الأموي، وقد اتفقت على أن الرسول عليه الصلاة والسلام، قد نصّ على إمامة علي عليه السلام: «باسمه ويمينه ونصبه للناس، إماما واستخلفه وأظهر الأمر في ذلك إلى غيره، وأن الأمة خلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره»^{٧٣٥}، ورأت الإمامية أن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة ويتعين القائم بها بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ولا يجوز لنبي إغفاله ولا تفويضه إلى الأمة، بل يجب عليه تعيين الإمام لهم، ويكون معصوما من الكبائر والصغائر وأن عليا عليه السلام هو الذي عينه صلوات الله

ص: ٢٦٠

عليه بنصوص ينقلونها ويؤولونها على مقتضى مذهبهم^{٧٣٦}.

وسمى الإمامية بهذا الاسم نسبة إلى «الإمام»^{٧٣٧}، أي الخليفة، لأنهم ركزوا تعاليمهم حول «الإمام» فكانوا يرون أن علي بن أبي طالب يستحق الخلافة بعد الرسول عليه الصلاة والسلام، لا عن طريق صلاحيته وكفاءته ولا عن طريق ما أشار

^{٧٣٣} (٤) انظر، رونلدسن، عقيدة الشيعة: ١٤٨.

^{٧٣٤} (٥) ليس بهذا الشكل كما تدعي، أو يدعي فلان وفلان، بل أن الحديث الوارد من قبل الأئمة عليهم السلام «ما منّا إلّا مقتول أو شهيد». انظر، الصدوق، إعلام الوري: ١٣٢ / ٢، الصدوق، إعتقادات الشيخ الصدوق: ٩٩، المجلسي، البحار: ٥٠ / ٣٣٨ و: ٤٩ / ٢٨٥، الكفعمي، المصباح: ٥١٠، حبيب السير: ٩٨ / ٢، عيون أخبار الرضا: ٢٠٠ - ٢٠٢، الطوسي، الغيبة: ٢٣٨، إثبات الهداة: ٣ / ٧٥٧، الطبرسي، تاج المواليد: ٥٩، ابن شهر آشوب، المناقب: ٢ / ٥١، مسند الإمام الرضا: ١ / ١، ابن الصباغ، الفصول المهمة: ٢ / ١٠٩٣، الإرشاد، كشف الغمّة: ٣ / ٢٢٧، الحزّ العاملي، وسائل الشيعة: ١٤ / ٥٦٨ ح ٥، التيسابوري، روضة الواعظين: ٢٣٣، الحزّاز، كفاية الأثر: ١٦٢ و ٢٧٢.

^{٧٣٥} (١) انظر، ابن نشوان، الحور العين: ١٥٣.

^{٧٣٦} (١) انظر، ابن خلدون، المقدمة: ١٣٨.

^{٧٣٧} (٢) ترى الغالبية العظمى من الفرق الإسلامية «وجوب الإمامة» عدا فرقة الخوارج التجدية وأتباع هشام الغوطي من المعتزلة. انظر، الشهرستاني، نهاية الإقدام في علم الكلام: ٤٨٢. و ترى الشيعة الأنطاشية والإسماعيلية وجوب الإمامة عقلا على الله انظر، الزاوي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين: ١٧٦.

إليه الرسول من صفلت لا تنطبق إلّا عليه، بل عن طريق النص عليه بالاسم . ثم يرون أنّ الأئمة هم عليّ و أبناءؤه من فاطمة على التعيين واحدا بعد واحد، وأن معرفة الإمام وتعيينه أصل من أصول الإيمان^{٧٣٨}.

و ترى الشيعة أنّ الرسول عليه الصلاة والسلام بايع عليّ بن أبي طالب يوم غدیر خمّ، و روى اليعقوبي^{٧٣٩} أنّ الرسول بعد عودته من حجة الوداع نزل مكانا يعرف بغدير خمّ (١٨ ذو الحجة)، و قام خطيبا و أخذ بيد عليّ فقال:

ص: ٢٤١

«فمن كنت مولاه فعلى مولاه»^{٧٤٠}.

^{٧٣٨} (٣) تسوق الشيعة كثيرا من الأدلة على آرائهم، فهناك أولا أدلة نقلية فتشير الشيعة إلى آيات قرآنية كريمة مقتضاها أنّه لا يجوز للرسول أن يختار الإمام و من هذه الآيات الكريمة: i\ و رُبَّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَ يَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ\ القصص: ٦٨، i\ و مَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَ لَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَ رُسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رُسُولَهُ فَكُنْ مِنْ أَجْلٍ لَنَا إِنْ أَتَاكَ كُلٌّ مِنَ الْأُمَمِ فَنَصِيحَةٌ لِلَّهِ\ آل عمران: ١٥٤. و هناك أدلة عقلية: فإنّ الله يوجب الوصية، و قد قال الرسول صلى الله عليه و آله: (من مات بغير وصية مات ميتة جاهلية) و لذا لا يمكن أن يغفل الرسول الوصية . و تعيين الإمام يجنب المسلمين الاختلاف و الإنقسام.

انظر، محمد الكاظمي القزويني، المناظرات: ٤، الحلي الأئمة بين الصدق و الميراث: ٢٧ و ٤١).

^{٧٣٩} (٤) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ٢/ ١٢٥، المسعودي، التنبيه و الأشراف: ٢٥٥.

^{٧٤٠} (١) انظر، أورد الإمام أحمد بن حنبل هذا الحديث عدّة مرّات في مسنده.

لم يكتف الرسول صلى الله عليه و آله بإبداء التوجيهات، و إصدار التحذيرات، بل اتّخذ إلى جانب ذلك مواقف عملية من أجل صيانة وحدة الأمة و يأتي في مقدّمة تلك المواقف موقفه بشأن الإمامة و الخلافة من بعده، فإنّ المتتبع لسيرة الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله لا يجد فيها اهتماما بشيء إلا اهتمام بخلافة الإمام عليّ عليه السلام من بعده بنصوص لا يبلغها الحصر و الإحصاء بعضها في الإشادة بالإمام، و بيان فضله و منزلته و مزايا شخصيته، و بعضها الآخر في تعيينه خليفة، و إماما للمسلمين من بعده، و أهمّ و أبرز تلك المواقف موقفه يوم قال صلى الله عليه و آله في آخر حجة حجّته إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة، و التي تسمّى بحجة الوداع. «أيّ بلد هذا، أليست بالبلدة الحرام»؟ قلنا: بلى يا رسول الله!

قال: «إني أوشك أن أدعى فأجيب...».

قالوا: نشهد أنّك بلغت و نصحت فجزاك الله خيرا؛

قال: «أليس تشهدون أن لا إله إلاّ الله، و أنّ محمدا عبده و رسوله...؟».

قالوا: بلى نشهد ذلك.

قال: «اللّهم اشهد».

ثمّ قال: «ألا تسمعون؟».

قالوا: نعم.

قال: «يا أيّها النّاس إني فرط، و أنتم واردون عليّ الحوض...».

انظر، الأمالي الخمسية: ١/ ١٥٦، مجمع الزوائد و منبع الفوائد للهيتمي الشافعي: ٩/ ١٦٢، مستدرک الحاكم: ٣/ ١٠٩، ابن كثير: ٥/ ٢٠٩.

ثمّ قال: «ألستم تعلمون أيّ أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟».

قالوا: بلى يا رسول الله!

انظر، مسند الإمام أحمد: ١/ ١١٨، سنن ابن ماجه: ١/ ٤٣ ح ١١٦، ابن كثير: ٥/ ٢٠٩.

قال: «ألستم تعلمون- أو تشهدون- أيّ أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟».

قالوا: بلى يا رسول الله.

انظر، مسند الإمام أحمد: ٤/ ٢٨١ و ٣٦٨ و ٣٧٠، ابن كثير: ٥/ ٢٠٩ و ٢١٢- ثمّ أخذ بيد عليّ بن أبي طالب بضبعه فرفعها حتّى نظر النّاس إلى بياض إبطيهما

انظر، الأمالي لأبي طالب: ٣٥، أمالي المؤيد بالله: ١٠٤، مستدرک الحاكم الحسكاني: ١/ ١٩٠ و ١٩٣، كتاب الأصول: ٣٨- ٣٩.

ثمّ قال: «أيّها النّاس! الله مولاي و أنا مولاكم؛ فمن كنت مولا، فهذا عليّ مولا . اللّهمّ و ال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله، و أحبّ من أحبّه، و أبغض من أبغضه».

ثمّ قال: «اللّهمّ اشهد».

انظر، مسند الإمام أحمد: ١/ ١١٨ و ١١٩ و ٤/ ٢٨١، تذكرة الخواصّ للسير الجوزي الحنفي:

٣٠، السيرة الحلبية للحلي الشافعي: ٣/ ٢٥٧، السيرة النبوية لزيني دحلان بحامش الحلبية ٣/ ٣.

ثمّ قال عليه الصّلاة و السّلام : أيّها النّاس، إنّنى فرطكم و أنتم واردون علىّ الحوض، و إنّى سائلكم حين تردون علىّ عن الثّقلين، فانظروا كيف تخلفوني فيهما.

فقالوا: و ما الثّقلان يا رسول الله؟.

قال: الثّقل الأكبر كتاب الله سبب طرف بيد الله، و طرف ب أيديكم، فأستمسكوا به و لا تضلّوا و لا تبدلوا، و عترتى أهل بيتي^{٧٤١}.

و الإمامة عند الشّيعة الإماميّة إذا عقيدة دينية، و ليست أمراً دنيويّاً أو مصلحيّاً

و الأئمّة الذين يتولون هذه الإمامة إنّما يتولونها بوصيّة من الرّسول. و قد أوصى الرّسول إلى عليّ، و عليّ أوصى إلى الحسن، و الحسن أوصى إلى الحسين، و هكذا حتّى يصل الأمر إلى الإمام جعفر الصّادق، و من بعده يكون الاختلاف بين الاثنى عشرية و بين الإسماعيلية، فهؤلاء يقولون إنّها لإسماعيل، و أولئك يقولون إنّها لموسى الكاظم، و من بعد موسى

انظر، مسند الإمام أحمد: ١ / ١١٨، بلوغ الأرب و كنوز الذهب في معرفة المذهب: ١٣٢، كتاب الأصول: ٣٨ - ٣٩، الأمالي لأبي طالب: ٣٣، أمالي المؤيد بالله: ٩٠، مجمع الزوائد و منبع الفوائد للمهشمي الشافعي: ٩ / ١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٧، شواهد التنزيل: ١ / ١٩٣، تأريخ ابن كثير: ٥ / ٢١٠. انظر، شواهد التنزيل للحسكاني: ١ / ١٩١، تأريخ ابن كثير: ٥ / ٢١٠.

ثمّ لم يتفرّق رسول الله و عليّ - حتّى نزلت هذه الآية: *إِذْ أَخْبَرْنَا لَكَ إِذْ أَوْفَيْتَ لَكُمْ بِوَعْدِكَ وَأَقِمْتَ عَلَيْهِمْ نِعْمَتِي وَ رَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا* E\ المائدة: ٣. فقال رسول الله صلى الله عليه و آله: «الله أكبر على إكمال الدين، و إتمام النعمة، و رضا الرّبّ برسالي، و بالولاية لعليّ من بعدي. ثمّ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهمّ وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله».

انظر، مسند أحمد: ١ / ١١٨ و ١١٩ و: ٤ / ٢٨١، تذكرة الخواصّ للسبط الجوزي الحنفي: ٣٠، السيرة الحلبية: ٣ / ٢٥٧، السيرة النبوية لزبي دحلان بهامش الحلبية: ٣ / ٣. و أخرج الطبري في كتابه الولاية حديثاً بإسناده عن زيد بن أرقم قال: لما نزل النبي صلى الله عليه و آله بغدير خمّ في رجوعه من حجة الوداع و كان في وقت الضحى و حرّ شديد أمر بالدوحات فقمّت و نادى الصّلاة جامعة، فاجتمعنا فخطب خطبة بالغة ثمّ قال:

«إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَنْزَلَ إِلَيَّ: بَارِئُ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ ... إِلَى أَنْ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله: قَوْلُوا مَا قُلْتُ لَكُمْ وَ سَلِّمُوا عَلَى عَلِيٍّ بِأَمْرِ الْمُؤْمِنِينَ ... وَ فِي مَكَانٍ آخَرَ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله: لَا تَحُلْ أَمْرَ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدِي لِأَحَدٍ غَيْرِهِ، ثُمَّ رَفَعَهُ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّى صَارَتْ رِجْلُهُ مَعَ رِجْلَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله. وَ لَسْنَا بِصَدِّ بَيَانِ أَنَّ الْإِمَامَ عَلِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ الَّذِي اخْتَصَّ بِهِ لِقَابُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، بَلْ لِلْإِشَارَةِ هُنَا نَذِيرُ الْمَصَادِرِ الَّتِي أُرْجَتْ لِحَدِيثِ الْغَدِيرِ.

و انظر، حبيب السيرة للمؤرخ غياث الدين: ١ / ٣ / ١٤٤، و مسند أحمد بن حنبل: ٤ / ٢٨١، الصّواعق لابن حجر: ٢٦، التّحفة في أصول الدين لأبي بكر الباقلاني: ١٧١، التّرياض النّضرة بحبّ الدين الطّبري: ٢ / ١٦٩، حياة عليّ بن أبي طالب للشّافعي: ٥ / ٢٠٩، خطط القرطبي المصري: ٢ / ٢٢٣، بديع المعاني لنجم الدين الشافعي: ٧٥، كنز العمّال: ٦ / ٣٩٧، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للشّافعي: ٢ / ١٧٣، المواهب اللّديّة لشهاب الدين القسطلاني: ٢ / ١٣، المراجعات لشرف الدين: تحقيق و تعليق حسين الرّاضي: ٣٠٦ و ما بعدها المراجعة ٥٤ تحت عنوان شذره من شذور الغدير مع ملاحظة الموامش.

و انظر أيضاً، البداية و النّهاية لابن كثير الشّافعي: ٥ / ٢٠٩، خطط القرطبي المصري: ٢ / ٢٢٣، بديع المعاني لنجم الدين الشافعي: ٧٥، كنز العمّال: ٦ / ٣٩٧، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى للشّافعي: ٢ / ١٧٣، المواهب اللّديّة لشهاب الدين القسطلاني: ٢ / ١٣، المراجعات لشرف الدين: تحقيق و تعليق حسين الرّاضي: ٣٠٦ و ما بعدها المراجعة ٥٤ تحت عنوان شذره من شذور الغدير مع ملاحظة الموامش.

^{٧٤١} (١) انظر، ذهب (الملا محمّد الباقر المجلسي) في كتابه (حياة القلوب): ٢ / ٣٣٩، إلى أنّ سبب نزول الرّسول في غدير خمّ هو ما أنزل عليه في القرآن بلزوم نصب عليّ بن أبي طالب خليفة بعده، و قد أنزل عليه في ذلك عدّة مرّات و لم يعين الوقت لتبليغ ذلك، و قد رأى الرّسول التبليغ يوم غدير خمّ لأنّ المسلمين لو تجاوزوا هذا المكان لتفرّق النّاس و ذهبت كلّ قبيلة إلى ناحية أمّا ما نزل من القرآن فهو:

إِنَّهَا الرّسولُ بَلَّغَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَ إِنَّ مُمْ تَفْعَلُ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَ اللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ E\ المائدة: ٦٧.

الكاظم لعلّى الرّضا، و من بعده لمحمّد الجواد، ثمّ علىّ الهادى، ثمّ للحسن العسكرى، و من بعده لابنه محمّد، و هو الإمام الثّانى عشر، و هو المعيّب بسرّ من رأى الذى ينتظر شيعته ظهوره^{٧٤٢}.

و تنادى الشيعة الإماميّة بعصمة الأئمة^{٧٤٣}. و يعرف أحد علماء الشيعة^{٧٤٤} العصمة بأنّها الإمتناع بالإختيار عن إقتراف الذّنوب و الخطايا نتيجة لطف الله به، و هو لطف يمتنع من يختص به عن فعل المعصية و لا يمنعه على وجه القهر، أى أنّه لا يكون هناك مبرر لإرتكاب المعصية و ترك الطّاعة رغم وجود القدرة عليهما . و ما دام الإمام هو الوصى، فلا بدّ أن يكون معصوما عن الخطأ و النسيان، فضلا عن المعاصى^{٧٤٥} و هذه العصمة تكون فى الظّاهر، و الباطن، و خلال تولية الإمامة، و قبل إمامته، فهي عصمة تصحبه منذ مولده^{٧٤٦}.

ص: ٢٤٥

و إذا ربطنا بين تعاليم الشيعة و تلوّخهم السّياسى، نرى المستشرق (رونلدسن)^{٧٤٧} يرى أنّ فكرة عصمة الأنبياء فى الإسلام مدينة فى أصلها و أهميتها التّى بلغت بعد ذلك، إلى تطور علم الكلام عند الشيعة، و أنّهم أوّل من تطرّق إلى بحث هذه العقيدة و وصف أئمّتهم بها، و يرى (رونلدسن) أيضا أنّه من الإحتمال أن تكون هذه الفكرة قد ظهرت فى عهد الإمام جعفر الصّادق، أى فى النّصف الأوّل من القرن الثّانى الهجرى، إذا أرادت الشيعة أن تثبت دعوى الأئمة تجّاه الخلفاء السّنّيين، و لذا أظهرت عقيدة عصمة الرّسول بوصفهم أئمة أو هداة.

و تعليل هذا المستشرق يكشف عن حقيقة هامة هى أنّ البحث فى العصمة كان ردّ فعل أو معارضة من جانب الشيعة للخلفاء المغتصبين فى نظرهم، و إن دلّ هذا على شىء فإنما يدلّ على أنّ فكرة العصمة التّى تبدو من صميم أبحاث الدّين ذات صلة وثيقة بالسّياسة إن لم يكن منشأها سياسيّاً، و أنّ متكلمى الشيعة قد بدأوا فى إثبات وجوب عصمة الأئمة قبل الكلام عن عصمة الأنبياء، ثمّ أضفوا العصمة على الأنبياء، بإعتبارهم فى درجة أسمى . و من ناحية أخرى فإنّ موقف كلّ فرقة سياسيّة فى الإسلام من موضوع العصمة يرتبط ارتباطا وثيقا بموقفها من الإمامة أكثر من ارتباطها بالنّبوة، و الإمامة موضوع سياسة قبل أن تكون موضوع دين^{٧٤٨}.

و ترى الشيعة الإماميّة، أنّ أئمّتهم ورثوا علم النّبى و علوم الأنبياء جميعا، و قد ظهرت هذه العقيدة واضحة فى عهد الإمام جعفر الصّادق^{٧٤٩}. و لا توافق الشيعة

^{٧٤٢} (١) انظر، محمّد الحسين آل الكاشف، أصل الشيعة و أصولها: ٧٣ و ما بعدها، أبو زهرة، الإمام الصّادق:

١٨٨-١٨٩.

^{٧٤٣} (٢) انظر، العصمة لغويّاً (المنع) جاء فى القرآن الكريم: i\ سآوي إلى جَبَلٍ يَعْصِيهِ مِنَ الْمَاءِ E\ هود: ٤٣، أى بمعنى و يقال أنّ أصل العصمة (الحبل) و كلّ ما أمسك شيئا فقد عصمه كقول الله عزّ و جلّ:

i\ وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ E\ آل عمران: ١٠٣، ابن منظور، لسان العرب: ٢٩٦/١٥.

^{٧٤٤} (٣) انظر، الشّيخ المفيد، شرح عقائد الصّدوق: ١١٤، الجليلاني، توفيق التّطبيق: ١٦.

^{٧٤٥} (٤) انظر، المرتضى، الثّاني: ٤٠.

^{٧٤٦} (٥) انظر، الطّوسى، تلخيص الثّاني: ٣١٩.

^{٧٤٧} (١) انظر، رونلدسن، عقيدة الشيعة: ٣٢٨.

^{٧٤٨} (٢) انظر، دكتور أحمد صبحي، نظرية الإمامة لدى الشيعة الإثني عشرية: ١٣٤-١٣٥.

^{٧٤٩} (٣) انظر، العاملي، الفصول المهمّة: ١٩٥، محمّد بن طلحة، مطالب السّؤل: ٥١، الكليني، الكافي:

٥٦ و ما بعدها.

الإمامية على إمامة المفضول مع وجود الأفضل^{٧٥٠}، إذ أن ذلك مخالف للقرآن الكريم^{٧٥١} وإذا كان الإمام إماما لرعيته في أحكام الدين وعلومه ومبادئه وجب أن يكون أفضل منهم وأكثرهم علما وعبادة^{٧٥٢}.

^{٧٥٠} (١) انظر، الزاوي، نهاية العقول في دراية الأصول (مخطوط): ٢٤٠ - ٢٤٢.

^{٧٥١} (٢) انظر، قال الله تعالى: *إِنَّمَا يُهْدِي إِلَى الْحَقِّ أُخْتُ أُبَيٍّ يُنَبِّئُ عَنْ نَبِيِّهِ إِذَا كَانَ إِمامًا لِرعيته في* يونس: ٣٥.

^{٧٥٢} (٣) انظر، أحمد صبحي، نظرية الإمامة: ١٥٧.

الإمام لغة: الإنسان الذي يؤتم به و يقتدى بقوله أو فعله، محققا كان أم مبطلا، و جمعه: أئمة، و إمام كل شيء: قيمه و المصلح له، و القرآن الكريم إمام المسلمين، و يعني المثال، و الحيط الذي يمد على البناء، و يعني الخشبة، أي خشبة البناء يسوي عليها البناء، و تعني الحادي إمام الإبل؛ لأنه الهادي لها (انظر لسان العرب مادة «أم»، و محيط المحيط للمعلم بطرس البستاني: ١٦ ط لبنان، المفردات للراغب الإصفهاني: ٢٤).

و قد وردت كلمة «الإمام» في آيات كثيرة من القرآن الكريم، منها: *إِنَّمَا يُدْعُوا كُلُّ أُنَاسٍ لِمِإِمِّهِمْ فَمَنْ أُوِّبَ كِتَابَهُ يَمِينُهُ فَأُولَئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا* \الإسراء: ٧١. و قال تعالى: *إِنَّمَا قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا* \البقرة: ١٢٤. و قال تعالى: *وَ مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَ رَحْمَةً* \هود: ١٧. و قال تعالى: *وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا* \الأنبياء: ٧٣. و قال تعالى:

إِنَّمَا قَاتِلُوا أئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَمَانَ لَكُمْ لَعَلَّهِمْ يَنْتَهُوْنَ \التوبة: ١٢. و قال تعالى: *وَ جَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ* \القصص: ٢١. و قال تعالى: *وَ جَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَّوْا* \... السجدة: ٢٤. و قال تعالى: *وَ اجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا* \الفرقان: ٧٤. و قال تعالى: *إِنَّمَا فَاتَتْهُمْ مِنْهُمُ وَ إِنَّمَا لِيُؤْمِنُوا بِمَا فِي الْحَجَرِ* : ٧٩.

و من خلال التأمل في الآيات الكريمة و معاني اللغويين يظهر لنا أن كلمة «الإمام» تدل على معان كثيرة تفيد: القيادة، و الزعامة، و القدوة، و الرئيس، و القيم، و المصلح، و الهادي.

أما اصطلاحا- كما ذكر المحقق الحلي في شرح الباب الحادي عشر : ٤٢، و شرح التحرير للقولنجي : ٢٧٤- فهي: رئاسة عامة في امور الدين و الدنيا لشخص من الأشخاص نيابة- خلافة- عن النبي صلى الله عليه و آله . أو كما ذكر صاحب المواقف : ٣٤٥ هي: خلافة الرسول في إقامة الدين بحيث يجب اتباعه على كافة الأمة . أو- كما قال ابن خلدون في مقدمته: ١٩١- هي: نيابة عن صاحب الشريعة في حفظ الدين و سياسة الدنيا.

و قد ذكر الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام وصفا دقيقا للإمامة بالمعنى الشرعي نذكر بعضا منه.

قال عليه السلام: *إِنَّ الإمامة هي منزلة الأنبياء، و إرث الأوصياء. إِنَّ الإمامة خلافة الله، و خلافة الرسول صلى الله عليه و آله، و مقام أمير المؤمنين عليه السلام، و ميراث الحسن و الحسين عليهما السلام، إِنَّ الإمامة زمام الدين و نظام المسلمين، و صلاح الدنيا، و عز المؤمنين . إِنَّ الإمامة من الإسلام التام و فرعها السامي، بالإمام تمام الصلاة و الزكاة و الصيام و الحج و الجهاد، و توفير الفيء و الصدقات، و إمضاء الحدود و الأحكام، و منع الثغور و الأطراف.*

الإمام يحل حلال الله، و يحرم حرام الله، و يقيم حدود الله، و يذب عن دين الله، و يدعو إلى سبيل ربه بالحكمة و الموعظة الحسنة، و الحجة البالغة. (الكافي: ١ / ٢٠٠).
إِنَّ اختيار الإمام يعود إلى الله وحده، فالشيعة و أكثر المعتزلة متفقون على وجوب الإمامة و الخلافة العاتقة عن طريق العقل و الشريعة، و لذا يقول النظام: لا إمامة إلا بالنص و التعيين ظاهرا مكشوفًا، و قد نص النبي صلى الله عليه و آله على علي عليه السلام في مواضع، و أظهره إظهارا لم يشبهه على الجماعة. (الملل و النحل للشهرستاني: ١ / ٥٧ مطبعة مصطفى البابي بمصر ١٩٦١).

و لهذا فهي رئاسة عامة إلهية، خلافة عن رسول الله صلى الله عليه و آله في امور الدين و الدنيا، و تولي السلطة المطلقة التي كانت للنبي صلى الله عليه و آله دون استثناء
إذن الإمام هو ذلك الإنسان المعين من قبل الله تعالى لهداية الناس، و شرطه: أن يكون معصوما من الذنوب، و قد نص على الإمام علي عليه السلام من الكتاب بآيات نذكر عدّة منها: *إِنَّمَا أَتَدْرُ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ* \الصّحراء: ٢١٤. و قال تعالى: *إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ كَافُونَ* \المائدة: ٥٥.
قال العلامة الحلي في كتاب كشف المراد: و الاستدلال بهذه الآية يتوقف على مقدمات:

إحداها: *إِنَّ لفظة «إنما» للحصر، و يدلّ عليه المنقول و المعقول، أما المنقول فالإجماع أهل العربية عليه، و أما المعقول فالأن لفظ «إِنَّ» للإثبات، و «ما» للنفي قبل التركيب، فيكون كذلك بعد التركيب عملا بالاستصحاب، و للإجماع على هذه الدلالة، و لا يصحّ تو ادهما على معنى واحد، و لا صرف الإثبات إلى غير المذكور و النفي إلى المذكور للإجماع، فبقي العكس، و هو صرف الإثبات إلى المذكور، و النفي إلى غيره، و هو معنى الحصر- الثانية: *إِنَّ الولي يفيد الأولى بالتصريف، و الدليل عليه نقل أهل اللغة و استعمالهم، كقولهم السلطان ولي من لا ولي له، و كفولهم: وليّ الدّم و وليّ الميت، و كقوله عليه السلام: إِنَّمَا امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل.**

الثالثة: *إِنَّ المراد بذلك بعض المؤمنين، لأنه تعالى وصفهم بوصف مختصّ ببعضهم، و لأنه لو لا ذلك لزم اتحاد الوليّ و المولى عليه.*

و إذا تمهدت هذه المقدمات فنقول: المراد بهذه الآيات هو علي عليه السلام؛ للإجماع الحاصل على أن من خصص بها بعض المؤمنين قال: *إِنَّهُ عليّ عليه السلام، فصرّفها إلى غيره فرق للإجماع، و لأنه عليه السلام إنما كل المراد أو بعضه للإجماع، و قد يتّما عدم العمومية، فيكون هو كلّ المراد، و لأنّ المفسرين اتفقوا على أن المراد بهذه الآية «عليّ» عليه السلام لأنه لما تصدّق بخاتمه حال ركوعه نزلت هذه الآية فيه، و لا خلاف في ذلك*

(كشف المراد: ٣٦٨).

و انظر: إعلام الوري: ١٦٨. و جواهر التقدين في فضل الشرفين: ٥٣٤/٣ نقلا عن الإحقاق، و اللوامع الإلهية: ٢٧٦، و العمدة لابن البطريق: ١٢٤، و الخصائص له: ٦٦، و الصراط المستقيم للعلامة البيضاوي: ١/٢٦٥، و تلخيص الشافي للشيخ الطوسي: ١٠/٢، و تقريب المعارف للشيخ أبي الصلاح الحلبي: ١٢٧، و الغدير للعلامة الأميني: ٣/١٦٣، و المراجعات للسيد شرف الدين: ٢٣٥، و دلائل الصدق للشيخ المظفر: ٢/٣٤٢، و كشف الغمة: ١/٦٢، و غير ذلك تحمل ما يقارب هذا المضمون السابق.

و أما من السنة النبوية فهي كثيرة، نذكر بعضها منها للاختصار:

قال الرسول صلى الله عليه و آله: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، إنه لا ينبغي أن أذهب إلا و أنت خليفتي. (الصواعق المحرقة لابن حجر: ٢٩، صحيح البخاري: ٢/٣٢٤، صحيح مسلم في فضائل علي: ٣٢٤، المستدرک للحاكم النيسابوري: ٣/١٠٩، مسند ابن ماجة:

١/٢٨، مسند الإمام أحمد: ١/١٧٥ و ١٧٧ و ١٧٩ و ١٨٢ و ٣٣١ و ٣٦٩، كنز العمال: ٦/١٥٢ ح ٢٥٠٤، و تلخيص الحافظ الذهبي على المستدرک: ٣/١٣٣، و خصائص النسائي: ١٧، و الإصابة لابن حجر: ٤/٥٦٨، و ينابيع المودة للقندوزي: ٢/٥٨).

و قال صلى الله عليه و آله: من كنت مولاه فهذا علي مولاه. (تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٣٠، و صحيح مسلم: ٧/١٢٣، و خصائص النسائي: ٣٩، المناقب لابن المغازلي: ٣٠، و ذخائر العقبى للمحب الطبري: ٦٧، و كنز العمال للمتقي الهندي: ١/١٦٧، و الجامع لأحكام القرآن للقرطبي:

١٨/٢٨٧، و شواهد التنزيل للحاكم النيسابوري: ١/١٦٢، و الملل و التحل للشهرستاني: ١/١٦٢، و سر العالمين للغزالي: ١٠، و الإصابة لابن حجر: ٢/١٥، و: ٤/٥٦٧، و الخطط للمقريزي: ٢/٩٢، و مسند أحمد: ١/٢٢١، و: ٢/٤٣٨، و: ٣/١١٠، و: ٤/٤٣٨، و: ٥/٢٥٦، و ٣٤٧، و كتاب الاعتقاد للبيهقي: ٢٠٤، و المستدرک: ٣/١١١).

و حديث الثقلين: (صحيح مسلم: ٤/فضائل علي ح ٣٦ و ٣٧، و سنن الترمذي: ٥/باب ٣٢، و سنن الدارمي: ٢/فضائل القرآن، و خصائص النسائي: ٥٠، و ذخائر العقبى للمحب الطبري: ١٦، و تذكرة الخواص: الباب ١٢، و اسد الغابة: ٢/١٢، و تاريخ يعقوبي: ٢/١٠٢، و المسدك على الصحيحين: ٣/١٠٩، و مسند أحمد: ٣/١٧ و ٥/١٨١ و ٣٧١، و الصواعق المحرقة: ٢٥ المطبعة الميمنية بمصر، و ص: ٤١ المطبعة المحمدية بمصر، و مجمع الزوائد: ٩/١٦٤، و تاريخ دمشق لابن عساکر: ٢/٤٥ ح ٥٤٥، و كنز العمال: ١/١٦٨ ح ٩٥٩ الطبعة الأولى، و ينابيع المودة: ٣٧ طبع إسلامبول ... الخ).

و حديث السفينة: (الصواعق المحرقة لابن حجر: ١٨٤ المطبعة المحمدية بمصر، و ١١١ - ١٤٠ المطبعة الميمنية بمصر، إسعاف الزاغبين للصبيان الشافعي: ١٠٩، فرائد السمطين: ٢/٢٤٦، و ذخائر العقبى للطبري الشافعي: ٢٠، و مجمع الزوائد: ٩/١٦٨، و الفتح الكبير للبيهقي: ٣/١٣٣، و المستدرک للحاكم: ٢/٣٤٣، و منتخب كنز العمال بهامش مسند أحمد: ٥/٩٥، و تلخيص المستدرک للذهبي بذيل المستدرک، و نظم درر السمطين للزرندي الحنفي: ٢٣٥، و ينابيع المودة: ٣٠ و ٣٧٠ طبع الحيدرية و ٢٧ و ٣٠٨ طبع إسلامبول).

و الوصية و الدواة و القرطاس: (انظر المصادر السابقة، و المناقب لابن المغازلي: ٣٠، و الميزان للذهبي: ٢/٢٧٣، و شرح الهاشميات لمحمد محمود الزاغبني: ٢٩ الطبعة الثانية شركة التمدن بمصر، و الرياض النضرة للطبري الشافعي: ٢/٢٣٤ الطبعة الثانية، و كنز الحقائق للمناوي الشافعي: ١٣٠).

و هناك أحاديث عديدة تنص على خلافة أمير المؤمنين عليه السلام عند الشيعة الإمامية، أعرضنا عنها للاختصار على الرغم من تواترها عند الفريقين:

أما رأي أهل السنة في الإمامة فإنها ثبتت بالاختيار و بعهد الإمام من قبل، كما صرح بذلك:

الماوردي، و القاضي أبو يعلى في الأحكام السلطانية. كلاهما قالا في كتابيهما: الإمامة تنعقد من وجهين: أحدهما باختيار أهل الحل و العقد. و الثاني بعهد الإمام من قبله. انظر الأحكام السلطانية للقاضي الماوردي: ١١٧ و هو من فقهاء الشافعية، و الأحكام السلطانية للشيخ أبي يعلى الفراء الحنبلي: ٧/١١ و ٢٠/٢٣).

و قد اختلف العلماء فيما بينهم في عدد من تنعقد به الإمامة على مذاهب شتى، فمنهم من قال: لا تنعقد إلا بمجموع أهل الحل و العقد من كل بلد ليكون الرضا به عاما، و التسليم لإمامته إجماعا. و هذا مندفع ببيعة أبي بكر على الخلافة باختيار من حضرها، و لم ينتظر قدوم الغائب عنها، لسا بصدد المناقشة فيه

و منهم من قال: تنعقد بخمسة مجتمعين على عقدها، أو يعقدها أحدهم برضا الأربعة استنادا لبيعة أبي بكر لأنها انعقدت بخمسة اجتمعوا عليها، و هم: عمر بن الخطاب، و أبو عبيدة بن الجراح، و أسيد بن حضير، و بشير بن سعد، و سالم مولى أبي حذيفة، و لسا بصدد المناقشة فيه أيضا

و منهم من قال: تنعقد بستة؛ حيث جعل عمر بن الخطاب الشورى في سنة ليعقد لأحدهم برضا الخمسة، و هذا أيضا مندفع

و منهم من قال: تنعقد بثلاثة يتولاهم أحدهم برضا الاثنين، ليكونوا حاكما من جهة و شاهدين من جهة أخرى، كما في عقد النكاح بولي و شاهدين

و قالت طائفة: تنعقد الإمامة بواحد.

و قال الفراء الحنبلي: إنما- الإمامة- تثبت بالقهر و الغلبة و لا تقتصر إلى العقد.

انظر، المراجع و المصادر التالية لكي تقف في المقام على آراء العلماء و الفقهاء من أهل السنة

الأحكام السلطانية: ٧، الفصل: ٤/١٦٧، و مآثر الإنافة في معالم الخلافة للقلقشندي: الفصل:

١٣/٤٣، و ج ٤: ١٦٩، و الملل و التحل: ١/١٥٩، و مقالات الإسلاميين: ٦٨، و مغني المحتاج:

٤/١٣١، و اصول الدين للبغداد: ٢٨١، و التمهيد لأبي بكر الباقلاني تحقيق الخضير: و أبو ريدة:

١٦٤- ٢٣٩ ط القاهرة ١٣٦٦، و المسامرة في شرح المسامرة: ٢٨٢، و شرح الموافقات: ٨/٣٥٣ و ٤٠٠، و شرح المقاصد: ٥/٢٣٣، و الإبانة عن اصول الديانة: ١٨٧ الطبعة الأولى دمشق ١٩٨١، و الشافعي- حياته و عصره لمحمد أبي زهرة: ١٢١ الطبعة الثانية القاهرة، و الإرشاد للجويني: ٤٢٤، و جامع أحكام القرآن للقرطبي: ١/٢٦٩، و ابن العربي في شرحه لسنن الترمذي: ١٣/٢٢٩، و صحيح مسلم: ٦/٢٠، و سنن البيهقي: ٨/١٥٨، و الإقتصاد في الاعتقاد: ٩٧، و حاشية الباجوري على شرح الغزي: ٢/٢٥٩.

أبرز أفكار الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

تبلورت الآراء والتعاليم السياسية للشيعة الإمامية بعد قيام الدولة العباسية، وفي عهد الإمام جعفر الصادق . و كان جعفر يرى أن الدولة إنما تقوم على العصبة ببنى العم، فيقول : «ما تثبت الدنيا إلّا على بنى العم، المتعاطفين بالبر، المتعلقين بالأدب، المجتمعين على التناصر، الحاضرين بالاتفاق، الغائبين بلا إغتيال، بمثل هؤلاء تطول أعمار الدول، و تدعم الممالك، و ما ذلّ قوم بعد العزّ حتّى ضعفوا و ما ضعفوا حتّى تفرقوا، و ما تفرقوا حتّى تباغضوا، و ما تباغضوا حتّى تحاسدوا، و ما تحاسدوا حتّى أستاذت بعضهم على بعض»^{٧٥٣}. و لا شكّ أنّ هذه العبارات كانت لها معناها و مغزاها، فهي موجهة إلى الخلفاء العباسيين الذين أقاموا على قتال أبناء عمهم العلويين و قتلهم، فقد قتل الخليفة المنصور محمد النفس الزكية و أخاه إبراهيم.

و إن كان جعفر الصادق لم يعلن الثورة، كما فعل علىّ زين العابدين و محمد الباقر، و إن كان قد نهى ولدى عمّه، النفس الزكية و إبراهيم، عن الثورة^{٧٥٤}، إلّا أنّ الصادق في نفس الوقت كان لا يقرّ الحكم النظام أو المقتصب، و قد صرح بأنّ حكم بنى أمية كان مقتصبا، و الحكم العباسي كان قريبا منه، و لم يوجد ما يدل على أنّ رأيه فيهم مغاير لرأيه في الحكم الأموي، و إنّما معنى سكوته أنّه يرى أنّ الضرر في الخروج من غير تدبير محكم، و كلّ عمل أئمة أكبر من نفعه يكون محرّما شرعا، و يرى جعفر أيضا أنّ الحكم المقتصب يفتني نفسه، و أنّه يجب أن يترك المقتصب و هو في قوّته، حتّى يأفل نجمه و يشب مرید العدل إلى الحكم

ص: ٢٧٢

فيستولى عليه بقوة الحقّ و الشورى و البيعة الصحيحة و قد بدت هذه الآراء في حديث جعفر مع آل عبد الله ابن الحسن . كما يرى الإمام جعفر أنّ الطاعة واجبة بحكم الفقه حتّى يتم التغيير من غير قيام فتنة، و لا خروج غير ناجح يؤدى إلى مظالم أشدّ و أعنف، فالإنتصار يزيد المقتصب قوّة، و يزيد مناوئته ضعفا^{٧٥٥}.

و قد اتّبع جعفر الصادق سيرة آبائه في عدم الطعن في أبى بكر و عمر و عثمان^{٧٥٦} و خاصّة أنّ الإمام جعفر كان ينحدر من ناحية أمّه إلى أبى بكر الصديق، و لذا افتخر بهذا الإنتساب^{٧٥٧} و أستنكر جعفر ما كان يفعله أهالى العراق من الإساءة إلى أبى بكر و عمر^{٧٥٨}.

^{٧٥٣} (١) انظر، العاملي، الفصول المهمة: ٢٠٧.

^{٧٥٤} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٤٨.

^{٧٥٥} (١) انظر، الشيخ أبو زهرة، الإمام الصادق: ٢٠٦.

^{٧٥٦} (٢) استنكر أحد المجالسين لمحمد الباقر أن يمدح الباقر الصديق، فقال الإمام: إنّه صدق جدّي رسول الله صلى الله عليه و آله، من لم يقل الصديق فلا صدق الله قوله دينا و لا آخره. انظر، ابن الجوزي، صفوة الصفوة: ٦١.

كما قال الباقر عن أبي بكر و عمر : أنّهما كانا إمامي هدى رضي الله عنهما . انظر، أبو المحاسن، التّحجّج الزّاهرة: ٩، التّوري، مستدرك الوسائل: ١٣ / ١١٦ ح ٢٥، ابن طلحة الشافعي، مطالب السؤول:

٤٢٨، أبو نعيم، حلية الأولياء: ٣ / ١٨٥، ابن الجوزي، صفوة الصفوة: ٢ / ١٠٩.

^{٧٥٧} (٣) كان جعفر الصادق يقول: ولدي الصديق مرتين و أنا ابن الصديق مرتين. انظر، أعيان الشيعة: ٨٩ / ٤.

^{٧٥٨} (٤) قال جعفر الصادق لجابر الجعفي و هو من الشيعة الجعفرية: «يا جابر! بلغني أنّ قوما بالعراق يزعمون أنّهم يحبوننا و يتناولون أبا بكر و عمر رضي الله عنهما و يزعمون إني أمرتهم بذلك، فابلقهم إني إلى الله منهم بري ء، و الذي نفس محمد بيده لو وليت لتفريت إلى الله بدمائهم لا نالني شفاع ء محمد، إن لم أكن استغفر لهما و أترحم عليهما، إنّ أعداء الله لغافلون عنهم». انظر، أبو نعيم، حلية الأولياء: ٣ / ١٣٧.

و تمسك الإمام جعفر الصادق بعقيدة التّقية^{٧٥٩} نتيجة ما شهدته من إضطهاد

ص: ٢٧٣

الخليفتين العباسيين أبي العباس والمنصور للعلويين و شيعتهم. و اكتفت الشيعة بلعن خصومها و أعدائها^{٧٦٠}.

و قال الإمام جعفر الصادق: «التّقيه ديني و دين آبائي»^{٧٦١}. كما قال: «من لا تقيه له لا دين له»^{٧٦٢}. و يرى كتاب الشيعة أنّ التّقية كانت شعارا لآل البيت عليهم السّلام، دفعوا للضرر عنهم و عن أتباعهم و حقنا لدمائهم و إستصلاحا لحال المسلمين و جمعا لكلمتهم^{٧٦٣}.

ص: ٢٧٥

الصّراع الفكري بين الشيعة و العباسيين و موقف أبي حنيفة و مالك من حركات الشيعة

أسسّ الجهاد الفكري:

سار البيتان العباسي و العلوي جنبا إلى جنب في عصر الخلفاء الراشدين و في العصر الأموي، حتّى سنة (٩٨ هـ)، حين أفضى الإمام العلوي أبو هاشم بوصيته إلى الإمام العباسي محمد بن علي^{٧٦٤}، فبدأ كل بيت يخطّ طريقه بنفسه، و هدف كل بيت القضاء على الدولة الأموية، للوصول إلى الخلافة. ثمّ كان قيام الدولة العباسية، و استئثار البيت العباسي بالخلافة^{٧٦٥}، فبدأ صراع عنيف مستمر بين العباسيين و أرباب دولتهم من جانب، و العلويين و شيعتهم من جهة أخرى.

[شكلا الصراع المتميّزان]

^{٧٥٩} (٥) تعرف الشيعة (التّقية) بأنّها الحيلة و الحذر من الظّالم القوي، و يتسدلون على تشريع التّقية بالآية ١٠٦ من سورة التحل: *إِلَّا مَنْ أَثَرَهُ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ* E و قد نزلت هذه الآية في عمار بن ياسر الذي تظاهر بالكفر خوفا من أعداء الإسلام. قال المسعودي: بسط المهدي يده في العطاء، فأذهب جميع ما خلفه المنصور، وكان (١٦) مليون درهم، و (١٤) مليون دينار.

قال بعض أساتذه الفلسفة في القاهرة: أنّ الشيعة يقولون بالتّقية.

قلنا: لعن الله من أحوجهم إليها، لقد خرج موسى الكليم من مصر خائفا يتربّ و قال: *إِنِّي رَبِّ نَجِيٍّ مِنَ الْقَوْمِ الظّالِمِينَ* E القصص: ٢١.

و قال التّبيّ صلى الله عليه و آله: «بئس القوم قوم يعيش المؤمن بينه م بالتّقية». انظر، تفسير القرطبي: ٤ / ٤٦ جزء من حديث. أتهم تنادون بحرية الرأي و العقيدة، ثمّ إذا رأوا مظلوما سكّت عن رأيه خوفا من حكام الجور، نعوأ على المظلوم، و سكتوا عن الظّالم و صدق من قال: «ما اختلف الناس، و لكن اطرّد القياس».

^{٧٦٠} (١) الكليني، أصول الكافي: ١٠٥، قال الإمام جعفر لأحد شيعته: روي لي أبي عن أبيه الذي أخذه عن سمعه عن التّبيّ صلى الله عليه و آله: «من اشتدّ ضعفه حتّى عجز عن معاونتنا نحن آل البيت و عن نصرتنا و لكنّه و هو في بيته يصبّ اللّعنات على أعدائنا تحييه الملائكة لأنّه من الأبرار».

^{٧٦١} (٢) انظر، الكليني، الكافي: ٢ / ١٧٤ ح ١٢، الحرّ العاملي، وسائل الشيعة: ١٦ / ٢١٠ ح ٢١٣٧٩، البرقي، المحاسن: ١ / ٢٥٥ ح ٢٨٦، المغربي، دعائم الإسلام: ١ / ١١٠.

^{٧٦٢} (٣) انظر، الكليني، الكافي: ٢ / ١٧٢ ح ٢، ابن بابويه، فقه الإمام الرضا: ٣٣٨، المفيد أوائل المقالات:

٢١٦، المظفر، عقائد الإمامية: ٨٦، نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشيعة الإمامية: ٢٩٨.

^{٧٦٣} (٤) انظر، محمّد رضا المظفر، عقائد الإمامية: ٨٤، و تستند الشيعة في التّقية على الآية الكريمة: *وَ قَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَ تَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَ قَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ* E-*وَ إِنِ يَكْ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَ إِنِ يَكْ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذّابٌ* E المؤمن، (غافي):

٢٨.

^{٧٦٤} (١) انظر، الدّينوري، الأخبار الطّوال: ٣٣٤.

^{٧٦٥} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٢٩ - ١٣٠.

و اتخذ الصّراع شكلين متميزين:

[أما الشّكل الأوّل: فهو شكل الحركة الثّوريّة المسلّحة]

أما الشّكل الأوّل: فهو شكل الحركة الثّوريّة المسلّحة، حيث قام أئمّة علويون بثورات ضدّ الخلفاء العبّاسيّين^{٧٦٦} و إلّقت الجيوش العبّاسيّة بقوات العلويّين و شيّعهم في ساحات قتال عديدة في عديد من الأمصار الإسلاميّة^{٧٦٧}.

ص: ٢٧٦

و هذا الشّكل هو شكل المواجهة العسكريّة و الصّدام الحربى.

[أما الشّكل الثّانى: فهو صراع فكرى]

أما الشّكل الثّانى: فهو صراع فكرى، اعتمد على الفكر و اللّسان بدلا من شهر السيّف، فكان هذا الجهاد الفكرى من صور الصّراع بين العبّاسيّين و العلويّين و من وسائل الحركات الشّيعيّة و من نتائجها أيضا، كما كان هذا الجهاد الفكرى، إمّا من وسائل الإعلام، أو من وسائل إعداد العقول و النفوس للمشاركة فى الصّراع الإيجابى و الحركات المسلّحة.

و العرب أهل فصاحة و بلاغة، يعتزون بلغتهم، إذ هى لغة القرآن الكريم و لذا كان لا بدّ أن تشارك اللّغة العربيّة و آدابها فى ذلك الصّراع الذى دار بين العبّاسيّين و العلويّين. و أصبح الأدب يصور عاطفتين بارزتين عند الشّيعيّة، و هما عاطفة الغضب، و عاطفة الحزن. أما الغضب فهو لإستئثار العبّاسيّين بالخلافة دون العلويّين، أما الحزن فهو لموقف العبّاسيّين العنيف من الشّيعيّة و إسرافهم فى التّنكيل بهم و فى سفك دماء الزعماء العلويّين^{٧٦٨}.

و أصبح الأدب الشّيعى مرآة انعكست عليها «محن آل البيت» فقد نسبوا إلى الرّسول عليه الصّلاة و السّلام أحاديث بها نبوءات عن النّكبات التى سيتعرض لها آل بيته، و هى إمتحان لهم. و قد صورت الشّيعيّة تأريخ آل البيت تصويرا أخّاذا نزعوا فيه نزعة مسرحيّة و نجد أن تأريخهم منذ كارثة كربلاء عبارة عن سلسلة لا تنقطع من التعذيب و الإضطهاد، و روت الشّيعيّة أخبارها شعرا و نثرا فى مؤلفات كثيرة زاخرة بتراجم هؤلاء الشّهداء و كتب المقاتل هذه هى إحدى خصائص الشّيعيّة^{٧٦٩}.

ص: ٢٧٧

و ممّا أنعش الصّراع الفكرى بين العلويّين و العبّاسيّين ما اشتهر به البيّتان الهاشميّان من بلاغة و فصاحة. و المؤرّخون دائما يصفون خلفاء العصر العبّاسيّ الأوّل بالعلم و الأدب و طلاقة اللّسان. فكان أبو العبّاس يحبّ الجلوس إلى العلماء و يشجع الأدباء و يغدق على الشّعراء^{٧٧٠}. و كان المنصور كما وصفه صاحب الفخرى^{٧٧١} من العقلاء العلماء ذوى الآراء الصّائبة. أما

^{٧٦٦} (٣) فى عهود المنصور و المهدي، و الهادي، و هارون الرّشيد، و المأمون، و المعتصم.

^{٧٦٧} (٤) قامت حركات الشّيعيّة فى الحجاز، و البصرة، و بلاد الدّيلم، و المغرب، و خراسان، و اليمن

^{٧٦٨} (١) انظر، أحمد أمين، ضحى الإسلام: ٣ / ٣٠١.

^{٧٦٩} (٢) انظر، جولد تسيهر، العقيدة و الشّريعة فى الإسلام: ٢٠٠.

^{٧٧٠} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣١٧.

المهدي فقد كان أستاذه المفضل الضبي أحد أعلام عصره، وقد لقنه ثقافة عربية رفيعة، ولذا اشتهر المهدي بأنه شاعر مجيد، وراوي للأحاديث كما كان فصيح اللسان قوى البيان^{٧٧٢}. ورغم شراسة الهادي فقد كان - كما كان وصفه المسعودي^{٧٧٣} - كثير الأدب محبا له، وشهدت بغداد في عهد الرشيد نهضة أدبية وفكرية عظيمة فلم يجتمع على باب خليفة من العلماء والشعراء والفقهاء والقراء والقضاة والكتّاب ما اجتمع على باب الرشيد^{٧٧٤}. ورغم ما أخذه المؤرخون على الخليفة الأمين، إلا أنه كان له فصاحة وبلاغة وأدب^{٧٧٥}. أما عصر المأمون فهو عصر إرتقاء العلوم والآداب والمصادر حافلة بصور عديدة للنهضة الفكرية في عهده^{٧٧٦}.

و في نفس الوقت، كانت الغالبية العظمى من الأئمة العلويين، إماميين أو زيديين، من المشتغلين بالدراسات العلمية والأدبية والدينية، والفقهية بل أنهم

ص: ٢٧٨

جميعا تفوقوا على الخلفاء العباسيين ويرجع ذلك إلى سببين أولهما أن الخلفاء العباسيين قد انشغلوا بمشاكل السياسة والإدارة، فضلا عن متاع الحياة الدنيا وترف العيش. والسبب الثاني أن العباسيين كانوا بيتا حاكما، ولم يكونوا فرقة أو حزبا أو جماعة لها تعاليمها وآراؤها السياسية والدينية ولها فقهها مثلما كان العلويون وشيعتهم وقد اشتهر بيت أبي طالب بالعلم والأدب منذ العصر الجاهلي واستمر ذلك في العصر الإسلامي^{٧٧٧}.

لقد أعتبر الأئمة العلويون أنفسهم وارثين لعلم الرسول وعلّي بن أبي طالب^{٧٧٨} وخاصة إذا علمنا أن هؤلاء الأئمة معصومون، فيقول الجيلاني عن الإمام: «فلو لم يكن بين الناس معصوما أصلا، لا يحصل في شيء من العلوم رسوخ يقينا»^{٧٧٩}، وللشيعة الإمامية عقيدة تحدد صفات الإمام وعلمه. فيقول المظفر وهو أحد علماء الشيعة: ونعتقد أن الإمام كالنبي يجب أن يكون أفضل الناس في صفات الكمال، أما علمه فهو يتلقى المعارف والأحكام الإلهية وجميع المعلومات من طريق النبي أو الإمام من قبله وإذا استجد شيء لا بد أن يعلمه من طريقة الإلهام بالقوة القدسية التي أورها الله تعالى فيه فإن توجهه إلى شيء و شاء أن يعلمه على وجهه الحقيقي لا يخطئ فيه ولا يشتبه ولا يحتاج في كل ذلك إلى البراهين العقلية ولا إلى تلقينات المعلمين، وإن كان علمه قابلا للزيادة والإشتداد، ولذا قال النبي صلى الله عليه وآله في دعائه **وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا**^{٧٨٠}.

ص: ٢٧٩

^{٧٧١} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٤١.
^{٧٧٢} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٥ / ٦، الفخري، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٤٢.
^{٧٧٣} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣١٨.
^{٧٧٤} (٥) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٧٥.
^{٧٧٥} (٦) انظر، السهوتي، تاريخ الخلفاء: ٢٧٩.
^{٧٧٦} (٧) للدكتور فريد رفاعي كتاب قيم عن عصر المأمون اهتم فيه بتدوين صور النهضة الفكرية
^{٧٧٧} (١) انظر، كتاب الأئمة الاثنا عشر لابن طولون: ٥٠ تجد كثيرا من التفاصيل.
^{٧٧٨} (٢) الكليني، الكافي: ٥٧، ترى الشيعة أن إنقطاع الوحي بعد إنقطاع نزول جبريل عليه السلام لا يعني إنقطاع نزول علم الله على الأئمة. انظر، العاملي، الفصول المهمة: ١٥١.
^{٧٧٩} (٣) انظر، الجيلاني، توفيق التطبيق: ٢٦ وما بعدها.
^{٧٨٠} (٤) طه: ١١٤. انظر، المظفر، عقائد الإمامية: ٦٧ - ٦٨.

و هكذا فإن كان الخلفاء العبّاسيون قد حازوا الحكم و الجاه و النّفوذ، إلّا أنّ الزعماء العلويّين قد نالوا تقدير المسلمين و احترامهم لما وصلوا إليه من تفوق علمي و فقهي و أدبي، حتّى أصبحوا مقصد المسلمين من كلّ مكان^{٧٨١} و بذلك عوض هؤلاء الأئمّة ما فقدوه من خلافة و سلطة. كما كان أحيانا إشتغال الأئمّة العلويّين: العلم و المعرفة ستارا يختفى وراءه نشاط بعضهم السياسي.

كان عند الأئمّة العلويّين علم آل البيت العلوي، و هذه العلوم في الحقيقة لم تكن منفصلة تمام الانفصال عن علم السّنة . فقد كان عليّ أخصّ الصّحابة، و لا زم الرّسول مدّة طويلة، إذ تربى في بيته و ظلّ علم عليّ في بيته نتيجة إضطهاد الأمويّين للعلويّين و إقتصار الأمويّين على نقل أحكام أبي بكر و قضاء عمر دون نقل أحكام و أقضية عليّ، ممّا جعلها بعيدة عن اهتمام علماء السّنة و لذا توارث العلويون تراث عليّ^{٧٨٢}.

و رغم ما كان بين الخلفاء العبّاسيّين و الأئمّة العلويّين من عداة سياسي، إلّا أنّهم كانوا يعترفون بأفضال و بتقوى و عبقرية الأئمّة العلويّين. بل أنّ الخلفاء العبّاسيّين كانوا ييكون على العلويّين الذين سقطوا صرعى في ميادين القتال بسيف الجند العبّاسيّين مثلما بكى المنصور محمّدا النّفس الزكيّة و أخاه إبراهيم بعد مصرعها^{٧٨٣}، و مثلما بكى الهادي الحسين بن عليّ حينما قدم جنده عليه برأس هذا النّائر العلوي^{٧٨٤}، و قد شهد المنصور للإمام جعفر الصّادق بالفضل

ص: ٢٨٠

و النّبوغ و بكى طويلا حين علم بوفاته حتّى أخضلت لحيته بالدّموع^{٧٨٥} رغم ما كان بينهما من عداة سياسي و مناظرات و حوار و جدال. كما كان عبد الله بن الحسن الإمام الزيّدي محدثا ثقة^{٧٨٦}.

صور الصّراع الفكري:

و اتّخذ الصّراع الفكري بين الخلفاء العبّاسيّين و الأئمّة العلويّين كثيرا من الصّور و منها الخطابات المتبادلة، و من أشهرها تلك الكتب التي تبادلها الخليفة المنصور و محمّد النّفس الزكيّة قبل إعلان الإمام العلوي ثورته في المدينة^{٧٨٧}.

كما عقد بعض الخلفاء العبّاسيّين كثيرا من مجالس المناظرة حضرها بعض الزعماء العلويّين، و من هؤلاء هارون الرّشيد و المأمون.

الكتاب^{٧٨٨}. و هذا يتّصل بفقّه جدّه عليّ بن أبي طالب، فقد أفتى أنّ المجوس كانوا أمّة لهم كتاب يقرءونه^{٧٨٩}.

^{٧٨١} (١) انظر، ترجمة الإمام جعفر الصّادق، ابن خلّكان، وفّيات الأعيان: ١ / ١٠٥.

^{٧٨٢} (٢) انظر، الشّيخ أبو زهرة، الإمام الصّادق: ٩١.

^{٧٨٣} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ٢٦٣.

^{٧٨٤} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٣٧، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٣.

^{٧٨٥} (١) انظر، ابن الجوزي، صفوة الصّفوة: ٢ / ١٠٤.

^{٧٨٦} (٢) روى عبد الله عن التابعين و عن عليّ زين العابدين، و روى المحدثون عنه و منهم سفيان الثّوري و مالك

^{٧٨٧} (٣) انظر، نصوص هذه الرّسائل في تاريخ الطّبري: ٦ / ١٩٥، و قد أوردنا أيضا في ملاحق هذه الرّسالة.

^{٧٨٨} (٤) انظر، أبو يوسف، الخراج: ١٣٠.

^{٧٨٩} (٥) انظر، سيّد الأهل، جعفر بن محمّد: ٥٨.

و من صور الصّراع الفكرى بين العباسيين و العلويين الإستعانة بالشّعراء فى الدّفاع عن آراء كلّ فريق، و هجاء الفريق الآخر. و كان لكلّ من الفريقين شعراؤهم، و كان الشّعْر من أمضى الأسلحة فى ذلك العصر، و من أبرز وسائل الإعلام و مخاطبة العقول و النفوس.

ص: ٢٨١

شعراء العلويين:

كان للعلويين شعراؤهم الذين آثروا أن يوجّهوا ولاءهم نحوهم، و يعبرون عن آرائهم و انصرفوا عن الخلفاء العباسيين رغم أنّهم أصحاب الجاه و السّلطان، و من أشهر شعراء العلويين فى العصر العباسيّ الأوّل السيّد الحميرى، و دعبل بن على الخزاعى.

أمّا السيّد الحميرى ^{٧٩٠} (١٠٥ - ١٧٣ هـ). فهو شاعر مخضرم، عاصر الدّولتين الأمويّة و العباسيّة، و كان شاعرا مكثرا مجيدا، و قد سلك طريقا مائلا إلى إيقاع العباسيين و تنكيلهم، فيمدحهم لأنّهم من بنى هاشم، فبلغ ما أراد و لم ينتقم

ص: ٢٨٢

منه العباسيون، بل نال جوائزهم ^{٧٩١}. فكان السيّد الحميرى مع إسرافه فى حبّ العلويين لا يتورع عن مدح خصومهم العباسيين مدفوعا فى ذلك بخوفه من بطش العباسيين و رغبته فى الحصول على أموالهم ^{٧٩٢}.

و تأثرت حركة تدوين الحديث فى العصر العباسيّ بحركات الشيعة، و يرى المستشرق (رونلدسن) ^{٧٩٣} - و هو من أكثر المستشرقين إهتماما بالشيعة - أن بعض من اهتموا بجمع الحديث، قد وقعوا تحت تأثير الخلفاء العباسيين، و يرى المستشرق أيضا أنّ (الموطأ) للإمام مالك بن أنس لا يعتبر من الصّحاح الستة بالنظر لغايته المحدودة، فقد كان من اللّازم عليه أن يراعى رغبات السّلطة السّياسيّة. و يرى (رونلدسن) أيضا أنّ أحمد بن حنبل، و البخارى، و مسلم، لم يهتموا بإرضاء الخلفاء، فأوردوا الأحاديث التى تشيد ببنى أميّة أو تؤيد ما تدعو الشيعة إليه. كما أنّ الترمذى خصّص الفصل

^{٧٩٠} (١) هو إسماعيل بن محمّد، و ينتهي نسبه إلى ابن مفرغ الحميرى، و أمّه من الأزد و جدّه يزيد بن ربيعة الذي هجا زياد بن أبيه و نفى إنسبته إلى أبي سفيان. سيّد الشعراء، و حاله في الجلالة ظاهر، و مجده باهر، ثقة جليل، عظيم الشّأن و المنزلة، روي أنّ الصادق عليه السلام لقاه فقال: سمّتك أمّك سيّدا و وقّعت في ذلك، أنت سيّد الشعراء.

انظر، ترجمته في معالم العلماء: ٤٦، الكنى و الألقاب للشيخ عباس القمي: ٣٠١ / ٢، الخرائج و الجرائح: ٩٤١ / ٢، إثبات الهداة: ٣٠٣ / ٥ ح ٥٥، البحار: ٣٤٥ / ٤٦ ح ٣٩، و: ٣١٩ / ٤٧، تنقيح المقال للمامقاني: ١ / ١٤٢ - ١٤٤، ديوان السيّد الحميرى: المقدّمة ح ١٠، المناقب لابن شهر آشوب:

٣ / ٤٢٣. و لم أعثر على نصّ يؤكّد على أنّه شاعر الإمام الباقر عليه السلام بل تفرد ابن الصّباغ المالكي في الفصول المهمّة: ٢ / ٢٠٧، بتحقيقنا، و صاحب البحار أيضا، و لكن وجدت في المصادر السابقة كثيرا ما كان يمدح الإمام عليه السلام و كذلك يمدح آبائه، و أنبائه، و خاصّة الإمام الصادق عليه السلام.

نشأ بالبصرة، و مات ببغداد، و الذي كان ممّن يعتقد بإمامة محمّد بن الحنفية، و لكن بعد تعرفه على الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام، رجع إلى الحقّ، و قال في ذلك شعرا، انظر، شرح الأخبار:

٣ / ٢٩٣ الغدير: ٢ / ٢٤٥، وسائل الشيعة: ٢٠ / ١٤٢، خاتمة المستدرک: ٦ / ١٦٣، الفصول المختارة: ٢٩٩، الثّاقب في المناقب لابن حمزة الطّوسي: ٣٩٦، مناقب آل أبي طالب: ٣ / ٣٧١، الصّراط المستقيم: ٢ / ٢٦٨، سرّ السّلسلة العلويّة: ٣٤، بحار الأنوار: ٣٧ / ٤، لسان الميزان:

١ / ٤٣٦، بشارة المصطفى: ٣٠، إعلام الوری: ١ / ٥٣٩، كشف الغمّة: ٢ / ٣٩٤.

^{٧٩١} (١) انظر، أحمد أمين، ضحى الإسلام: ٣ / ٣١٠.

^{٧٩٢} (٢) انظر، حسن إبراهيم، تأريخ الإسلام: ٢ / ١٣٣.

^{٧٩٣} (٣) انظر، عقيدة الشيعة: ٢٨٠ - ٢٨١.

الأخير من صحيحه لذكر «فضائل أهل البيت»، وقد حوت الصحاح الستة كثيرا من الأحاديث التي تمدح على بن أبي طالب، وقد أقبل الناس في العصر العباسي الأول على سماع هذه الأحاديث وكانت عاطفتهم قد أثّرت لما نزل من تنكيل بالأئمة العلويين على أيدي الخلفاء العباسيين.

و رأى الأئمة العلويون المشاركة في حركة تدوين الحديث، و في مقدّمهم الإمام جعفر الصادق، الذي لم يرو إلّا عن أهل بيته^{٧٩٤}. و أدّى علو مكانة الإمام جعفر بين المسلمين، و دقّته و أمانته في رواية الأحاديث و إسنادها إلى إقبال أهل

ص: ٢٨٣

السنة على الأحاديث المروية عنه^{٧٩٥}. و بذلك قامت حركتان لتدوين الأحاديث و روايتها: حركة عباسية و حركة علوية و استفاد العباسيون و رجالهم من بعض الأحاديث التي رواها العلويون مثل إستفادة أبي يوسف في كتابه (الخراج) من الحديث الذي رواه الإمام جعفر الصادق عن أبيه عن عمر بن الخطاب أن رسول الله صلى الله عليه و آله أمر أن لا يس ن بالمجوس سنة أهل الكتاب في النكاح نسائهم و لا في ذبائهم^{٧٩٦}. و يصف صاحب الأربعاء السيد الحميري، بأنه كان علويًا متطرفًا و عباسيًا معتدلاً في وقت واحد، فكان من أشدّ الناس إخلاصًا لآل عليّ، يجهر بذلك و يعلنه و لا يتحرج منه. و كان في الوقت نفسه مسرورا بفوز بنيّ العباس، لا لأنّهم فازوا على العلويين، بل لأنّهم يمثلون بنيّ هاشم الذين فازوا على الأمويين. و كان يعلن هذا الفرح، و ينتظر أن يأتي يوم آل عليّ، و هو لا ينتظر هادئًا و لا صامتًا، و إنّما كان يبيث الدعوة لآل عليّ و يبذل في ذلك من الجهد و القوة ما استطاع. ثم لم يكن فرحه بسقوط الأمويين وحده هو الذي يدنيه من بنيّ العباس، و إنّما كان هناك شيء آخر يدنيه منهم و هو الرغبة و الرّغبة، فكان يطمع في أموال بنيّ العباس، و يفيد منها غير قليل، و كان يخشى بطشهم. و إلى جانب القصيدة التي يمدح بها آل العباس، نجد القصائد الطّوال الكثيرة التي يشيد فيها بآل عليّ^{٧٩٧}.

لم يعترض الخلفاء العباسيون على ما ساقه السيد الحميري من مديح إلى العلويين حتّى لا ينطلق و يقتصر على مديحهم، و هجاء العباسيين. و عاصر السيد

ص: ٢٨٤

الحميري الخلفاء أبا العباس، و المنصور، و المهدي و قد كان في أوّل الأمر على مذهب الكيسانية ثمّ تحول إلى مذهب الشيعة الإمامية، و مدح الإمام جعفر الصادق، و لكن المسلمين أخذوا على السيد الحميري هجاءه لبعض الصحابة الذين وقفوا موقفًا عدائيًا من بني هاشم و خاصّة عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و في مقدّمة هؤلاء الصحابة أبو بكر و عمر بن الخطاب^{٧٩٨}.

^{٧٩٤} (٤) انظر، أبو الحسن، التّحجّج الزّاهرة: ٩ / ٢.

^{٧٩٥} (١) انظر، الشّبلنجي، نور الأبصار: ٨٨ / ١ و ٩٠ بتحقيقنا، ابن الصّبّاح، الفصول المهمّة في معرفة الأئمة: ٢ / ٢٤٠ و ٣٤٠، بتحقيقنا، نيل الأوطار: ٧ / ١٥١، المناقب: ٣٩٦، ينابيع المودّة: ٣ / ٢٢٢.

^{٧٩٦} (٢) انظر، ابن عبد البر، التّمهيد: ٢ / ١١٦.

^{٧٩٧} (٣) انظر، طه حسين، حديث الأربعاء: ٢ / ٢٢٨.

^{٧٩٨} (١) انظر، الإصفهاني، الأغاني: ٧ / ٣ - ٧ - حرّض السيد الحميري الخليفة المهدي على حرمان آل أبي بكر و عمر من العطاء إذ يعتقد أنّهما اغتصبا حقّ عليّ المشروع في الخلافة.

مدح السيّد الحميري الإمام جعفر الصادق، و مدح أيضا الخليفة المنصور، و لكن الإمام جعفر غفر للشاعر مديحه للخليفة العباسي^{٧٩٩} و حمد للسيّد الحميري رغم تقلبه بين العلويين و العباسيين أنّه لم يكن شعوبيا فهو رجل عربي خالص، لأّمه و أبيه و هو من عرب اليمن، و ليس له صلة بالفرس و لم يكن تشيعه طلاء سياسيا كاذبا، يستر الشعوبية و يبغض العرب^{٨٠٠}.

و من شعراء الشيعة في العصر العباسي الأول أيضا دعل بن عليّ الخزاعي^{٨٠١}،

ص: ٢٨٥

و قد اختلف في منهجه و اتجاهاته عن السيّد الحميري، فقد كان كلّ ولاءه موجّها نحو العلويين حتّى أنّه جهّر بعدائه الشديد للخلفاء العباسيين، و هجاهم هجاء صريحا عنيفا . و للشاعر قصائد عصماء في رثاء محمّد النفس الزكية و أخيه إبراهيم اللذين لقيا حتفهما في عهد الخليفة المنصور، و في رثاء الحسين بن عليّ عليه السلام الذي استشهد في عهد الخليفة الهادي^{٨٠٢}. و أبدى دعل حبوره لبيعة المأمون للإمام العلوي الرضا بولاية العهد.

لم ينج الخلفاء العباسيون من هجاء دعل، فقد هجا المنصور، و الرشيد، و المأمون، ثمّ أسرف في هجاء المعتصم، و خاصة بعد إعماده على العناصر التركيّة، و أراد المعتصم قتله، فهرب الشاعر إلى بلاد المغرب و استمر في هجاء العباسيين، فهجا آخر خلفاء العصر العباسي الأول الواثق بالله^{٨٠٣}. و كان هجاؤه دائما عنيفا قاسي^{٨٠٤}.

شعراء العباسيين:

و شارك الخلفاء العباسيون في هذا الجهاد الفكري مع العلويين، فكان للخلفاء

ص: ٢٨٦

شعراء أصبحوا السنة ناطقة تلهج بمدحهم و هجاء خصومهم العلويين . و في مقدّمة هؤلاء الشعراء مروان بن أبي حفصة . و هو شاعر مخضرم، عاصر أواخر الدولة الأمويّة و مطلع الدولة العباسيّة، و كان ولاؤه موجّها نحو الخلفاء الأمويين، و لم

^{٧٩٩} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٠٨، ابن عبد ربه، العقد الفريد: ١/ ٢٦٣.

^{٨٠٠} (٣) انظر، طه حسين، حديث الأربعاء: ٢/ ٢٣٩.

^{٨٠١} (٤) أبو عليّ دعل بن عليّ بن رزين الخزاعي من شعراء القرن الثاني و الثالث الهجريين، ولد سنة (١٤٨ هـ) في الكوفة، تحدّى دعل ظلم العباسيين و طغيانهم حتّى أنّه قال: أنا أحمل خشيتي على كتفي منذ خمسين عاما، لست أجد أحدا من يصلني عليها. و قد عاصر هذا الشاعر البارع الإمام الصادق، و الكاظم، و الرضا، و الجواد؛ قرأ قصيدته الثابتة على الإمام الرضا عليه السلام أثناء ولاية العهد فبكى الإمام لبعض أبياتها و استحسناها و دعا له و أكرمه، توفيّ سنة (٢٤٦ هـ). انظر، الفصول المهمة لابن الصبّاغ المالكي: ٢/ ٢٩٩. بتحقيقنا.

انظر، ترجمته في الأعلام للزركلي: ٣/ ١٨، رجال الكشي: ٩٨، رجال النجاشي: ١٦١، رجال ابن داود: ٩٢، سير أعلام النبلاء: ١١/ ٥١٩، الكامل في التاريخ: ٧/ ٩٤، مجمع الرجال: ٢/ ٢٩٦، مروج الذهب: ١/ ١٧٩، و: ٢/ ٧٨، و: ٣/ ٢٣١، معجم رجال الحديث: ٧/ ١٤٦، منتهى المقال:

٤/ ٩٤، وفيات الأعيان: ٢/ ٢٦٦، الأغاني: ١٨/ ٢٩ طبعة بولاق، رجال الشيخ الطوسي: ٢٧٥، روضات الجنّات: ٣/ ٣٠٦، نقد الرجال: ١٣١، الشذرات الذهبية: ٢/ ١١١، الغدير: ٢/ ٣٤٩، جامع التّوارة: ١/ ٣١١.

و انظر، كشف الغمّة: ٢/ ٢٦٥، ٣٥، كمال الدين: ٣٧٢ ح ٦، كفاية الأثر للخزّاز القمي: ٢٧١، فرائد السمطين للحويني: ٢/ ٣٣٧ ح ٥٩١، الإنحاف بحبّ الأشراف للشّيرازي: ١٦٤، و نور الألبار للشّيلنجي: ٣٠٩، حلية الأبرار للمحدّث القمي: ٢/ ٤٣٣، إثبات الهداة للحرّ العاملي: ٢/ ٣٤٧.

^{٨٠٢} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٠٨.

^{٨٠٣} (٢) انظر، الإصفهاني، الأغاني: ١٨/ ٢٩.

^{٨٠٤} (٣) انظر، المصادر السّابقة.

يجد بأسا في تحويل هذا الولاء إلى الخلفاء العباسيين بعد قيام دولتهم . و اعتبرهم أصحاب الحق الشرعى فى الخلافة، لأنهم سلالة العباس بن عبد المطلب عم الرسول عليه الصلاة والسلام، و هو أحق بوراثته ابن أخيه من على بن أبى طالب و آله. و أثار مروان مشاعر الشيعة حتى لقي حتفه على أيديهم^{٨٠٥}.

و يرى صاحب حديث الأربعاء أن مروان بن أبى حفصة كان يعبد المال و يقدسه تقدّسا، و كان فيما بينه و بين نفسه يزدري الأمويين و العباسيين و العلويين و إنما أراد يفوز بأموال العباسيين، و لو أدال الله منهم للأمويين أو للعلويين ل سار مع الدولة الجديدة سيرته مع الدولة القديمة، فلم يكن مروان اذنا عباسيا مخلصا و لم يكن شاعرا من شعراء الأحزاب بالمعنى الصريح^{٨٠٦}.

و كان العباسيون فى حاجة إلى من ينصرهم على العلويين و شيعتهم و لم يكن هجاء العلويين بالأمر اليسير، إذ يثير مشاعر المسلمين، و العلويون، و العباسيون يجمعهم البيت الهاشمي . و لذلك كان هجاء الشعراء العباسيين خاليا من الشتم و القذف^{٨٠٧}.

و من شعراء الذين خاضوا الجهاد الفكرى بين العباسيين و العلويين، الشاعر أبان بن عبد الحميد . و كان شغوبا بالمال، إلى حدّ جعله يتغاضى عن آرائه فى

ص: ٢٨٧

سبيل المال. و كانت قصائده تدور حول أحقية العباسيين فى الخلافة دون العلويين .

و خلاصة القول، أغنت الشيعة الأدب، لا من الناحية العقلية فحسب، بل من الناحية السياسية و العاطفية أيضا، فظلوا يقولون فى الحق و طلبه، و الإرث و غصبه ثم يبيكون على حق ضاع، و دمّ أريق، و حرّمت أتهكت و بيوت دمرت، و جثّ صلبت و ذريت، فكان لنا مع الأدبيين جميعا فكر و عاطفة، و عقل و قلب، و كلاهما لا بدّ منه فى الأدب^{٨٠٨}.

و خاض الإمامان أبو حنيفة و مالك بن أنس ذلك الصراع الذى قام بين العلويين و العباسيين، و كان لهما موقفهما من الأئمة العلويين و الخلفاء العباسيين.

موقف أبى حنيفة من العلويين و العباسيين:

و لنرى الآن مدى العلاقة بين الإمام أبى حنيفة^{٨٠٩} و الشيعة فى العصر العباسي الأول. و قد اختلف المؤرخون و الكتاب فى تحديد أبعاد هذه العلاقة، فترى بعض المصادر الشيعية أن أبأ حنيفة كان من الشيعة، بينما تنفى المصادر السنية ذلك، و تقف

^{٨٠٥} (١) انظر، الإصفهاني، الأغاني: ٢٨ / ٩.

^{٨٠٦} (٢) انظر، طه حسين، حديث الأربعاء: ٢٣ / ٢.

^{٨٠٧} (٣) انظر، المصادر السابق: ٢٣٤ / ٢.

^{٨٠٨} (١) انظر، أحمد أمين، ضحى الإسلام: ٣ / ٣١٥.

^{٨٠٩} (٢) و هو التعمان بن ثابت بن التعمان بن المرزبان . تذهب معظم المصادر إلى أنّ مولد أبى حنيفة كان سنة (٨٠ هـ و بعض المصادر تذكر أنّ مولده كان سنة ٦١ هـ) و تذهب معظم المصادر إلى أنّه فارسي الأصل.

انظر، المكّي، مناقب أبى حنيفة: ٦، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٣ / ٣٣١.

بعض المصادر موقفاً وسطاً، فتبرر موقف أبي حنيفة من الأئمة العلويين بأنه ولاء منه لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله، و سخط على العباسيين.

كان مولد أبي حنيفة في سنة (٨٠ هـ)، في عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، و عاش إلى سنة (١٥٠ هـ)، فهو قد أدرك العصر الأموي في عتوانه

ص: ٢٨٨

و قوّته، ثمّ في تحدره و إنهوائه، و أدرك الدولة العباسية في نشأتها قوّة ظافرة^{٨١٠}.

عاش أبو حنيفة في العصرين الأموي و العباسي . و كان أبو حنيفة ساخطاً على الدولة الأموية، ميّالاً إلى العلويين و كان يرى جواز الخروج على الحكم الأموي، و إن لم يشترك عملياً في الثورات التي واجهت الدولة الأموية . و أفتى أبو حنيفة بأنّ خروج زيد بن عليّ على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك سنة (١٢١ هـ) خروج شرعي يجب أن يعاضده جميع المسلمين^{٨١١}. و كان لزيد مكانة عالية في نفس أبي حنيفة، كما كان لأبي حنيفة صلات وثيقة بالإمامين : محمد الباقر عليه السلام^{٨١٢} و جعفر الصادق^{٨١٣} و غيرهما من أبناء الأسرة العلوية^{٨١٤}. و قد عبّر أبو حنيفة عن كراهيته للدولة الأموية برفضه تولي قضاء الكوفة حينما عرضه عليه يزيد بن عمر بن هبيرة والي ال عراق في عهد مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين، فضربه يزيد مئة و عشرة سياط^{٨١٥}.

ثمّ قامت الدولة العباسية، و هي دولة هاشمية، فماذا كان موقف أبي حنيفة منها؟ لا شكّ أنّ أبا حنيفة أبدى إرتياحه إذ آلت الخلافة إلى البيت الهاشمي - آل الرسول صلى الله عليه و آله - و لكن لم يعجبه موقف الخلفاء العباسيين من العلويين و إسرافهم في

ص: ٢٨٩

التنكيل بهم و سفك دمائهم، فهم أيضاً من آل الرسول الكريم.

و في عهد الخليفة المنصور، أراد الخليفة أن يستعين بأبي حنيفة بإعتباره إماماً فقيهاً بارزاً، لمواجهة ما اشتهر به الإمام العلوي جعفر الصادق من علم و فقه.

^{٨١٠} (١) انظر، أبو زهرة، أبو حنيفة: ٧٨.

^{٨١١} (٢) انظر، العنقوبي: ٣ / ٦٥، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ١٣٥.

^{٨١٢} (٣) رغم نشأة أبي حنيفة في الكوفة، فقد كان يتردد على المدينة باستمرار و يزور الإمام محمد الباقر عليه السلام و قامت منازعات كثيرة بينهما . انظر، الموفق المكي، مناقب أبي حنيفة: ٢٤ / ١ - ٢٧.

^{٨١٣} (٤) كان أبو حنيفة و الإمام جعفر الصادق عليه السلام في عمر واحد، و قال أبو حنيفة: « و الله ما رأيت أفقه من جعفر الصادق عليه السلام ». و كان جعفر من شيوخ أبي حنيفة. انظر، الموفق المكي، مناقب أبي حنيفة: ٢٧ / ١.

^{٨١٤} (٥) انظر، الشريافي، الأئمة الأربعة: ٥٤.

^{٨١٥} (٦) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣٦ / ٢ و ما بعدها.

فقد استدعى المنصور أبا حنيفة إليه، وقال له : «يا أبا حنيفة، أن الناس قد فتنوا بجعفر بن محمد، فهيء له من المسائل الشّداد».

و استجاب أبو حنيفة لطلب الخليفة المنصور، وهياً للإمام الصّادق أربعين مسألة من مسائل الدّين و الفقه . و يصف أبو حنيفة لقاءه بالإمام الصّادق في مجلس المنصور فيقول : «أتيتُه فدخلت عليه - أي المنصور - و جعفر بن محمد عن يمينه، فلمّا بصرت به دخلتني من الهيبة لجعفر بن محمد الصّادق ما لم يدخلني لأبي جعفر ...».

و بدأت المناظرة بين أبي حنيفة و جعفر الصّادق و يتحدث أبو حنيفة عن نتيجة المناظرة فيقول : «حتّى أتيت على الأربعين مسألة، فما أخلّ منها بمسألة»^{٨١٦}.

^{٨١٦} (١) انظر، الموقف المكي، مناقب أبي حنيفة ٢٩ / ١ و ما بعدها.

لا أدري كيف انقلبت المناظرة و ها هي:

(دخل أبو حنيفة على الإمام جعفر الصّادق.

فقال له: «من أنت»؟.

قال: أبو حنيفة.

قال: «مفتي أهل العراق»؟.

قال: نعم.

قال عليه السّلام: «تم تفتيهم»؟.

قال: بكتاب الله.

قال عليه السّلام: «و إنك لعالم بكتاب الله ناسخة و منسوخة، و محكمة و متشابهة»؟. قال: نعم.

قال عليه السّلام: «فأخبرني عن قول الله عزّ و جل: ١٨ وَ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَ بَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَ قَدْزْنَا فِيهَا السَّبِيلَ سَبِيلًا مَّيْمَنًا وَ أَيْمَنًا آمِنِينَ» E، سبأ: ١٨.

أي موضع هو؟.

قال أبو حنيفة: هو ما بين مكّة و المدينة.

فالتفت الإمام الصّادق إلى جلسائه، و قال: «نشدتكم بالله، هل تسبّرون بين مكّة و المدينة و لا تأمنون على دمائكم من القتل، و على أموالكم من السرقة؟ فقالوا: أللهم! نعم.

فقال الصّادق: «ويحك يا أبا حنيفة! إن الله لا يقول إلّا حقاً».

أخبرني عن قول الله عزّ و جل: ١٨ وَ مَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا E. آل عمران: ٩٧. أي موضع هو؟.

قال: ذلك بيت الله الحرام.

فالتفت الإمام عليه السّلام إلى جلسائه فقال: «نشدتكم بالله هل تعلمون أنّ عبد الله بن الزّبير، و سعيد بن جبيرة دخلاه فلم يأمنوا القتل»؟.

قالوا: نعم.

فقال الإمام عليه السّلام: «ويحك يا أبا حنيفة! إن الله لا يقول إلّا حقاً».

فقال أبو حنيفة: إنّما أنا صاحب قياس.

قال الإمام عليه السّلام: «فانظر في قياسك إن كنت مقيساً، إنّما أعظم عند الله، القتل أو الزّنى»؟.

قال: بل القتل.

قال الإمام عليه السّلام: «فكيف رضي في القتل بشاهدين، و لم يرض في الزّنى إلّا بأربعة».

ثمّ قال له: «الصّلاة أفضل أم الصّيام»؟.

قال: بل الصّلاة أفضل.

قال الإمام: «فيجب على قياس قولك قضاء ما فاتها على الخائض من الصّلاة في حال حيضها دون الصّيام، و قد أوجب الله تعالى عليها قضاء الصّوم دون الصّلاة».

ثمّ قال له: «البول أقدر أم المني»؟.

قال: البول أقدر.

قال الإمام عليه السّلام: «يجب على قياسك أن يجب الغسل من البول دون المني! و قد أوجب الله تعالى الغسل من المني دون البول».

قال: إنّما أنا صاحب رأي.

قال الإمام عليه السّلام: «فما ترى في رجل كان له عبد فتروّج و زوّج عبده في ليلة واحدة فدخلوا بامرأتهما في ليلة واحدة ثمّ سافرا، و جعلوا امرأتهما في بيت واحد، فولدتا

غلامين، فسقط البيت عليهما فقتل المرأتين، و بقي الغلامين، أيهما في رأيك المالك و أيهما المملوك أو أيهما الوارث، و أيهما الموروث»؟.

وكان عبد الله بن الحسن، شيخ الزيديين، من أخطر العلويين على خلافة أبي

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول؛ ص ٢٩٢

جعفر المنصور. وكان أبو حنيفة من تلاميذه^{٨١٨}. وكان أبو حنيفة من تلاميذه^{٨١٩}. وكان القبض على عبد الله بن الحسن و آل بيته و سجنهم، و ما نالوه من اضطهاد و تعذيب، ممّا أثار عطف أبي حنيفة على العلويين و سخطه على الخليفة المنصور، و خاصّة أنّ أبا حنيفة كانت تربطه بعبد الله بن الحسن صلات وديّة وثيقة^{٨٢٠}.

و وقف أبو حنيفة من خلافة المنصور موقف المعارضة، و اتّخذت معارضته شكلا سلبيا أحيانا، و شكلا إيجابيا أحيانا أخرى.

أمّا الشّكل السّلبى فيبدو فى إنتقاده الدّائم للعبّاسيّين، و التّعليق على سياستهم خلال دروسه، و نقده أعمال القضاء، و رفضه العمل للدولة، ممّا أوغر صدر المنصور عليه^{٨٢١}.

قال أبو حنيفة: إنّما أنا صاحب حدود.

قال الإمام عليه السلام: «فما ترى في رجل أعمى فقاً عين صحيح، و أقطع قطع يد رجل كيف يقام عليه الحلة؟».

قال: إنّما أنا رجل عالم بمباعت الأنبياء.

قال الإمام: «فأخبرني عن قول الله تعالى لموسى و هارون حين بعثهما إلى فرعون\ لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى\ E. سورة طه: ٤٤. لعلّ منك شك».

قال: نعم.

قال: «و كذلك من الله شكّ إذ قال لعلّه».

قال أبو حنيفة: لا علم لي.

قال الإمام: «تزعم أنّك نفقي بكتاب الله و لست ممن ورثه، تزعم أنّك صاحب رأي و كان الرّأي من رسول الله صوابا، و من دون خطأ؛ لأنّ الله تعالى قال: \لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ\ و لا تُكُنْ لِلْخَائِثِينَ خَصِيماً\ E. النساء: ١٠٥. لم يقل ذلك لغيره صلى الله عليه و آله».

«و تزعم أنّك صاحب حدود و من أنزلت عليه أولى بعلمها منك، و تزعم أنّك عالم بمباعت الأنبياء، و لخاتم الأنبياء أعلم بمباعتهم منك».

لو لا يقال: دخل على ابن رسول الله فلم يسأله عن شيء ما سألتك عن شيء، فقس إن كنت مقيسا.

قال أبو حنيفة: ما قلت بالرّأي و القياس في دين الله بعد هذا المجلس.

قال الإمام عليه السلام: «كلّا، إنّ حبّ الرئاسة غير تاركك، كما لم يترك من كان قبلك».

انظر، وسائل الشّعبة إلى تحصيل مسائل الشّريعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي: ٢٧/ ٢٧ ح ٢٧ و ٢٨، الإحتجاج: ٢/ ٢٦٧ ح ٢٣٧، الفصول المهمّة لابن الصّباغ المالكي: ٢/ ٤٥٠، بتحقيقنا، المجدي في أنساب الطّالبيين: ٩٤.

^{٨١٧} ليش، سميره مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

^{٨١٨} (١) انظر، كان عبد الله بن الحسن أكبر سنّا من أبي حنيفة بعشر سنواته إذ كان مولده سنة (٧٠ هـ) بينما كان مولد أبي حنيفة سنة (٨٠ هـ).

^{٨١٩} (١) انظر، كان عبد الله بن الحسن أكبر سنّا من أبي حنيفة بعشر سنوات، إذ كان مولده سنة (٧٠ هـ) بينما كان مولد أبي حنيفة سنة (٨٠ هـ).

^{٨٢٠} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ١٨٣/ ٦، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٦٠.

^{٨٢١} (٣) انظر، الشّرباصي، الأئمة الأربعة: ٥٤.

أما الشكل الإيجابي، فهو موقفه الحازم من ثورتى محمد النفس الزكية وإبراهيم، وقد تحدثنا عن هذا الموقف الإيجابي عند دراستنا لهاتين الثورتين فى الباب الثانى من هذا البحث^{٨٢٢}.

ولنا أن نتساءل : هل كان موقف أبى حنيفة من العلويين نتيجة تشيعه وإعتناقه تعاليم الشيعة؟ أم هو ميل إلى البيت العلوى؟ أم هو عطف على العلويين لما نالهم على أيدى العباسيين؟.

نرى أن أبى حنيفة لم يكن من الشيعة، ولم يتشيع، ولكنه كان متعاطفا مع العلويين، مقدرا لمكانة أئمتهم بين المسلمين، وما هم عليه من تدين وورع وفقه، والعالم

ص: ٢٩٣

الفقيه خير من يقدر العلماء الفقهاء. فضلا عن إنتساب العلويين إلى آل الرسول صلى الله عليه وآله.

كما كان أبو حنيفة راثيا للعلويين ما لاقوه من اضطهاد العباسيين لهم.

و خير دليل نسوقه، هو رأى أبى حنيفة فى أبى بكر وعمر، فقد كان يضعهما فى المكان قبل على بن أبى طالب عليه السلام، وكان أبو حنيفة يقدر أبى بكر تقديرا فائقا، بل أراد أن يتشبه به فى سخائه وفى اشتغاله بالتجارة^{٨٢٣}، و يجعل أبو حنيفة عمر بعد أبى بكر. ولكنه يقدم على بن أبى طالب عليه السلام على عثمان بن عفان، وإن كان يذكر عثمان دائما بالخير و يترحم عليه ولا يذكره بسوء مطلقا^{٨٢٤}. ولم يرض كثير من الشيعة والعلويين، وخاصة الإمام محمد الباقر، عن آراء أبى حنيفة فى أبى بكر وعمر و عثمان^{٨٢٥}. وإن كانت الشيعة الزيدية أبدت رضاها عن هذه الآراء، فهم من يعترفون بصحة خلافة أبى بكر وعمر. وفى الحقيقة، لم يقصر أبو حنيفة اتصاله بفرق الشيعة على فرقة واحدة منها، بل كان على صلات، ذات أبعاد مختلفة، مع الشيعة الكيسانية، والإمامية، والزيدية.

ولأبى حنيفة رأى خاص به فى إختيار الخليفة، يختلف عن آراء الشيعة وسائر الفرق، وعبر الإمام عن رأيه بصراحة فى مواجهة الخليفة المنصور حين سأل عن رأيه فى خلافته، فقد قال أبو حنيفة : «المسترد لدينه يكون بعيد الغضب إن أنت نصحت لنفسك علمت أنك لم ترد الله بإجتماعنا، فإنما أردت أن تعلم العامة أننا نقول فيك ما تهواه مخافة منك، ولقد وليت الخلافة و ما إجتمع عليك اثنان من أهل الفتوى، والخلافة تكون بإجتماع المؤمنين ومشورتهم»^{٨٢٦}.

ص: ٢٩٤

و يفسر الشيخ أبو زهرة، فى كتابه القيم عن أبى حنيفة، هذه العبارة بأن أبى حنيفة كان يرى أن الإختيار العام للخليفة يجب أن يكون سابقا على تولية سلطته، أى أن الخلافة لا تتم إلّا بإختيار سابق من المؤمنين، وبيعة كاملة، فالخلافة عنده ليست

^{٨٢٢} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٦١.

^{٨٢٣} (١) كان لأبى بكر حانوت بَرّ فى مكة، وكان لأبى حنيفة حانوت بَرّ أيضا فى الكوفة

^{٨٢٤} (٢) انظر، الموفق المكي، مناقب أبى حنيفة: ٨٢/١، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٣١.

^{٨٢٥} (٣) انظر، الموفق المكي، مناقب أبى حنيفة: ١٦٥/٢.

^{٨٢٦} (٤) دعا الزبير بن يونس حاجب المنصور الإمام مالك، و ابن أبى ذؤيب، و أبى حنيفة للمثول بين يدي الخليفة المنصور ليسألهم عن آرائهم فى خلافته. انظر، أخبار أبى حنيفة و أصحابه، للقاضي أبى عبد الله حسين بن علي الصيمري: ١/ ٦٩، دار النشر، عالم الكتب بيروت (١٤٠٥ هـ)، الطبعة الثانية.

بوصاية، و لا يكون خليفة من يفرض نفسه على المسلمين، و إن خضعوا بعد ذلك أو ارتضوه، إنما الخلافة بإختيار حرّ سابق على تولي الحكم^{٨٢٧}.

روى الإصفهاني كثيرا من الروايات حول تأييد أبي حنيفة لمحمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم خلال ثورتهم على الدولة العباسية في عهد المنصور.

و لكن الإصفهاني لم يذكر صراحة إعتناق أبي حنيفة مذهب الشيعة . من هذه الروايات : «كان أبو حنيفة يجهر في أمر إبراهيم جهرا شديدا، و يفتي الناس بالخروج معه»^{٨٢٨}. و قد كتب أبو حنيفة إلى إياهيم ينصحه بقصد الكوفة.

فقال: «أنتها سرا فإن من هاهنا من شيعتكم يبيتون»^{٨٢٩} أبا جعفر - المنصور - فيقتلونه، أو يأخذون برقبته فيأتونك به»^{٨٣٠}.

فسرّ المرحوم الأستاذ أحمد أمين أبي حنيفة من كلّ من العباسيين و العلويين، فقال : استدل المنصور من إباء أبي حنيفة تولي القضاء^{٨٣١} على صحة ما اتّهم به

ص: ٢٩٥

من التشيع و عدم رضائه عن دولتهم، و الغالب أن أبا حنيفة كان أميل في الفتنة التي قامت بين العلويين و العباسيين إلى محمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم، و كان يرى أن محمدا أحقّ بالخلافة، و كان ناقما على العباسيين سطوتهم و شدّتهم، و كثير من العلماء في هذا العصر كانوا على هذا الرأي، و كان إمتحان العباسيين لهم و لميولهم مظهره عرض الوظائف عليهم و الإستدلال بإبائهم أو قبولهم على ميولهم^{٨٣٢}.

و ذكر المستشرق (رونلدسن)، و هو في مقدّمة المستشرقين الذين تعمقوا في دراسة الشيعة، أن الشيعة كانوا يحترمون و يجلون أبا حنيفة لصلاته الوديّة الوثيقة بالإمام جعفر الصادق، و قد ازداد اعجابهم به حينما قال عن العباسيين أنّهم لو أرادوا بناء مسجد، و أمروه باحصاء الآجر^{٨٣٣} فأنه لا يفعل لأنّهم فاسقون و الفاسق لا يتولى الإمامة^{٨٣٤}.

و يرى (رونلدسن) أن هذا القول بلغ الخليفة المنصور فسجنه و ظل في سجنه حتّى مات، كما يرى أن إضطهاد المنصور لأبي حنيفة جعل أبا حنيفة يكسب صداقة الشيعة.

^{٨٢٧} (١) انظر، أبو زهرة، أبو حنيفة: ١٦٥.

^{٨٢٨} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٦١.

^{٨٢٩} (٣) انظر، يبيتونه: أي يهاجمونه ليلا.

^{٨٣٠} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٦٦، الحصري، زهر الآداب: ٧١٠ / ٢.

^{٨٣١} (٥) استدعى المنصور أبا حنيفة من الكوفة إلى بغداد و طلب منه أن يلي القضاء، فرفض فاقسم المنصور - عليه أن يتولاه، فاقسم أبو حنيفة ألا يفعل، و طلب الحاجب الزبيع بن يونس بن أبي حنيفة العدول عن قسمه

فقال أبو حنيفة له: أمير المؤمنين على كفارة إيمانه أقدر ميّ على كفارة إيماني. انظر، الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد: ٧١ / ١.

^{٨٣٢} (١) انظر، أحمد أمين، ضحى الإسلام: ١٨٤ / ٢.

^{٨٣٣} (٢) بعد رفض أبي حنيفة تولي القضاء و أقسم على ذلك أراد المنصور أن يرغمه على نكث قسمه بالا يتولى ذلك المنصب، فعهد إليه ببعض أعمال بناء بغداد فكلفه بضرب اللبّات و إحصائها و مراقبة العمّال، و ابتكر أبو حنيفة طريقة جديدة في إحصاء الآجر فكان يحصّيها بالقصبة بدلا من طريقة العدّ المتباددة. انظر، الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد: ٧١ / ١.

^{٨٣٤} (٣) انظر، رونلدسن، عقيدة الشيعة: ١٤٣.

ص: ٢٩٦

و ينفي أحد الكتّاب الذين أفردوا كتابا عن أبي حنيفة اعتناق أبي حنيفة مذهب الشيعة، و يدلّل على ذلك بأن المنصور لو أدرك هذه الحقيقة لما ترك أبا حنيفة يلقي دروسه في الكوفة مركز الشيعة، سنوات طويلة^{٨٣٥}.

و نحن نرى أنّ أبا حنيفة كان بعيدا عن التأثير بآراء الشيعة و عقائدهم، وإنّ الأمم راقتصر على عطفه على العلويين^{٨٣٦}، و سخطه على مظالم العباسيين. فأبو

ص: ٢٩٨

^{٨٣٥} (١) انظر، عبد الحليم الجندي، أبو حنيفة: ٢١٣.

^{٨٣٦} (٢) إلتنقى أبو حنيفة بعلي بن أبي طالب و كان أبو حنيفة حينئذ صغير السن و كان يعتقد أنّ عليّا على حقّ في قتال المخالفين له أمثال طلحة و الزبير، و لكنّه لم يسب أو يطعن في هؤلاء المخالفين. انظر، الموفق المكي، مناقب أبي حنيفة: ٨٣/٢ - ٨٤. و يذكر الخطيب البغدادي، انظر، تاريخ بغداد:

١٣/٣٢٦ أنّ علي بن أبي طالب عليه السلام دعا لأبي حنيفة و لذّيته بالبركة فيهم

لا أدري كيف وُقّق الكاتب الموفق المكي و كذلك الخطيب البغدادي، بالإضافة إلى ذلك كيف غفلت الذّكورة عن هذه الملاحظة البسيطة في لقاء الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام المولود داخل الكعبة يوم الجمعة ثالث عشر من شهر رجب بعد عام الفيل بثلاثين سنة في الكعبة، و لم يولد فيها أحد سواه قبله و لا بعده. قبل الهجرة بثلاث و عشرين سنة، و قبل بخمس و عشرين، و قبل المبعث باثني عشرة سنة، و قبل بعشر سنين

و قد صَحّ التّقل أنّ عليّا عليه السلام ضربه عبد الرّحمن بن ملجم ليلة الجمعة الحادي و العشرين من شهر رمضان المعظّم سنة أربعين و مات من ضربته ليلة الأحد و هي اللّيلة الثالثة من ليلة ضربه، و كان عمره إذ ذاك خمساً و ستين سنة أقام منها مع التّيّ خمساً و عشرين سنة منها قبل البعث و النّبوة إثنا عشر سنة و بعدها ثلاثة عشر سنة، ثمّ هاجرو أقام مع التّيّ صَلَّى الله عليه و آله بالمدينة إلى أن توفّي التّيّ صَلَّى الله عليه و آله عشر سنين، ثمّ عاش من بعد وفاة التّيّ إلى أن قتل عليه السلام ثلاثين سنة، فجملة ذلك خمس و ستون سنة.

انظر، مناقب آل أبي طالب: ٢/٧٨، الإرشاد: ١/٩، شرح التّهج لابن أبي الحديد: ٢/١٨١، تاريخ الطّبري: ٤/١١٦، و الفتوح: ٢/٢٨٢، و في المقاتل: ٥٤، أنساب الأشراف: ٢/٤٩٨، الكامل في التّاريخ: ٢/٤٣٣.

انظر، الإستيعاب لابن عبد البر: ٣/١١٢٧، الرياض النّضرة في مناقب العشرة: ٢/٢٤٥ طبعة بمحمد عليّ أمين الخانجي بمصر، الجوهرة في نسب الإمام عليّ و آله للبري: ١١٥، تاريخ الإسلام لمحمد بن أحمد بن عثمان فإباز الدمشقي: ٢/٢٠٥ طبعة مصر، وسيلة المال: ١٥٥ نسخة في مكتبة الطّاهريّة بدمشق، فيض القدير: ٣/٩٩، الطّبقات الكبرى: ٣/٣٦.

انظر، التّهاية: ٤/٢٤٤، المناقب للخوارزمي: ٣٧٨ و ٤٠٢، مناقب ابن شهر آشوب: ٣/٣١١، كشف الغمّة: ١/٤٣٣، تذكرة الخواص: ١٠٠، إعلام الوری: ١٥٥، شرح التّهج لابن أبي الحديد:

١/١٢٨، شرح التّهج للفيض: ١٥٦، تاريخ دمشق ترجمة الإمام عليّ: ٣/٢٩٥، الإستيعاب لابن عبد البر بمأمش الإصابة لابن حجر العسقلاني: ٣/٦١.

انظر، شيرويه الدّيلملي الفردوس بمأثور الخطاب: ٣/٣٣٢ طبعة دار الكتاب العربي، و العلامة الحلّي في كشف اليقين: ١٧، و العلامة المجلسي في البحار: ٣٥/١٦، و السّيد ابن طاووس في الطّرائف: ١٥٤، و ابن شهر آشوب في المناقب: ٢/١٨٠، و عبد الرّؤوف المتأوي المصري في كنوز الدّقائق: ١٨٨، و الشّيخ جلال الدّين السيوطي في الجامع الصّغير، و محبّ الدين أبو بكر بن محمد الطّبري في ذخائر العقبي، و السّيد عليّ شهاب الهمداني في مودّة القرى، و الأحاديث الأربعين للإمام عليّ بن موسى الرضا، و إرشاد المفيد: ٩، و إعلام الوری للطّبرسي، مع بعض الاختلافات و التّبادلات.

و مستدرک الصّحّاحين: ٣/٤٨٣، نور الأبصار: ٦٩، اسد الغابة: ٤/٣١، و الفضائل لابن شاذان: ٥٤، مرآة العقول: ٥/٢٧٥، كفاية الطّالب: ٢٦٠، الإصابة لابن حجر بمأمش الإستيعاب: ٢/٥٠١، المستدرک على الصّحّاحين: ٣/٤٨٣.

بينما كان مولد أبي حنيفة في سنة (٨٠ هـ)، في عصر الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، و عاش إلى سنة (١٥٠ هـ)، و بعض المصادر تذكر أنّ مولده كان سنة (٦١ هـ). و هو التّعمان بن ثابت بن زوطا بن ماة الكوفي مولد بني تيم الله بن ثعلبة و زوطا بضم الزّاي و سكون الواو، كذا ضبطه بعضهم.

انظر، القاموس: ٢/٣٦٢، الصّحاح: ٣/١١٢٩، تاريخ بغداد: ١٣/٣٢٦.

ولد أبو حنيفة التّعمان رضى الله عنه بالكوفة سنة ثمانين و نشأ بها

انظر، تذكرة الحقاظ: ١/١٦٨، الكاشف للذهبي: ٢/٣٢٢، كتاب بحر الدّم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد: ١/٤٣٠، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد لابن الدّمياطي: ٢/٧٦، المكي، مناقب أبي حنيفة: ٦، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٣/٣٣١. فهو قد أدرك العصر الأموي في عنفوانه و قوّته، ثمّ في تحدره و إصوّاته، و أدرك الدّولة العبّاسيّة في نشأتها قوّة ظافرة. انظر، أبو زهرة، أبو حنيفة: ٧٨.

حقّا لا أدري؟ و لكن إن عشت أراك الدّهر عجباً.

حنيفة هو الإمام الأعظم لأهل السنّة، أمّا الشيعة فلمهم فقهم و معتقداتهم الخاصة بهم، و لم يعرف عن أبي حنيفة أنّه روج لفقه الشيعة، أو تأثر به، فقد اشتهر بالإستقلال في الرأى، و لو كان أبو حنيفة على آراء الشيعة و تعاليمها، لجهر بذلك إذ اشتهر بالشجاعة و الجرأة، و كان موقفه من ثورتى النفس الزكية و إبراهيم صريحا جريئا . كما أن رفض أبي حنيفة تولى القضاء، لم يكن نتيجة ميول إلى الشيعة، فقد رفض القضاء أيضا في العصر الأموى، إذ كان يرفض تولى القضاء لخلفاء يرى أنّهم ظالمون، و قد رفض كثير من العلماء و الفقهاء تولى المناصب الحكوميّة، و عاب على أبي يوسف صاحب كتاب الخراج تولى القضاء فى عصر المهدي^{٨٣٧}.

رغم الصلة الوثيقة التى كانت تربط أبا حنيفة بالإمام العلوى جعفر الصادق، إلّا أنّهما كانا كثيرا ما يختلفان فى الرأى . فقد عارض أبو حنيفة فى أحد مجالسه بعض آراء الصادق، ممّا دفع أحد الشيعة المتحمسين، و يدعى بهلول، إلى أن ضرب رأس أبي حنيفة بلبنة، فأشتكاه أبو حنيفة للخليفة العبّاسيّ المنصور^{٨٣٨}.

و فى الحقيقة لم يكن الميل السّياسى وحده هو الظاهر فى صلة أبي حنيفة بآل البيت، بل الإتصال العلمى كان واضحا، و لعلّه هو السّبب فى هذا الميل السّياسى فقد وجدناه متّصلا علميا بالإمام زيد بن على، و عد من شيوخه، كما كان متّصلا

ص: ٢٩٩

بعبد الله بن الحسن والدّ الشهيدين محمّد و إبراهيم، و عد من شيوخه أيضا، و وجدنا أبا حنيفة يروى عن محمّد الباقر و جعفر الصادق، و مسنده شاهد بذلك^{٨٣٩}.

و كان أبو حنيفة مقتنعا بأنّ إبراهيم بن عبد الله بن الحسن كان على حقّ فى خروجه على المنصور، فقد سأله أحدهم: أيّهما أحبّ إليك بعد حجة الإسلام:

الخروج إلى هذا أم الحجّ؟.

فقال أبو حنيفة: غزوة بعد حجة الإسلام أفضل من خمسين حجة^{٨٤٠}.

موقف الإمام مالك من العلويين:

و ماذا كانت علاقة الإمام مالك بن أنس بالشيعة فى العصر العبّاسيّ الأوّل؟.

كان مولد الإمام مالك سنة (٩٣ هـ)^{٨٤١}، و فى المدينة المنورة، التى كانت موطننا

^{٨٣٧} (١) هو أبو يوسف الذى أصبح قاضي القضاة فى عهد هارون الرشيد و لم يجد حرجا فى توجيه النصائح للرشيد فى كتابه (الخراج) فقد كان جريفا كاستاذة أبي حنيفة و لكنّه اختلف عنه فى توليه المناصب العامة فى الدّولة العبّاسيّة لفقده و حاجته انظر، ابن التّلم، الفهرست: ٢٨٦ .

^{٨٣٨} (٢) انظر، تفاصيل مناظرة أبي حنيفة و الإمام الصادق عليه السلام فى كتاب تذكرة الأئمّة للمجلسي: ٣٠ .

^{٨٣٩} (١) انظر، أبو زهرة، أبو حنيفة: ١٦٤ .

^{٨٤٠} (٢) انظر، الموفق المكي، مناقب أبي حنيفة: ٨٤ / ٢ .

^{٨٤١} (٣) سنة مولد مالك مختلف عليها، فقيل: أنّه ولد سنة (٩٠ أو ٩٣ أو ٩٤ أو ٩٥ أو ٩٦)، و لكن معظم من أرتخ للمالك يرجح سنة ٩٣ هـ. أبو زهرة، مالك: ١١. و هو مالك بن أنس بن أبي عامر الأصبحي اليميني، و ينتسب إلى قبيلة يمنية هي ذو أصبح إلى بطن من حمير يقال له ذو أصبح، نقله بعضهم . و فى تشتمة المختصر ما نصّه: مالك بن

للعلم، و مقرراً لكثير من العلويين. وكانت وفاة مالك سنة (١٧٩ هـ)، فعاصر الدولتين الأموية والعباسية. وعاش مالك فترة شبابه المبكر في ظل خلافة عمر ابن عبد العزيز، وما اتصفت به من عدل و زهد، فأصبح عمر لأبي حنيفة مثلاً أعلى للحاكم العادل^{٨٤٢}. وفي خلال العصر الأموي، لزم مالك الجماعة، ولم يخرج عن الطاعة فلم يدع إلى ثورة، ولكنه في نفس الوقت لم يدع إلى طاعة الخلفاء الأمويين ولم ينصرهم، بل إلتزم مالك الحياد من كل الثورات التي قامت في العصر الأموي ضد الخلفاء دون تحيز إلى أحد الفريقين^{٨٤٣}.

و تعرض الإمام مالك في كهولته لمحنة كبرى، فقد اضطهده الخليفة المنصور ثم ضربه والي المدينة سبعين سوطاً . فهل ترتبط هذه المحنة بموقفه من العلويين؟.

روى الإصفهاني أن الإمام ما لك لما خرج مع محمد النفس الزكية قال له رجل أنه ضعيف لا يقوى على القتال، فقال أنه أراد أن يقتدى الناس به . كما روى الإصفهاني أيضاً أن الفتوى التي أصدرها مالك كانت من العوامل التي دفعت بكثير من المسلمين إلى تأييد محمد النفس الزكية^{٨٤٤}، فقد قال لهم عن بيعتهم للمنصور : «إنما بايعتم مكرهين و ليس على مكره يمين»^{٨٤٥}.

و روى ابن قتيبة أن أحد العلويين قدم على مالك يعرض عليه ما نالهم من إيذاء و اضطهاد، فقال مالك له : «اصبر حتى يجيء تأويل هذه الآية: وَ نُرِيدُ أَنْ

نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ»^{٨٤٦}، أى أن مالكا كان يتوقع قيام دولة علوية^{٨٤٧}.

و نستطيع أن نقول أن مالكا كان يعطف على العلويين، ولكنه لم يتشيع أو يتأثر بتعاليم الشيعة . فقد كَوّن مالك لنفسه آراء سياسية تخالف آراء الشيعة تماماً. فقد كان يعترف بصحة خلافة أبي بكر و عمر و عثمان، و كان مالك يضعهم في مقدّمة

أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث الأصبحي نسبة لذي أصبح الحارث بن عوف من ولد يعرب بن قحطان. انظر، تنمّة المختصر لابن الوردی: (حياة الإمام مالك)، المدونة الكبرى: ٤/ ٦٦٦، حلية الأولياء: ٦/ ٣٣٩، وفيات الأعيان: ٤/ ١٣٦، تاريخ دمشق: ٥١/ ٢٣، تذكرة الحفاظ: ٣/ ١١٥١. و أنس بن مالك هذا غير أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه و آله إذ هو أنس بن مالك بن التضر بن ضمضم بن زيد الأنصاري الخارجي، و أنس أبو الإمام مالك تابعي.

انظر، المدونة الكبرى: ٦/ ٤٦٦، حلية الأولياء: ٦/ ٣٣٩، وفيات الأعيان: ٤/ ١٣٦، ترجمته في جوامع السيرة: ٢٧٦، كنز العمال: ٧/ ١٤٠، قاموس الرجال: ٢/ ٢٠٢. ولد الإمام مالك رضى الله عنه سنة إحدى أو ثلاث أو أربع أو خمس أو سبع و تسعين.

^{٨٤٢} (١) انظر، ابن عبد الحكم، سيرة عمر بن العزيز: ١٧.

^{٨٤٣} (٢) انظر، أبو زهرة، مالك: ٥٠.

^{٨٤٤} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٢٨٠-٢٨٣.

^{٨٤٥} (٤) انظر، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ٥٨، التحف شرح الزلف، لمجد الدين بن محمد المؤيدي:

٧٩، الطبعة الثالثة.

^{٨٤٦} (١) القصص: ٥.

^{٨٤٧} (٢) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ٢/ ١٤٨.

الصَّحابة، بينما كان ينظر إلى عليّ بن أبي طالب على أنّه صحابي مثله في ذلك مثل سائر الصَّحابة^{٨٤٨} و بذلك خالف الإمام مالك الإمام أبا حنيفة الذي يقدّم عليّ

ص: ٣٠٢

ابن أبي طالب على عثمان، كما خالف الإمام الشَّافعي الذي كان يشيد دائما بعليّ حتّى بالتَّشيع . و نستطيع أن نستنبط من اعتراف أبي حنيفة بصحة خلافة هؤلاء الرَّاشدين الثلاثة، أنّه لا يرى حصر الخلافة في البيت العلوي أو الهاشمي.

و يرى الشَّيخ أبو زهرة أنّ مالكا كان يحدث بحديث: «ليس عليّ مستكره طلاق»^{٨٤٩}، و صادف أن ذاع هذا الحديث و شاع في وقت ثورة محمّد النَّفس الزَّكيّة بالمدينة و اعتبره النَّاس تحريضا على البيعة للتَّأثّر، و التَّحلل من بيعتهم للمنصور، بل أنّ المنصور نفسه غضب على مالك و نهاه عن أن يحدث بهذا الحديث، حتّى إذا لم يستجب لأمره، ضربه والى المدينة بالسيّاط.

و يرى الشَّيخ أبو زهرة أيضا أنّ سبب المحنة ليس هو الحديث بالحديث وحده، بل التَّحديث به في وقت قيام هذه الثّورة العلويّة و استفادة الثّوار من هذا الحديث لتحريض النَّاس على الخروج مستفيدين من مكانة مالك في العلم و الإفتاء.

أمر والى المدينة جعفر بن سليمان بن العبّاس بضرب الإمام مالك بالسيّاط، فهل كان ذلك بأمر الخليفة المنصور؟.

نستنبط من رواية لابن قتيبة، أنّ المنص و غضب لما حاق بالإمام، حتّى أنّه عزل والى رغم صلة القرابة به، ثمّ اعتذر لمالك حين إلّقى به في موسم الحج بعد إعتذار مالك عن الرّحيل إلى بغداد^{٨٥٠} و يذكر الشَّيخ أبو زهرة^{٨٥١} أنّه لا يمكن أن

^{٨٤٨} (٣) انظر، القاضي عيّاض، ترتيب المدارك (مخطوط) القسم الأوّل من الجزء الأوّل: ٣٤٥، سأل أحد العلويّين الإمام مالك: «من خير النَّاس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله؟»

فأجاب مالك: أبو بكر.

فسأله: ثمّ من؟

فقال مالك: ثمّ عمر.

فسأله العلوي: ثمّ من؟

قال: الخليفة المقتول ظلما عثمان.

هذا يخالف لحديث ابن عمر عند ما سأله نافع مولى ابن عمر:

من خير النَّاس بعد رسول الله صلى الله عليه و آله؟

قال: و ما أنت و ذاك! لا أمّ لك.

ثمّ قال: استغفر الله، خيرهم بعده من كان يحل له ما كان يحل له، و يحرم عليه ما كان يحرم عليه؟.

قلت: من هو؟

قال: عليّ. سدّ أبواب المسجد و ترك باب عليّ».

انظر، الرّياض النّضرة لمحّب الدّين الطّبري الشَّافعي: ٢ / ٢٠٨، مجمع الزّوائد للهيتمي:

٩ / ١١٦، المناقب لابن المغازلي: ٢٥٧ ح ٣٠٩، العمدة لابن البطريق: ٩٠، كشف الغمّة للإربلي:

١ / ٣٤١، نصح الإيمان لابن جر: ٤٤٠.

^{٨٤٩} (١) انظر، أبو زهرة، مالك: ٥٨، مواهب الجليل للحطّاب الرّعيني: ١ / ٤٠، الإنقاء في فضائل الثّلاثة الأئمّة الفقهاء لابن عبد البرّ: ٤٣، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٨ / ٨٠.

^{٨٥٠} (٢) انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ٢ / ١٤٨ - ١٥١.

^{٨٥١} (٣) انظر، أبو زهرة، مالك: ٦٠.

ننفي أن ما لحق بمالك كان بعلم و رضا من المنصور الداهية الذي كان على علم بما يجري في بيت مالک، حتى أن المنصور كان يعرف أن مالكا كان يأمر

ص: ٣٠٣

خادمه بإدارة الرّحى حتى لا يسمع الجيران صوت ابنته تبكي معاناة من الجوع.

و لكن المنصور اضطر إلى الوقوف هذا الموقف من مالک، فأنكر أنه أم ر واليه بذلك لأنه لم يكن يتوقع روح السّخط الشّديدة التي شاعت في المدينة على الوالي العبّاسي.

عاصر الإمامان أبو حنيفة و مالک حركة تدوين الأحاديث في العصر العبّاسي^{٨٥٢} و قد تأثر علم الحديث بذلك الصّراع النّاشب بين العبّاسيين و العلويين. و وضع أنصار الفرقتين من الأحاديث ما تتمشى مع آرائهم و مصالحهم. فوضع العبّاسيون أحاديث تضيّ شرعية على توليهم الخلافة بإعتبارهم سلالة العبّاس عمّ الرّسول، و تضع الشيعة أحاديث تنتهي بحصر الخلافة في البيت العلوي، و أهل السّنة يجعلون الإمامة في قريش، و يجعل الخوارج الخلافة ح ق لكل مسلم. و لما كان العبّاسيون أكثر مالا و سلطانا، كان وضع الأحاديث لهم أوفر^{٨٥٣}.

^{٨٥٢} (١) يرى علماء الشيعة الإمامية أنّ عليّ بن أبي طالب عليه السلام هو أوّل من دوّن الحديث عن الرّسول صلّى الله عليه و آله، و قام بتصنيف الأحاديث النبوية، كما تعتمد الشيعة على الأحاديث التي رواها الصّحابي سلمان الفارسي و كان مشايخا لعلّي، و كان الأئمة العلوية كعلّي زين العابدين و محمّد الباقر و جعفر الصادق عليهم السلام من رواة الأحاديث. انظر، السّيد حسن الصّدر، تأسيس الشيعة: ٢٧٩.

^{٨٥٣} (٢) انظر، أحمد أمين، ضحى الإسلام: ١٢٦ / ٢ مثل الحديث الذي رواه التّرمذي عن ابن عبّاس فقال: « قال رسول الله صلّى الله عليه و آله للعبّاس: إذا كان غدا الاثنين فأتي أنت و ولدك حتى أدعوك لك دعوة ينفعك الله بها و ولدك، فغدا و غدونا معه، و ألبسنا كساء، ثم قال: أللهم اغفر للعبّاس و ولده مغفرة ظاهرة و باطنة لا تغادر ذنبا، اللهم احفظه في ولده».

انظر، سنن التّرمذي: ٥ / ٤٥٣ ج ٣٧٦٢، السّنة لأبي بكر أحمد بن محمّد بن هارون بن يزيد الخال، تحقيق: الدّكتور عطية الزّهراني، نشر دار الدّراية الرياض (١٤١٠ هـ): ١ / ٩٠ ح ٢٤، فضائل الصّحابة للإمام أحمد بن حنبل: ٢ / ٩٣٤ ح ١٧٩٠، تأريخ بغداد: ١١ / ٢٥، تأريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ٢٦ / ٢١٠ رقم «٥٦١٧»، تهذيب الكمال: ١٨ / ٥١٤، العلل المتناهية في الأحاديث الواهية لابن الجوزي: ١ / ٢٨٧.

و هذا حديث آخر، عن عطاء الخراساني قال قال رسول الله صلّى الله عليه و آله: «العبّاس عمتي و صنو أبي من آذاه فقد آذاني».

انظر، فيض القدير شرح الجامع الصّغير في أحاديث البشير النّذير لجلال الدّين السيوطي:

٤ / ٤٧٨ ح ٥٦٢١، قال: و ذكره أبو بكر الشّافعي في الغيلانيات عن عمر بن الخطّاب، تأريخ مدينة دمشق لابن عساکر: ٢٦ / ٣١٨ رقم «٥٦٤٣»، سبل الهدى و الرّشاد في سيرة خير العباد لمحمّد بن يوسف الصّالح الشّامي: ١١ / ٩٩.

قالت الدّكتورة اللّيثي: و من الأحاديث التي وضعتها الشيعة ما رواه الطّبراني، قال رسول الله صلّى الله عليه و آله

« خلافة في ولد و عمتي و صنو أبي حتى يسلموها للمسيح».

إن عشت أراك الدّهر عجا، لا أدري من هم رواة الحديث من الشيعة أيّها الدّكتورة و ممّن جئت به في ضحك المشهور، و لا أدري حقّا كيف لا تبحث الدّكتورة اللّيثي في سند و رواية الحديث بل أخذته على علاته حتى لو رواه من رواه هذا الحديث ورد في مجمع الزّوائد للهيتمي: ٥ / ١٨٧، بهذا النّص:

« لن تزال الخلافة في ولد عمتي صنو أبي حتى يسلموها إلى الدّجال ». ذكر ذلك الطّبراني في المعجم الكبير: ٢٣ / ٢٢٠ و رواه المتقي الهندي في كنز العمال: ١١ / ٧٠٦ ح ٣٣٤٣٦. هذا أوّلًا.

و ثانيا: حقّا أمّ استلموها منذ ذلك الوقت حتى يسلموها إلى الدّجال و ليس إلى السّيد المسيح عليه السلام الذي ينزل و يصلي خلف الإمام المهدي، و هنالك فرق كبير بين السّيد المسيح عليه السلام و الدّجال.

و ثالثا: لو سلمنا بهذا الحديث جدلا فهو من الأحاديث الموضوعية حتى و لو جاءت كلمة السّيد المسيح لربّما يقصد الرّسول صلّى الله عليه و آله به المسيح الدّجال، و ليس المسيح عيسى بن مريم عليه السلام.

و رابعا: ألم تعترف معي أيّها الدّكتور و كذلك الدّكتورة اللّيثي بأنّ الملك ظل في بني العبّاس إلى اليوم، و كيف لا تفرق أيّها الدّكتور، و كذلك الدّكتورة اللّيثي بين أولاد علي عليه السلام و بين عمّه العبّاس بن عبد المطلب؟.

ص: ٣٠٥

و يرى المستشرق (رونلنسن)^{٨٥٤} أن بعض من اهتموا بجمع الحديث قد وقعوا تحت تأثير الخلفاء العباسيين، في نفس الوقت حوت الصحاح السنّة كثيرا من الأحاديث التي تمدح عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و قد أقبل الناس في العصر العباسي على سماع هذه الأحاديث و كانت عاطفتهم قد أثّرت لما نزل من تنكيل بالأئمّة العلويين على أيدي الخلفاء العباسيين.

ص: ٣٠٧

الباب الثالث: جهاد الشيعة في عصرى الخليفين المهدي و الهادي

١- تطور فرقة الشيعة الإمامية و ظهور فرقة الشيعة الإسماعيلية

٢- موقف الشيعة الزيدّيّ و الإمامية من خلافة المهدي

٣- تشييع الوزير العباسي يعقوب بن داود و محاولته تحويل الخلافة إلى العلويين

٤- ثورة الحسين بن عليّ في عهد الخليفة الهادي

ص: ٣٠٩

٨٥٥

و خامسا: لو تكرم علينا أيّها الدكتور رحمك الله تعالى و المذكورة الليثي تذكر لنا أحد المصادر الشيعية القديمة و الحديثة لهذا الحديث، و من هو الذي وضعه من الشيعة و تشييع به؟. و سادسا: و لسنا بصدد دراسة كيف يجتمع المهديّ، و عيسى بن مريم فيجيء وقت الصلوة فيقول المهديّ لعيسى: تقدّم.

فيقول عيسى: أنت أولى بالصلاة، فيصليّ عيسى وراءه مأموما.

قال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص:

قلت: «فلو صليّ المهديّ خلف عيسى لم يجز لوجهين:

أحدهما: لأنّه يخرج عن الإمامة بصلاته مأموما فيصير تبعاً.

و الثاني: لأنّ النبيّ صليّ الله عليه و آله قال: «لا نبيّ بعدي» و قد نسخ جميع الشرائع، فلو صليّ عيسى بالمهديّ لتدنس وجهه لا نبيّ بعدي» بغير الشبهة. انظر، تذكرة الخواص: ٣٦٤.

انظر، فيض القدير: ٥ / ٣٠١، تحذيب ابن عساكر: ٢ / ٦٥، تفسير القرطبي: ٣ / ٢٩٠، الفتن لنعيم ابن حنّاد: ٢ / ٥٧٨ ح ١٦١٤، تأريخ مدينة دمشق: ٥ / ٣٩٥ ح ١٦٩ و: ٤٧ / ٥٢١، الفردوس بمأثور الخطّاب: ٣ / ٢٩٢ ح ٤٨٧٥، مناقب ابن المغازلي: ٣٩٥ ح ٤٤٨، فرائد السمطين: ٢ / ٣٣٢ ح ٥٩٢، كنز العمال: ٧ / ١٨٧ و: ٨ / ٢١٨ و: ١٤ / ٢٦٩ ح ٣٨٦٨٢ و: ١٦ / ١٩٦ ح ٤٤٢١٦، مسند أحمد: ٦ / ٣٠، نوارد الاصول: ١٥٦ الأصل ١٢٢، تفسير الطبري: ٣ / ٢٠٣ قطعة منه، الحاكم: ٣ / ٤١ ح ٤٣٥١، العرائس للعلّلي: ٢٢٧، بيان الشافعي: ٥٠٨ ب ١٢، عقد الدرر: ١٤٦ ح ٧، فتح الباري: ٧ / ٥، المنار المنيف: ١٥٢ فصل ٥٠ ح ٣٤٥، عرف السيوطي، الحاوي: ٢ / ٦٤، الجامع الصغير: ٢ / ٤٢٣ ح ٧٣٨٤ و: ٣ / ٤٢٩ ح ٧٥٥٩، جمع الجوامع: ١ / ٦٣١، الدر المنثور: ٢ / ٣٦، صواعق ابن حجر: ١٦٦ باب ١١ فصل ١، برهان المتقي: ١٥٩ باب ٩ ح ٥، أخبار الدّول: ٧٦ و فيه: «... و الشّهداء من أهل بيتي في وسطها»، السيرة الحلبية: ١ / ١٩٤، إسعاف الراغبين: ١٤٨، ينابيع المودة: ١٨٧ باب ٥٦ و: ٣ / ٣٤٣، نظرات في الكتب الخالدة: ٩٦، فيض القدير: ٥ / ٣٠١ ح ٧٣٨٤ عن الجامع الصغير.

^{٨٥٤} (١) انظر، رونلنسن، عقيدة الشيعة: ٢٨٠ - ٢٨١.

^{٨٥٥} ليثي، سميره مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

تطور فرقة الشيعة الإمامية و ظهور فرقة الشيعة الإسماعيلية

كانت فرقة الكيسانية أكثر فرق الشيعة نشاطا في أواخر العصر الأموي، بعد أن ركن أئمة الشيعة الإمامية إلى الهدوء، نتيجة الضربات المتوالية التي أصابت العلويين، وقد شهدنا الأحداث التي تطورت فأدت إلى قيام الدولة العباسية على أساس وصية إمام الشيعة الكيسانية أبي هاشم، وانتهى الأمر بالكيسانية إلى الاتجاه اتجاها آخر^{٨٥٦}، فهناك فريق صغير منها لا يزال يدعو إلى إمامة محمد بن الحنفية أو الحسن بن علي بن محمد، أو علي بن محمد، وفريق آخر أكبر عددا اتجهوا اتجاها متطرفا، فأصبحوا فرق الزنادقة الخطيرة^{٨٥٧} التي بدأ ظهورها في عهد الخليفة العباسي الثاني المنصور^{٨٥٨}.

ص: ٣١٠

أما فرقة الشيعة الزيدية، فكانت أكثر فرق الشيعة نشاطا في العصر العباسي الأول، فقد اتجهت إلى المقاومة الإيجابية للدولة العباسية، وأعلنت كثيرا من الثورات المسلحة ضد الخلفاء العباسيين، وقد شهدنا ثورة محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم، و سنشهد في عهد الخليفة الهادي حركة الحسين بن علي في الحجاز كما سنشهد في عهد هارون الرشيد حركتي يحيى وإدريس ابني عبد الله ابن الحسن. واستمرت حركات الشيعة الزيدية، حتى نجح الزيدون في إنشاء دولة زيدية في بلاد اليمن.

تطور فرقة الشيعة الإمامية:

أما فرقة الشيعة الإمامية، فقد لجأ زعيمها الإمام جعفر الصادق إلى الزعامة الروحية، دون القيام بدور سياسي إيجابي، محتذيا بذلك سياسة الإمامين السالفين. قال الصادق: سابعكم قائمكم^{٨٥٩}، وقيل صاحبكم قائمكم، ألا وهو سمي صاحب الثورة. ولما رأت الشيعة أن أولاد الصادق على تفرق، فمن ميّت

ص: ٣١١

^{٨٥٦} (١) انظر، الشهرستاني، الملل و التحل: ١ / ١٥١، قال الشهرستاني: «ثم اختلفت الكيسانية بعد انتقال محمد بن الحنفية في سوق الإمامة و صار كل اختلاف مذهباً»
^{٨٥٧} (٢) ذكر الشهرستاني، الملل و التحل: ١ / ١٥١ - ١٥٢، أن فرقة من فرق الكيسانية ذهبت إلى أن أبا هاشم أوصى إلى عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي فخرجت الإمامية إليه و تحولت روح أبي هاشم إليه، و عن هذه الفرقة ظهرت الحزمية، و المزدكية أبرز فرق الزنادقة، كما ظهرت فرق مغالية كالبيانية و الزمائية. انظر، كتابنا، الجذور التاريخية و النفسية للغلو، و الغلاة دراسة تحليلية في الهوية و الجذور لواقع الفرق المغالية
^{٨٥٨} (٣) كانت رسالتنا للمجستير عن حركة الزنادقة في العصر العباسي الأول و هي مطبوعة بمكتبة الإنجلو المصرية.
^{٨٥٩} (١) روت الموسوية عن الصادق أنه قال لأحد أصحابه: عد الأيام. فعدها من الأحد حتى بلغ السبت. فقال جعفر: كم عدت؟.

فأجاب: سبعة.

فقال جعفر: سبت السبوت، و شمس الدهور، و نور الشهور، من لا يلهو ولا يلعب، و هو سابعكم قائمكم هذا و أشار إلى ولده موسى الكاظم عليه السلام. و قال فيه أيضاً: أنه شبيه بعيسى عليه السلام. انظر، الملل و التحل: ١ / ١٦٨ و: ٢ / ٤، و يعتبر الزعم «٧» ذا أهمية قَدَسِيَّة عند الشيعة الإسماعيلية، و السبعة يقسمون ظواهر الكون و كثيرا من الأحداث التاريخية إلى هذا العدد.

و يرى الدكتور فيليب حنّي في تاريخ العرب: ٥٦٧ أن نظريتهم تنطبق إلى حدّ ما على الإفلاطونية الحديثة

في حال حياة أبيه و لم يعقب، و من مختلف في موته، و من قائم بعد موته مدة يسيرة، و من ميّت غير معقب، و كان موسى هو الذي تولى الأمر و قام به بعد موت أبيه، رجعوا.

كان للإمام جعفر الصادق ستّة أبناء ذكور، و هم محمّد^{٨٦٠}، و إسماعيل^{٨٦١}، و عبد الله^{٨٦٢}، و موسى^{٨٦٣}، و إسحق^{٨٦٤}، و علي^{٨٦٥}. و كان جعفر يعدّ ابنه إسماعيل

ص: ٣١٢

ليتولى الإمامة بعده. ثمّ حدثت أحداث كثيرة، نجدها مضطربة مختلفة في المصادر التّاريخيّة، و كتب الفرق و المذاهب، فتذكر المصادر السّنيّة أنّ إسماعيل

- ^{٨٦٠} (١) كان محمّد بن جعفر سخيا شجاعا و كان يصوم يوما، و يفطر يوما و يرى رأي الزّيدية في الخروج بالسّيف انظر، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/ ٢١١-٢١٣، كشف الغمّة للإربلي: ٢/ ١٨١، البحار: ٤٧/ ٢٤٣ ح ٢، إعلام الوري للطبرسي: ٢٩٣، المقالات و الفرق: ٨٦: فرق الشيعة: ٨٧، الملل و النحل: ١٦٧، المجدي في أنساب الطّالبيين: ٩٦، عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٠٧، الخرائج و الجرائع لقطب الدّين الزّاوندي: ٢/ ٧٣٦ ح ٤٩، فكلّ هذه المصادر تتكلّم عن حياته فلاحظها.
- ^{٨٦١} (٢) كان الإمام جعفر بن محمّد الصادق عليه السّلام يحبّ ابنه إسماعيل حبّا جما كما ذكر المروزي في الزّهد: ٣٤ حيث ذكر عن كتاب الحسين بن سعيد بلفظ: ... أخبرني أبو عبد الله عليه السّلام ببرّ ابنه إسماعيل.
- قال: كنت أحبّه و قد أزداد إليّ حبّا ... و كان إسماعيل أكبر أخوته كما يقول الشيخ المفيد في الإرشاد: ٢/ ٢٠٩، و قد مات إسماعيل في حياة أبيه بالعريض- وادي بالمدينة فيه بساتين نخل- و حمل علي رقاب الرّجال إلى أبيه بالمدينة حتّى دفن بالبقيع. و لسنا بصدد بيان حاله و ولادته، و من أراد ذلك فليراجع المصادر التالية
- إعلام الوري: ٢٨٤ و ٢٩٢، البحار: ٤٧/ ٢٤٢، كمال الدّين: ١/ ٧٠، و: ٢/ ٦٣٧ ح ٤٠، كتاب زيد الرّسي: ٤٩، إثبات الهداة: ٥/ ٤٩٣ ح ٦٠، كتاب التّحصيل لابن همام الإسكافي: ٣٧ ح ٢٢، الكافي: ٥/ ٢٩٩، الوسائل: ١٣/ ٢٣٠ ح ١، البرهان: ١/ ٣٤٢ ح ٥، و: ٢/ ١٣٨ ح ١، الوافي: ١٨/ ٩٥٤ ح ١١، الخرائج و الجرائع لقطب الدّين الزّاوندي: ٢/ ٦٣٧ ح ٣٩، الغيبة للنعمان: ٣٢٤ ح ١، تنبيه الخواطر: ٢/ ٢٥٣، التّهذيب: ١/ ٤٢٩، روضة الواعظين للفتّال التّيسابوري: ٥١٣، أمالي الشيخ الصدوق: ١٩٧ ح ٤، المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٤٠٠، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٠٠، كشف الغمّة: ٢/ ١٨٠.
- ^{٨٦٢} (٣) كان عبد الله أكبر أخوته بعد إسماعيل و لم تكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام كما يقول الشيخ المفيد في الإرشاد: ٢/ ٢١٠ و ٢١١، و: ٣٢٠ طبعة آخر، كشف الغمّة: ٢/ ١٨٠، البحار: ٤٧/ ٢٤٢ ح ٢. و انظر، المصادر السابقة.
- ^{٨٦٣} الشّاهر ليله قائما، القاطع نهاره صائما، المسّى لفرط حلمه و تجاوزه عن المعتدين كاظما، و هو المعروف عند أهل العراق بباب الحوائج ج إلى الله، و ذلك لنجح قضاء حوائج المسلمين و نيل مطالبهم و بلوغ مآربهم و حصول مقاصدهم.
- انظر، نور الأبصار: ٣٠١، إسعاف الراغبين المطبوع بمأمر نور الأبصار: ٢٤٦، الأنوار القدسية للسّنهوتي: ٣٨، الصّواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي: ١٢١، الرّوضة التّدية: ١١، ينابيع المودة: ٣/ ١١٧ طبعة اسوة.
- ^{٨٦٤} انظر، الإرشاد: ٢/ ٢٠٩ و ٢١١ حيث قال: و كان إسحاق بن جعفر من أهل الفضل و الصّلاح و الورع و الإحسان، و كان يقول بإمامة أخيه موسى عليه السّلام و روى النّصّ في إمامة أخيه موسى عن أبيه.
- انظر، المصادر السابقة أيضا. و زاد الشيخ المفيد على أولاد الصّادق عليه السّلام العباس، و وصفه بأنّه كان فاضلا نبيلًا و كذلك البحار، و إعلام الوري
- ^{٨٦٥} انظر، الدّيار البالي، تاريخ الخميس: ٢/ ٢٨٧، و كان لجعفر الصّادق ابنة واحدة هي أمّ مزوق.
- انظر، ابن الصّباغ، الفصول المهمّة: ٢١٢.
- في كتاب الفصول المهمّة لابن الصّباغ المالكي: ٢/ ٢٥٨ بتحقيقنا، أم فروة و هي التي زوّجها من ابن عمّه الخارج مع زيد- و هو الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السّلام-.
- انظر، الهداية الكبرى للخصيبي: ٢٤٧، و تأريخ ابن الحشّاب: ١٨٧. و انظر، أيضا الإرشاد: ٢/ ٢٠٩، عمدة الطّالّب: ٢٣٣، تأريخ أهل البيت عليهم السّلام: ١٠٥، و كشف الغمّة للإربلي: ٢/ ١٦١، المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٤٠٠. و اعتقد ما جاء في تأريخ الخميس كما تقول الدّكتورّة الليثي (مزق) هو خطأ مطبعي.
- كان عليّ بن جعفر راويا للحديث، سديد الطّريق، شديد الورع، كثير الفضل، و لزم أخاه موسى عليه السّلام و روى عنه شيئا كثيرا كما ذكر ذلك الشيخ المفيد في الإرشاد: ٢/ ٢١٤، و: ٣٢٢ طبعة آخر. و انظر، ترجمته في رجال الكشي: ٢٩٩ ح ٨٠٣ و ٨٠٤، و البحار: ٤٧/ ٢٦٣ ح ٣١ و ٣٢، و: ١٠٤/ ١٩٩ ح ١٩، إعلام الوري: ٢٩٣ و زاد «و قال بإمامة أخيه، و إمامة عليّ بن موسى، و محمّد بن عليّ، و روى عن أبيه النّصّ على موسى أخيه».

شرب الخمر، أو اتّصل بالشّعبة الغلاة و خاصّة الخطائيّة أتباع أبي الخطاب الأسدي^{٨٦٦}. ممّا ترتب عليه عدول جعفر الصّادق عن إمامة إسماعيل بعده^{٨٦٧}.

[النتيجتان الهامتان لعدول الإمام الصّادق عليه السّلام عن إمامة إسماعيل بعده]

و أدى ذلك إلى نتيجتين هامتين:

[النتيجة الأولى: ظهور القول بالبداء منسوباً إلى جعفر الصّادق]

الأولى: ظهور القول بالبداء^{٨٦٨} منسوباً إلى جعفر الصّادق، إذ قال: بدا الله في إسماعيل ابنيّ إذ اخترته قبليّ ليعلم ذلك أنّه ليس بإمام بعدى.

[أمّا النتيجة الثانية: الإنشقاق الخطير في صفوف الإماميّة]

أمّا النتيجة الثانية: فهي الإنشقاق الخطير في صفوف الإماميّة إلى اثني عشرية سافت الإمامة إلى موسى الكاظم، ثمّ ذريته من بعده و إسماعيليّة ترى الإمامة لا تكون إلى في الأعقاب، و لا تنتقل من الأخ إلى أخيه بعد الحسن و الحسين^{٨٦٩}.

أمّا مصادر الشيعة، فهي تنفي عن إسماعيل اتّهامه بشرب الخمر، أو عدول الإمام جعفر الصّادق عن العهد بالإمامة بعده لإسماعيل، بل أنّ جعفرًا حزن

لموته حزناً شديداً^{٨٧٠}. و لكن مصادر الشيعة تختلف في الإمامة بعد جعفر الصّادق و أدى هذا الاختلاف إلى آراء و تعاليم و عقائد عديدة شائكة و متشابكة.

و البحث في أبعاد هذا الإفتراق و الاختلاف، و الطّروف المحيطة بظهور فرقة الإسماعيليّة، عسير و شاق نتيجة الغموض الّذي أحاط بهذه المسائل كلّها، و الاختلاف الشّديد في الآراء، و خاصّة أنّ الدّعوة لإسماعيليّة كانت في تلك الفترة في

^{٨٦٦} (١) انظر، قال الشهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٧٩ عن هذه الفرقة: «أصحاب أبي الخطاب محمّد بن أبي زينب الأسدي الأجدع مولى بنيّ أسد، و هو الّذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمّد الصّادق عليه السّلام. فلما وقف الصّادق على غلوّه الباطل في حقّه تبرأ منه و لعنه، و أمر أصحابه بالبراءة منه و شدّد القول في ذلك. فلما اعطى منه ادعى الإمامة لنفسه. زعم أبو الخطاب أنّ الأئمة أنبياء ثمّ آله»

و قال بإلهية جعفر بن محمّد، و إلهية آبائه رضي الله عنهم، و هم أبناء الله و أحبّاءه، و الإلهية نور في التّوبة و التّوبة نور في الإمامة ... و لما وقف عيسى بن موسى صاحب المنصور عليّ خبث دعوته قتله بسبحة الكوفة و افتقرت الخطائيّة بعده فرقا» و هي فرق المعمرية، و البريغية، و العجلية، و المفضلية انظر، الأشعري، مقالات الإسلاميين: ١ / ١١ -

١٢، و كتابنا: (الجدور التّاريخية و التّفسية للغلو، و الغلاة دراسة تحليلية في الهوية و الجدور لواقع الفرق المغالية).

^{٨٦٧} (٢) انظر، ابن خلّكان، وفيات الأعيان: ٥ / ٩٠.

^{٨٦٨} (٣) كان المختار الثّقفي أوّل من دعا إلى القول بالبداء انظر، ابن نشوان، الحور العين: ١٨٣.

^{٨٦٩} (٤) انظر، أحمد صبحي، نظرية الإماميّة: ٣٧٨.

^{٨٧٠} (١) انظر، التّوحيّتي، فرق الشيعة: ٦٦ - ٦٩.

مرحلة السّتر والدّعوة السّريّة، ونحن دائماً في بحثنا هذا نلتزم سبيل الحياد التّام، فنعرض الآراء العلميّة المختلفة، و نناقشها، ولكن بدون تحيز، أو ميل و هوى^{٨٧١}.

ص: ٣١٥

[فرقة الشّيعَة الاثنا عشرية]

أمّا فرقة الشّيعَة الاثنا عشرية فهم : «الذين قطعوا بموت موسى الكاظم بن جعفر الصّادق، و سمّوا قطعيّة، و ساقوا الإمامة بعده في أولاده.

«فقالوا: الإمام بعد موسى الكاظم: ولده على الرّضا و مشهده بطوس^{٨٧٢}، ثمّ

ص: ٣١٦

^{٨٧١} (٢) لا نريد أن ندخل في حياة إسماعيل و شخصيته، و ما ورد من أخبار في ذمّه أو مدحه، و لكن ننقل بعض الروايات الّتي يذكرها الكشي، و الّتي توكّد إبتعاده عن منهج أبيه، و إستغلال الغلاة له.

عن حمّاد بن عثمان قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول للمفضّل بن عمر الجعفي :

« يا كافر، يا مشرك، مالك و لا بني، يعني: إسماعيل، و كان منقطاً إليه، يقول فيه يقول الخطّابيّة.

انظر، معرفة الرجال: ٣٢٠.

و عن الفيض قال: (قلت لأبي عبد الله: جعلت فداك! ما تقول في الأرض أتقبلها من السّلطان، ثمّ أوجرها آخريّن، على أنّ ما أخرج الله منها من شيء من ذلك، التّصف، أو الثّلث، أو أقلّ، من ذلك، أو أكثر؟.

قال: لا بأس به.

فقال له إسماعيل ابنه: يا أبا! لم تحفظ.

فقال عليه السلام: يا بني أو ليس كذلك، أعامل أكرهني؟ إنّ كثيراً ما أقول لك الزمني فلا تفعل فقام إسماعيل فخرج.

فقلت: جعلت فداك! و ما عارى إسماعيل ألا يلزمك، إذا كنت أفضيت إليه الأشياء من بعدك، كما أفضيت إليك بعد أبيك؟

قال: فقال: « يا فيض! إنّ إسماعيل ليس كائنًا من أبي!.

قلت: جعلت فداك! فقد كنّا لا نشك أنّ الرّجال ستحطّ إليه من بعدك، و قد قلت فيه ما قلت. انظر، إختيار معرفة الرجال ص: ٣٥٤.

و عن عنبسة العابد قال: كنت مع جعفر بن محمّد عليه السلام بباب الخليفة أبي جعفر بالحيرة، حين اوتي ببسام، و إسماعيل بن جعفر بن محمّد، فأدخلوا على أبي جعفر فأخرج بسلام مقتولا، و اخرج إسماعيل ابن جعفر بن محمّد.

قال: فرجع جعفر، رأسه إليه: « أفعلتها يا فاسق؟ أبشر للثّار».

انظر، المصدر السابق: ٢٤٥.

و لا نريد أن نناقش سند الرواية؛ لأنّ فيها محمّدا بن نصير، فإن كان هو التّميمي؟ فهو غال، و خبيث

و الشّيخ المفيد؛ لم يذكر في إسماعيل مدحا، و لا ذمّا، و لكنّه قال:

و كان إسماعيل أكبر الإخوة و كان أبو عبد الله شديد المحبّة له، و كان قوم من الشّيعَة يظنون أنّه القائم بعد أبيه، و الخليفة من بعده، إذ كان أكبر إخوته سنّا، و لميل أبيه إليه، و إكرامه له. فمات في حياة أبيه عليه السلام بالعريض، و حمل على رقاب الرّجال، إلى أبيه في المدينة، حتّى دفن في البقيع

انظر، فرق الشّيعَة ص: ٥٧، عبيد الله المهديّ الدّكتور حسن إبراهيم، طه شرف ص: ٣١، مطبعة الشّيكشي بالأزهر/ نشر التّهضة المصريّة (١٩٤٧ م).

و روي أنّ أبا عبد الله عليه السلام جزع عليه جزعا شديدا، و حزن عليه حزنا عظيما، و تقدّم سريره بغير حذاء، و لا رداء، و أمر بوضّع سريره على الأرض قبل دفنه مرارا كثيرة، و كان يكشف عن وجهه و ينظر إليه، يريد بذلك تحقيق أمر وفاته عند الطّائفتين خلافته من بعده، و إزالة الشّبهة عنهم في حياته. و «خوفا من ادّعاء الغلاة بغييته، و رجعت لا خوفا عليه من المنصور»، كما يقول الدّكتور التّشّار. راجع نشأة الفكر الفلسفي الدّكتور سامي التّشّار: ٢ / ٣٧٤.

و لما مات إسماعيل، انصرف عن القول بإمامته بعد أبيه من كان يظنّ ذلك، فيعتقد من أصحاب أبيه . و أقام على حياته شزيمة، لم تكن من خاصّة أبيه، و لا من الزّوا عنه . و كانوا من الأباعد، و الأطراف، فلمّا مات الصّادق عليه السلام؛ انتقل فريق منهم إلى القول بإمامة موسى بن جعفر عليه السلام، بعد أبيه

^{٨٧٢} (١) و هو الّذي بايعه الخليفة العبّاس المأمون وليا لعهد، كما ستشهد في الباب التّابع من هذا البحث

بعده محمد التقي الجواد أيضا، و هو في مقابر قريش ببغداد . ثم بعده علي بن محمد التقي و مشهده بسامراء . و بعده الحسن العسكري الزكي . و بعده ابنه محمد القائم المنتظر الذي هو بسر من رأى و هو الثاني عشر»^{٨٧٣}.

و قالوا «بانتقال الإمامة من الصادق إلى ابنه عبد الله الأفتح»^{٨٧٤}، و هو أخو إسماعيل من أبيه و أمه، و أمهما فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن علي، و كان أسن أولاد الصادق زعموا أنه قال: «الإمامة في أكبر أولاد الإمام.

و قال: الإمام من يجلس مجلسي . و هو - أبي عبد الله - الذي جلس مجلسه، و الإمام لا يغسله و لا يصلي عليه و لا يأخذ خاتمه و لا يواريه إلّا الإمام . و هو - أي عبد الله - الذي تولى ذلك كله . و دفع الصادق وديعة إلى بعض أصحابه و أمره أن يدفعها إلى من يطلبها منه و أن يتخذها إماما . و ما طلبها منه أحد إلّا عبد الله، و مع ذلك ما عاش بعد أبيه إلّا سبعين يوما، و مات و لم يعقب ولدا ذكرا»^{٨٧٥}.

و ليست خطورة الإنشقاق بين الاثني عشرية و الإسماعيلية راجعة إلى مجرد

ص: ٣١٧

الخلافا حول الإمامة بعد الصادق أو في حياته، و هل هي في إسماعيل أم في أخيه موسى، ذلك أن الإختلاف بين الطائفتين في العقائد ليس مجرد خلافا حول شخصين أو إمامة أحد الأخوين، لأن من الخطأ نسبة الحركات إلى أشخاص دون إدراك الإختلافات الجذرية وراء الأشخاص . و ظهور طائفة الإسماعيلية يرجع إلى عوامل كثيرة تتعدى كثيرا مجرد اتهام إسماعيل بشرب الخمر، أو وفاته في حياة أبيه، و يبدو أنه لا يمكن الفصل بين ظهور طائفة الإسماعيلية و قيام الدولة العباسية التي قامت تحت ادعاء أحقية أهل البيت في الخلافة، ثم تمكن أبناء العباس أن يستأثروا بالأمر دون العلويين . و لذا كان قيام الدولة العباسية صدمة كبرى بالنسبة للبيت العلوي^{٨٧٦}.

ظهور الدعوة الإسماعيلية:

تطورت الدعوة الإسماعيلية و اتجهت إلى السرية، و قد بدأت الإمامة بإسماعيل ثم ابنه محمد الذي أصبح الإمام السابع، و استتر الأئمة الإسماعيليون، بينما تولى دعائهم الدعوة جهرا، و يشير الشهرستاني إلى تطور الشريعة الإسماعيلية فيقول : «قالوا: و بعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام، و إنما تم دور السبعة به، ثم ابتدئ منه بالأئمة المستورين الذين

^{٨٧٣} (١) انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٦٩ .

^{٨٧٤} (٢) انظر، أطلق عليه اسم الأفتح لوجود فطح في قدميه و تعتقد بعض الشيعة أنه من الضروري أن يكون الإمام خاليا من أي عاهة . و لقب بالأفتح؛ لأنه أفتح الرأس، أي ذو رأس عريض الرأس بين الفطح و التقطيع مثله، و رأس أفتح و مفتح : عريض، كما جاء في لسان العرب : ٢ / ٥٤٦، و قيل : لأنه أفتح الزج لين كما جاء في معجم الفرق الإسلامية: ١٨٦ .

الفتحية: قالوا: إن الإمامة لم تنتقل من الصادق إلى ولده إسماعيل، و لا إلى ولده موسى الكاظم، بل إلى ولده الأكبر، و هو عبد الله الأفتح. و هم من الفرق البائدة، و لا يوجد منهم أحد.

كان عبد الله أكبر إخوانه بعد إسماعيل، و لم تكن منزلته عند أبيه كمنزلة غيره من ولده في الإكرام كما يقول الشيخ المفيد في الإرشاد : ٢ / ٢١٠ و ٢١١، و : ٣٢٠ طبعة آخر، كشف الغمّة: ٢ / ١٨٠، الأنساب للسمعاني: ٤ / ٣٩٥، المجدي في أنساب الطالبين: ٩٥ .

^{٨٧٥} (٣) انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٦٧ .

^{٨٧٦} (١) انظر، دكتور أحمد صبحي، نظرية الإمامة: ٣٨١ .

كانوا يسرون في البلاد سرّاً، و يظهرون الدّعاة جهراً. و قالوا و لن تخلو الأرض قطّ من إمام حي قائم، أمّا ظاهر مكشوف، و أمّا باطن مستور»^{٨٧٧}.

لجأ أئمة الإسماعيليّة إلى نشر دعوتهم في الخفاء، و في بلاد بعيدة عن مركز

ص: ٣١٨

الدّولة العبّاسيّة ليتجنّبوا اضطهاد العبّاسيين^{٨٧٨}. و اتخذ أئمة الإسماعيليّة مدينة السّلمية بالشّام مركزاً لنشر هذه الدّعوة، و كانوا يبعثون من هذه المدينة الدّعاة إلى كافّة الأقطار الإسلاميّة و يعهدون في تنظيم الدّعوة إلى كبار الدّعاة الذين كان يطلق عليهم في هذا الدّور، و هو دور السّتر، نواب الأئمة أو الحجج، و هؤلاء يبعثون دعاة لنشر المذهب الإسماعيلي في أرجاء العالم الإسلامي^{٨٧٩}.

دخلت قرية السّلمية أبواب التّاريخ، و هي مدينة تاريخيّة قديمة^{٨٨٠}، و قد عاش فيها الأئمة الأربعة المستورون من ولد إسماعيل بن جعفر الصّادق، و هم الذين خطّطوا للدّولة الفاطميّة التي ظهرت فيما بعد في المغرب و مصر، و أوجدوا الحركة الإسماعيليّة القرمطيّة في الشّام، و العراق، و البحرين، و فارس، و اليمن، و هي التي قامت بدور كبير في تأريخ الشرق الإسلامي نحو مئة و خمسة و عشرين عاماً^{٨٨١}.

و فكرة سرّيّة الدّعوة كانت فكرة قديمة، استحدثها الرّسول صلّى الله عليه و آله، فقد دعا إلى الإسلام سرّاً في دار الأرقم بن الأرقم^{٨٨٢}، ثم اختفى في غمار ثور حين تتبعتة

ص: ٣١٩

^{٨٧٧} (٢) انظر، الشّهستاني، الملل و النحل: ١/ ١٩٢.

^{٨٧٨} (١) هرب محمّد بن إسماعيل إلى الرّي و منها إلى جبل دماوند قرب الرّي و استقر في قرية أخذت اسمه، فأصبح اسمها (محمّدآباد)، و ظل مختفياً طوال عهود المهدي (١٥٨-١٦٩ هـ) و المهدي (١٦٩-١٧٠ هـ) و الرّشيد (١٧٠-١٩٣ هـ).

^{٨٧٩} (٢) انظر، حسن إبراهيم، تأريخ الدّولة الفاطميّة: ٣٩-٤٠.

^{٨٨٠} (٣) يرجع تأريخها إلى عهد السّومريّين، و عاصرت الأمويّين و الآراميّين و الآشوريّين و اليونان و الرّومان، و يرجع اسمها إلى معركة (سلاميس) التي انتصر فيها اليونان على الفرس (٤٨٠ ق.م).

قال ياقوت عنها في كتابه (معجم البلدان) «سلمية بليدة في ناحية البرية من أعمال حمّاه بينهما مسيرة يومين».

^{٨٨١} (٤) انظر، عارف تامر، القرامطة: ٥٦.

^{٨٨٢} (٥) انظر، ذخائر العقبي، الطّبري: ١٧٤، المستدرك على الصّحاحين: ٣/ ٣٠٩، تحفة الأحوذى: ١٠/ ١٢٨، كنز العمال: ١٢/ ٥٥١ ح ٣٥٧٤٢، تأريخ مدينة دمشق لابن عسّاكر: ٣٠/ ٤٨-٥٣، البداية و النّهاية لابن كثير: ٣/ ٤١، السّيرة النبويّة لابن كثير: ١/ ٤٤١، سبل الهدى و الرّشاد في سيرة خير العباد لمحمّد بن يوسف الصّالحى الشّامي: ٢/ ٣٢٠ و: ١١/ ٩٠، السّيرة الحلبيّة للحلي الشّافعي: ٢/ ٥ طبعة البهية بمصر، الحافظ الدّمشقي في الأربعين الطّوال (مخطوط): ورق (٦٥) في المكتبة الطّاهريّة دمشق، الرّياض النّضرة في مناقب العشرة: ١/ ٣٩٩ رقم «٣١٥» طبعة محمّد أمين الخانجي بمصر، اسد الغاية لابن الأثير: ٥/ ٥١٩، كتاب المنقّ في أخبار قريش، لمحمّد بن حبيب المتوفّى عام (٢٤٥ هـ) تصحيح خورشيد أحمد فاروق: ٣٣٩، طبعة عالم الكتب، فضائل الصّحابة للإمام أحمد بن حنبل: ١/ ٢٨١ ح ٣٧١، الإصابة لابن حجر العسقلاني: ٧/ ٧٠٩ رقم «١٣٢٥».

انظر، تأريخ الطّبري: ١٧٤، المستدرك على الصّحاحين: ٣/ ٣٠٩، تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي لعبد الرّحيم المباركفوري الهندي المتوفّى سنة «١٣٥٣ هـ»: ١٠/ ١٢٨، كنز العمال:

١٢/ ٥٥١ ح ٣٥٧٤٢.

قريش يوم الهجرة. ولما اشتد تشديد الخلفاء العباسيين في طلب آل البيت، اتخذ دعاة الشيعة من الإسماعيلية بوجه خاص دور الهجرة في البلاد التي قاموا بها بشر المذهب الشيعي^{٨٨٣}.

و تختلف الدعوة السرية التي لجأت إليها الإسماعيلية عن (التقية) عند الشيعة الإمامية في عدة وجوه . فقد فسر هؤلاء الشيعة ركون أئمتهم إلى الهدوء، أو إلى ما نسميه بالإمامة الروحية، بأنه (تقية)، وجعلوها تسعة أعشار الدين^{٨٨٤} و التقية تتخذ شكلا سلبيا غالبا فهي تعتمد على كتمان الدعوة و توقف النشاط بينما الدعوة السرية في دور الستر هي نشاط إيجابي سرى. قد دافع أحد كتاب الشيعة الإمامية عن فكرة التقية عند هذه الفرقة، فقال إن تعرض أئمتهم للإضطهاد و التنكيل دفعهم إلى «إستعمال التقية بمكاتمة المخالفين لهم و ترك مظاهرهم و ستر إعتقاداتهم و أعمالهم المختصة بهم عنهم، لما كان يعقب ذلك من الضرر في

ص: ٣٢٠

الدين و الدنيا»^{٨٨٥}، ثم يستدرك الكاتب الشيعي فيقول: «و ليس معنى التقية عند الإمامية أنها تجعل منهم جمعية سرية لغاية الهدم و التخريب، كما أنه ليس معناها أنها تجعل الدين و أحكامه سرا من الأسرار لا يجوز أن يذاع لمن لا يدين به»^{٨٨٦}.

و يرى الشيخ أبو زهرة أن موضوع التقية هو «إعلان التشيع»^{٨٨٧} فكانت التقية ألا يعلن المتشيع شيعته و لا يظهر من أعماله ما يدل على موالاته لآل على موالاته ولاية، و لا موالاته محبة ... فالمحبة كانت واضحة من بعض الشعراء و العلماء^{٨٨٨}، و لكنها في مظهرها محبة تقدير، لا محبة ولاية، و هي أيضا ليست تشيعا.

و يرى المستشرق (جولد تسيهر) أن عجز الشيعي عن المجاهرة بعقيدته الحقيقية التي يؤمن بها هو في نفس الوقت مدرسة للسخط الذي تكنه الشيعة لخصومهم الأقوياء، و هو سخط مبعثه عاطفة من الغضب و الثورة، و كان من نتائجه ظهور تعاليم تخالف مبادئ الإسلام السنني^{٨٨٩}.

بدأت الدعوة الإسماعيلية بجهود ميمون القداح و ابنه عبد الله، و كان ميمون مولى لإمام الشيعة الإمامية جعفر الصادق . و أخبار الوالد و الابن مضطربة جدا في المصادر التاريخية، السننية و الشيعية، و الروايات حولهما متعددة مختلفة.

ص: ٣٢١

فيرى البعض^{٨٩٠} أن ميمونا^{٨٩١} هو محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق^{٨٩٢}.

^{٨٨٣} (١) انظر، حسن إبراهيم، تاريخ الدولة الفاطمية: ٣٤.

^{٨٨٤} (٢) انظر، الكليني، أصول الكافي: ٤٠٠.

^{٨٨٥} (١) انظر، المظفر، عقائد الإمامية: ٨٤ - ٨٥.

^{٨٨٦} (٢) تبلورت فكرة التقية في عهد الإمام جعفر الصادق، فكان يقول: «التقية ديني و دين آبائي و لا دين لمن لا تقية له و إن المذيع لأمرنا كالجاحد به»، كما قال التتوخي: نفس المهموم لظلمنا تسبيح، و همه لنا عبادة، و كتماننا سزا جهاد في سبيل الله».

^{٨٨٧} (٣) انظر، أبو زهرة، الإمام الصادق: ٢٤٤.

^{٨٨٨} (٤) انظر، أمثال: الفرزدق، و كثير عزة، و الإمام أبو حنيفة.

^{٨٨٩} (٥) انظر، جولد تسيهر، العقيدة و الشريعة في الإسلام: ٢٠٢.

^{٨٩٠} (١) انظر، مثل ruomeM ecnirP (و برنارد لويس، انظر، تاريخ الدولة الفاطمية للدكتور حسن إبراهيم: ٤٠، و مثل: عارف تامر، القرامطة: ٨٦.

و يذكر ابن النديم، و البغدادي^{٨٩٣} أن ميمونا من نسل ديسان النوى^{٨٩٤} الذي تنتسب إليه فرقة الديصانية و المجوسية . و لكننا و نحن نذكر مختلف الآراء، ندرك مدى عداء كتب السنة للشيعة، و للفاطميين خاصة.

و دخلت الدعوة الإسماعيلية على يد عبد الله بن ميمون في دور جديد، و أصبحت الأهواز^{٨٩٥} مركزا لنشاط عبد الله بن ميمون، و منها أرسل دعائه إلى أماكن متفرقة، و عادت عليه الدعوة بأموال طائلة، و كان يخفي دعوته وراء ستار التشيع و العلم، و حاول أن يتنبأ فلم يجد إستجابة له، و ثارت ضدة الشيعة و المعتزلة، و اقتحموا داره فهرب إلى البصرة، و معه داعية من دعائه هو الحسين

ص: ٣٢٢

الأهوازي، و دعا إلى محمد بن جعفر الصادق، و لكنه ما لبث أن هرب هو و داعيته الحسين الأهوازي إلى (سلمية) حيث رزق بابنه أحمد، الذي تولى الدعوة بعد أبيه، و بعث الحسين الأهوازي داعية إلى العراق و هناك إلتقى بمحمد بن الأشعث المعروف بقرمط^{٨٩٦}، في سواد الكوفة^{٨٩٧}.

^{٨٩١} (٢) هو ميمون بن ديسان القذاح مولى الإمام الصادق، و أخذ يدعو إلى إمامة محمد بن إسماعيل، و كَوْن فرقة أطلق عليها الميمونية. راجع الفهرست لابن التميمي ص: ٢٦٤، دار المعرفة بيروت (١٩٧٨ م).

^{٨٩٢} (٣) تنسب إلى ميمون، و هو من أهل بلخ. تفرعت عن العجاردة، و ادّعت هذه الفرقة: بأن سورة يوسف، ليست من القرآن، و لا سورة (حاميم عين سين قاف). و أجازوا هؤلاء نكاح بنات البنين، و بنات البنات، و بنات بنات الإخوة و الأخوات

انظر، نشوان الحميري، الجور العين: ١٧١، الفرق بين الفرق ص: ٥٤، كشف إصطلاحات الفنون للفنوني: ١٥٥/٢، الملل و النحل: ١٩٠/٤، شذرات الذهب: ٣٤٨/٢.

^{٨٩٣} (٤) انظر، ابن التميمي، الفهرست: ٢٦٤، البغدادي، الفرق بين الفرق: ١٩٦، و يذكر البغدادي أن ميمونا كان مولى للإمام جعفر الصادق.

^{٨٩٤} (٥) كان الجوس يدعو إلى وجود إلهين، أحدهما إله الخير و رمزه النور، و الآخر إله الشر و رمزه الظلام، و اشهر فرقهم : الزرادشتية، و المانوية، و المزدكية، و الديصانية، و المرقونية. انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ٣٥-٥٨.

^{٨٩٥} (٦) الأهواز: سبع كور بين البصرة و فارس. انظر، ياقوت الحموي، معجم البلدان.

^{٨٩٦} (١) قرمط: هناك تفسيرات كثيرة لهذا اللفظ، منها أن حمدان بن الأشعث أطلق عليه هذا الاسم لأنه كان يقرمط في سيره إذا مشى، أي يقارب بين خطواته، و منها أنه لُقّب بهذا اللقب لأنه كان أحمر البشرة تشبهاً له بالقرم و هو الطوب الأحمر (الأحمر) و أصل هذه الكلمة يوناني idimareK (و يرى البعض أن اللفظ مأخوذ من (قرمط) أي غضب و عيب و يَمَن يأخذون بهذا الرأي (دي لاسي) و (برنارد لويس) و يرى الأب إنستاس ماري الكرملّي أن اللفظة آرامية (نبطية) مشتقة من (قرمطونا) أي المدلس أو الخبيث أو المكار أو المخل أو (قرمط) و هي التدليس أو الخبيث، و هذه التسمية لم يتخذها الإسماعيليون، بل أطلقها عليهم في العهود المبكرة لدعوتهم . انظر، الحاشية في كتاب اتعاظ الحنفا: ٢٦، و كتاب القرامطة لعارف تامر: ٦١.

و القرامطة، فرقة باطنية، معروفة، يترجمها، حماد قرمط . و هو من تلامذة رجل كحال، إيراني يدعى: «عبد الله، بن ميمون القذاح، الأهوازي»، أحد زعماء الإسماعيلية.

انظر، شذرات الذهب: ٣٤٨/٢.

و كان قرمط هذا: فقيراً، باتساً، من فلاحي العراق، لكنه كان منجماً. و تراءى له أن السلطنة ستخرج من أيدي العرب، إلى الإيرانيين، فسارع، و أسس فرقة باطنية، مركزها التبليغي الكوفة.

و انتشرت دعوته بعد أن مدّ ثورة الزنج في البصرة. و تمكنت هذه الفرقة، من تشكيل دولة قوية، بقيادة أبي سعيد حسن الجنابي، و هو من دعاة القرامطة، و اتخذ الإحساء، عاصمة له عام (٢٨٦ هـ).

انظر، البداية و النهاية: ٢٥٤/١١، الكامل في التاريخ: ١٦/٧، القرامطة للجويري: ٦٧.

و من عقائد القرامطة: الحلول، ثم القول: بالوهمية، محمد بن إسماعيل بن جعفر.

و منهم من قال: بالوهمية أبي سعيد: الحسن بن بجرم الجنابي، و أبنائه بعده

و منهم من قال: بالوهمية أبي القاسم: البخار، المسمى ب(المنصور).

انظر، الحضارة الإسلامية: ٧٢/٢، القرامطة: ٤٣.

و يرى الشهرستاني: بأن القرامطة، و الإسماعيلية، و المبركية، هم فرقة واحدة، و لكن أسماءهم، تختلف من قطر إلى قطر، و قال: إن أشهر ألقابهم «الباطنية». ففي العراق يسمون بالباطنية، و القرامطة، و المزدكية، و في خراسان ب(التعليمية، و الملحدة...).

انظر، الملل و النحل: ١٩٢/١.

و بعد موت أحمد بن عبد الله بن ميمون القدّاح، خلفه في الدّعوة ابنه الحسين حتّى إذا مات خلفه أخوه محمّد المعروف بأبى الشّلع^{٨٩٨}، الذي بعث داعيتين من دعائه إلى المغرب، وهما أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن محمّد وأخوه أبو العباس محمّد فأستمالا قبيلتين من البربر^{٨٩٩}. واستمرت الدّعوة الإسماعيليّة في طريقها حتّى نجحت في تمهيّ د بلاد المغرب لقيام الدّولة الفاطميّة ممّا يخرج على نطاق هذا البحث.

ولا شكّ في أنّ الجهود التي بذلتها الشيعة لتأسيس خلافة علويّة بالشّام قد قضى عليها، فلم ير الأئمّة بدءًا من الإستتار ليدروا عن أنفسهم ما أضمره لهم العبّاسيون من حق و نقمة . ثمّ اتّجهوا إلى نشر دعوتهم في بلاد المغرب، تمهيدا لإقامة دولة علويّة، أصبح أسمها (الدّولة الفاطميّة).

مات محمّد بن إسماعيل، والعالم الإسلامي تنقّح فيه الآراء المتباينة، فهناك فرق الإسماعيليّة الأولى، و المباركيّة، و الخطّابيّة، و تولى الإمامة الإسماعيليّة من بعده عبد الله بن محمّد بن إسماعيل المعروف بالرّضى أو النّاصر أو العطار (سنة ١٦٩ هـ)، و هي السّنة التي مات فيها الخليفة العبّاسيّ المهدي، و تولى فيها

الخليفة الهادي. و قام ميمون القدّاح فترة قصيرة، ثمّ توفّي بعد أن أوصى بها لابنه عبد الله ابن ميمون . و تطورت العقيدة الإسماعيليّة في عهد هذا الإمام و صحبته، و أخذت تجمع بين مختلف الآراء . و أخذت طريقها كدعوة مسلحة بالفلسفة اليونانيّة و الغنوصيّة^{٩٠٠}، مكوّنة مزيجا لا مثيل له في تاريخ الإسلام الفكري^{٩٠١}.

و بعد الإمام عبد الله ا لرّضى، خلفه ابنه أحمد سنة (٢١٢ هـ)، في عهد الخليفة المأمون، و سنتحدث عن الإمامين في الأبواب التالية من هذا البحث، و لكننا نشير هنا إلى اتّجاه الإسماعيليّة إلى الدّعوة و الحركات السّريّة. فلم يعرف عن الإمام عبد الله علم ظاهر، و ظلت تعاليم الإمام مقتصره على حججه، أي كبار الدّعوة الذين أطلق عليهم أيضا اسم أبواب (جمع باب).

دافع أحد كتّاب الشيعة الإسماعيليّة^{٩٠٢} عن اتّجاه الإسماعيليّة إلى الحركات السّريّة فقال : للإسماعيليّة سحر خاصّ، و جاذبية قويّة كانت تهفو بنفوس فريق من النّاس، و تبلغ منهم مبلغا يدفعهم إلى الم خاطرة و المجازفة و قبول الطّاعة العمياء

^{٨٩٧} انظر، المقرئ، اتعاط الحنفا: ٢٥-٢٦، يذكر ابن التّدم أنّ الذي خلف عبد الله بن ميمون في الدّعوة هو ابنه محمّد انظر، الفهرست: ٢٥٦.

^{٨٩٨} (٣) انظر، ابن التّدم، الفهرست: ١/ ٢٦٥، ابن عنبه، عمدة الطّالِب: ٢٣٤، الفخري العمري، المجدي في أنساب الطّالِبين: ١٠١ هامش رقم «٥».

^{٨٩٩} (٤) انظر، المقرئ، اتعاط الحنفا: ٢٦.

^{٩٠٠} (١) انظر، ١٣-٢٠ /redneaL deirF. L /ehT ehT P ,seixodorerteH

الغنوصيّة: مذهب تلفيقي يجمع بين الفلسفة، و الدّين، و يتوصل بنوع من الكشف إلى المعارف العليا، و يقوم على أساس فكرة الصّدور، و مزج المعارف الإنسانيّة بعضها ببعض، و يشتمل على طوائف من الآراء المضنون بها على غير أهلها، و فيه تلتقي الأفكار القباليّة بالافلاطونيّة الحديثة و بعض التعاليم القرويّة، و كان له أثره في التّفكير الفلسفيّ في المسيحيّة و الإسلام و يقصد بالغنوصيّة الآن المذاهب الشّرقية، كالترادشيّة، و المانويّة، و المزدكيّة

^{٩٠١} (٢) انظر، النّشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢ / ٣٩٠.

^{٩٠٢} (٣) انظر، عارف تامر، القرامطة: ٧٨.

و الإستسلام المطلق . و الواقع أنّ فى الكتمان، و السّرية، و الخفاء و الغموض ما يستهوى الخيال و يرغب النّفوس، و ما الحركات السّرية إلّا ممثلة

ص: ٣٢٥

بالولع البدائى المجهول . فهى تمثل قوّة مصدرها جامعة من الأفراد اجتمعوا ليقوموا بعمل يعجز عنه الفرد بنفسه . و لا تقوم الحركات السّرية، أو تزدهر إلّا حين تضطرب الحياة الإجتماعيّة و يسود الطّغيان و الإستبداد . فيثور البعض على هذه الأوضاع مدفوعين ببواعث مختلفة، فمنهم من يريد السّيطرة و السّّلطة و منهم من يريد التّحرر . و الحركة الإسماعيليّة لم يكن لها نظير فى إجتذاب النّاس من مختلفى الاتّجاهات، فكان منهم المخلصون و العلماء و الفدائيون، و الأعزاز المندفعون و المغامرون قساة القلوب . أمّا تنظيمات الإسماعيليّة و أساليب دعايتها العجيبة فهى تقوم على إدراك عميق لنفسيات الشّعوب.

أصبح محمّد بن إسماعيل بن جعفر الصّادق الإمام السّابع الحقيقى، ثمّ خلفه فى الإمامة أخلافه فى سلسلة متّصلة، و كانوا أئمة مستترين متخفين، اجتنبوا المجاهرة، حتّى ظهر الإمام عبد الله المهدي مؤسس الدّولة الفاطميّة بالمغرب .

اهتم أئمة الإسماعيليّة بتنظيم دعوتهم، و بإختيار الدّعاة ممّن يطيعون الأوامر و ينفذونها بإخلاص و دقّة . و لم يكن الدّعاة الإسماعيليون سواء، بل كانت هناك مراتب متسلسلة، بلغت اثنى عشر مرتبة و هى:

(إمام، حجة أو باب، داعى دعاة، داعى بلاغ، داعى مطلق أو نقب، داعى مأذون، داعى محصور، جناح أيمن أو يد يمينى، جناح أيسر أو يد يسرى، مكاسر، مطالب، مستجيب).

أمّا الإمام، فهو أعلى سلطة و مصدر كلّ قانون أو تنظيم أو تشريع، و الحجة أو الباب فهو نائب الإمام و هو ابنه عادة.

أمّا داعى الدّعاة فهو الرّئيس و المسؤول الأوّل أمام الحجة عن الدّعوة فى الأقاليم المختلفة.

ص: ٣٢٦

أمّا داعى البلاغ فهو المسؤول عن تبليغ الأوامر الّتى يرسلها داعى الدّعاة إلى الأقاليم، و يتولى أمر المراسلات.

أمّا الدّاعى المطلق (أو النّقيب) فهو الدّاعى الّذى يصل إلى مرتبة يصبح له من الصّلاحيات ما يؤهله للسّفر إلى الأقاليم.

أمّا الدّاعى المأذون، فهو يتّبع الدّاعى المطلق و يعاونه.

أمّا الدّاعى المحصور، فهو يتولى الدّعوة فى منطقة معينة لا يتعداها، فهو محصور فيها حتّى يأذن له داعى الدّعاة بالانتقال إلى غيرها.

أمّا الجناح الأيمن، و الجناح الأيسر فيقدّمان للدّاعى المطلق الخدمات أثناء جولاته فى الأقاليم، و يمدّانه بالمعلومات.

أمّا المكاسر فهو الدّاعية الّذى كان فى الأصل مطالباً، ثمّ تفقه فى الدّعوة و تفوق فيها.

أما المطالب فوظيفته التجسس و معرفة الأخبار و جذب الناس إلى الدعوة.

أما المستجيب، فهو المنتسب حديثا إلى الدعوة الإسماعيلية^{٩٠٣}.

ص: ٣٢٧

موقف الشيعة الزيدية و الإمامية من خلافة المهدي

سياسة جديدة نحو الشيعة:

تولّى محمد الهادي الخلافة بعد وفاه أبيه أبي جعفر المنصور في ذي الحجة سنة (١٥٨ هـ)، فبدأت صفحة جديدة من صفحات حركات الشيعة، و من صفحات علاقات البيت العلوي بالبيت العباسي . و كان الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح قد عهد بولاية العهد إلى أخيه المنصور، ثم لعيسى بن موسى . ثم رأى المنصور تقديم ابنه محمد المهدي على عيسى بن موسى في ولاية العهد، و حاول المنصور إقناع عيسى بالتنازل عن حقّه، دون جدوى فبدأ نحوه سياسة إضطهاد و ألحق به من الإهانات، ممّا اضطره إلى قبول تحقيق رغبة المنصور^{٩٠٤}.

و لا شك أنّ الشيعة قد قرّت عيونهم بخلع عيسى بن موسى من ولاية العهد فقد كان القائد العباسي الذي قضى على حركتي محمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم.

و ازداد حبورهم حين خلع المهدي عيسى بن موسى أيضا من ولاية العهد و عهد

ص: ٣٢٨

بها إلى ابنه الهادي.

مات المنصور قرب مكة^{٩٠٥}، و كان قد خرج إليها لأداء الحجّ، و كان المهدي مقيما في بغداد، نائبا عن أبيه في تسيير دفة الدولة. و رأى الربيع بن يونس، حاجب المنصور، أن يكتّم نبأ وفاة المنصور، حتّى يأخذ البيعة لابنه المهدي، و خاصّة من العباسيين و العلويين، الذين دعاهم إلى إجتماع عامّ، حيث قرأ عهدا وجهه المنصور إلى بني هاشم، أوصاهم فيه بالإتحاد^{٩٠٦}.

ثمّ طلب الربيع بن يونس البيعة للمهدي من العلويين، و كان موسى الهادي، ابن المهدي يتلقّى هذه البيعة . و كان ممّن بايعوا الحسن بن زيد، و كان المنصور قد أمر بضربه و مصادرة أمواله و حاول المهدي الوساطة بين الحسن و المنصور دون

^{٩٠٣} (١) انظر، عارف تامر، القرامطة : ٨١ - ٨٣، و هذا الكتاب شعبي إسماعيلي، و في عرضه لتسلسل الدعاة على هذا النحو، ذكر أنّها أوّل مرّة تظهر تنظيمات الدعوة الإسماعيلية الحقيقية في كتاب منشور.

^{٩٠٤} (١) انظر، ابن جرير، الطبري: ٢٧٢ - ٢٨٣، حرّض المنصور الجند على إهانة عيسى، و يذكر الطبري:

^{٩٠٥} (١) مات المنصور عند بئر ميمون على بعد ستة أميال من مكة . و ميمون اسم رجل: بئر بمكة بين البيت و الحجون بأطح مكة، و هي منسوبة إلى ميمون بن الحضرمي (أخي العلاء بن الحضرمي)، و هم حلفاء بني أمية كان ميمون حفرها في الجاهلية و عندها توفي أبو جعفر المنصور انظر، البكري الأندلسي، معجم ما استعجم: ١٢٨٥ / ٤ .

^{٩٠٦} (٢) جاء في هذا العهد: «و أسأل الله أي لا يفتنكم بعدي، و لا يلبسكم شيئا و لا يذيق بعضكم بأس بعض يا بني هاشم». ابن جرير، تاريخ الطبري: ٣٤٨ - ٣٤٩.

جدوى، و عوّضه للمهدي عن أمواله المصادرة من ماله الخاص، و لذا أعلن الحسن بن زيد للحاضرين أنه يبيع المهدي «بصدر منشرح و نفس طيبة و قلب ناصح»^{٩٠٧}.

أراد المهدي أن يبدأ صفحة جديدة في السياسة العباسية و يبعث الأمن و الطمأنينة في قلوب رعاياه على اختلاف مذاهبه م، فبدأ عهده بإطلاق سراح

ص: ٣٢٩

المسجونين السياسيين^{٩٠٨}، و تبدو هذه السياسة الجديدة التي إنتهجها المهدي في نصّ للمسعودي، فهو يقول : «و كان المهدي محبباً إلى الخاصّ و العامّ، لأنّه افتتح أمره بالنظر في المظالم و الكفّ عن القتل، و أمّن الخائف، و أنصف المظلوم، و بسط يده في الإعطاء»^{٩٠٩}.

و كان العلويون في المدينة لا يزالون يضمّدون جراحهم، بعد التّنكيل الذي نزل بهم بعد إخفاق ثورة محمّد النفس الزكية . و رأى المهدي أنّ بلاد الحجاز قد أصبحت مركزاً رئيسياً من مراكز حركات الشريعة. و رأى المهدي أن يرحل إلى الحجاز سنة (١٦٠ هـ)، ليستميل إليه أهلها حتّى لا يشاركوا في حركات علوية أخرى، فخرج معه أموال كثيرة^{٩١٠} و ثياب^{٩١١} ليمنحها إلى أهالي مكة و المدينة.

و أعلن المهدي في الحجاز بداية سياسة جديدة من التسامح، كما أعلن العفو العامّ، و أعاد المفصولين من وظائفهم من أهل الحجاز في عهد المنصور إلى ما كانوا يتولونه من قبل، و بالغ المهدي في التّقرب من الأهالي، و مدّ الأسمطة الحافلة لهم^{٩١٢}. كما اهتم بالأماكن المقدّسة الإسلامية^{٩١٣}. و قبل رحيله إلى بغداد،

ص: ٣٣٠

اختار خمسمئة من أنصار المدينة، و صحبهم معه إلى العاصمة و اتّخذهم حرساً له و أغدق عليهم الأموال. بل بلغ من تقرب المهدي إلى أهل المدينة، أنّه تزوّج بفتاة من أهلها و هي رقية بنت عمرو العثمانية^{٩١٤}.

و أراد المهدي أن يكون على علم دائم بتحركات العلويين في المدينة فربط بين الحجاز و العراق بالبريد، و أقام المحطّات على طول الطّريق بين القطرين^{٩١٥} و كان المنصور يكتفي بالإستعانة بالعيون و الأرصاد لمعرفة نشاط العلويين^{٩١٦}.

^{٩٠٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٣٤٣-٣٤٤.

^{٩٠٨} (١) روى ابن جرير الطّبري: ٣٥٣/٦، أنّ المنصور أطلق سراح كلّ مسجون إلّا من كان قبله تباعة من قتل، و من كان معروفاً بالسّعي في الأرض بالفساد.

^{٩٠٩} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣٢١/٣.

^{٩١٠} (٣) أخذ المهدي معه ثلاثين مليون درهم، و بعث إليه والي مصر ثلاثمئة ألف دينار و بعث والي اليمن مئتي ألف دينار. انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٣٦٦/٦.

^{٩١١} (٤) بلغ عدد الثّياب مئة و خمسين ألف ثوب. انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٣٦٦/٦.

^{٩١٢} (٥) روى السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٧٣ أنّ المهدي جلب القلج من الشّام إلى مكة، و كان ذلك أوّل مرّة يشهد فيها أهالي مكة الثلج، و لا شك أنّ المهدي أراد إضفاء الهيبة على الخلافة العباسية.

^{٩١٣} (٦) أمر المهدي بنزع المقاصير، و تقصير المنابر إلى الحدّ الذي كان عليه منبر الرّسول، و زاد المهدي في المسجد الحرام، و كسا الكعبة بكسوة جديدة. ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٣٦٦-٣٦٨/٦.

^{٩١٤} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٣٦٧-٣٦٨، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١٠٤/٦، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٤١/١٠.

هذه هي السياسة التي بدأ بها المهدي عهده . فماذا كان موقف الشيعة من المهدي؟ . لقد اختلف المواقف باختلاف فرق الشيعة. وكانت أبرز فرق الشيعة في عهد المهدي فرقة الزيدية التي عاودت نشاطها و حركاتها . و فرقة الشيعة الإمامية، و قد لجأ إمامها موسى الكاظم إلى الزعامة الروحية . و فرقة الشيعة الإسماعيلية التي كانت في طريق التكوين و بلورة آرائها و تعاليمها، كما شهدنا في الفصل السابق.

موقف الشيعة الزيدية من المهدي:

كانت فرقة الشيعة الزيدية أكثر فرق الشيعة نشاطا في العصر العباسي الأول.

و قد شهدنا حركتين علويتين خطيرتين في عصر الخليفة العباسي الثاني المنصور و هما حركتا النفس الزكية و إبراهيم في الحجاز و البصرة. و سنشهد حركة شيعية زيدية أخرى يتزعمها الحسين بن علي، في عهد الخليفة الرابع الهادي.

ص: ٣٣١

و برز، في عهد المهدي زعيمان من زعماء الشيعة الزيدية، و هما عيسى بن زيد ابن علي بن الحسن بن علي، و علي بن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي، و قام كل منهما بدور بارز في تأريخ حركات الشيعة في عصر المهدي.

أمّا عيسى بن زيد، فقد كان أكثر اخوته تطلعا إلى اخوته . و قد شهدنا بيعته أخيه الحسن للمهدي في بلاد الحجاز بعد موت المنصور حينما طالبه الحاجب الربيع ابن يونس بالبيعة^{٩١٧}.

أمّا أخوه محمد بن زيد، فيقول عنه الإصفهاني أنه كان «مع أبي جعفر المنصور مسودا»^{٩١٨}، لم يشهد مع محمد إبراهيم حربهما، فكان يكاتبه بما يسكن منه ثم ظهر ذلك بالمدينة ظهورا تامّا، إلّا أنه كان لا يجالس أحدا و لا يدخل إليه إلّا من يثق به»^{٩١٩}.

أمّا الأخ الثالث الحسين بن زيد، فقد انضم إلى محمد النفس الزكية و إبراهيم في ثورتهم، حتى إذا لقيا حتفهما، اختفى الحسين طوال عهد المنصور، ثم ظهر في عهد المهدي، الذي أمّنه على حياته^{٩٢٠}.

و كان عيسى بن زيد متطلعا إلى الخلافة، طامعا فيها، بل كان يرى نفسه أجدر من ابني عبد الله بن الحسن، أي النفس الزكية و إبراهيم. فقد قدم إلى البصرة بعد مصرع النفس الزكية، و طلب ممن فيها من الشيعة الزيدية أن يبايعوه بالإمامة، و زعم أن محمدا جعل الأمر إليه فأستجابوا إليه. و أراد عيسى أن يوسع نطاق

ص: ٣٣٢

^{٩١٥} (٢) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٦/٦، السيوطي، تأريخ الخلفاء: ٢٧٣، ابن الفقيه، البلدان: ٢٢.

^{٩١٦} (٣) انظر، العيون و الحقائق: ٢٤٣.

^{٩١٧} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٣٤٣-٣٤٤.

^{٩١٨} (٢) انظر، أي متخذًا الشواد شعار العباسيين.

^{٩١٩} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٨٧.

^{٩٢٠} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٨٧.

أنصاره، فدعا أهل البصرة إلى إمامته، ولكن أهل السنة^{٩٢١} و الشيعة الإمامية رفضوا موالاته . و لم يجد عيسى مفرًا من الانضمام إلى حركة إبراهيم بن عبد الله، و توحيد جهودهما لمواجهة الخليفة العباسي المنصور، حتى إذا تحقق النصر، توليا تصفية حسابهما^{٩٢٢}.

و لكن عيسى بن زيد و شيعته أصبحوا شوكة دائمة في جنب حركة إبراهيم، و كانوا كما رأينا في الفصل الذي درسنا فيه عوامل إخفاق حركتي محمد و إبراهيم من عوامل إخفاق حركة إبراهيم، فقد عارضوا كثيرا من الاقتراحات البناءة التي أرتأها قواد إبراهيم^{٩٢٣}.

و كان المنصور يدرك خطورة عيسى بن زيد، و تطلعه إلى الخلافة، و كان قد حاول إستمالاته إليه، و مناه بالوعود الكثيرة، و لكن عيسى آثر الانضمام إلى حركة محمد النفس الزكية، و لذا كان لعيسى بن زيد نصيب في وصية المنصور لابنه، و ولى عهده المهدي قبيل وفاته، فقد عبر المنصور للمهدي عن مخاوفه من عيسى فقال : «يا بني، إني قد جمعت لك من الأموال ما لم يجمعه خليفة قبلي، و بنيت لك مدينة لم يكن في الإسلام مثلها، و لست أخاف عليك إلّا أحد رجلين :

عيسى بن موسى، و عيسى بن زيد، فأما عيسى بن موسى، فقد أعطاني م ن العهود و المواثيق ما قبلته، و و الله لو لم يكن إلّا أن يقول قولاً لما خفته عليك،

ص: ٣٣٣

فأخرجه من قلبك، و أما عيسى بن زيد، فأنفق هذه الأموال و أقتل هؤلاء الموالي، و أهدم هذه المدينة، حتى تظفر به، ثم لا ألومك»^{٩٢٤}.

و بعد أن تولى المهدي الخلافة، رأى مسالمة عيسى و استمالاته، فأرسل إليه من يؤمنه على حياته، و يمنحه كثيرا من الأموال و الصّلات، فقال عيسى لبعض أصحابه : «قد بذل لي من المال ما بذل، و الله ما أردت حين أتيت الكوفة الخروج عليه، و لأن أبيت خائفا ليلة واحدة أحبّ إليّ من جميع ما بذل لي، و من الدنيا بأسرها»^{٩٢٥}.

أتخذ عيسى بن زيد الكوفة مركزا لنشاطه السياسي، و لكنّه استتر وراء الإقبال على العلم و رواية الحديث^{٩٢٦}، و كان يخرج من وقت إلى آخر إلى الحجاز لأداء الحجّ و لقاء أنصاره من الشيعة الزيدية، و أطلق هؤلاء الأنصار عليه اسم «بمؤتم الأشبال»^{٩٢٧} لما كان يتّصف به من قوّة و بأس . و شعر المهدي بنشاط عيسى : فأمر والي الكوفة بمراقبة تحركاته و علم

^{٩٢١} (١) رفض شيخ السنة خالد بن عبد الله الواسطي المبايع لإبراهيم

^{٩٢٢} (٢) قال الإصفهاني، في مقاتل الطالبيين: ٣٧٠: «قدم عيسى بن زيد بعد قتل محمد، فذكر أنّ محمدا جعل الأمر إليه، و دعا الزيدية إلى نفسه فأجابوه و أبي البصريون ذلك حتى قالوا لإبراهيم: إن شئت أخرجناهم عنك من بلادنا، فالأمر لك، و ما نعرف غيرك حتى كادت تقع فرقة، فسفروا بينهم و قالوا:

إن اختلفنا ظهر علينا أبو جعفر، و لكن نقاتله جميعا، و الأمر لإبراهيم فإن ظهرنا عليه نظرنا في أمرنا بع». .

^{٩٢٣} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٠٨، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٣٤٤.

^{٩٢٤} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٣٤٥، يقصد بالمدينة التي بناها (بغداد).

^{٩٢٥} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤١١، ابن عنبه، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ٢٨٦.

^{٩٢٦} (٣) وصف الإصفهاني، في مقاتل الطالبيين: ٤٠٧ عيسى بن زيد، فقال: «و كان عيسى أفضل من بقي من أهله دينا، و علما، و ورعا، و زهدا، و تقشفا، و أشدهم بصيرة في أمره و مذهبه، مع علم كثير، و رواية للحديث و طلب له».

^{٩٢٧} (٤) انظر، أئمة أهل البيت عليهم السلام، عباس محمد زيد: ٢٩. طبع مؤسسة الإمام زيد الثقافية.

الوالى بإجتماع عيسى ببعض زعماء الزيدية، فهاجم الدار، وألقى القبض على بعض المجتمعين و بعثهم إلى المهدي، الذي أمر بسجن بعضهم فظلوا في السجن حتى مات عيسى^{٩٢٨}.

وكان عيسى بن زيد، في الحقيقة ذكياً إذ اتخذ الكوفة مركزاً لنشاطه، فقد

ص: ٣٣٤

كانت الكوفة دائماً موطن الشيعة . فقد كان إختيار إبراهيم البصرة مركزاً لحركته من عوامل إخفاقاتها، كما اتضح لنا في دراستنا لعوامل إخفاق حركته و حركة أخيه محمد . و كان بالكوفة كثير من الشيعة الزيدية الذين رأى عيسى الاستفادة من ولائهم في طلب الإمامة^{٩٢٩}.

ثم رأى بعض أنصار عيسى بن زيد أن ثمرة جهودهم قد نضجت و حان قطافها، فطلبوا منه القيام بحركة شيعية جديدة ضدّ الخليفة المهدي. و كان الحسن ابن صالح من أكثر هؤلاء الشيعة حماسة كما كان من أبرز شخصيات الكوفة، و لذا نزل عيسى في داره، و عهد إليه بديوانه.

فقال الحسن لعيسى : حتى متى تدافعنا بالخروج و قد اشتمل ديوانك على عشرة آلاف رجل؟ . و رغم تطلع عيسى إلى الإمامة و رغبته في الخروج، فقد خشي من تخاذل شيعة الكوفة.

فأجاب على تساؤل الحسن بن صالح فقال : ويحك أتكثر على العدد و أنا بهم عارف، أما و الله لو وجدت فيهم ثلاثمائة رجل أعلم أنّهم يريدون الله عزّ و جلّ، و يبذلون أنفسهم له، و يصدقون للقاء عدوّه في طاعته لخرجت قبل الصّباح حتى أبلى عند الله عزرا في أعداء الله، و أجرى أمر المسلمين على سنته و سنّة نبيّه صلى الله عليه و آله، و لكن لا أعرف موضع ثقة يفى ببيعته لله عزّ و جلّ، و يثبت عند اللقاء^{٩٣٠}.

و مات عيسى بن زيد في عهد المهدي، فكنتم أصحابه و في مقدّمهم الحسن ابن صالح نبأ موته فترة، و علّل الحسن ذلك بقوله: «لا يعلم موته أحد فيبلغ

ص: ٣٣٥

السّلطان فيسرّه ذلك و لكن دعوه بخوفه و وجله منه و أسفه عليه حتى يموت و لا يستروه بوفاته فيأمن مكروهه»^{٩٣١}.

ثمّ علم المهدي من أحد أصحاب عيسى بن زيد بموته فقال المهدي: «أعظم بها مصيبة، رحمة الله فقد كان عابدا ورعا^{٩٣٢}، مجتهدا في طاعة الله، غير خائف لومة لائم»^{٩٣٣}. بل احتضن المهدي ولدى عيسى فشبا في كنفه^{٩٣٤}.

^{٩٢٨} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤١٨.

^{٩٢٩} (١) وجه الإمام أبو حنيفة أنظار إبراهيم إلى كثرة الشيعة الزيدية في الكوفة.

^{٩٣٠} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤١٨، أحصى ديوان زيد بن علي الذي قام بحركة شيعية في عهد الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك في الكوفة وحدها خمسة عشر ألفا و حينما خرج في أول صفر سنة ١٢٢ هـ، كان معه ٢١٨ رجلا فحسب. انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبيين: ٩٦.

^{٩٣١} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤٢٤.

^{٩٣٢} (٢) كان عيسى بن زيد من رواة الأحاديث و قد روى عن أبيه و الإمام جعفر الصادق و عن غيرهم من كبار المحدثين انظر، الأشعري، مقالات الإسلاميين: ٢٩ / ١.

حركة علي بن العباس:

شهدنا تولى عيسى بن زيد إمامة الشيعة الزيدية و تطلعه إلى الخروج على الخليفة المهدي و قد أحصى ديوانه بالكوفة عشرة آلاف مناصر. كما شهدنا عدول عيسى عن القيام بحركة شيعية جديدة خوفا من تخاذل أتباعه، ثم شهدنا موته بعد فترة قصيرة.

و شهد عصر المهدي حركة شيعية أخرى، استمرت في طريقها حتى بادرت بإعلان الثورة على خلافة المهدي. بينما تخلفت حركة عيسى - كما رأينا - في منتصف الطريق، و قام بهذه الحركة الشيعية الأخرى، زعيم علوي آخر هو علي ابن العباس بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. و يكاد يقتصر الإصفهاني على رواية أخبار تلك الحركة في كتابه (مقاتل الطالبيين) بينما

ص: ٣٣٦

أغفلت سائر المصادر التاريخية ذكرها.

اتخذ الثائر العلوي الجديد، علي بن العباس، بغداد مركزا لحركته الشيعية الزيدية. و في الحقيقة، كان ذلك جرأة من هذا الزعيم العلوي فقد أراد أن يثور على الدولة العباسية في عقر دارها. و قد شهدنا ثورة النفس الزكية في المدينة حيث يعيش كثير من العلويين و أنصارهم، و شهدنا إبراهيم يثور في البصرة حيث تعيش طائفة من الشيعة الزيدية، و شهدنا أيضا استعدادات عيسى بن زيد للثورة في الكوفة موطن الشيعة الأول.

قدم علي بن العباس إلى بغداد، و دعا إلى نفسه سرا، فاستجاب له جماعة من الشيعة الزيدية. و هذا يدل على اتساع نطاق الدعوة الزيدية حتى أنها وصلت إلى قلب الدولة العباسية، أي إلى حاضرتها. و نعتقد أن هؤلاء الشيعة الزيدية قد أقبلوا على سكنى بغداد نتيجة ما أبداه المهدي عند توليته الخلافة من تسامح، لأننا نعلم أن الخليفة المنصور كان يدقق في اختيار سكان العاصمة، فضلا عن أن بغداد في عهد المنصور كانت لا تزال في مهدها فلم تتطور و لم يتضخم عدد سكانها بعد^{٩٣٥}.

علم الخليفة المهدي بأمر علي بن العباس، و رأى أن يقضى على هذه الحركة الشيعية التي بدت بوادرها و هي لا تزال في المهدي. فقبض المهدي على علي الزعيم العلوي و سجنه و استمر في سجنه حتى تشفع فيه الحسن بن علي و هو الذي يقوم بحركة شيعية في عهد الخليفة الهادي، فقبل المهدي شفاعته و أطلق سراحه. و لكن المهدي لجأ إلى وسيلة أخرى للخلاص من علي بن العباس، فقد «دس إليه شربة سم فعملت فيه فلم يزل ينتفض عليه في الأيام حتى قدم المدينة،

ص: ٣٣٧

فتفسخ لحمه، و تباينت أعضاؤه فمات بعد دخوله المدينة بثلاثة أيام»^{٩٣٦}.

^{٩٣٣} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤٢٧.

^{٩٣٤} (٤) و منهما أحمد بن عيسى الذي غضب الخليفة هارون الرشيد عليه لإتصاله بالشيعة الزيدية، فسجنه و لكنه هرب و اختفى عن الأنظار

^{٩٣٥} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٦٦ / ٦، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٧٨ / ١.

^{٩٣٦} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤٠٣، بن جرير، تاريخ الطبري: ٢٦٦ / ٦، تاريخ بغداد: ٧٨ / ١.

و هكذا أسدل الستار على فصل من فصول نشاط الشيعة الزيدية في العصر العباسي الأول، ليرتفع عن فصل آخر، حينما تقوم حركة الحسين بن علي في عهد الهادي، و ستتخذ الحركة الجديدة المدينة المنورة مركزا لها^{٩٣٧}.

موقف المهدي من الإمام موسى الكاظم عليه السلام:

شهدنا موقف الشيعة الزيدية من خلافة المهدي . فماذا كان موقف فرقة الشيعة الإمامية؟ . و ما هو موقف إمامها موسى الكاظم؟.

تولى الإمام موسى الكاظم إمامة الشيعة الإمامية الاثنا عشرية، بعد وفاة أبيه الإمام جعفر الصادق سنة (١٤٨ هـ)، و قد شهدنا انقسام الشيعة الإمامية على أنفسهم و ظهور فرقة الشيعة الإسماعيلية التي تدعو إلى إمامة الإمام إسماعيل ابن جعفر الصادق، و مضت كل من الفرقتين في طريقها الخاص المتميز.

اشتهر الإمام موسى الكاظم بالتقوى و الورع، كما اشتهر بالصبر على الإيذاء حتى سمّوه (الكاظم)^{٩٣٨}، و في عهده دخلت الإمامة دورها السري أيضا و دورها العبادي، و انتهى دور الفقه، فلا نعلم فقها خاصا لموسى الكاظم، كما لم يكن له دور كلامي في عقائد الإمامة، و لم يرد عنه روايات أحاديث تذكر^{٩٣٩}.

اشتهر موسى الكاظم بالسّخاء فكان «إذا بلغه عن الرجل ما يكره بعث إليه

ص: ٣٣٨

بصرة درانير»^{٩٤٠}. حتى أصبح يضرب به المثل في الكرم و الإغداق^{٩٤١}. و يبدو أن هذا السّخاء قد أثار شكوك الخليفة المهدي، و ظنّه أنّه يجبي الخمس من شيعته، و كان المنصور قد اتّهم أباه الإمام جعفر الصادق بنفس الاتّهام . و لذا بعث المهدي إلى الإمام موسى يستدعيه إلى بغداد حيث ألقى به في السّجن ثم رأى المهدي في نومه على بن أبي طالب يعاتبه على قطع صلات الرّحم. فأطلق المهدي سراح الإمام الكاظم و طلب منه، أن يقسم له على ألا يخرج عليه و لا على أحد من أولاده.

فقال موسى: «لا و الله لا فعلت ذلك و لا هو من شأنى».

فقال المهدي: «صدقت». و منحه المهدي ثلاثة آلاف دينار و سمح له بالعودة ثانية إلى المدينة^{٩٤٢}.

^{٩٣٧} (٢) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١٣٧/٣، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤١٠-٤١٢.

^{٩٣٨} (٣) انظر، الشعرائي، طبقات الشعرائي: ٣٣، ابن طلحة الشافعي، مطالب السؤول: ٨٣، المفيد، الإرشاد: ٢/٢١٥، الخصبي، الهداية الكبرى: ٢٦٣، ابن الجوزي، تذكرة الخواص: ٣٤٨.

^{٩٣٩} (٤) انظر، النّشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢/٢٨١.

^{٩٤٠} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤٩٩، تحذيب الكمال للحافظ المزي: ٢٩/٤٦، تاريخ بغداد:

١٣/٣٠، سير أعلام النبلاء: ٦/٢٧٤، وفيات الأعيان: ٥/٣٠٨، دلائل الإمامة: ٣١٠، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٦/١٩١، عمدة الطالب: ١٩٦، المجدي، أنساب الطالبين: ١٠٦، الأئمة الاثنا عشر: ٨٩.

^{٩٤١} (٢) قال الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ١٣/٢٧: «فكانت صرار موسى مثلا».

^{٩٤٢} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٠٠.

تشجيع الوزير العباسي يعقوب بن داود و محاولته تحويل الخلافة إلى العلويين

ميول الوزراء العباسيين العلوية:

أثرت حركات الشيعة التي شهدها العصر العباسي الأول في موقف الوزراء العباسيين من كل من البيت العلوي و الدولة العباسية. كما أثرت بالتالي في موقف الخلفاء العباسيين من وزرائهم. فقد أبدى كثير من الوزراء العباسيين ميولا صريحة أو خفية نحو الزعماء العلويين مما أدى إلى تنكلي الخلفاء بهم.

كان أبو سلمة الخلال أول الوزراء العباسيين، كما ذكرنا في الباب الأول، و قد ارتفع شأنه و أطلق الخليفة أبو العباس عليه اسم (وزير آل محمد)^{٩٤٣} و قد رأينا كيف أبدى أبو سلمة ميولا صريحة واضحة نحو البيت العلوي، إذ بعث بثلاث رسائل إلى ثلاثة من الزعماء العلويين يعرض عليهم الدعوة لهم، و لكنهم رفضوا قبول دعوته . و قد وصف الدينوري أبا سلمة بأنه كان من كبار الشيعة. و انتهى

الأمر^{٩٤٤}، كما شهدنا بمصرع أبي سلمة على يد أبي مسلم بأمر من الخليفة أبي العباس الذي أنشد^{٩٤٥}:

إلى النار فليذهب و من كان مثله
على أي شيء فاتنا منه نأسف

كان الخليفة العباسي الثاني أبو جعفر المنصور يدقق في إختيار وزرائه ممن اشتبهوا بإخلاصهم و كفاءتهم، و ممن لا يهتمون بالخيانة، أو الميل إلى العلويين و كان الخليفة أيضا مستأثرا بأمر الدولة، مما لا يعطى مجالا للوزراء للإستبداد أو الإتجاه نحو العلويين، فيقول صاحب الفخرى عن المنصور : لم تكن الوزارة في أيامه طائلة للإستبداد، و استغنائه برأية و كفاءته مع أنه كان يشاور في الأمور دائما و إنما كانت هيئته تصغر لها هيبة الوزير، و كانوا لا يزالون على وجل منه و خوف فلا يظهر لهم أبهة و لا رونقا^{٩٤٦}.

^{٩٤٣} (١) انظر، الجهشياري، الوزراء و الكتاب: ٨٤، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٧٠، ابن عساکر، تأريخ دمشق: ١٤ / ٤٢٣، ابن الأثير، اللباب في تهذيب الأسماء: ٣ / ٣٦٤، اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي:

٢ / ٣٥٢، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٦ / ٧٦، المسعودي، التنبيه و الأشراف: ٢٩٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٥ / ٤٠٦، الذهبي، تأريخ الإسلام: ٨ / ٣١٤.

^{٩٤٤} (١) انظر، الدينوري، الأخبار الطوال: ٣٣٦.

^{٩٤٥} (٢) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ١ / ١٦٣ و ١٩٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦ / ٤٥٤، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٠ / ٦٠، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٦ /

١٠٣، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٢٧٠ - ٢٧١. و ذكر الجهشياري الوزراء و الكتاب: ٨٤ - ٨٥، الصفدي، الوافي بالوفيات:

١٣ / ٦٣، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٠ / ٦٠.

^{٩٤٦} (٣) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٥٦.

و يبدو أن المنصور قد لمس تأريخ أخيه أبي العباس مع وزيره أبي سلمة الخلال فرأى تقييد سلطة الوزير، بل كان المنصور يميل أحيانا إلى عدم تولية وزير خوفا من ازدياد نفوذه^{٩٤٧}.

كان معظم الوزراء الخلفاء العباسيين من الفرس، فأبو سلمة الخلال، أول

ص: ٣٤١

وزير عباسي مولى فارسي و أبو أيوب المورياني وزير المنصور فارسي من (موريان) و هي قرية من قرى الأهواز^{٩٤٨}، و يعقوب بن داود وزير المهدي مولى أيضا، و كذلك كان البرامكة و الفضل بن سهل وزير المأمون من الفرس. و نحن نعرف ميول معظم الفرس نحو البيت العلوي^{٩٤٩}.

تشيع الوزير يعقوب بن داود:

من الوزراء العباسيين الذين اتهمهم الخلفاء العباسيون بالتشيع و الميل إلى العلويين، بعد أبي سلمة، يعقوب بن داود بن طهمان مولى بنى سليم، و هو وزير المهدي، ثالث الخلفاء العباسيين. و كان أبوه داود و اخوته كتابا لنصر بن سيار الوالي الأموي بخراسان.

و كان يعقوب في أول الأمر يعتنق مذهب الشيعة على مذهب الزيدية^{٩٥٠} مؤيدا للزعيم العلوي عبد الله بن الحسن بن الحسن، ثم إن المهدي خاف من بنى الحسن أن يحدثوا أمرا لا يتدارك، فطلب رجلا ممن له أنس ببنى الحسن، ليستعين به على أمرهم فدلّه الربيع على يعقوب بن داود لصداقة كانت بين الربيع و بينه^{٩٥١}.

هذه هي رواية صاحب الفخرى، تنسب تولية المهدي ليعقوب بن داود إلى

ص: ٣٤٢

٩٥٢

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ؛ ص ٣٤٢

^{٩٤٧} (٤) انظر، الدّوري، التّظيم الإسلاميّة : ٢١٩، و يرى الدّكتور الدّوري أيضا (٢٢١) أنّ الوزارة رسخت في عهد المهدي و اتّسع سلطانها حتّى صارت عامّة الدّواوين تحت إشرافها، و هذه السّلطة الواسعة كان الخليفة يستطيع سحبها متى أراد

^{٩٤٨} (١) انظر، الحموي، معجم البلدان: ٥ / ٢٢١، ابن عساكر، تأريخ دمشق: ١٢ / ٧٤، الباب في تحذيب الأسماء: ٣ / ٢٤٨.

^{٩٤٩} (٢) انظر، التّاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلامية، أحمد شلبي: ٣ / ٣٥٢، الكامل في التّاريخ:

٥ / ٨٥، تأريخ الطّبري: ١٠ / ٦٠٦، العقد الفريد: ١ / ١٤٢، المجارف: ٣٨١ - ٣٨١، مروج الذهب:

٣ / ٣٣٥، تأريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٧٩.

^{٩٥٠} (٣) انظر، ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخير في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السّلطان الأكبر : ٤٤٧، ابن كثير، البداية و النّهاية : ١٠ / ١٤٧.

^{٩٥١} (٤) انظر، الفخري، المعجى في أنساب الطّالبيين: ١٦٦.

^{٩٥٢} ليثي، سميره مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

رغبة الخليفة في تسكين خواطر الشيعة، وقد شهد عهد المنصور، أبي المهدي، حركتين علويتين كبيرتين، قام بهما محمد النفس الزكية، وأخوه إبراهيم، وهما ابنا عبد الله بن الحسن . ولكننا مع تأييدنا لميول يعقوب الشيعية إلا أننا لا نرى أن المهدي قد ولّاه الوزارة لهذا الغرض الذي ذكره المؤرخ، ونرى أن الربيع بن يونس حاجب المنصور ثم المهدي، كان العامل الأول في إختيار يعقوب للوزارة، نتيجة حقد الربيع على وزير المهدي معاوية بن يسار^{٩٥٣} فقد كان معاوية متكبرا متعاليا و كان الربيع يحقد عليه و يبغضه لتكبره عليه و عدم اكتراثه به، و أقسم الربيع على أن يعمل على عزل الوزير، فأخذ يدس له عند الخليفة فأوغر صدره على ابن الوزير و اتهمه بالزندقة، حتى إذا أختبر الخليفة ابن الوزير في القرآن الكريم و أدرك جهله بالآيات القرآنية، حجب الوزير عنه و اضطر معاوية ابن يسار إلى اعتزال الوزارة، و لزم داره حتى مات سنة (١٧٠هـ)^{٩٥٤}.

و رأى الربيع أن يرشح للوزارة صديقا حميما له، يثق فيه فكان يعقوب هو هذا الصديق فيقول صاحب الفخرى أيضا أن الربيع دلّ المهدي على يعقوب لصداقة كانت بين الربيع و بينه، و ليتفقا على إزالة دولة أبي عبيد الله معاوية الوزير^{٩٥٥}.

و يجمع المؤرخون على أن يعقوب بن داود كان شيعيا على مذهب الزيدية و إنه ولى رجالا من الشيعة كثيرا من الولايات و المناصب الكبرى^{٩٥٦}. و روى

ص: ٣٤٣

الطبري أن يعقوب كان قبل توليه الوزارة يأمل في قيام دولة علوية فقال : «أظهر يعقوب مقالة الزيدية و دنا من آل الحسن و طمع في أن يكون لهم دولة فيعيش بها قبل توليته الوزارة»^{٩٥٧}، و يبدو أن يعقوب كان على جانب كبير من الذكاء و اللباقة و المهارة، حتى أنه استطاع أن يستحوذ على محبة و تقدير الخليفة المهدي له مما أدى إلى إزدياد نفوذه و سلطانه في الدولة، فيروى صاحب الفخرى عن معاملة المهدي ليعقوب فقال : فقرّبه و أدناه فصار يعرض عليه من قبل فاستخصنه و كتب كتابا بأنه أخوه في الله تعالى و استوزره و فوض إليه الأمور كلها، و سلم الدواوين و قدّمه على جميع الناس، حتى قال بشار يهجوّه^{٩٥٨}:

بنى أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود

^{٩٥٣} (١) انظر، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ١٥٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٤ / ٦.

^{٩٥٤} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٣٧١، علق الدكتور الدوري، العصر العباسي الأول: ١٢١ على عزل معاوية بن يسار، فقال: إنها لبادرة خطيرة ففسح فيها الخلفاء المجال لذوي الدسائس و السعيات ليلعبوا دورا هاما في تعيين الوزراء و عزلهم

^{٩٥٥} (٣) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٦٦.

^{٩٥٦} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٣٧١، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦ / ٢٢، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ١٥٧، ابن خلدون، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عاصروهم من ذوي السلطان الأكبر: ٣ / ٤٤٧.

^{٩٥٧} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٢٨٢.

^{٩٥٨} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٦٦، قال الجهشيارى عن يعقوب «من أهل أدب و فهم». الوزراء و الكتاب: ١٥٥، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٠ / ١٥٧، الصفدي، الوافي بالوفيات:

١٠ / ٨٧ و: ٢٨ / ٧٣، الذهبي، تاريخ الإسلام: ١٠ / ٢١، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٧ / ٢٢، الذهبي، سير أعلام النبلاء للذهبي: ٧ / ٣٤٦، الحموي، معجم البلدان: ٣ / ٣٦، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٣٨٢، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦ / ٧٠.

وكلّما ازداد نفوذ الوزير يعقوب بن داود ازداد عدد حسّاده الحاقدين عليه، و قد وجدوا في ميول الوزير نحو الشيعة خير وسيلة للخلاص منه . و يبدو أنّ يعقوب لم يتخل عن إخلاصه لمبادئ الشيعة . و أنّه بدأ يسعى لإنشاء دولة علوية، كما اتّضح لنا في رواية للطبري أشرنا إليها آنفا.

بدأت السّعاية بيعقوب نتيجة ميله إلى إسحاق بن الفضل و ذهب الحاقدون

ص: ٣٤٤

على يعقوب أنّه يمهدّ الأمور ليتولى إسحاق الخلافة بدلا من المهدي و أنّ ذلك من الأمور اليسيرة على يعقوب فقد أصبحت ولايات المشرق و المغرب في يده و يد أصحابه، و إنّما يكفيه أن يكتب لهم فيثوروا جميعا في وقت واحد، و يتولى إسحاق الخلافة . و صدّق المهدي هذه الوشايات، و لم يزل مواليه يحرضونه عليه و يوحشونه منه حتّى عزم على إزالة النعمة عنه^{٩٥٩}.

و حدث بعد ذلك أن طلب يعقوب من الخليفة المهدي أن يولي إسحاق بن الفضل حكم مصر ممّا أثار غضب المهدي و جعله يتأكد من صحة الوشايات. ثمّ دسّ المهدي إلى وزيره جارية من جواريه، و هبها له لتنقل إليه أخبار الوزير.

ثمّ أراد المهدي أن يختبر حقيقة ميول وزيره يعقوب إلى العلويين، فسلمه رجلا من العلويين لم تذكر المصادر التّاريخيّة القديمة اسمه.

و قال المهدي لوزيره : هذا فلان بن فلان من ولد عليّ، و أحبّ أن تكفيني مؤنته و تريحنى منه . و وعده الوزير بتحقيق رغبته. فمنحه المهدي مئة ألف درهم . و استدعى الوزير الرّجل العلوي إلى مجلسه و سأله عن حاله، فأخبره بها، فوجده لبيا شهما، و قال العلوي للوزير : ويحك يا يعقوب! تلقى الله بدمي و أنا رجل من ولد فاطمة بنت رسول الله صلّى الله عليه و آله^{٩٦٠}.

أطلق يعقوب سراح العلوي، و أعطاه المئة ألف درهم التّي كان الخليفة المهدي قد منحها له . و نقلت الجارية النّبأ إلى المهدي، فبعث ببعض رجاله فقبضوا على العلوي. و استدعى المهدي وزيره إليه، و سأله عن سجينه العلوي.

ص: ٣٤٥

فزعم أنّه مات فطلب منه أن يقسم على ذلك، فأقسم . و أمر المهدي بإحضار العلوي إلى المجلس فلم يستطع يعقوب أن يدافع عن نفسه، فأمر المهدي بسجنه في سجن مظلم، فظلّ مسجوناً حتّى أطلق هارون الرّشيد سراحه، و كان قد فقد بصره

^{٩٥٩} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢٨٣ / ٦، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٢٣ / ٦، مؤلف مجهول، العيون و الحدائق: ٣ / ٧٧٧.

^{٩٦٠} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٣٨٥ / ٦، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٦٨.

ثمّ أمر المهدي بعزل جميع أنصار يعقوب و ولاته من الأمصار الإسلاميّة، و سجن بعض أهل بيته فكانت مدّة وزارة يعقوب نحو خمس سنوات^{٩٦١}.

و استفاد المهدي من موقف يعقوب بن داود درساً نافعا، فرأى أن يكون الوزير الجديد من صنائع العبّاسيين غير المعروفين بميولهم العلوية، فولى الفيض ابن أبي صالح و هو من أهل نيسابور، و كانوا نصارى فانتقلوا إلى بنى العبّاس و أسلموا و تربي الفيض في الدّولة العبّاسيّة و تأدّب و برع^{٩٦٢} و استمر الفيض يتولى الوزارة حتّى مات المهدي و لم يستوزره أحد من الخلفاء بعده، حتّى مات في أوّل عهد هارون الرّشيد سنة (١٧٣ هـ).

ص: ٣٤٧

ثورة الحسين بن عليّ في عهد الخليفة الهادي

شهد عصر الخليفة العبّاسيّ الرّابع موسى الهادي (١٦٩ - ١٧٠ هـ) مأساة دامية من المآسي التي تنتهي بها حياة العلويين الذين خرجوا على الدّولتين الأمويّة و العبّاسيّة . فقد قامت في عهد الهادي حركة أخرى من حركات الشيعة تزعمها الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، و انتهت هذه الحركة بمصرع الحسين في (فخ) قرب مكّة، و بإراقة دماء كثيرة من دماء آلّه و شيعته^{٩٦٣}.

ص: ٣٤٨

و هذه الحركة العلوية الجديدة، هي حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية في العصر العبّاسيّ الأوّل . فقد كانت الزيدية - كما رأينا - أكثر نشاطا و جرأة و طلبا للخلافة، بينما مال أئمة الشيعة الإمامية إلى الإمامة الرّوحية . و عاصر الإمام جعفر الصادق حركتي محمّد النّفس الزكيّة و أخيه إبراهيم، و حاول إثناءهما عن إعلان الثّورة كما عاصر الإمام موسى الكاظم حركة الحسين بن عليّ و حاول أيضا صرفه عن القيام بهذه الحركة^{٩٦٤}.

^{٩٦١} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٣٨٥ - ٣٨٦، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٦ / ٢٤ و ٢٥، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٦٨ و ١٦٩، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ١٦٠ - ١٦١، ابن خلّكان، وفيات الأعيان: ٢ / ٣٣٢. انظر، القصّة في كتاب الفرج بعد الشّدة: ١ / ١٦٤، تأريخ بغداد: ١٤ / ٢٦٥، الشّراوى، الإنحاف بحبّ الأشراف: ٥١٦. بتحقيقنا.

^{٩٦٢} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٦٩، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ١٦٤.

^{٩٦٣} (١) حتّى قال شاعرهم:

و أخرى بفتح نالها صلواتي

قبر بكوفان و أخرى بطيبة

و قبر بياخرا لدى الغربات

و أخرى بأرض الجوزحان محلها

تضمّنها الرّحمن في الغرفات

و قبر ببغداد لنفس زكيّة

ألحّت على الأحشاء بالزّفرات

و قبر بطوس يا لها من مصيبة

و بعد ممات عيسى قامت نهضة الحسين بن عليّ - المثلث - أي الحسن بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، و يلقّب بالفخّي؛ لأنّه قتل بفتح بين مكّة و المدينة. و قد أجاز محمّد بن سليمان حماد التّركي لرميّة الإمام الحسين بن عليّ عليه السّلام مئة ألف درهم، و مئة ثوب فرما

انظر، الإفادة في تأريخ الأئمة السّادة: ٧٠، أئمة أهل البيت عليهم السّلام، عبّاس محمّد زين، ٣١، المصدر السابق: ٧٣، الهامش رقم «١»، نقلا عن الشّافعي: ٢ / ٢١٧.

^{٩٦٤} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٣٠.

شخصية الخليفة الهادي وأثرها في موقفه من العلويين:

واجه الخليفة الهادي صورا لنشاط الشيعة والعلويين في عهده، وقد واجه نشاطهم العدائي بحزم، ولكنه لم يسرف في الإضطهاد أو سفك الدماء، فقد كان يعلم أن دماء العلويين هي خير وقود لنيران حركات الشيعة الثورية، وكانت طباع سجايا المهدي تنعكس دائما على سياسته وتصرفاته . حتى إذا تغيرت شخصية الخليفة وتولى خلف يفة آخر، تبدلت السياسة والاتجاهات . وفي الحقيقة كانت شخصية الهادي وطباعه ونفسيته هي التي بلورت سياسته نحو العلويين وشيعتهم، وهي التي أدت إلى حد كبير، إلى حركة شيعية جديدة .

كان موسى الهادي شخصية غريبة قلقة تجمع بين كثير من المتناقضات، وكانت سياسته في فترة حكمه القصيرة صورة لأخلاقه ومزاجه الشخصي.

وصف المسعودي موسى الهادي، فقال: «كان موسى قاسي القلب، شرس الأخلاق، صعب المرام، كثير الأدب محبا له . و كان شديدا شجاعا جوادا سخيا»^{٩٦٥} . و وصفه ابن طباطبا فقال: كان الهادي متيقظا غيورا كريما شهما أبدا،

ص: ٣٤٩

شديد البطش، جرىء القلب، مجتمع الحسّ ذا إقدام وعزم وحزم^{٩٦٦} .

و تحدث السيوطي عن الهادي وقال : قال الذهبي : و كان يتناول السكر و يلعب، و يركب حمارا فارها، و لا يقيم أبهة الخلافة، و كان مع ذلك فصيحاً قادراً على الكلام أديبا تملوه هيبه، و له سطوة و شهامة^{٩٦٧} .

و قال غيره: كان جبّارا و هو أوّل من مشى الرجال بين يديه بالسيف المرفقة و الأعمدة، و ألقى الموترة فاتّبعه عماله به في ذلك و كثر السلاح في عصره. و يبدو أن الهادي قد اكتسب هذه الصفات نتيجة قضائه أكثر أيامه في الغزو و الحرب.

عمل المهدي على أن يعدّ ابنه موسى الهادي للخلافة، كما أعدّه المنصور من قبل لهذا المنصب الخطير . و أراد المهدي أن يكون ابنه الهادي جديرا بأن يقّمه على عيسى بن موسى في ولاية العهد، و لكن الهادي خيب ظنّ أبيه فيه فانصرف إلى شرب الخمر، و قضى معظم وقته مع الندماء ممّا أثار غضب المهدي عليه فبدأ يفكر في تقديم أخيه الأصغر هارون عليه في ولاية العهد، لو لا أن عاجلته منيته^{٩٦٨} .

هذه هي صورة للخليفة التي قامت ضده حركة شيعية كبرى، و لنرى الطّرف الآخر و هو زعيم الثورة الحسين بن عليّ . و قد وصفه صاحب الفخرى بقوله:

^{٩٦٥} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٣٥، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧١ .

^{٩٦٦} (١) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧١ .

^{٩٦٧} (٢) انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٧٩ .

^{٩٦٨} (٣) انظر، الخربوطلي، المهدي العباسي: ٢٤٨ .

«كان الحسين بن عليّ من رجال بني هاشم و سادتهم و فضلائهم»^{٩٦٩}، و روى الإصفهاني كثيرا من الروايات توضّح ما أتصف به الحسين من علم و تقوى و ورع و كرم^{٩٧٠}.

ص: ٣٥٠

الحسين بن عليّ:

كانت أمّ الحسين هي زينب بنت عبد الله بن الحسن و هي شقيقة محمّد النفس الزكيّة و إبراهيم اللّذين ثارا في عهد الخليفة المنصور و قد شهدت زينب ما لحق بأبيها و اخوتها و أعمّامها و زوجّها . و قد قضت حياتها في حزن و بكاء، فكانت دائما تلبس المسوح و لا تجعل بين جسدها و بينها شعارا حتّى لحقت بالله عزّ و جلّ . و كانت تندبهم و تبكي حتّى يغشى عليها^{٩٧١} و لا شكّ أنّه كان لهذه الأمّ المشكولة أكبر الأثر فيما انطبع في نفس ابنها الحسين لآل العباسيّين حتّى بات يتطلع الثّار لقتلى آل عليّ بن أبي طالب.

عاش الحسين بن عليّ في المدينة^{٩٧٢}، و نجح في أن يكسب محبة أهلها بكرمه و جوده . فروى الإصفهاني أنّه باع دارا له بأربعين ألف دينار ففرقها كلّها على فقراء المدينة في نفس اليوم و قبل أن يعود إلى داره . كما روى الإصفهاني أيضا أنّه اقترض أربعة آلاف درهم فأحسن بها على الفقراء و لمّا سأله سائل، و لم يجد معه ما لا يحسن به إليه نزل له عن رداءه^{٩٧٣}.

و كان الحسين يتردد على بغداد في عهد الخليفة المهدي، بين وقت و آخر و حدث أن تناقلت على الحسين الدّيون نتيجة كرمه و إحسانه فخرج إلى بغداد قاصدا المهدي و أذن الخليفة للحسين بالدّخول عليه على الفور، حتّى إذا دخل و ثب المهدي فسلم عليه و عانقه و أجلسه إلى جانبه، و جعل يسأله عن أهله ثمّ

ص: ٣٥١

قال: يا بن العمّ ما جاء بك؟

قال: ما جئت و ورائي أحد يعطيني درهما.

فقال: أ فلا كتبت إلينا؟

قال: أحببت أن أحدث بك عهدا و منح المهدي الحسين كثيرا من الدّنانير و الدّراهم فأعطى الحسين دائنيه ديونهم مضاعفة، ثمّ عاد إلى المدينة خالي الوفاض^{٩٧٤}.

^{٩٦٩} (٤) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٢.

^{٩٧٠} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٣٨ - ٤٣٩.

^{٩٧١} (١) انظر، المصدر السّابق: ٤٣٣.

^{٩٧٢} (٢) انظر، كانت المدينة قد أصبحت مركزا لكثير من آل البيت عاتمة و البيت العلوي خاصة و أصبحوا موضع احترام و تقدير من أهالي الحنّ و قصدهم الحاج الوافدون في موسم الحج. انظر، ابن طولون، الأئمة الإثنا عشر: ٥٠.

^{٩٧٣} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٣٩.

^{٩٧٤} (١) انظر، المصدر السّابق: ٤٤٠.

بدأ الصّدام بين الخليفة الهادي و آل عليّ بن أبي طالب منذ توليه الخلافة فقد علم الهادي أنّ عليّ بن الحسين بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب قد تزوّج رقية بنت عمرو العثمانية، وكانت إحدى زوجات الخليفة المهدي .

و غضب الهادي لذلك و بعث إلى عليّ بن الحسين فأستدعاه و لأمه و ويّخه، و قال له : أعياك النساء إلّا امرأة أمير المؤمنين؟.

فقال عليّ: «ما حرم الله خلقه إلّا نساء جدّي صلى الله عليه و آله، فأما غيرهن فلا » فأمر الهادي بضربه خمسمئة سوط^{٩٧٥}.

بوادر الثورة العلوية الجديدة:

بدأت بوادر حركة الحسين بن عليّ منذ تولية الهادي الخلافة فقد كان يلي حكم المدينة في عهد المهدي إسحاق بن عيسى بن عليّ. فلمّا توفّي المهدي خرج إسحاق إلى بغداد للقاء الخليفة الجديد، و طلب منه إعفاءه من منصبه فأستجاب الهادي لرغبته و ولى بدله عمر بن عبد العزيز بن عبد الله بن عمر بن

ص: ٣٥٢

الخطّاب^{٩٧٦} و لم يذكر المؤرّخون سبب إستعفاء هذا الولي، و لكنّنا نرجّح أنّه أدرك أنّ العلويين لن يطول ركونهم إلى الهدوء بعد وفاة المهدي و أنّ سياسة الرّفق بالعلويين التي اتّبعتها المهدي قد آذنت بالنهاية تولي الهادي و هو معروف ببطشه و قسوته.

و بدأ الوالي الجديد، عمر بن عبد العزيز سياسة إضطهاد و إرهاب بالنسبة للعلويين و شيعتهم فحمل على الطّالبيين و أساء إليهم و أفرط في التّحامل عليهم و طالبهم بالعرض كلّ يوم و كانوا يعرضون في المقصورة و أخذ كلّ واحد منهم بكفالة قريبه و نسبه فضمن الحسين بن عليّ و يحيى بن عبد الله بن الحسن و الحسن بن محمّد بن عبد الله بن الحسن^{٩٧٧}.

و تبدو من هذه الرواية التي رواها الإصفهاني أنّ الوالي الجديد كان متحاملاً على الحسن بن محمّد حتّى أنّه جعله في كفالة و ضمان زعيمين علويين آخرين.

و ما لبث هذا الوالي أن اتّهم الحسن بن محمّد و مسلم بن جندب الشّاعر الهذلي و عمر بن سلّام مولى آل عمر بن الخطاب بشرب الخمر. فضر الوالي الحسن ثمانين سوطاً، و ضرب ابن جندب خمسة عشر سوطاً، و ضرب مولى عمر سبعة أسواط، ثمّ جعل في أعناقهم حبال و طيف بهم في المدينة مكشوفى الظّهر^{٩٧٨}.

^{٩٧٥} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٤/ ٤٣٣، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٦/ ١٠٤، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٠/ ١٤١.

^{٩٧٦} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦/ ٤١٠، الجهشياري، الوزراء و الكتاب: ٥٨.

^{٩٧٧} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٤٣، الإفادة في تأريخ الأئمة السّادة: ٧١، تأريخ الطّبري:

٤١٠/ ١٠ و: ٢٤/ ١٠، الوزراء و الكتاب الجهشياري: ٥٨، الكامل في التّاريخ: ٦/ ٣٢، تأريخ البغدادي: ٣/ ١٣٦.

^{٩٧٨} (٣) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦/ ٤١٠، البغدادي، تأريخ بغداد: ٣/ ١٣٦.

و احتجت جماعة الهاشمية التي كانت قد والت العباسيين خلال ثورة النفس الزكية على والي المدينة، لما أنزله بالعلويين قالت: لا و كرامة، لا تشهر أحدا من

ص: ٣٥٣

بنی هاشم و تشنع عليهم و أنت ظالم^{٩٧٩}.

و خرج الحسين بن عليّ إلى والي المدينة، ينفي عن العلويين اتّهامهم بشرب الخمر، و يطلب من والي إطلاق سراحهم . و لكنّ والي لم يجب الحسين إلى طلبه، و سجن العلويين يوما و ليلة . و عاود الحسين محادثة والي في شأنهم فأطلق سراحهم على أن يتكفّل الحسين بالحسن و يضمّنه و أن يقدم الحسين في كلّ يوم ليقف على أمره^{٩٨٠}.

و عهد والي المدينة لمولى من الأنصار و هو أبو بكر بن عيسى الحائك، مهمّة تفقد العلويين في كلّ يوم . و حدث أنّ الحسن بن محمّد كان قد تزوّج مؤخرا فتغيب عن العرض البيومي، ثلاثة أيّام هي الأربعاء و الخميس و الجمعة و قدم العلويون إلى مسجد المدينة يؤدّون صلاة الجمعة حتّى إذا انتهوا من أدائها حسبهم أبو بكر بن عيسى الحائك في المسجد حتّى صلاة العصر، ثمّ عرضهم، و نادى أسماءهم، فلم يجد الحسن بن محمّد بينهم، فسأل كفيليه الحسن بن عليّ و يحيى بن عبد الله بن الحسن عن الحسن و طلب منهما إحضاره، و هدهما بالسّجن، و كان قد قدم إلى المدينة في هذا الوقت سبعون من الشيعة في إنتظار بداية موسم الحجّ فأشتبكوا في جدال عنيف مع ابن الحائك، كما تبادل يحيى بن عبد الله و ابن الحائك السّباب. و خرج ابن الحائك إلى والي غاضبا ينقل إليه ما حدث في المسجد . و استدعى والي الحسين بن عليّ و يحيى بن عبد الله فوبخهما و هدهما^{٩٨١}.

ص: ٣٥٤

كان الحوار الّذي دار في مجلس والي المدينة هو الشّراة التي أدّت إلى إندلاع ثورة الحسين بن عليّ^{٩٨٢}، فقد كتم الحسين غيظه و أراد أن يخفف من ثورة والي، فقال له: أنت مغضب يا أبا حفص؟.

فأبدى والي غضبه و قال للحسين: أتهازأبي و تخاطبني بكينيتي؟.

فقال الحسين: قد كان أبو بكر و عمر، و هما خير منك يخاطبان بالكني ف لا ينكران ذلك، و أنت تكره الكنية و تريد المخاطبة بالولاية. و ازداد غضب والي فقال: آخر قولك شرّ من أوّله.

فقال الحسين: معاذ الله ياأبي الله، لي ذلك و من أنا منه؟.

فقال والي: أفأنا أدخلتكم إليّ لتفاخرني و تؤذيني؟. و تدخل يحيى بن عبد الله في الحديث، فصاح غاضبا: فما تريد منّا؟.

^{٩٧٩} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٤١٠ / ٦، البيهقي، تأريخ يعقوبي: ١٣٦ / ٣، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٤٤.

^{٩٨٠} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٤.

^{٩٨١} (٣) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٤١١ / ٦.

^{٩٨٢} (١) انظر، البيهقي، تأريخ يعقوبي: ١٣٧ / ٣.

فأجاب الوالى: أريد أن تأتياىى بالحسن بن محمد.

فقال يحيى ساخرا من الوالى: لا تقدر عليه، هو فى بعض ما يكون فى الناس فابعث إلى آل عمر بن الخطّاب، فاجمعهم كما جمعنا ثمّ أعرضهم رجلا رجلا فإن لم تجد فيهم من قد غاب أكثر من غيبة الحسن عرك فقد أنصفتنا .

و استمرت ثورة غضب والى المدينة، عمر بن عبد العزيز، وأقسم على أن يحرق دار الحسين و يخرّبها و يضربه ألف سوط، إن لم يحضر الحسن إليه فى يوم و ليلة، كما أقسم أن يقتل الحسن إذا وقعت عيناه عليه .

بعث الحسين بن علىّ، إلى الحسن بن محمد يخبره بما ينتظره على يد الوالى و طلب منه النّجاة بنفسه . و لكن الحسن قال: لا و الله يا بن عمّى. بل أجيء معك الساعة حتّى أضع يدي فى يده.

ص: ٣٥٥

فقال الحسين له: ما كان الله ليطلع علىّ و أنا مقبل إلى محمد صلى الله عليه و آله، و هو خصمى و حجيجى فى دمك، و لكن أقيسك بنفسى لعل الله يقينى من النار^{٩٨٣}.

الثّورة:

و بدأت الثّورة منذ تلك اللّيلة التّى شهدت ذلك اللقاء بين والى المدينة و الزّعيمين العلويّين . و قدم إلى دار الحسين ستّة و عشرون من آل علىّ بن أبى طالب، و فى مقدّمهم يحيى و سليمان و إدريس، أبناء عبد الله بن الحسن^{٩٨٤}، و بعثوا فى إستقدام فتيان من فتيانهم و مواليهم، كما قدم عليهم عشرة من الحجاج الشيعة الذين أشرنا إلى قدومهم من الكوفة إلى المدينة لأداء فريضة الحجّ.

استمرّ الإجتماع طوال اللّيل حتّى إذا قرب من آخره خرج يحيى بن عبد الله فى نفر منهم إلى دار مروان و هى دار الإمارة، فلم يجد الوالى عمر بن عبد العزيز بها فاتّجهوا إلى دار عبد الله بن عمر فلم يجد الوالى بها أيضا فقد كان قد علم بإجتماع العلويّين، فأسرع إلى الإختفاء^{٩٨٥}.

خرج الجميع إلى مسجد المدينة قبيل الفجر، و تردّدت صيحاته م داخل المسجد (أحد، أحد) و أمروا المؤذّن بأن يؤذّن بأذان الشيعة و هو حىّ على خير العمل^{٩٨٦}، و جلس الحسين على المنبر و عليه عمامة بيضاء و جعل الناس يأتون

ص: ٣٥٦

^{٩٨٣} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيّين: ٤٤٥ - ٤٤٦، الفخري، المجدي فى أنساب الطّالبيّين: ١٧٢ و ما بعدها.

^{٩٨٤} (٢) قدم أيضا عبد الله بن الحسن الأقطس و إبراهيم بن إسماعيل طباطبا و عمر بن الحسن بن عليّ بن الحسن بن الحسين بن الحسن و عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن

الحسن بن الحسن بن عليّ و عبد الله ابن جعفر بن محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ

^{٩٨٥} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤١١ / ٦.

^{٩٨٦} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيّين: ٤٤٣، و اللّون الأبيض هو شعار العلويّين.

المسجد، فإذا رأوهم رجعوا ولا يصلون، فلما صلى الغداة جعل الناس يأتونه و يبائعونه على كتاب الله و سنة صلى الله عليه و آله للمرتضى من آل محمد^{٩٨٧}.

خطب الحسين بن عليّ في الناس فقال، بعد أن حمد الله و أثنى عليه:

أنا ابن رسول الله على منبر رسول الله، و في حرم رسول الله أدعوكم إلى سنة رسول الله صلى الله عليه و آله . أيها الناس: أطلبون آثار رسول الله في الحجر و العود، و تتمسحون بذلك و تضعون بضعة منه^{٩٨٨}.

و أقبل الناس على بيعة الحسين و هذا هو نصّ البيعة : أبايعكم على كتاب الله و سنة رسول الله، و على أن يطاع الله و لا يعصى و أدعوكم إلى الرضا من آل محمد و على أن نعمل فيكم بكتاب الله و سنة نبيه صلى الله عليه و آله، و العدل في الرعية و القسم بالسوية و على أن تقيموا معنا، و تجاهدوا عدونا فإن نحن وفينا لكم وفيتم لنا و إن نحن لم نف لكم فلا بيعة لنا عليكم^{٩٨٩}.

و تقدّمت فرقة من الجند العبّاسيين تتألّف من مئتي جندي، بقياده خالد البربري و كان يتولى الصّوافي بالمدينة، و تشجع و إلى المدينة عمر بن عبد العزيز فظهر بعد أن كان قد اختفى، و انضم إلى خالد البربري و اتّجهوا جميعا نحو أحد أبواب المسجد و هو باب جبرائيل، و اقتحموا الرّحبة شاهرين سيوفهم، و اتّجه خالد نحو الحسين و هو يصيح في وجهه «قتلني الله إن لم أقتلك» و أعترض يحيى ابن عبد الله طريق خالد لمنعه من الوصول إلى الحسين، و ضربه يحيى بسيفه على أنفه فقطعها و سالت دماؤه على وجهه، و أراد خالد الإستمرار في

ص: ٣٥٧

المقاومة، فضربه إدريس بسيفه ضربة قضت على حياته و ارتاع أصحابه فحملوا جثته و أسرعوا بالإنسحاب . ثمّ هاجم الثّوار بيت مال المدينة، و استولوا على نحو سبعين ألف دينار^{٩٩٠}.

و في اليوم التّالي و هو يوم السّبت، احتشد جماعة من أنصار العبّاسيين و كانوا يطلقون على أنف سهم (المسودة) و واجههم شيعة العلويين (المبيضة) و تقاتل الفريقان فيما بين رحبة دار الفضل و الزّوراء، و فشت الجراحات بين الفريقين جميعا فاقتتلوا إلى الظّهر ثمّ افرقوا^{٩٩١}.

تولى إمارة الحجّ في هذه السّنة مبارك التّركي، فبدأ بزيارة المدينة، و علم هناك بأمر حركة الحسين فبعث في طلبه ليلا، و قال له: إنّي و الله ما أحبّ أن تبتلى بي و لا أبتلّى بك، فابعت اللّيلة إلى نفرا من أصحابك و لو عشرة يبيتون^{٩٩٢} عسكري

^{٩٨٧} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٤١١ / ٦ - ٤١٢.

^{٩٨٨} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين، ٤٤٨، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٣.

^{٩٨٩} (٣) انظر، اليعقوبي، تأريخ اليعقوبي: ١٣٧ / ٣، مقاتل الطّالبيين: ٤٥٠، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٣.

^{٩٩٠} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٤١٢ / ٦، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٤٨.

^{٩٩١} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٤١٢ / ٦.

^{٩٩٢} (٣) انظر، يبيتونه: أي يهاجمونه ليلا.

حتى انهزم و اعتل بالبيانات و نفذ الحسين الخطّة المرسومة فقدم عشرة من أصحابه إلى معسكر مبارك فتظاهر و بالهجوم لهلا عليه و أخذوا يصيحون و يتوعدون و تظاهر مبارك أيضا بالانسحاب إلى مكّة من فوره^{٩٩٣}.

قضى الحسين و أصحابه أيّاما يتجهزون للرحيل إلى مكّة فكان مقامهم بالمدينة منذ أعلن الثّورة أحد عشر يوما ثمّ خرج الحسين إلى مكّة يوم (٢٤ من ذى القعدة سنة ٢٦٩ هـ)، في أهله و مواليه و أصحابه فبلغ عددهم ثلاثمئة نفر و استخلف على المدينة دينار الخزاعي^{٩٩٤}.

ص: ٣٥٨

الشّهاد:

علم الهادي نبأ حركة الحسين بن عليّ، فقد كتب إليه بأخبارها جماعة من أهل بيته ممن أدوا فريضة الحجّ في هذه السنّة، و منهم محمّد بن سليمان بن عليّ، و العبّاس بن عليّ و اقترح البعض على الهادي أن يعهد بأمر القتال إلى عمّه العبّاس بن محمّد، فرفض هذا الإقتراح و قال: «لا و الله لا أخدع عن ملكي» و بعث الهادي بكتاب إلى محمّد بن سليمان يعهد فيه إليه بالقضاء على حركة الشّيعه و كان محمّد بن سليمان «في عدّة من سلاح و الرّجال لأنّ الطّريق كان مخفياً معورا من الأعراب»^{٩٩٥}.

و توافدت الكتب على موسى بن عليّ بن موسى، و العبّاس بن محمّد بن سليمان فخرجوا بأصحابهم و انضموا إلى محمّد بن سليمان و عسكروا جميعا في ذي طوى^{٩٩٦}، فانضم إليهم من وافى في تلك السنّة من شيعة ولد العبّاس و مواليتهم، و كان النّاس اختلّفوا في تلك السنّة في الحجّ و كثروا جدا^{٩٩٧} و أرسل الحسين بعض رسله للاتّصال بعبيد مكّة لينضمّوا إليه و وعدوهم بتحريرهم، فقدم عليه كثير منهم و انضموا إلى أتباعه الآخرين^{٩٩٨}.

نظم العبّاسيون قواتهم فقاد محمّد بن سليمان ميمنة الجيش، و قاد العبّاس بن محمّد و موسى بن عيسى الميسرة، و قاد معاذ بن مسلم قلب الجيش، و بلغ عدد الجند العبّاسيين أربعة آلاف فارس و قبل طلوع الفجر قدم الحسين بن عليّ في

ص: ٣٥٩

أصحابه و شيعته و أصبحت القهتان في مواجهة بعضهما عند (فخ)^{٩٩٩} و أصبح الصّدام و شيكا^{١٠٠٠}.

^{٩٩٣} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٤٩.

^{٩٩٤} (٥) انظر، اليعقوبي، تاريخ اليعقوبي: ١٣٧/٣.

^{٩٩٥} (١) انظر، معورا من الأعراب: أي معرّضا لهجوم البدو.

^{٩٩٦} (٢) تقع (ذي طوى) على مقربة فرسخ من مكّة. انظر، الطّبري، مجمع البحرين: ٧٩/٢، سبل الهدى و الرّشاد في سيرة خير العباد لمحمّد بن يوسف الصّالحي الشّامي: ٤/

٢٥٨.

^{٩٩٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤١٣-٤١٤.

^{٩٩٨} (٤) نادى رسل الحسين في مكّة «أيا عبد أتانا فهو حرّ»، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤١٤/٦.

^{٩٩٩} (١) تقع فخّ على بعد ستّة أميال من مكّة.

^{١٠٠٠} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣٣٦/٤.

و لما رأى الحسين بن عليّ الجند العباسيين أقعد رجلا من أصحابه على جمل يحمل سيفاً يلوح به و أخذ الحسين يملأ عليه بعض العبارات فينادى بها فصاح:

«يا معشر الناس! يا معشر المسودة هذا الحسين بن رسول الله صلى الله عليه وآله و ابن عمّه يدعوكم إلى كتاب الله و سنة رسول الله صلى الله عليه وآله»^{١٠٠١}، و لكن هذه المقالة لم تجد من العباسيين شيئاً.

و دارت معركة رهيبة عند فخر، قاتل فيها الحسين بن عليّ حتى استشهد^{١٠٠٢} ثمّ أحتزّ العباسيون رأس الحسين و رؤوس أصحابه و بلغ عدد الرؤوس أكثر من مئة رأس، و قدموا بها إلى قواد الجيش العباسي، و كان عندهم جماعة من ولد الحسن و الحسين، و سأل العباسيون موسى بن جعفر أن يشير إلى رأس الحسين فأشار إلى رأسه و قال : «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» مضى و الله مسلماً صالحاً صوّماً قوّماً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ما كان في أهل بيته مثله^{١٠٠٣}. و ظلت جثث القتلى ثلاثة أيام دون أن توارى حتى أكلتها الحيوانات الضارية و الطيور الجارحة^{١٠٠٤}.

ص: ٣٦٠

نجا بعض أصحاب الحسين بن عليّ بأنفسهم و اختلطوا بالحجاج الذين قدموا إلى مكة فلم يستطع العباسيون التوصل إليهم. و وقع بعض أصحاب الحسين في الأسر، و منهم أخته فأحتجزوها في بيت زينب بنت سليمان^{١٠٠٥}.

و أقدم العباسيون على قتل الأسرى من آل عليّ بن أبي طالب، و منهم سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ و عبد الله بن إسحاق بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن بن عليّ و الحسن بن محمد و عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ، و أخذ الأمان لعبد الله بن الحسن بن عليّ و للحسن بن عليّ، فحبسوا عند جعفر البرمكي و قتلوا بعد ذلك^{١٠٠٦}. و قدم موسى بن عيسى إلى بغداد بستة من الأسرى منهم أربعة من أهل الكوفة. فطلب الخليفة الهادي من موسى أن يمثل الأسرى بين يده فطلب موسى من الخليفة أن يعفو عنهم إذ قد تعهد لهم بذلك و أمّتهم على أنفسهم. فأمر الهادي بقتل أسيرين منهم و عفا عن الباقيين. و شفع موسى لأحد هؤلاء فقال للخليفة: يا أمير المؤمنين، هذا أعلم الناس بآل أبي طالب فإن استبقيته ذلك على كلّ بغيه لك. و أمر الخليفة بصمادة أموال التركي لتساهله مع الحسين بن عليّ، و عزله عن منصبه، و جعله من ساسة الدواب كما أبدى الخليفة غضبه على موسى بن عيسى لإقدامه على قتل الحسن بن محمد و أمر بمصادرة أمواله^{١٠٠٧}.

^{١٠٠١} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٤٩.

^{١٠٠٢} (٤) عرض العباسيون على الحسين الأمان فلم يقبله و استمر يقاتل حتى لقي حتفه و كان مصرعه على يد حماد التركي فقد رماه بسهم فقتله و كافأه محمد بن سليمان بأن منحه مئة ألف درهم و مئة ثوب.

انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٥١.

^{١٠٠٣} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٥٣، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٧٤.

^{١٠٠٤} (٦) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٣٦، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٥١، الفخري في الآداب السلطانية: ١٧٤.

^{١٠٠٥} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤١٥/ ٦.

^{١٠٠٦} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٣٧.

^{١٠٠٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤١٥- ٤١٦.

روى المسعودي^{١٠٠٨}، و صاحب الفخرى^{١٠٠٩} أن الخليفة الهادي أبدى حزنه

ص: ٣٤١

لمقتل الحسين بن عليّ، و أنزل سخطه على الذين دخلوا عليه مستبشرين و هم يحملون رأس الشهيد، فقال لهم : أتيتموني مستبشرين كأنكم أتيتموني برأس رجل من الترك أو الديلم إنه رجل من عترة رسول الله صلى الله عليه و آله، ألا أن أقل جزائكم عندي ألا اثبيكم شيئا.

و هكذا ذرف الهادي، كما روى المؤرخان الدموع على الحسين بن عليّ، و بالأمس أبدى الخليفة المنصور ألمه و حزنه لمقتل محمد النفس الزكية. فهل كان الخليفتان صديقين في مشاعرهما و حزنهما؟ أم أنّهما، و قد أدركا أن الأمر قد انتهى لصالحهما لم يجدا بأسا في التظاهر بالحزن و الأسى، حتى لا يظهرهما بمظهر الشامتين في أعدائهما القاطعين لصلة الرحم التي تربطهم بأبناء عمومتهما العلويين. أم أراد الخليفتان تسكين الخواطر الحزينة و تهدئة النفوس الثائرة؟.

و للإجابة عن هذه التساؤلات نقول أن الله وحده عزّ و جل أعلم بالسرائر و الضمائر و لكننا نعتقد أن الهادي قد أراد أن يخفف من ثورة و سخط المسلمين عليه إذ أغضبهم مصرع حفيد للرسول و لعلي بن أبي طالب و نرى هذا واضحا فيما سبق أن أشرنا إليه فقد صادر الهادي أموال موسى بن عيسى لأنه أقدم على قتل الحسن بن محمد، رغم ما أبداه موسى من إخلاص للخليفة و من استبسال في القتال . و لا نعتقد أن الهادي كان رقيق الإحساس موهف الشعور بحيث يتألم لمقتل رجل يعتبره خصما قويا و عدوا لدودا له . و المؤرخون جميعا يجمعون على وصف الهادي بالقسوة و الغلظة، و قد اتضحت هذه الطباع في معاملته لعامة الناس و خاصتهم بل لأمه الخيزران^{١٠١٠}.

ص: ٣٤٢

و علم والي المدينة عمر بن عبد العزيز بمصير الحسين بن عليّ و أصحابه، فأراد أن ينفّس عن أحقادهم و سخطه، فأحرق دور الحسين و أهله، و صادر أموالهم و استولى على نخلهم و ضمّها إلى بيت المال^{١٠١١}.

و انسدل الستار على مأساة أخرى تضاف إلى مآسي مقاتل الطالبين و انتهت حركة الحسين بن عليّ و شيعته بالإخفاق و شهدت ضواحي مكة إراقة دماء علوية أخرى مثلما شهدت المدينة بالأمس إراقة دماء محمد النفس الزكية.

فلسفة أحداث الثورة:

^{١٠٠٨} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٣٧.

^{١٠٠٩} (٥) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٧٣.

^{١٠١٠} (١) كان الهادي يهدي غيرة شديدة على أمه الخيزران و ينهاها عن لقاء طلاب الحاجات الذين - يقصدونها لتتوسط لدى ابنها الخليفة لقضائها و يتهم بعض المؤرخين الخيزران بأنها دبرت مقتل ابنها الهادي حينما اشتدّ في معاملتها. انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٦ / ٤٢٣، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٢٤، الملل و التحل: ١ / ٨٩، مقاتل الطالبين: ٢٤٧، الخطيب البغدادي: ١٣ / ٣٩٨، الكواكب الدرية: ١ / ١٧٥، الفصول في الأصول للحصّاص: ١ / ٧٨، الطبقات الكبرى: ٧ / ٣٢٢، عمدة الطالب: ١١٠، العبر و ديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر و من عصرهم من ذوي السلطان الأكبر: ١ / ٢١٤.

^{١٠١١} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٥٢، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٧٤، و هذه هي الحلقة الثانية من حلقات (المصادر العباسية)، و قد كانت الحلقة الأولى في عهد المنصور حين صادر أموال و ممتلكات آل عبد لله بن الحسن بعد ثورة محمد النفس الزكية.

- هل كانت حركة الحسين بن عليّ حركة قامت نتيجة خطة مرسومة و تنظيم دقيق سابق لإعلان الثورة؟.

- و هل كان الحسين ينوى إعلان الثورة و أنّه اتّخذ للأمر عدته؟.

- أم قامت الثورة نتيجة ظروف معينة و خضعت في ظهورها لتطور الأحداث تطورا سريعا؟.

- و هل كانت سياسة والي المدينة نحو العلويين و اضطهاده لهم و استفزازه

ص: ٣٤٣

لمشاعرهم هو العامل الرئيسي في قيام هذه الحركة؟.

يرى بعض المؤرخين أنّ الحسن بن عليّ كان ينوى الخروج على الهادي و إعلان الثورة قبل ذلك الحدث كان بين العلويين و والي المدينة عمر بن عبد العزيز و أنّ ذلك النزاع الذي قام بين الفريقين هو الذي عجل بظهور الثورة.

فجاء في حديث الطبري^{١٠١٢} عن حركة الحسين بن عليّ «و كانوا قد تواعدوا على أن يخرجوا بمنى أو مكة في الموسم^{١٠١٣} فيما ذكروا...». و ذكر صاحب الفخرى^{١٠١٤} هذا الرأي بأكثر صراحة و وضوحا من الطبري فقال : كان الحسين بن عليّ من رجال بنى هاشم و سادتهم و فضلائهم و كان قد عزم على الخروج و اتّفق مع ه جماعة من أعيان أهل بيته، ثمّ وقع من عامل المدينة لبعض آل عليّ عليه السلام، فثار آل أبي طالب بسبب ذلك و اجتمع إليهم ناس كثيرون.

و إذا أخذنا برأي هذين المؤرخين فعلينا أن نجزم بأنّ الثورة كانت مبيتة و أمرا مقضيا و أنّ اضطهاد والي المدينة لآل عليّ كانت نقطة الإنطلاق أو ساعة الصفر بلغة عصرنا هذا . و لكننا نرى أنّه من العسير تأكيد هذا الرأي إذ لم تمدنا المصادر القديمة بأخبار الأعداد و التجهيز لهذه الثورة و هو ما لمسناه واضحا في أخبار ثورة محمد النفس الزكية و إبراهيم في هذه المصادر. فقد تحدثت هذه المصادر كما رأينا عن تشجيع عبد الله بن الحسن ابنه محمد النفس الزكية على المطالبة بالخلافة^{١٠١٥} و تحمله الأذى و السجن في سبيل الحيلولة دون وصول أيدي

ص: ٣٤٤

المنصور إلى ابنه^{١٠١٦}. كما رأينا محمدا يبعث بدعائه إلى الأمصار المختلفة و شهدنا جهود إبراهيم في نشر الدعوة في البصرة، و الأهواز، و فارس^{١٠١٧}.

أعلن الحسين بن عليّ ثورته في ذى القعدة سنة (١٦٩ هـ) و كان الهادي قد تولى الخلافة في أواخر المحرم من هذه السنة . و قد اهتم الطبري^{١٠١٨} بالإشارة إلى الفترة ما بين تولية الهادي الخلافة و خروج الحسين فقال أنّها تسعة أشهر و ثمانية عشر

^{١٠١٢} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤ / ٤١١.

^{١٠١٣} (٢) الموسم: أي موسم الحج، و كان مصرع الحسين بن عليّ في يوم التّروية

^{١٠١٤} (٣) انظر، الفخرى، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٢.

^{١٠١٥} (٤) انظر، ابن نشوان، الخور العين: ٢٧١.

^{١٠١٦} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٤ / ٣٧٠.

^{١٠١٧} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٠٨.

يوما، و هي فترة قصيرة لا تكفى للإعداد لثورة علوية شيعية تقضى على خلافة عباسية نجحت فى توطيد أركانها، و تثبيت أقدامها فى أرجاء العالم الإسلامى و خاصة أن المصادر القديمة لم تشر إطلاقا إلى تهيؤ العلويين للثورة فى عصر المهدي و قد شهدنا الرقابة المحكمة التى فرضها على العلويين سواء من أقام منهم فى بغداد أو فى المدينة، كما أشرنا إلى قيام ولاته و عمال بريده بالمدينة بتفقد نشاط العلويين و تحركاتهم مما لم يوجد مجالا لأى إعداد لحركة شيعية.

[عوامل إخفاق حركة الحسين بن على]

و لذا يمكننا أن نقف موقفا وسطا فنقول أن الحسين بن على كان مثله مثل سائر آل على بن أبى طالب، يتطلع إلى الخلافة و يعتقد أن العباسيين قد اغتصبوا حقهم المشروع فيها، و أنه كان لا بأس لديه من أن يعلن الثورة إذا و اتته الظروف و كان النزاع بينه و بين والى المدينة هو الذى هيا له تلك الظروف . و لكننا نقول أيضا أن الحسين بن على لم يهتم بتنظيم دعوته و لم يبعث دعااته إلى الأمصار، و لم يهيء من القوات المسلحة ما يمكنه من مواجهة الجيوش، كما نقول أنه تعجل بإعلان الثورة قبل توفر إمكانات النجاح لها مما مكن العباسيين من

ص: ٣٦٥

القضاء عليها فى سهولة و يسر.

و يتضح ذلك فى رواية للطبرى^{١٠١٩}، فقد تحدث عن قدوم محمد بن سليمان على رأس عدد كبير من الجند العباسيين ثم قال: و لم يحتشد لهم حسين فأتاه خبرهم فهم بصوبه، فخرج بخدمة و اخوانه . و تحدث الإصفهاني^{١٠٢٠} عمن انضم إلى الحسين حينما أعلن الثورة فى المدينة فقال : «و وجهوا إلى فتيان من فتيانهم و مواليه، فأجتمعوا ستة و عشرين رجلا من ولد على، و عشرة من الحجاج و نفر من الموالى»^{١٠٢١}. و لذا لم تستطع جماعة الحسين بن على الصمود طويلا أمام القوات العباسية الكثيرة و العدد المزودة بالسلاح الوفير، و نجح العباسيون بعد معركة قصيرة محدودة فى قتل الحسين و معظم أصحابه.

وصف الطبرى^{١٠٢٢} الجيش العباسي فقال : قدم محمد بن سليمان قدامه تسعون حافرا، ما بين فرس إلى بغل و هو على نجيب عظيم، و خلفه أربعون راكبا على النجائب عليها الرّحال و خلفهم ما بين راكب على الحمير سوى من كان معهم من الرّجاله و غيرهم و كثروا فى أعين الناس جدا و ملثوا فظنوا أنها أضعافهم.

و من عوامل إخفاق حركة الحسين بن على أيضا إمتناع بعض أهل المدينة عن الإنضمام إلى حركته و وقوف بعضهم موقفا عدائيا منه، كما نستنتج من رواية للطبرى أن بعض أهل المدينة لم يرضوا عن اتّخاذ الحسين المسجد النبوى مركزا

ص: ٣٦٦

^{١٠١٨} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبرى: ٤٠١ / ٦.

^{١٠١٩} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبرى: ٤١٤ / ٦.

^{١٠٢٠} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٤٦.

^{١٠٢١} (٣) لا شك إن انضمام العبيد إلى الحسين بن على قد أثار مخاوف أسيادهم الذين اغضبتهم هذه الحركة لتحرير الرقيق و إن لم يكن من أهداف حركة الحسين هذا التحرير فقد كانت طبقة الرقيق من عناصر المجتمع العباسي.

^{١٠٢٢} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبرى: ٤١٣ - ٤١٤.

لثورته، و خاصةً أنّ أصحاب الحسين لم يحترموا حرمة هذا المكان المقدّس الطّاهر^{١٠٢٣}.

و يبدو إمتناع بعض أهل المدينة من مناصرة الحسين في تلك العبارة التي قالها لهم : أيّها النّاس أتطلبون آثار رسول الله في الحجر و العود، و تتمسحون بذلك و تضيعون بضعة منه^{١٠٢٤}.

و تحدث الطّبري^{١٠٢٥} أيضاً عن إمتناع بعض أهالي المدينة عن الخروج مع الحسين بن عليّ رغم و عودهم السّابقة فقال: أنّ الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن قال يومئذ في قوم لم يخرجوا معه، و كان قد وعدوه أن يوافوه فتخلفوا عنه متمثلاً^{١٠٢٦}:

موتا على عجل أو عاش منتصفا

من عاذ بالسّيف لاقى فرصة عجبا

لن تدركوا المجد حتّى تضربوا عنقا

لا تقربوا السّهل أن السّهل يفسدكم

و امتنع أيضا بعض زعماء العلويّين عن الخروج مع الحسين و في مقدّماتهم الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن و موسى بن جعفر بن محمّد . و قد جاء موسى إلى الحسين فقال له : أحب أن تجعلني في سعة و حلّ من تخلفني عنك فأطرق الحسين طويلا لا يجيبه، ثمّ رفع رأسه إليه فقال: أنت في سعة.

و عند تهيؤ الحسين لمغادرة المدينة، طلب الحسين من موسى بن جعفر أن يصاحبه إلى المدينة فأبى موسى ذلك، و حذّره من تظاهر القوم بمناصرتة فقال:

ص: ٣٦٧

إنّك مقتول بأحد السيّوف، فإنّ القوم فسّاق يظهرون إيمانا و يضمرون نفاقا و شركا، فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون، و عند الله عزّ و جلّ أحسبكم من عصابة^{١٠٢٧}.

و من عوامل إخفاق حركة الحسين بن عليّ امتناع وجوه مكّة عن تأييد الحركة لتشجيع أصحاب الحسين الرّقيق على الفرار من إسيادهم. فروى الطّبري^{١٠٢٨} و نادى أصحاب الحسين بمكّة: أيّما عبد أتانا فهو حرّ. فأتاه العبيد و قال أحد وجوه مكّة للحسين: عمدت إلى مماليك لم تملكهم فأعتقتهم بم تحتل ذلك^{١٠٢٩}.

^{١٠٢٣} (١) روى بن جرير، تاريخ الطّبري: ٤/ ٤١٣، أنّ أتباع الحسين كانوا يأكلون في المسجد النبوي و يتركون فيه فضلات طعامهم، كما استولى بعضهم على ستور المسجد، ممّا أثار مشاعر أهل المدينة.

^{١٠٢٤} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٤٨.

^{١٠٢٥} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤/ ٤١٩.

^{١٠٢٦} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤/ ٤١٩، الذهبي، تاريخ الإسلام: ٨/ ١٠٧.

^{١٠٢٧} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٤٧.

^{١٠٢٨} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤/ ٤١٣.

وكان قيام حركة الحسين بن عليّ في موسم الحجّ من عوامل إخفاقها، فالهادي لم يبعث له بجيوش نظاميّة كبيرة العدد من العراق. إنّما اكتفى بالجند و الحراس الذين كانوا يرافقون وجوه العبّاسيّين الذين رحلوا إلى الحجاز لأداء فريضة الحجّ. و قد كانت قوافل الحجاج تخرج في حراسة عدد من الجند المسلمين لحمايتها من هجوم قطع الطّرق من البدو و الأعراب و قد استعان الهادي بهؤلاء الجند في القضاء على حركة الحسين. و لو لم تقم حركة الحسين في موسم الحجّ، لإضرط الحسين إلى إنفاذ جيوشه من العراق و لأصبح لدى الحسين متسع من الوقت يحشد فيه أصحابه و يوفر لهم الأسلحة و ينظم صفوفه.

بل أنّ الجند العبّاسيّين قد بادروه و هو في طريقة من المدينة إلى مكّة و قاتلوه في منطقة عراء مكشوفة و منعوا كلّ معونة قد يقدّمها له أهالي مكّة. كما قامت الثّورة

ص: ٣٦٨

في شهر ذي القعدة، و هي من الشّهور الحرام التي يجد المسلمون حرجا في القتال فيها، كما أنّ موسم الحجّ هو الموسم الذي يعتمد عليه غالبية أهل الحجاز في معاشهم و مواردهم الإقتصاديّة، حيث يقدم آلاف الحجاج من مشارق الأرض و مغاربها و لذا انصرف كثير من أهالي مكّة و المدينة إلى أعمالهم و تجارتهم و كسب عيشتهم و قد كان من عوامل إخفاق حركة عبد الله بن الزبير أيضا في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان حصار الحجاج بن يوسف الثقفي لابن الزبير في مكّة في موسم الحجّ^{١٠٣٠}، و التّاريخ دائما يعيد نفسه، و إن اختلفت الصّور و التفاصيل.

و انتهت صفحة أخرى من صفحات حركات الشيعة في العصر الإسلامي لتبدأ صفحة جديدة أخرى تقص علينا أنباء حركة شيعيّة أخرى قام بها يحيى و إدريس ابنا عبد الله في عهد الخليفة هارون الرّشيد.

ص: ٣٦٩

الباب الرابع: جهاد الشيعة في عهد هارون الرّشيد

١- حركتا يحيى و إدريس ابني عبد الله في عهد الخليفة هارون الرّشيد

٢- سياسة الرّشيد نحو الشيعة و الإمام موسى الكاظم

٣- موقف البرامكة من العلويين و الشيعة

ص: ٣٧١

حركتا يحيى و إدريس ابني عبد الله في عهد الخليفة هارون الرّشيد

^{١٠٢٩} (٣) انظر، كان في مكّة بقايا الأحابيش، إلى جانب الرّقيق الذي يجلبهم الرّحاسون و كان بعض الرّقيق جنودا في جيش الولاية، و قد استخدمهم والي المدينة رباح بن عثمان في البحث عن عمّد النفس الرّكيّة. انظر، الإصفهاني، الأغاني: ٢ / ٣٣٨، الصّولي، ثمرات الأوراق: ١ / ٢٣٨، السّمهودي، وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى: ٢ / ١٩٧.

^{١٠٣٠} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٤ / ١٤٦.

شهد عهد الخليفة هارون الرشيد أيضا حركتين شيعيتين قام بهما أخوان هما يحيى و إدريس ابنا عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، فقام محمد بحرته في المشرق، بينما ثارت حركة إدريس في بلاد المغرب، و الأخوان هما شقيقا محمد النفس الزكية و إبراهيم اللذين أعلنوا ثورتهم في عهد الخليفة المنصور، و سالت دماؤهما في المدينتي و البصرة .

انتهت حياة الخليفة الهادي سريعا، بعد شعور قليلة من مأساة فخ و استشهاد الحسين بن علي، فارتاحت نفوس الشيعة بنهاية عهد هذا الخليفة الذي اشتهر بالغلظة و القسوة . كما بدت بوادر طمأنينتهم، إذ تولى الخلافة هارون الرشيد، و قد اشتهر في عهدي المهدي و الهادي بسماحة الخلق ورقة الطباع حتى أن أباه المهدي كان قد شرع في تقديمه على الهادي في ولاية العهد لو لا أن عاجلته الوفاة^{١٠٣١}.

١٠٣١ (١) وصف صاحب الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٧٤ - ١٧٥ الخليفة هارون الرشيد فقال عنه: كان الرشيد من أفاضل الخلفاء و فصحاءهم و علمائهم و كرمائهم كان يحج سنة و يغزو سنة كذلك مدة خلافته إلا سنين قليلة . و كان يصلي في كل يوم مئة ركعة . و هذه الخليفة مختصة في علي بن - أبي طالب عليه السلام، و علي بن الحسين الذي كان يصلي في اليوم و الليلة ألف ركعة، كما جاء في الصواعق المحرقة لابن حجر : ٢٠٠، تهذيب التهذيب للعسقلاني: ٧/ ٣٠٦، نور الأبصار للشبلنجي: ١٣٦، تذكرة الحفاظ: ١/ ٧١، شذرات الذهب: ١/ ١٠٤، أخبار الدول للقرماني: ١١٠، تاريخ دمشق: ٣٦/ ١٥١، الصراط المستوي: ورقة ١٩٣، إقامة الحجة: ١٧١، العبر في خبر من غير: ١/ ١١١، دائرة المعارف للبيستاني: ٩/ ٣٥٥، تاريخ يعقوبي: ٣/ ٤٥، المنتظم: ٦ ورقة» ١٤٣»، الكواكب الدرية:

٢/ ١٣١، البداية و النهاية لابن كثير : ٩/ ١٠٥، الخصال: ٢/ ١٠١، و: ٥١٧ ح ٤ طبعة أخرى، الإمام زين العابدين للمقرم : ٣٢٤ طبعة دار الشبستري، المناقب لابن شهر آشوب: ٤/ ١٥٠، و: ٣/ ٢٨٩، إعلام الوري: ٢٥٥، سير أعلام النبلاء: ٤/ ٣٩٢، البحار: ٤٦/ ٧٤ ح ٦١ و ٦٢ و ٦٧ ح ٣٥، و في الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/ ١٤٣ زاد:» و كانت الترحيم تحمله بمنزلة السنبلة» ينابيع المودة: ٣/ ١٠٥، و قريب من هذا في وسائل الشيعة: ٤/ ٦٨٥.

و حج ماشيا و لم يحج خليفة ماشيا غيره، و كان إذا حج حج معه مئة من الفقهاء و أبناؤهم و إذا لم يحج أحج ثلاثة رجل بالثقة السابقة و الكسوة الظاهرة هنا سؤال نظرحه على الدكتوراة التي نقلت عن صاحب الفخري بأن الرشيد من أفاضل الخلفاء ... إلخ؟. فالذي يذهب إلى الحج كما تنقل و هي حاملة رسالة الدكتوراه لم تقرأ و تسأل نفسها كيف يتوافق هذا مع قتل الإمام موسى الكاظم بواسطة شاهك السندي، أو غيره، و كذلك العلويين من أبناء الرسول صلى الله عليه و آله و فاطمة البتول عليها السلام، و أحفاد أسد الله الغالب ليث بني غالب علي بن أبي طالب عليهم السلام هذا أولا. و ثانيا: ألم تسمع أو تقرأ الليثي، أن الخلفاء و بعض الفقهاء رأوا في تلك البدع سابقة من سنة الأولين يقتدون بها في التحايل على الدين. و تكتيفه طبقا لأهوائهم و أغراضهم ... و على سبيل المثال نذكر الحادثة التالية:

قال ابن خلكان في « وفيات الأعيان» ترجمة القاضي أبي يوسف صاحب أبي حنيفة: « أن هارون الرشيد أحب جارية عيسى بن جعفر، فسأله هبتها له، أو يبيعها فأبى، و قال : بالطلاق، و العتاق، و صدقة جميع ما أملك إن بعته أو وهبتها، فطلب الرشيد من أبي يوسف، أن يوجد له حلا شرعيا لهذه المعضلة . فقال أبو يوسف لعيسى: هبه نصفها، و لا حنث في ذلك، لأنك ما بعته كلها و لا وهبتها كلها.

ففعّل عيسى، و حملت الجارية إلى الرشيد، و هو في مجلسه.

فقال الرشيد لأبي يوسف بقيت واحدة.

قال: و ما هي؟.

قال: هي جارية و لا بد أن تستبرئ و إذا لم أبت معها ليلي هذا خرجت نفسي.

قال أبو يوسف: أعتقها فتصبح حرة، و اعقد عليها بعد العتق فإن الحرة لا تستبرئ، فأعتقها الرشيد، و عقد له عليها أبو يوسف، و قبض مئتي ألف ... كل ذلك حدث في ساعة واحدة، و قبل أن يقوم الرشيد من مكانه!.

انظر، وفيات الأعيان: ٤/ ٢٥٤، و تاريخ بغداد: ١٤/ ٢٥٣.

و ثالثا: عند ما أفضت الخلافة بواسطة البيعة المقيمة، و ولاية العهد السريمية، أخذت نزوات الرشيد التي غاب عنها القانون الشرعي و الأخلاقي تطفو على السطح، فقد وقعت في نفسه جارية من جوارى المهدي فراودها عن نفسها.

فقال: لا أصلح لك، أن أباك قد طاف بي، لكنه شغف بما، فأرسل إلى أبي يوسف قاضيه الشهير و الملقب بـ « فقيه الأرض و قاضيتها»، فسأله الرشيد: أعندك في هذا شيء؟.

و جاءه الجواب: « إهتك حرمة أبيك، و اقض شهوته، و صيره في رقيتي».

انظر، تاريخ الخلفاء: ٢٩١.

و رابعا: فهل أن قاضي القضاة صاحب دكان أو بقالة عند ما يسأله الرشيد أعندك شيء؟ و مع الأسف الشديد فعلا أصبح قاضي القضاة صااحب بقالية، و لكن مائدتها من المواد المحرمة التي لا يجوز التكبس بها؟ و فعلا أفق القاضي الشهير بفتواه لإرضاء شهوات الحاكم و الخليفة، و صاحب البيعة، و ولاية العهد و الإختيار، من قبل أهل الحل و العقد، و أهل الشورى، و ... و ..

و خامسا: لم يكف بهذه الرشيد، بل أنه ذات مرة سأل قاضي القضاة: أي اشتريت جارية، و أريد أن أطأها الآن قبل الاستبراء، فهل عندك حيلة؟.

موقف الخليفة الجديد من العلويين:

قال: نعم! تحبها لبعض ولدك، ثم ...
 الله أكبر! هذا فقيه الأرض و قاضيهها فلا تمتعه الدراهم و الدنانير من أي فتوى، أما الذي كان يصلّي في كلّ يوم و ليلة مئة ركعة كما تنقل الدكتور، فقال: (و لا بدّ للترشيد أن يعجل بها له قبل الصّبح؟ فقالوا له أنّ الخازن في بيته و الأبواب مغلقة.
 فقال أبو يوسف: « فقد كانت الأبواب مغلقة حين دعاني ففتحت!!».
 انظر، المصدر السابق: ٢٩٢. و لا ندري صلّى صلاة الصّبح أم لا حتّى نعتبرها تكملة للمئة ركعة
 و سادسا: كيف يتوالم هذا مع البذخ و الإسراف من بيت مال المسلمين للهو و المجون و شراء و المغنين، و الجوّاري الّتي لا تعد على حساب المستضعفين، حتّى وصل بالخليفة الذي يحجّ بين عام و عام إلى أن يكال الفالوذج الذي يمزج بدهن الفتسق كما جاء في تاريخ بغداد: ١٤ / ٢٤٢، و تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٢٩١.
 انظر، مناقب الخليفة- إن صخ التعبير-، الذي يغزو بين عام و عام كما تقول الدكتور و الذي وصل به الأمر أن يطير الحمام ثمّ عند ما يسأل فيكلّ جرّة يقول: أنّ الّتي صلّى الله عليه و آله كان يطير الحمام.
 انظر، تاريخ بغداد: ١٣ / ٤٨٤، وفيات الأعيان: ٢ / ١٨٢.
 و سابعا: أين كتاب الأمان الذي كتبه الترشيده له ليحيى الذي طلب من الترشيده أن يشهد على الكتاب الفقهاء، و القضاة و الشيوخ من بني هاشم، و أن يؤمّنه مع أصحابه السبعين، انظر، الفخري في أنساب الطّالبيين: ١٧٦، تاريخ الطّبري: ٦ / ٤٥٠.
 و يذكر الطّبري أنّ محمّد شهد على العهد عبد الصّمد و لكنّ الترشيده لم يذهب ما في نفسه، و قال له يوما:
 أتيّا أقرب إلى رسول الله أنا أو أنت؟
 قال: اعفني.
 قال: لا بدّ من الجواب.
 فقال له يحيى: لو عاش رسول الله، و خطب إليك ابنتك، أكنت تزوّجه؟
 قال: أي و الله.
 قال يحيى: لو عاش رسول الله فخطب إليّ أكان يحل لي أن أزوّجه؟
 قال الترشيده: لا.
 فقال يحيى: هذا جواب ما سألت. فغضب الترشيده، و قام من مجلسه.
 انظر، تاريخ الطّبري: ٦ / ٤٥٠.
 و ثامنا: و حدثت هذه مع الإمام موسى الكاظم أيضا، عند ما دخل الترشيده يوما إلى المسجد النبوي، و قال: السلام عليك يا ابن عمّ، مفتخرا بذلك على غيره، فتقدم أبو الحسن موسى الكاظم، و قال: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبه، فلم يحتملها الترشيده، فتغيّر وجهه، و أمر به فأخذته من المسجد، فحمله إلى بغداد مقيدا، و حبسه إلى أن مات بها مسموما سنة ثلاث و ثمانين و مئة.
 و تاسعا: ألم تقرّ اللّبي حياة الترشيده الذي حصد شجرة التّبوّة و اقتلع غرس الإمامة ... على حدّ تعبير الخوارزمي، و الذي لم يكن يخاف الله، و أفعاله بأعيان آل عليّ عليه السلام و هم أولاد بنت نبيّ... لغير جرم تدلّ على عدم خوفه من الله تعالى.
 انظر، الفخري في الآداب السلطانيّة: ٢٠. و يقول أحمد شلبي في التّاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلاميّة: ٣ / ٣٥٢ « كان الترشيده يكرّ الشّيعيّة و يقتلهم ». و قد أقسم على استئصالهم و كلّ من يتشيع لهم فقال: .. حنّام أصبر على آل بني أبي طالب و الله لأقتلّهم، و لأقتلّ شيعتهم و لأفعلنّ و أفعلنّ...
 كما ينقله صاحب الأغاني: ٥ / ٢٢٥.
 و قد أخرجهم جميعا من بغداد إلى المدينة كرها لهم و مقتا، كما جاء في الكامل لابن الأثير:
 ٥ / ٨٥ و تاريخ الطّبري: ١٠ / ٦٠٦. و قد وصفه صاحب العقد الفريد في: ١ / ١٤٢ بأنّه كان شديد الوطأة على العلويين يتتبع خطواتهم و يقتلهم. و أمر عامله على المدينة بأن يضمن العلويون بعضهم بعضا كما يقول الكندي في الولاية و القضاة: ١٩٨.
 و انظر، الصّواعق المحرقة: ١٢٣، وفيات الأعيان: ٢ / ١٧٣، تاريخ بغداد: ١٣ / ٣٢، صفوة الصّفوة: ٢ / ١٨٧، تذكرة الخواص: ٣٥٩، مروج الذهب: ٣ / ٣٥٥، البداية و النّهاية: ١٠ / ١٨٣، الكامل في التّاريخ: ٦ / ١٦٤، تاريخ ابن الوردي: ١ / ٢٨١، عيون التّواريخ: ٦ / ١٦٥.
 من أراد الإطلاّع على مناقب الخليفة فليراجع: مقاتل الطّالبيين: ٤١٦، المناقب لابن شهر آشوب:
 ٣ / ٣٢٤، كشف الغمّة: ٢ / ٢٣٠، نور الأبصار للشّيلنجي: ٣٠٦، الإنحاف بحبّ الأشراف للشّيراوي:
 ١٥٠ و: ٣١٨، بتحقيقنا الصّواعق المحرقة: ١٢٢ و ٢٠٤، ينابيع المودة: ٣ / ١٢٠ طبعة اسوة، عيون أخبار الرضا: ١ / ٩٩ ح ٤، و ١٠٠ ح ٦، مروج الذهب: ٣ / ٣٥٥، الهداية الكبرى: ٢٦٤-٢٦٧، دلائل الإمامة: ١٥٢-١٥٤، إثبات الوصيّة: ١٩٤، عمدة الطّالاب: ١٩٦.

انتهج الرشيد سياسة جديدة نحو العلويين^{١٠٣٢}. فقد رأى مسألتهم والإحسان

ص: ٣٧٦

إليهم و شجعه وزيره جعفر بن يحيى البرمكي على إنتهاج هذه السياسة و تحقيقا لهذه السياسة، فقد أمر بالإفراج عن الطالبيين المسجونين في بغداد، و سمح لهم بالعودة إلى المدينة^{١٠٣٣}. و تمّ الإفراج عنهم جميعا عدا أحدهم هو العباس بن الحسن بن عبد الله بن عليّ بن أبي طالب^{١٠٣٤} و قد لاقت هذه السياسة الحكيمة إستحسانا و ثناء من جماعات كثيرة من الناس تمثل جانبا هامّا من جوانب الرأي العامّ.

و أمر الخليفة هارون الرشيد أيضا بعزل عمر بن عبد العزيز، و هو والي المدينة الذي اضطهد العلويين، و كانت سياسته سبب إنفجار ثورة الحسين بن عليّ . و قد شهدنا هذا الوالي بعد موقعة فنج يخرب دور العلويين و يقطع نخلهم و يصادر أموالهم^{١٠٣٥}.

و قرّت عيون الشيعة لما لحق بمحمّد بن سليمان الذي قاد الجيوش العباسية التي قضت على حركة الحسين بن عليّ في موقعة (فنج) سنة (١٦٩ هـ)، فقد مات سنة (١٧٣ هـ)، و صادر الرشيد كلّ أملاكه و بلغت الأموال المصادرة ستين مليون درهم وزّعها الرشيد على النّدماء و المغنين، كما اصطفى الرشيد ضياعه بالأهواز^{١٠٣٦}.

عاد المسجونون من آل أبي طالب من بغداد إلى المدينة المنورة^{١٠٣٧}، و لكن كان هناك أخوان علويان قد نجوا من القتل في موقعة فنج، و أصبحا بمنجاة من قبضة العباسيين و هما (يحيى و إدريس ابنا عبد الله بن الحسن).

ص: ٣٧٧

يحيى بن عبد الله:

وصف الإصفهاني^{١٠٣٨} يحيى بن عبد الله فقال عنه: و كان حسن المذهب و المهدي مقدّمًا في أهل بيته بعيدا ممّا يعاب على مثله، و قد روى الحديث كما روى الإصفهاني أيضا، أنّ يحيى كان موضع تقدير الإمام مالك بن أنس، فكان الإمام يقوم له عن مجلسه و يجلسه بجانبه^{١٠٣٩}.

بعد موقعة فنج توارى يحيى عن الأنظار و ظلّ ينتقل بين كثير من البلاد، حتّى استقر في بلاد الديلم . و روى الإصفهاني^{١٠٤٠} أنّ الفضل بن يحيى البرمكي كان عالما بموضع يحيى بن عبد الله و أنّه أحسن معاملته و أمّنه على نفسه، فروى : «أنّ يحيى

^{١٠٣٢} (١) أوصى المهدي ابنه هارون الرشيد خيرا بأهل الحرمين و آل بيت الرسول. انظر، ابن قتيبة، الإمامة و السياسة: ١٨٣ / ٢ .

^{١٠٣٣} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤٤٥ / ٦ .

^{١٠٣٤} (٢) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨٥ / ٥ .

^{١٠٣٥} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤٤٤ / ٦، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤٥٥ .

^{١٠٣٦} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤٤٦ / ٦ .

^{١٠٣٧} (٥) و كانت المدينة المنورة قد أصبحت مقرّا لآل عليّ بن أبي طالب.

^{١٠٣٨} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٤٦٣، يحيى بن عبد الله بن الحسن المثنى: (١٧٥ هـ) سجنه هارون الرشيد إلى أن مات.

^{١٠٣٩} (٢) انظر، ابن كثير، البداية و النهاية: ٨٤ / ١٠، كان الإمام جعفر الصادق من أساتذة يحيى بن عبد الله رغم اختلافهما في المذهب و التعاليم . انظر، ابن العماد، شذرات الذهب: ٢٢ / ١ .

ابن عبد الله بن الحسن لما قتل أصحاب فخ كان في قبلهم فاستتر مدة يجول في البلدان، و يطلب موضعا يلجأ إليه و علم الفضل بن يحيى بمكانه في بعض النواحي. فأمره بالانتقال عنه و قصد الديلم و كتب له منشورا ألا يتعرض له أحد».

ظهر يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم حيث كثر أنصاره و قدم إليه كثير من الأنصار من المناطق المجاورة^{١٠٤١}.

و قد تتساءل: لماذا اختار يحيى بن عبد الله بلاد الديلم لتكون مركزا لحركته؟.

و يوضح الإصفهاني سبب ذلك فيروى أن رجلا توجه إلى يحيى بالسؤال فقال:

ص: ٣٧٨

كيف تخيرت الدخول إلى الديلم من بين النواحي؟.

فأجاب يحيى: أن للديلم معنا خرجة فطمعت أن تكون معي^{١٠٤٢}.

علم هارون الرشيد بنشاط الزعيم العلوي، فقد قدم عليه رجل و طلب منه أن يختلي به ليتحدث معه في أمر من أسرار الخلافة، ثم نقل إليه صورة لدعوة يحيى فقال : كنت في خان من خانات خلوان، فإذا أنا بيحيى بن عبد الله في دراعة صوف غليظة و كساء صوف أحمر غليظ، و معه جماعة ينزلون إذا نزل و يرتحلون إذا رحل و يكونون معه ناحية فيوهمون من رآهم أنهم لا يعرفونه و هم أعوانه مع كل واحد منهم منشور بياض يؤمن به إن عرض له . و منح الرشيد هذا الرجل ألف دينار مكافأة له^{١٠٤٣}.

رأى الخليفة الرشيد أن يقف من دعوة يحيى موقفا حازما و استشار يحيى بن خالد البرمكي في أمر هذا العلوي فأشار عليه بإنفاذ ابنه الفضل لقتاله أو إرغامه على طاعة الخليفة . و يروى الجهشياري^{١٠٤٤} أن يحيى البرمكي زود الزعيم العلوي بكثير من الأموال حتى تستفحل دعوته، و يظهر أمره فيضطر الخليفة إلى توجيه اهتمامه إليه فعهد إلى ابنه الفضل بأمره، مما يرفع من مكانة الفضل عند الخليفة و كان هذا تدبيرا من يحيى البرمكي بدون علم الخليفة.

و أدرك الخليفة الرشيد خطورة الدعوة العلوية حتى أنه - كما يروى الطبري^{١٠٤٥} - قد أبدى ألمه و حزنه و امتنع عن شرب النبيذ و عهد الرشيد إلى الفضل ابن يحيى بأمر الثائر العلوي و أمده بجيش عدته خمسون ألف جندي و تولى

ص: ٣٧٩

^{١٠٤٠} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٦٥.

^{١٠٤١} (٤) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين : ١٧٦، المصباح، لأحمد بن إبراهيم : ٤٩١، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، من هم الزيدية، السيد يحيى بن عبد الكريم الفضل: ٨٧ و ١٤٠.

^{١٠٤٢} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤٥٠ / ٦.

^{١٠٤٣} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٦٧.

^{١٠٤٤} (٣) انظر، الوزراء و الكتاب: ٢٤٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٧٠ / ٦.

^{١٠٤٥} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤٥٠ / ٦، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٦٧.

قيادته صناديد القواد، و ولي الرّشيد الفضل على كور الجبال والرّى، و جرجان و طبرستان، و قومس، و ديباوند، و الرّيان. و أمده الرّشيد أيضا بكثير من الأموال، و ولي الفضل قواده على الكور، فولى المثنى بن الحجّاج بن قتيبة بن مسلم على طبرستان و ولي علىّ بن الحجّاج الخزاعي على جرجان ثمّ عسكر الفضل بالنّهرين و أقبل الشّعراء على الفضل يمتدحونه فأعطاهم فأكثر و توسل إليه النّاصر بالشّع، ففرق فيهم أموالا كثيرة^{١٠٤٦} و هكذا استطاع الفضل بإغداق الأموال الكثيرة أن يشتري القلوب و يضمن الولاء و انطلقت السنة الشّعراء بمديح الخليفة و العبّاسيين و الفضل، و قد كان الشّع في ذلك العصر من أمضى وسائل الدّعاية و الإعلام.

نصح الخليفة الرّشيد الفضل بأن يلجأ إلى الوسائل السّلمية قبل أن يلجأ إلى القتال، فروى الإصفهاني^{١٠٤٧}: و ولي الرّشيد الفضل بن يحيى جميع كور المشرق و خراسان، و أمره بقصد يحيى و الخديعة به و بذل الأموال و الصّلة إن قبل ذلك.

خدعة الدّبلوماسية العبّاسيّة:

بدأ الفضل بن يحيى تنفيذ المهمّة التي عهد بها الخليفة إليه، و اتّخذ في سبيل ذلك وسيلتين، فقد كتب إلى يحيى بن عبد الله يستميله و يحذّره و يخوّفه و يرغّبه^{١٠٤٨} كما كتب إلى صاحب الدّيلم يحذّره من معاونة النّائر العلوي و يهدّده بالعقاب إذا لم يقنع النّائر بالعدول عن الثّورة، و أرفق الفضل رسالته بمليون درهم.

أدرك يحيى بن عبد الله خطورة الموقف، إذ أقدم الفضل بن يحيى على رأس

ص: ٣٨٠

جيش كثيف، و سدّ عليه المنافذ، إذ نجح في إرغام صاحب الدّيلم على التّخلي عن مناصرة الحركة العلويّة . و روى الإصفهاني أن يحيى قال عند ما علم بقدوم جيش الفضل: أللهمّ أشكر لك أخافتي قلوب الظّالمين، أللهمّ أن تقض لنا النّصر عليهم، فإنما نريد إعزاز دينك و أن تقض لهم النّصر فإنما تختار لأوليائك و أبناء أوليائك كريم المآب و سنى الثّواب^{١٠٤٩}. و علم الفضل بمقالة يحيى فقال: يدعو الله إن يرزقه السّلامة فقد رزقها.

رأى يحيى بن عبد الله الإستجابة لدعوة السّلام التي وجهها الفضل بن يحيى إليه، و لكنّه اشترط أن يكتب الرّشيد له و لسبعين رجلا من أنصاره عهد أمان يشهد عليه القضاء و شيوخ بني هاشم^{١٠٥٠}.

و كتب الفضل إلى الرّشيد بهذا الشّروط الذي شرّطه النّائر العلوي فوافق و أبدى سروره و ارتفعت مكانة الفضل لديه . و بعث الرّشيد بعهد الأمان و أرفقه بالهدايا و الجوائز^{١٠٥١}.

^{١٠٤٦} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ٤٥٠، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر: ٢ / ١٦.

^{١٠٤٧} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٦٩ - ٤٧٠، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ٢٤٤.

^{١٠٤٨} (٣) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٦، مؤلف مجهول، العيون و الحقائق: ٣٠٧.

^{١٠٤٩} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٦٩ - ٤٧٠.

^{١٠٥٠} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٦.

^{١٠٥١} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ٤٥٠، شهد على هذا العهد عبد الصّمد بن عليّ و العبّاس بن محمّد و محمّد بن إبراهيم و موسى بن عيسى.

و في أوائل سنة (١٧٦ هـ) قدّم الفضل بن يحيى في رفقة يحيى بن عبد الله إلى بغداد فاستقبلهما الخليفة و رجاله بالحفاوة و التّرحاب. و أنزل الخليفة يحيى العلوى في دار يحيى بن خالد البرمكى أياما، فكان البرمكى يقوم بنفسه بخدمة ضيفه العلوى، ثمّ انتقل يحيى بن عبد الله إلى قصر أعدّه الرّشيد له^{١٠٥٢}. و منح الرّشيد يحيى أموالا كثيرة و أجرى عليه الأرزاق و سمح للنّاس بزيارته و التّردد

ص: ٣٨١

عليه. و أبدى النّاس سرورهم إذ حقن الفضل الدّماء و حال دون قتال مرير كان قد ينشب بين فريقى بنى هاشم، العلويين و العبّاسيين فوصل ما بين أبناء العمومة فأشاد الشّاعر مروان بن أبى حفصة بجهود الفضل فأنشد^{١٠٥٣}:

ظفرت فلا شكّ يد برمكية رقت بها الفتق الذى بين هاشم
على حين أدعى الرّاتقين إلّامة فكفوا و قالوا ليس بالملائم

كما امتدح الشّاعر أبو تمامة الخطيب الفضل بن يحيى و ما قام به من توفيق بين بنى هاشم فأنشد:

سدّ الثّغور ورد إلّفة هاشم بعد الشّتات فشعبها متدان
عصمت حكومته جماعة هاشم من أين يجرد بينها سيفان

و قد نتساءل ما الذى دفع يحيى بن عبد الله إلى الكفّ عن المضى فى ثورته، حتّى جنح إلى معالمه الخليفة هارون الرّشيد؟.

أدّت عدة عوامل إلى إنتهاج الثّائر العلوى هذه السّياسة السّلمية أوّلها عدم إطمئنانه إلى صاحب الدّيلم بعد أن خضع لتهديد العبّاسيين و قبل صلاتهم، إذ بعث الفضل إليه - كما رأينا - مليون درهم و قد كان يحيى يعتمد فى ثورته على الدّيلم الذين كانوا ساخطين على الدّولة العبّاسيّة و مهيبين للثّورة عليها، كما اتّضح لنا من رواية الإصفهانيّ التّى سبق الإشارة إليها.

و من هذه العوامل أيضا موقف أحد كبار أصحاب يحيى و هو الحسن بن صالح ابن حسن و هو من زعماء الشّيعّة الزّيدية البترية^{١٠٥٤}. و قد أصبح الحسن شوكة فى

^{١٠٥٢} (٤) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٦ / ٧١، ابن كثير، البداية و النّهاية: ١٠ / ١١٢.

^{١٠٥٣} (١) انظر، ابن جرير، تّاريخ الطّبري: ٦ / ٤٥١.

جنب حركة يحيى و كان من عوامل تفرق أصحابه عنه و ضعف حركته. فروى الإصفهاني^{١٠٥٥} عن الحسن بن صالح أنه كان يذهب مذهب الزيدية البترية في تفضيل أبي بكر و عمر و عثمان في ست سنين من إمارته و يكفره في باقي عمره و يشرب النبيذ و يمسح على الخفين، و كان يحالف في أمره و يفسد أصحابه . كما روى الإصفهاني^{١٠٥٦} أيضا أن رجلا أهدى بعض الفاكهة إلى يحيى بن عبد الله فدعا بعض أصحابه إلى مشاركته في أكلها فغضب الحسن بن صالح و قال : هذه الإثرة أتأكله أنت و بعض أصحابك دون بعض؟.

فقال يحيى، هذه هدية أهديت إليّ، و ليست من الفيء الذى لا يجوز هذا فيه.

فقال الحسن: لا، و لكنك لو وليت هذا الأمر لإستأثرت و لم تعدل.

أدرك يحيى بن عبد الله أن تلك الفرقة التي سادت بين أصحابه أصبحت تهدد حركته فرأى قبول ما عرضه عليه الفضل بن يحيى البرمكى من مسالمة^{١٠٥٧} فقد روى الإصفهاني^{١٠٥٨} أن يحيى قبل أمان الفضل . لما رأى تفرق أصحابه، و سوء رأيهم فيه، و كثرة خلافهم عليه.

تساؤلان حول موقف الرشيد:

شهدنا ترحيب الرشيد بيحيى بن عبد الله و أنزله أحد القصور و أغدقه الأموال و الهدايا عليه . و لكن سرعان ما تغيرت الأحوال، و بدأ الرشيد يغير من معاملته للزعيم العلوى و ما لبث أن أمر بسجنه^{١٠٥٩}. ممّا يجعلنا نتساءل هل كان الخليفة الرشيد صادقا فيما أبداه في أول الأمر من مشاعر طيبة نحو يحيى بن عبد الله؟ . و ما الذى جعل الخليفة يحيد عن سياسية اللين و التسامح؟.

و للإجابة على السؤال الأول، نقول إننا نعتقد أن الخليفة الرشيد كان راغبا في مسالمة الزعيم العلوى صادقا في ترحيبه به و أحاطته بمظاهر التكريم. مدفوعا في ذلك بحرصه على مصلحة الدولة العباسية و رغبته في حماية خلافته.

فقد قامت هذه الحركة الشيعية الجديدة في الأطراف الشرقية من الدولة العباسية في بلاد الديلم . و هذه هي أول مرة في العصر العباسي تشهد قيام حركة علوية في هذه الأرجاء فقد شهدنا قيام حركتي النفس الزكية و الحسين بن على في بلاد

^{١٠٥٤} (٢) انظر، الزيدية البترية: نسبة إلى (بتر) هو لقب كان يتلقب به المغيرة بن سعد أحد زعماء الشيعة الزيدية . و هم يعترفون بصحة خلافة أبي بكر و عمر و بصحة خلافة عثمان في السنوات الست الأولى من خلافته، و يحكمون عليه بالتكفير بعد ذلك و قد جوزوا إمامة المفضول و تأخير الفاضل و الأفضل إذ اكان الفاضل راضيا بذلك و قالوا: من شهر سيفه من أولاد الحسن و الحسين و كان عالما، زاهدا شجاعا فهو الإمام انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٦١ .

^{١٠٥٥} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٦٨.

^{١٠٥٦} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٦٨.

^{١٠٥٧} (٣) يرى الدكتور علي سامي التشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢ / ١٨٥، أن يحيى بن عبد الله اضطر إلى مصالحة الرشيد نتيجة اختلافه مع الزيدية البترية.

^{١٠٥٨} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٦٨ - ٤٦٩.

^{١٠٥٩} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦ / ٧١.

الحجاز و حركة إبراهيم في البصرة . و قد كان الخلفاء العباسيون يحرسون على أن تظل هذه الأطراف الشرقية على ولائها للعباسيين و بمنجاة من كل اضطراب و ثورة . فقد شهدت هذه الأطراف الدعوة العباسية و أصبح أهلها شيعة بنى العباس و عماد دولتهم . و أدرك هارون الرشيد خطورة تواجد الزعيم العلوي في بلاد الديلم، فقد كان أهلها - كما مر بنا - يتأهبون للخروج على طاعة الدولة العباسية . و في انتظار زعيم يلتفون حوله و يثور على الحكم العباسي^{١٠٦٠} فأراد الرشيد أن يحرم الديلم من هذا الزعيم المنشود و أن يعلم الديلم أن هذا

ص: ٣٨٤

الزعيم الذي استقر في بلادهم قد أصبح مواليا له مقيما في عاصمته بغداد، مما يخمد روح الثورة المضطربة في نفوس الديلم فيركنون إلى الهدوء و الإستسلام.

كما كان هارون الرشيد يدرك عواقب الصراع الحربي بين العباسيين و العلويين فقد أبدى المسلمون دائما إستياءهم من وقوف فريق بنى هاشم في مواجهة بعضهما البعض و تمنوا أن يعيش بنو هاشم جميعا في سلام و أمان و قد مر بنا ما أبداه الشعراء و عامة الناس من إبتهاج حينما حلّ السلام بين الخليفة الرشيد و التأثير العلوي يحيى بن عبد الله^{١٠٦١}.

و كان يحيى بن عبد الله من كبار شخصيات البيت العلوي و كان له منزلة كبيرة في قلوب الشيعة^{١٠٦٢} . و هو شقيق محمد النفس الزكية و إبراهيم اللذين لقيا حتفهما بأيدي العباسيين . و كان يحيى و من خلفه العلويون و الشيعة يتطلعون للتأثر لهما و للحسين بن عليّ شهيد فخ^{١٠٦٣} . كما كان كثير من المسلمين من غير الشيعة يبدون عطفهم و تقديرهم لآل عليّ، و يسخطون على إراقة العباسيين لدمائهم، فرأى الرشيد ألا يشهد عهده مأساة دامية أخرى، و أن يتجنب إراقة دماء العلويين، كما كانت إقامة يحيى بن عبد الله في بغداد تحت عينه و في رقابته يحقق أهدافه فيخلصه من إقدام يحيى على الثورة، و يضع الرشيد بذلك حائلا يحول بين يحيى و شيعته و يحرم الشيعة من زعيم هو أبرز أبناء البيت العلوي في عهده.

هذا بينما يرى الإصفهاني أن الرشيد لم يكن صادقا فيما أبداه من مشاعر نحو يحيى بن عبد الله و أنها كانت مدهانة و ليست مسالمة و أن الرشيد بات يترقب

ص: ٣٨٥

الفرص للتحلل من عهوده و وعوده فيقول الإصفهاني : فلما قدم يحيى، أجازته الرشيد بجوائز سنوية فأقام على ذلك مدة و في نفسه الحيلة على يحيى و التفرغ له و طلب العلل عليه و على أصحابه^{١٠٦٤}.

ثم نردّ على التساؤل الثاني : ما الذي جعل الخليفة الرشيد يحيد عن هذه السياسة السمحاء التي انتهجها نحو يحيى بن عبد الله؟.

^{١٠٦٠} (٢) انظر، التّاصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ١ / ١٥٢ .

^{١٠٦١} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦ / ٤٥١ .

^{١٠٦٢} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٥ .

^{١٠٦٣} (٣) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦ / ٧٠ .

^{١٠٦٤} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٧١ .

قامت حاشية الرشيد بدورها في إفساد العلاقات بين الرشيد و يحيى بن عبد الله ^{١٠٦٥}. فقد سمح الرشيد للناس بالتردد على القصر الذي نزل فيه يحيى فتوافد الكثير على القصر، يسلمون عليه و يرحبون به و قد زالت مخاوفهم إذ رأوا الرشيد يخرج إلى ظاهر بغداد يستقبل يحيى و يرحب به و كان بعض خاصة الرشيد تحقد على العلويين أو تستفيد من ذلك الصراع الناشب بين آل علي و آل العباس.

فأقبلوا على الرشيد يحذرونه من إقبال الناس على زيارة الزعيم العلوي فيدخلون بذلك الشكوك و الهوا جس إلى قلبه و يقولون له: أنه قد أفسد عليك أقباءك و نجح هؤلاء في تحقيق هدفهم فبدأ الرشيد يغير من معاملته ليحيى تدريجياً فبدأ في وضع رقابة على قصر يحيى فكانت عيونه تنقل إليه أخبار الزوار و المترددين عليه . و كان كلما سأل الرشيد يحيى عن هؤلاء الزوار أجابه أنهم من السبعين رجلاً الذين منحهم الرشيد الأمان في عهده الممنوح له . و كان العهد يمنح سبعين رجلاً من أنصار يحيى الأمان دون تسميتهم . و دعا الرشيد يحيى إليه يوماً و قال له : اتق الله و عرفني أصحابك السبعين لئلا ينتقض أمانك.

ص: ٣٨٦

و رفض يحيى الإفشاء بأسمائهم مما أثار غضب الرشيد و أدرك أن حاشيته على حق إذ حذرته من الزعيم العلوي. فقال الرشيد لخاصته: إن هذا لم يسم أصحابه فكلاً أردت أخذ إنسان بلغني عنه شيء أكرهه ذكر أنه ممن أمنت ^{١٠٦٦} و أصبح يحيى بن عبد الله تحت رقابة الرشيد و إختباره ^{١٠٦٧}.

و استمرت شكوك الرشيد و هواجسه و كأنه أراد أن يجعل الشك يقينا، فكان يستدعي يحيى من وقت لآخر إلى مجلسه يحاوره و يناظره لعله يستشف من حديث يحيى ما يكشف عما يكنه في قلبه ^{١٠٦٨}.

و يروي المؤرخون ^{١٠٦٩} رواية م سهبة حول سعاية رجل من آل الزبير بن العوام بيحيى بن عبد الله و يجعلونها العامل الرئيسي في تحول الرشيد عن معاملته الطيبة ليحيى بن عبد الله ثم إقدامه على سجنه و نقض الأمان الذي بذله له.

ص: ٣٨٧

^{١٠٦٥} (٢) كان الفضل بن الربيع بن يونس، وزير الرشيد العربي و زعيم الحزب العربي في حاشية الخليفة من أبرز المحرضين لكرهه للبرامكة و حسده للفضل بن يحيى البرمكي لدوره في إنهاء ثورة يحيى العلوي. انظر، مقاتل الطالبين: ٤٧٣.

^{١٠٦٦} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٨٢.

^{١٠٦٧} (٢) أصبح يحيى بن عبد الله تحت رقابة رجال الرشيد . و حدث أن قبضوا على رجل يدعي (فضالة) كان يدعو إلى يحيى . و أراد الرشيد أن يقف على نوايا يحيى فأمر فضالة أن يكتب رسالة بخطه إلى يحيى ينبئه فيها أن جماعة من أصحاب الرشيد و قواده موالون له. و بعث الرشيد برسالة فضالة مع رسول إلى قصر يحيى و قبض يحيى على الرسول و سلمه إلى يحيى بن خالد البرمكي و لكن الرشيد لم يقتنع بصدق نوايا يحيى فقبض على فضالة و أمر بحجسه . و يروي الإصفهاني أنه كان هناك اتفاق سابق بين يحيى و فضالة حول هذه الرسالة فيذكر أن فضالة قال بعد حيسه: لقد كنت عهدت إلى يحيى إن جاءه مني كتاب ألا يقبله و أن يدفع الرسول إلى السلطان و علمت أنه سيحتال عليه بي. انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٧١.

^{١٠٦٨} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٧٣.

^{١٠٦٩} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٤٥٢ - ٤٥٤، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٠١ - ٣٥٣، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٧٤ - ٤٧٦، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٧٦ - ١٧٧، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٨٧.

قدم عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير على الخليفة هارون الرشيد فاتهم يحيى بأنه دعاه إلى البيعة له . و رأى الرشيد أن يواجه صاحب الإتهام بالمدعى عليه . و دار حوار و جدال عنيف بين الرجلين، فنفى يحيى هذا الإتهام تماما، ثم أراد أن يخرج مصعبا فذكر الرشيد بموقف آل الزبير من بنى هاشم عامة، و من بنى العباس خاصة^{١٠٧٠}، ثم ذكر يحيى الرشيد بأن مصعبا هذا كان قد انضم إلى ثورة أخيه محمد النفس الزكية ضد جدّه المنصور و أنّه هو الذي أشد^{١٠٧١}:

قوموا ببيعتمكم نهض بطاعتنا
إن الخلافة فيكم يا بنى حسن

و تفاخر الرجلان بالآباء و الأنساب و تبادلوا الشتائم و السباب، ثم قال يحيى للرشيد «ليس سعائته يا أمير المؤمنين حبا لك، و لا مراعاة لدولتك، و لكن بغضا لنا جميعا أهل البيت، و لو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان معه، و قد قال باطلا و أنا مستحلفه فإن حلف أرى قلت ذلك فدمى لأمر المؤمنين حلالا»^{١٠٧٢}.

طلب يحيى من الرشيد أن يكون الفضل في الأمر هو أن يقسم مصعب الزبيرى يمين البراءة^{١٠٧٣} و رفض مصعب أن يقسم بهذا اليمين فهدده الرشيد بالعقاب إن

ص: ٣٨٨

امتنع عن القسم فاضطر إلى الإستجابة لأمر الخليفة . و أبدى يحيى سروره بهذا القسم فقد قال الرسول عليه الصلوة و السلام: «ما حلف أحد هذه اليمين و هو كاذب إلّا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث»^{١٠٧٤}، و لذا طلب يحيى من الرشيد أن يمهله ثلاثة أيام حتى يرى ما يحل بمصعب الزبيرى فإذا لم يحدث له شيء، كان دم يحيى للخليفة حلالا^{١٠٧٥}.

و يذكر المؤرخون أن الله عزّ و جل أنزل سخطه على مصعب الزبيرى فى نفس اليوم فيذكر الطبرى أنّه أصيب بالفالج فمات من ساعته^{١٠٧٦}. بينما روى المسعودى^{١٠٧٧} و الإصفهاني^{١٠٧٨} أنّه أصيب بالجذام فتورّم جسمه فمات.

^{١٠٧٠} (١) أدخل عبد الله بن الزبير بني هاشم في شعب مكة و أضرهم عليهم التارك كما امتنع ابن الزبير في خطبه عن الصلوة على الرسول عليه الصلوة و السلام مما أثار عليه مشاعر عامة المسلمين كما اضطهد ابن الزبير أيضا محمد بن الحنفية فخرج إلى جبل رضى و اضطهد عبد الله بن العباس بن عبد المطلب فخرج إلى الطائف . انظر، تاريخ يعقوبي: ٢ / ٢٢٠، ابن عساکر، التأريخ الكبير: ٧ / ٤٠٨.

^{١٠٧١} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٣١٧، ابن عنبه، عمدة الطالب: ١٥٢، المعتزلي، ابن أبي الحديد في شرح التهج: ٩٣ / ١٩، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٠ / ١٧٩، القندوزي الحنفي، ينابيع المودة: ٣ / ٢٣١.

^{١٠٧٢} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٠٢.

^{١٠٧٣} (٤) يذكر الإصفهاني في مقاتل الطالبين: ٤٧٧، نص هذا القسم و هو: «برئت من حول الله و قوته، و اعتصمت بحولي و قوتي و تقدّمت الحول و القوة من دون الله استكبارا على الله و استغناء عنه و استعلاء عليه». و قال صاحب الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٧٦: أنّ يمين البراءة هي «يمين عظمى صورتها أن يقول عن نفسه برئ من حول الله و قوته و دخل في حول نفسه و قوتها إن كان كذا و كذا».

^{١٠٧٤} (١) انظر، ابن عنبه، عمدة الطالب: ١٥٣، القندوزي الحنفي، ينابيع المودة: ٣ / ٢٣١.

^{١٠٧٥} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٥٢.

^{١٠٧٦} (٣) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٦ / ٤٥٣.

^{١٠٧٧} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٥٢.

^{١٠٧٨} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٧٨.

و يتفق المؤرخون جميعاً على أنه حدث عند دفن مصعب أن انخسف قبره و أنهم كلّموا هالوا التراب عليه تسرب هذا التراب إلى باطن الأرض فطرحوا على القبر الشوك و ألواحاً من السّاج، و يصف ابن طباطبا^{١٠٧٩} هذا الحديث بأنّه «آية سماوية» ثم يقول: «و مع ظهور مثل هذه الآية العظيمة قتل يحيى في الحبس شرّ قتلة»^{١٠٨٠}.

ص: ٣٨٩

يعتبر المؤرخون الأقدمون سعاية خاصّة الرّشيد يحيى و تحريضهم للخليفة عليه و وشاية مصعب الزّبيرى يحيى من عوامل تغيير الرّشيد على يحيى و نضيف إلى ذلك عاملاً آخر . فقد كانت هذه الأحداث فى سنة (١٧٦ هـ)، و كان إدريس ابن عبد الله لا يزال فى بلاد المغرب معلناً ثورته ناشراً دعوته مهدّداً للنّفوذ العبّاسيّ فى تلك البلاد^{١٠٨١} و فى بغداد كان الرّشيد يشهد إقبال عامّة النّاس على قصر يحيى بن عبد الله و ما زال أنصار يحيى فى بلاد الدّيلم يثيرون الفتنة و فى بلاد الحجّ از كانت هناك جماعة من العلويّين تتربّع فرصة الثّار من العبّاسيّين يناصروهم كثير من أهالى الحجاز.

و لذا تساءل الرّشيد فيما بين نفسه : كيف لو تضافرت هذه القوى العلوية الثلاث عليه فى آن واحد؟ . و يبدو أن الرّشيد كان يفكر فى هذا كلّ أو بما يشبهه فوجد نفسه أمام أمرين:

إمّا الأخذ بالشّدّة و القسوة أو الصّبر و الحلم و فى ذلك ما فيه من خطر قد يقوض عرشه يوماً له^{١٠٨٢}.

اتّخذ الرّشيد الطّريق الأوّل الشّدّة و القسوة فأمر بسجن يحيى بن عبد الله ثمّ دعا إليه القضاة و الفقهاء ليجدوا له مخرجاً ليتحلل من العهد الذى بذله ليحيى، و لينقض الأمان الذى منحه له . فقدم محمّد بن الحسن صاحب أبى يوسف القاضى و الحسن بن زياد اللؤلؤى و أبو البحتري وهب بن وهب^{١٠٨٣} و بعث الرّشيد

ص: ٣٩٠

فى استدعاء يحيى بن عبد الله من سجنه ليشهد هذا المجلس^{١٠٨٤}.

و بدأ المجلس بأن قدم مسرور خادم الرّشيد العهد لمحمّد بن الحسن ليبدى رأيه فيه.

فقال: هذا أمان مؤكّد لا حيلة فيه^{١٠٨٥}، و أبدى الخليفة الرّشيد غضبه و عارض الرأى، فقال ابن الحسن للخليفة : ما تصنع بالأمان، لو كان محارباً ثمّ ولى كان أمناً؟. و انتزع مسرور عهد الأمان من يدى أبى الحسن و أعطاه لأبى البحتري فنظر فيه لحظة ثمّ قال : هذا باطل منتقض قد شقّ عصا الطّاعة و سفك الدّم فأقتله و دمه فى عنقى، و أبدى الرّشيد سروره و قال

^{١٠٧٩} (٦) انظر، الفخري، الجدي في أنساب الطّالبيين: ٢٧٧.

^{١٠٨٠} (٧) انظر، الإفادة في تاريخ الأئمّة السّادة: ٨٠ - ٨١، البداية و النهاية لابن كثير: ١٠ / ١٧٩، عمدة الطّالاب لابن عنبه: ١٥٢، مقاتل الطّالبيين: ٣١٧، مروج الذهب: ٣ / ٣٠٢، تاريخ الطّبري: ٦ / ٤٥٣.

^{١٠٨١} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ٤١٥، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٣٧.

^{١٠٨٢} (٢) انظر، الجومرد، هارون الرّشيد: ١٧٥.

^{١٠٨٣} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٧١، اعتماد الخلفاء العبّاسيّين نقض عهود الأمان و إصدار فتاوى من الفقهاء بجواز نقض العهود و خاصّة الخليفة المنصور.

^{١٠٨٤} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ٤٥٤، كانت حاشية الخلفاء العبّاسيّين تضم كثيراً من الفقهاء و هي ظاهرة عبّاسيّة

^{١٠٨٥} (٢) كان يحيى بن عبد الله قد عرض عهد الأمان على مالك بن أنس فى المينة و علي ابن الدّراوردي فأكدّا صحته. انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٨٠.

لأبي البحتري: أنت قاضي القضاة و أنت أعلم بذلك. و مزق أبو البحتري الأمان. و أراد أحد ممّن حضروا المجلس من آل الزّيهو و هو بكّار بن عبد الله مصعب الزّبيرى، تملق الخليفة، فصاح فى وجه يحيى بن عبد الله : شققت العصا، و فارقت الجماعة، و خالفت كلمتنا و أردت خليفتنا ثمّ أمر الرّشيد بإعادة يحيى إلى سجنه^{١٠٨٦}.

مصير السّجين:

اختلف المؤرّخون فى مصير يحيى بن عبد الله فروى الطّبرى : «أنّ يحيى كان حين حضر هذا المجلس الّذى أشرنا إليه قليلا، و قد لاحظ الرّيد ذلك فقال لمجالسيه بعد انصراف يحيى: أما ترون به أثر علّة، هذا إن مات قال النّاس

ص: ٣٩١

١٠٨٧

١٨٢١١ جهاد الشيعة فى العصر العباسى الاول ؛ ص ٣٩١

سمّوه، ثمّ يقول الطّبرى فما مكث يحيى بعد هذا إلّا شهرا حتّى مات»^{١٠٨٨}.

أمّا المسعودى فقد روى رواية غريبة فقال : أنّ يحيى ألقى فى بركة فيها سباع قد جوعت فأمسكت عن أكله و لاذت بناحيته و هابت الدّنو إليه، فبنى عليه ركن بالجص و الحجر و هو حيّ^{١٠٨٩}. و يرى الخطيب البغدادي أنّ يحيى مات مسموما فيقول: أنّه سقى السّم. فشكا ذلك إلى الرّشيد فدعا به إلى مجلسه، و قال : إنّ هذا يدّعى بأنّى سقيته السّم، فو الله لو رأيته القتل لضربت عنقه و علىّ أيمان البيعة إن كنت سقيته السّم، و لا أمرت أحدا بسقيه^{١٠٩٠}.

و اتّفق اليعقوبى و الإصفهاني ، فى أنّ يحيى بن عبد الله مات جوعا و عطشا فروى اليعقوبى^{١٠٩١} أنّ الموكل بسجن يحيى منعه من الطّعام أيّاما، فمات جوعا، و روى الإصفهاني^{١٠٩٢} أنّ هارون الرّشيد خرج إلى سجن يحيى بن عبد الله فأمر بضربه مئة عصا و يحيى يناشده الله و الرّحم و القرابة من الرّسول عليه الصّلاة و السّلام. ثمّ سأل عن جراته فأخبروه أنّها أربعة أرغفة و ثمانية أرطال ماء، فأمر بتخفيضها إلى النّصف ثمّ عاد الرّشيد بعد أيّام فأمر بضرب يحيى مئة عصا أخرى، ثمّ أمر بتخفيض الجراية إلى النّصف حتّى هلك يحيى جوعا و عطشا^{١٠٩٣}.

^{١٠٨٦} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤/ ٤٥٤، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٧٩ - ٤٨٠.

^{١٠٨٧} ليشى، سميره مختار، جهاد الشيعة فى العصر العباسى الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامى - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

^{١٠٨٨} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤/ ٤٥٤.

^{١٠٨٩} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٢٥٢.

^{١٠٩٠} (٣) انظر، البغدادي، تاريخ بغداد: ١٤/ ١١٠.

^{١٠٩١} (٤) انظر، اليعقوبى، تاريخ اليعقوبى: ٢/ ٤٢٢.

^{١٠٩٢} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٤١.

^{١٠٩٣} (٦) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣١٩ - ٣٢٠، بحار الأنوار: ٤٨/ ١٨٦.

و هكذا كانت نهاية حياة يحيى، و قد اختلف فى هذه النهاية عن أسلافه الزعماء العلويين الذين ثاروا فى وجه الدولة العباسية، فقد أستشهد هؤلاء

ص: ٣٩٢

الزعماء فى ميادين القتال و هم شاهرو السيوف^{١٠٩٤}. و لكن الأقدار شاءت أن تكون نهاية حياة يحيى فى سجن الرشيد، بعد أن اطمأن إلى أمانه و عهوده فترة ثم تلاحت الأحداث سراحا لتضيف حدثا جديدا فى سجل مقاتل الطالبين.

أمر الرشيد بسجن ثلاثة من كبار أصحاب يحيى بن عبد الله و هم يحيى بن مساور و عبد ربه بن علقمة، و مخول بن إبراهيم الهندي، فظلوا مسجونين اثنتى عشرة سنة، و بعد أربع سنوات من سجنهم دخل الرشيد عليهم فى السجن و هددهم بالتعذيب و التنكيل إن لم يدلوه على بقية أصحاب يحيى أعلموه أنه قد مضت سنوات أربع و هم مسجونون و لا يعلمون عن هؤلاء الأصحاب شيئا^{١٠٩٥}.

ثورة إدريس بن عبد الله:

شهد الجناح الغربى من الدولة العباسية، حركة شيعية أخرى، قام بها إدريس ابن عبد الله، مثلما شهد الجانب الشرقى حركة أخيه يحيى. و قد قامتا فى وقت واحد، و كانت كل منهما تكمل الأخرى، و تتكاتفان على إثارة قلق الخليفة الرشيد. و بذل الرشيد جهوده فى القضاء على الحركتين، و إن أخ تلتفت الوسائل التى إنتهجها فى سبيل ذلك. و لكن كانت خاتمة حياة الزعيمين العلويين على يد الرشيد فى وقت متقارب.

نجا إدريس بن عبد الله فى موقعة فخ، فخرج مع مولى له يدعى راشد و انضموا إلى قافلة حجاج مصر و المغرب. و قدما إلى مصر، فمكثا فترة فى دار مولى من موالى بنى العباس قبل إيوائهما و التستر عليهما حتى إذا علم إدريس بخروج البريد إلى أفريقية، صحبه و استطاع الإفلات من المسالحي الممتدة على الطريق

ص: ٣٩٣

حتى وصل إلى المغرب الأقصى^{١٠٩٦} و ألتف البربر حوله، و قد كانوا ساخطين على الحكم العباسي، و دعا إدريس لنفسه فاستجاب البربر لدعوته و استطاع التغلب على بلاد المغرب و تلمسان، و نجح فى سنة (١٧٢ هـ)، فى إقامة دولة مستقلة عن الدولة العباسية و تلقب بإمرة المؤمنين^{١٠٩٧}.

أدرك الخليفة الرشيد خطورة الموقف، فقد كانت حركة إدريس تهدد النفوذ العباسي فى شمال أفريقية^{١٠٩٨}، و خاصة أنه قامت دولة أموية فى بلاد الأندلس أعلنت عداها للدولة العباسية. و قد كان من العسير إنفاذ جيوش عباسية للقضاء على

^{١٠٩٤} (١) مثل محمد النفس الزكية و أخيه إبراهيم و الحسين بن علي.

^{١٠٩٥} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٨٦.

^{١٠٩٦} (١) هرب إدريس أولا إلى مصر، و كان يتولى بريدها يومئذ واضح مولى صالح بن منصور و كان متشيحا لآل البيت، فحمله واضح على بريد مصر إلى المغرب هو مولاه راشد، فنزل بمدينة و ليلي سنة (١٧٢ هـ) انظر، الناصري، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ١/ ١٥٢، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون:

١٣/ ٤ و: ١٤٧/ ٦، محسن الأمين، أعيان الشيعة: ٥٠/ ٢.

^{١٠٩٧} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٤٨٧ - ٤٨٨.

حركه إدريس التي تزداد قوة يوما بعد يوم، لبعد المسافة و وعورة الطرق، و لذا عدل عن إنتهاج الطريق الحربي، و سلك طريقا آخر، هو إغتيال زعيم هذه الحركة، إدريس بن عبد الله. و يروى الإصفهاني^{١٠٩٩} روايتين حول إغتيال إدريس.

[روايتان حول إغتيال إدريس]

أما الرواية الأولى:

فتذهب إلى أن الرشيد استشار وزيره يحيى بن خالد البرمكي في أمر إدريس فتعهد بأن يكفيه الأمر، و نجح يحيى البرمكي في إغراء أحد زعماء الزيدية البترية، و هو سليمان بن جرير الجزري، بأن يغتال إدريس ابن عبد الله بالسّم. فخرج سليمان إلى بلاد المغرب و نجح في الفوز بثقة إدريس ثم أعطاه قارورة زعم أن بها عطرا من العراق، فشم إدريس القارورة، و كان بها

ص: ٣٩٤

سمّ شديد فمات، و فطن أنصاره إلى المؤامرة فقتلوا سليمان^{١١٠٠}.

أما الرواية الثانية:

و التي رواها الإصفهاني، فتذهب إلى أن الرشيد وجّه إليه الشّماخ، مولى المهدي و كان طبيبا فتظاهر لإدريس بأنه من الشيعة، ثم نجح في قتله بالسّم^{١١٠١}.

تولى راشد، مولى إدريس، أمر الدّعوة بعد وفاة الزّعيم . و قد خلف إدريس امرأة له حاملا، و ما لبثت أن وضعت غلاما سمّوه إدريسا أيضا. و قام بأمر البربر حتّى كبر و نشأ، فولى أمرهم أحسن ولاية^{١١٠٢}.

نمت دولة الأدراسة في بلاد المغرب، و اتّسع نفوذها في شمال أفريقية، ممّا أثار مخاوف الخليفة الرشيد^{١١٠٣}، فأقطع إبراهيم بن الأغلب بلاد أفريقية (تونس) حتّى يواجه الغالبة دولة الأدراسة^{١١٠٤}. و قد بدأ صراع بين الفريقين يخرج على نطاق بحثنا هذا فقد آثرنا أن نقصر دراستنا لحركات الشيعة على ما قام منها في الشرق الإسلامي.

و يهمننا في هذا البحث، أن حركة إدريس بن عبد الله في بلاد المغرب كان لها أثرها في موقف الرشيد من يحيى بن عبد الله، و قد أدّت إلى تغيير معاملة الرشيد له، و جعلته يلقي ببحيى في السّجن، ثمّ يعجلّ بقتله. كما أثارت حركتا يحيى

^{١٠٩٨} (٣) انظر، ابن الفقيه، مختصر البلدان: ٨١.

^{١٠٩٩} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٨٩ - ٤٩٠.

^{١١٠٠} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٨٩.

^{١١٠١} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣٢٦.

^{١١٠٢} (٣) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٦ / ٦٠.

^{١١٠٣} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٩١.

^{١١٠٤} (٥) استعمال إبراهيم بن الأغلب البربر و حرّضهم على قتل راشد مولى إدريس سنة (١٨٦ هـ)، و قام بكفالة إدريس بعد راشد أبو خالد يزيد بن إلياس العبدي . التّاصري،

الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى: ١ / ١٦١.

ص: ٣٩٥

و إدريس مشاعر الرّشيد ضدّ البيت العلوي، ممّا جعله يحيد عن سياسة التسامح التي انتهجها في أوّل عهده إلى سياسة الشّدّة و القمع ففرض رقابة شديدة على العلويين و قبض على بعضهم كما قتل بعض زعمائهم.

ص: ٣٩٧

سياسة الرّشيد نحو الشّيعّة و الإمام موسى الكاظم عليه السّلام

سياسة جديدة عنيفة:

نجح الرّشيد في الخلاص من يحيى و إدريس ابنيّ عبد الله، اللّذين قاما بحركتين علويتين خطيرتين في عهده . و لكن الرّشيد أصبح ينظر بعين القلق و التّخوف إلى أبناء البيت العلوي، فقبض على رؤسائهم، و كانت نهاية حياتهم على يديه . و في مقدّمة هؤلاء الزّعماء: (عبد الله بن الحسن، و محمّد بن يحيى، و العباس بن محمّد و موسى بن جعفر).

كان عبد الله بن الحسن هو أوّل ضحايا السّياسة الجديدة التي بدأها الرّشيد نحو العلويين ن . و كان يطلق على عبد الله اسم «ابن الأفطس»^{١١٠٥} و قد استبسل في القتال في موقعة فخ، حتّى أنّ الحسين بن عليّ عهد إليه بوصيّته^{١١٠٦}. و بعث الرّشيد في استدعاء عبد الله من المدينة، حتّى قدم عليه، قال له: نشدتك يا أمير المؤمنين في دمي، فو الله ما أنا من هذه الطّبقة و لا لي فيهم ذكر، و إنّ أصحاب هذا

ص: ٣٩٨

الشّأن بخلافي، أنا غلام نشأت بالمدينة، و في صحاريها أسعى على قدمي، و أتصيّد بالبواشيق ما هممت بغير ذلك قط^{١١٠٧}.

و رأى الرّشيد أنّا يعود عبد الله ثانية إلى المدينة فعهد به إلى أحد خاصّته بأن يحبسه في داره، و بعد فترة احتال عبد الله حتّى بعث إلى الرّشيد برسالة «فيها كلّ كلام قبيح و كلّ شتم شنيع»، و قرأ الرّشيد الرّسالة و أطلع وزيره جعفر بن يحيى البرمكي عليها، و أمره بأن يحبس عبد الله في قصره . و أقدم جعفر على قتل عبد الله في عيد النّيروز، و جعل رأسه من ضمن الهدايا التي قدّمها إلى الرّشيد في هذا العيد و لأمر الرّشيد جعفر البرمكي على أقدامه على قتل العلوي بدون إذنه.

و دارت الأيّام و نكب الرّشيد البرامكة^{١١٠٨}، و أمر الرّشيد خادمه مسرور أن يقول لجعفر، حين أمره بقتله : هذا عبد الله بن الحسن، ابن عمي، الذي قتلتته بغير أمرى^{١١٠٩}.

^{١١٠٥} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري في تأريخ الرّسل و الملوك: ٨ / ٥٣٦، العيون و الحقائق في أخبار الحقائق المؤلّف مجهول: ٣ / ٣٤٨.

^{١١٠٦} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦ / ٤١٥ - ٤١٦، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٣٧.

^{١١٠٧} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٩٢.

^{١١٠٨} (٢) هم أولاد خالد بن برمك و أحفاده، فلمّا تولى الرّشيد الخلافة سنة (١٧٠ هـ)، قرّب البرامكة و استوزرهم، و زوّج أخته العبّاسة من جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي، و بلغ بالبرامكة الطّغيان، و السّيطرة، بحيث كان التّاس يرجوهم، و يخشونهم أكثر من الرّشيد نفسه، الأمر الذي حدّى بالرّشيد أن يقوض سيطرتهم، فقتل وزيره، و صهره جعفر سنة (١٨٧ هـ)، و بعده قبض على عاتق البرامكة فسجنهم، و ضيق عليهم حتّى ماتوا. و مدّة سيطرة البرامكة ما بين خلافة الرّشيد و قتل جعفر هي قرابة الثّمانية عشر سنة. انظر، تأريخ بغداد: ١ / ١٠٦ و: ٧ / ١٤٤، سير أعلام النّبلاء: ٩ / ٦٤، تأريخ الطّبري: ٨ / ٢٨٨، و قد كتبت عنهم رسائل ماجستير، و دكتوراه فراجع ذلك.

أُتِّصحت سياسة الرّشيد الجديدة نحو الزعماء العلويين في تولية أحد آل الزبير الحكم في المدينة حيث كان رؤساء العلويين يقيمون، و نعرف صلة العداء

ص: ٣٩٩

التقليدية التي كانت بين العلويين والزبيريين^{١١١٠}، وقد شهدنا بالأمس القريب سعاية مصعب الزبيرى بيحيى بن عبد الله . ولّى الرّشيد على المدينة بكار بن عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، وقد شهدناه يحضر المجلس الذي عقده الرّشيد و ضمّ القضاة و الفقهاء لنقض الأمان الذي منحه ليحيى . و قد أدلى بكار بدلوه و وجه عبارات قاسية ليحيى، و أثار مشاعر الرّشيد عليه.

تحدث الطّبري عن سياسة الرّشيد نحو العلويين، و عن عداء بكار للبيت العلوي فقال : «و كان بكار شديد البغض لآل عليّ بن أبي طالب، و كان يبلغ هارون الرّشيد عنهم و يس عى بأخبارهم، و كان الرّشيد ولّاه بعض المدينة و أمره بالتضييق عليهم^{١١١١} .

بدأ بكار الزبيرى سياسة اضطهاد العلويين في المدينة، فقبض على محمّد بن يحيى بن عبد الله في شهر رمضان، و كبّله بالأغلال و سجنه و ظل مسجوناً حتّى مات في سجنه . كما قبض بكار أيضاً على الحسين بن عبد الله بن إسماعيل بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، و ضربه ضرباً مبرحاً، حتّى لقي حتفه^{١١١٢} .

و كانت نهاية حياة العبّاس بن محمّد بن عبد الله بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، على يد الخليفة هارون الرّشيد. فقد استدعاه الخليفة إلى بغداد و أخذ يحاوره و يناظره، و ثار غضب الرّشيد عليه، فصاح فيه، يابن الفاعلة، فعيره

ص: ٤٠٠

العبّاس بأمّه الخيزران و قد كانت جارية قد تزوّجها المهدي.

فقال العبّاس: تلك أمك التي تواردها النّخاسون، فأمر الرّشيد بضرب العبّاس بعمود من حديد حتّى هلك^{١١١٣} .

موقف الرّشيد من الإمام موسى الكاظم عليه السّلام:

و جاء دور موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب^{١١١٤}، و هو الإمام السّابع عند الشّيعة الإماميّة و قد اشتهر باسم «الإمام الكاظم» إذ كان يحسن إلى كل من يسى^{١١١٥}، و قد اشتهر أيضاً بالزهد و الورع و الكرم،

^{١١٠٩} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٩٢-٤٩٤، عيد التّبرّوز من الأعياد الفارسيّة التي احتفل بها العبّاسيون.

^{١١١٠} (١) اضطهد عبد الله بن الزبير، حين بايع لنفسه بالخلافة في الحجاز في العصر الأموي، العلويين و بني هاشم و خاصّة محمّد بن عليّ بن أبي طالب المعروف بابن الحنفية، و كان ابن الزبير من المخزّنين لأبيه الزبير بن العوام و خالته عائشة للقيام بفتنة الحمل ضدّ عليّ بن أبي طالب. انظر، ابن كثير، البداية و النّهاية ٨ / ٩١ .

^{١١١١} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤٥٢ / ٦ .

^{١١١٢} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٩٥-٤٩٧ .

^{١١١٣} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٩٨ .

^{١١١٤} (٢) ذكر أحد مؤرّخي الشّيعة . انظر، المظفر، تاريخ الشّيعة: ٤٦ أنّ موسى ولد عام (١٢٨ هـ أو ١٢٩ هـ) و مات في رجب عام (١٨٣ هـ)، و جاءته الإمامة عام وفاة أبيه سنة (١٤٨ هـ)، فكانت أيّام إمامته خمساً و ثلاثين سنة. و هو أول الأئمة الاثني عشرية الذي كانت أمّه جارية فارسية

و كان بعض خصومه و شوابه عند الخليفة المهدي، و لكن الخليفة تهيئه على أثر حلم رآه في نومه فأطلق سراحه و أكرمه و أعاده إلى المدينة^{١١٤}.

ص: ٤٠١

كان موسى الكاظم^{١١٧} يكنى بأبي الحسن، و بأبي إبراهيم و غيرها من الكنى و الألقاب^{١١٨}. و يعلق أحد كتّاب الشيعة، على ذلك فيقول: قضى الإمام موسى

ص: ٤٠٢

الكاظم أيام إمامته بين سجنين، سجن داره بعيدا عن الناس خوفا من بنى العباس و سجن بنى العباس الشديد الظلمة و الظلم، حتّى أنّ الرّأوى إذا روى الحديث عنه لا يسنده إليه بصريح اسمه، بل بكناه مرّة أبي إبراهيم و أبي الحسن، و بألقابه الأخرى كالعبد الصّالح، و العالم، و أمثالهما، و بالإشارة إليه تارة كقوله عن الرّجال، إذ قلّما تجد اسمه الشّريف صريحا في

^{١١٥} (٣) روى الإصفهاني في مقاتل الطّالبيين: ٤٩٩ أنّ موسى كان إذا بلغه عن الرّجل ما يكره بعث إليه بصرّة دنائير « فكانت صرار موسى مثلاً ». انظر أيضا، تأريخ بغداد، للخطيب البغدادي: ٢٧ / ١٣.

^{١١٦} (٤) أنّ المهدي لما حبس موسى بن جعفر الكاظم ففي بعض الليالي رأى المهدي في التّوم عليّ بن أبي طالب عليه السّلام و هو يقول له: يا محمّد: « فَهَلْ غَسِيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَ تُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ » E محمّد: ٢٢.

قال الرّبيع: فأرسل إليّ المهدي ليلا فراغني و خفت من ذلك، فلمّا دخلت عليه فإذا هو يقرأ هذه الآية و كان من أحسن اللّقى صوتا.

فقال: عليّ الآن بموسى بن جعفر فحنّته به فعانقه و أجلسه إلى جانبه

و قال: يا أبا الحسن! إنّي رأيت أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام في هذه السّاعة في التّوم فقرأ عليّ كذا و كذا فتؤمّي أن لا تخرج عليّ و لا على أحد من ولدي؟ فقال: و الله لا فعلت ذلك و لا هو من شأنى.

قال: صدقت، يا ربيع! أعطه ثلاثة آلاف دينار ورّده إلى أهله إلى المدينة

قال الرّبيع: فأحكمت أمره في ثاني ليلة و قضيت جميع حوائجه و ما أصبح إلّا و قد قطع أرضا خوفا عليه من العوائق

انظر، الإربلي، كشف الغمّة: ٢ / ٢١٣، و البحار: ١٤٨ / ٤٨ ح ٢٢. و زاد الجنايدي في معالم العترة النبوية: ٨٣ « ... أنّه وصله بعشرة آلاف دينار » و روى مثله صاحب عيون التّواريخ: ١٤٥، و الدّهلي في سير أعلام النبلاء: ٦ / ٢٧٢، إحقاق الحقّ: ١٩ / ٥٤٧، مقصد الرّاغب (مخطوط): ١٦٠.

و روى صاحب المناقب ابن شهر آشوب: ٣ / ٤١٧ باختلاف يسير عن طريق آخر و بلفظ « دعا حميد بن قحطبة نصف اللّيل و قال: إنّ إخلاص أبيك و أخيك فينا أظهر من الشّمس، و حالك عندي موقوف.

فقال: أفديك بالمال و النّفس، فقال: هذا لسائر النّاس.

قال: أفديك بالزّوج و المال و الأهل و الولد، فلم يجبه المهدي.

فقال: أفديك بالمال و النّفس و الأهل و الدّين.

فقال: لله دَرَكٌ

و بهذا اللفظ و غيره انظر، تأريخ بغداد: ١٣ / ٣٠، تذكرة الخواصّ: ٣٤٩، وقيّات الأعيان:

٥ / ٣٠٨، مرآة الجنان للياضي: ١ / ٣٩٤، الصّواعق المحرقة: ١٢٢، المختار في مناقب الأخيار لابن الأثير: ٣٣، الشّذرات الذهبية: ٨٩، مفتاح النّجا: ١٧٢، أخبار الدّول و آثار الأول للقرماني: ١٢٣، نزهة الجليس: ٢ / ٤٦، جالية الكدر: ٢٠٥، البداية و النّهاية: ١٠ / ١٨٣، الأنوار القدسيّة للسّنّهوتي:

٣٨، عمدة الطّالِب: ١٩٦، مقاتل الطّالبيين: ٥٠٠، تأريخ بغداد: ١٣ / ٢٨.

^{١١٧} (١) أطلق على الإمام موسى اسم الكاظم لصيره الشّديد على ما لحق به من إيذاء و اضطهاد و سجن

انظر، عبد الوهاب الشّعري، الطّبقات الكبرى في التّصوف: ٣٣. و قد اشتهر موسى بقيامه اللّيل و كثرة صيامه، و يرى المستشرق رونلدسن في عقيدة الشيعة: ١٦٠ أنّ الأئمة بعد مصزع الحسين اتّجهوا إلى الدّين و العبادة أكثر من السّياسة.

^{١١٨} (٢) انظر المفيد، الإرشاد: ٢ / ٢١٥، و: ٣٢٣ ط آخر و زاد « أبو إبراهيم و أبو عليّ » مقاتل الطّالبيين: ٤١٣ و زاد « و أبو إبراهيم » البحار: ٤٨ / ١١ ح ٦، و في مطالب السّؤل: ٨٣ زاد « و أبو إسمايل » و في المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٤٣٧ بلفظ « أبو الحسن الأوّل و أبو الحسن الماضي و أبو إبراهيم و أبو عليّ ». و انظر، دلائل

الإمامة: ١٤٨، نور الأبصار: ٣٠١، الهداية الكبرى للخصبي: ٢٦٣، وسيلة النّجاة: ٣٦٤، تذكرة الخواصّ لسيّط ابن الجوزي: ٣٤٨، البداية و النّهاية لابن كثير بلفظ « أبو الحسن الهاشمي » و في مرآة الجنان للياضي: ١ / ٣٩٤ بلفظ « السّيّد أبو الحسن موسى الكاظم » فصل الخطاب للحواجة پارسا البخاري على ما في نياييع المودّة: ٣٨٢، إحقاق الحقّ: ١٢ / ٢٩٧-٣٠٧، و: ١٩ / ٥٣٨.

حديث، لشدة العقبة في أيامه و لكثرة التضيق عليه ممن عاصره من العباسيين كالمصور، و المهدي، و الهادي، و بقي سلام الله عليه يحمل إلى السجن مرة و يطلق منه أخرى أربع عشرة سنة، و هي مدة أيامه مع الرشيد.

لم يكن الكاظم الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق بل هو الابن الرابع، و لذا تابعت بعض الشيعة أخاه إسماعيل، أو ابن أخيه، كما تابعت بعضها عبد الله، الذي مات بعد أبيه الصادق بنحو عام واحد^{١١١٩}.

روى الإصفهاني رواية طويلة عن أسباب القبض على الإمام موسى الكاظم

ص: ٤٠٣

و جعل جعفر بن يحيى البرمكي هو الذي حرّض الرشيد على ذلك.

فروى أن الرشيد كان قد عهد إلى جعفر بن محمد بن الأشعث بتربية ابنه محمد الأمين، مما أثار مخاوف جعفر البرمكي و رأى أن يتقرب إلى الخليفة بأن يفضي إليه بأخبار العلويين، و يثبت له إخلاصه للخليفة و البيت العباسي . و نجح جعفر البرمكي في إغراء أحد أبناء البيت العلوي و هو علي بن إسماعيل بن جعفر ابن محمد لينقل إليه أخبار موسى بن جعفر فذهب هذا العلوي إلى أن موسى يدعو لنفسه، فنقل يحيى جميع خبره و زاد عليه و توجه يحيى البرمكي إلى الرشيد، فحذّره من موسى قال له عنه : أن الأموال تحمل إليه من المشرق و المغرب و أن له بيوت أموال . و رأى الرشيد أن يخرج إلى بلاد الحجاز حاجًا ليوقف بنفسه على أمر موسى بن جعفر^{١١٢٠}.

و ينسب صاحب الفخرى ما لحق بموسى إلى حسّاده من العلويين فقال:

«كان بعض حسّاد موسى بن جعفر من أقاربه قد وشى به إلى الرشيد و قال له أن الناس يحملون إلى موسى خمس أموالهم و يعتقدون في إمامته، و أنّه عزم على الخروج عليك، و كثر فيه القول، فوقع ذلك عند الرشيد بموقع أهمّه و أفلقه»^{١١٢١}.

ثمّ كانت حادثة أدّت إلى القبض على موسى و سجنه . فقد خرج الرشيد إلى الحجاز حاجًا سنة (١٧٩ هـ)^{١١٢٢} . و قدم إلى المدينة لزيارة قبر الرسول عليه الصّلاة و السّلام فوقف الرشيد و حوله وجوه القوم، فسلم على صاحب القبر و قال : «السّلام عليك يا رسول الله، يا ابن عمّي».

ص: ٤٠٤

و كان موسى واقفا خلفه، فسلم و قال: «السّلام عليك يا رسول الله، يا أبتى».

^{١١١٩} (١) انظر، ابن الصباغ، الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢ / ٢١٢، ابن الجوزي، صفوة الصفوة:

٢ / ٩٥، لا ترى الشيعة الاثنا عشرية إمامة عبد الله لأنّه كان أفتح القدمين فالإمامة تكون لمن هو سليم البدن خاليا من العاهات، و يطلق على أتباعه اسم (الفتحية). انظر، الشهرستاني، الملل و النحل: ١ / ١٣٢.

^{١١٢٠} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٠١ - ٥٠٢.

^{١١٢١} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٧٧ - ١٧٨.

^{١١٢٢} (٣) كان الرشيد يحج في سنة و يغزو في السنة التالية. تقدّم الكلام عن ذلك مفصلا مع الدكتور الليثي.

و غضب الرشيد وقال: هذا الفخر يا أبا الحسن حقاً، وأمر الرشيد بالقبض على موسى وإفاده مكبلاً بالأغلال إلى العراق .
و أمر الرشيد بتسليم موسى إلى عيسى ابن جعفر بن المنصور وإلى البصرة، فظل موسى محبوباً عنده عاماً كاملاً، و كتب
الوالي إلى الرشيد «خذته مني و سلمه إلى من شئت، و إلّا خليت سبيله، فقد اجتهدت أن آخذ عليه حجة فما أقدر على
ذلك، حتى أن لا تسمع عليه إذا دعا، لعلّه يدعو عليّ أو عليك، فما أسمعته يدعو إلّا لنفسه يسأل الله الرحمة و
المغفرة»^{١١٢٣}.

ص: ٤٠٥

و بعث الرشيد رسولا، حمل موسى بن جعفر من البصرة إلى بغداد، حيث عهد الرشيد بموسى إلى الفضل بن الربيع «و أراد
الرشيد على شيء من أمره فأبى»، فعهد الرشيد به إلى الفضل بن يحيى البرمكي «و أراد ذلك منه فلم يفعل». و علم
الرشيد أن موسى يعيش في قصر الفضل في رفاة و سعة و دعة، فغضب الرشيد و أمر بضرب الفضل مئة سوط، كما أمر
الناس بلعنه، ثم قام الرشيد بتسليم موسى إلى السندي بن شاهك.

وصف الإصفهاني^{١١٢٤} نهاية موسى في سجن السندي سنة (١٨٣ هـ)، فروى أن السندي لفّه ببساط، و أمر بعض خدمه بأن
يقعدوا على وجهه حتى مات، و روى صاحب الفخرى أن الرشيد أمر بقتله على هذا النحو حتى لا يتهمة الناس بقتله، فقال:
«و كان الرشيد بالرقّة، فأمر بقتله، فقتل قتلاً خفياً ثم أدخله عليه جماعة من العدول بالكرخ ليشاهدوه، و أظهر أنه مات
حتف أنفه»^{١١٢٥}. بينما يرى السعودي أن موسى مات مسموماً^{١١٢٦}.

^{١١٢٣} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٠٢، شمس الدين بن طولون، الشذرات الذهبية: ٩١.

أعتقد أن الدكتور اختصره المطلب و الدليل على ذلك أن الرشيد صرّ الإمام عليه السلام إلى بغداد و سلمه إلى الفضل بن الربيع فبقي عنده مدة طويلة فأراد الرشيد على شيء من
أمره فأبى، فكتب إليه بتسليمه إلى الفضل بن يحيى فتسلمه منه و جعله في بعض حجر داره و وضع عليه الرصد، و كان عليه السلام مشغولاً بالعبادة... فوسع عليه الفضل بن يحيى
و أكرمه فاتصل ذلك بالرشيد و هو بالرقّة - مدينة مشهورة على الفرات و هي الآن إحدى مدن سوريا، كما جاء في معجم البلدان : ٥٩ / ٣ - فكتب إليه ينكر عليه توسعته على
موسى و يأمر بقتله، فتوقف عن ذلك و لم يقدم عليه، فاغتنظ الرشيد لذلك و دعا مسروراً الخادم و قال له: أخرج عليّ البريد و ادخل من فورك على موسى بن جعفر فإن وجدته
في دعة و رفاة فأوصل هذا الكتاب إلى العباس بن محمد و مره بامتنال ما فيه و سلم إليه كتاباً آخر إلى السندي بن شاهك يأمره بطاعة العباس بن محمد....

و فعلاً تم ذلك و خرج الرسول يركض إلى الفضل بن يحيى فركب معه و خرج مشدوها دهشاً حتى دخل على العباس فدعا العباس بسياط و عقاب بن و أمر بالفضل فجزّ و ضربه
السندي بين يديه مئة سوط و خرج متغيّز اللون.... و كتب مسروراً بالخبر إلى الرشيد فأمر بتسليم موسى عليه السلام إلى السندي بن شاهك....

انظر، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٢٤٠ - ٢٤١ مقاتل الطالبين لأبي فرج الإصبهاني: ٤١٦، الغيبة للطوسي: ٢١، البحار: ٢٣١ / ٤٨ ح ٣٨، إثبات الهداة: ٥ / ٥٢٠ ح ٣٧،
حلية الأبرار للمحدث البحراني: ٢ / ٢٥٦، مدينة المعاجز: ٤٥٢ ح ٣٨، المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٣٢٤، روضة الواعظين للفتال التيسابوري: ٢٦٠، كشف الغمّة: ٢ /
٢٣٠، نور الأبصار للشبلنجي: ٣٠٦، الإتحاف بحب الأشراف للشيرازي: ١٥٠، الصواعق المحرقة: ١٢٢.

^{١١٢٤} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٠٣ - ٥٠٤.

^{١١٢٥} (٢) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٢٨.

^{١١٢٦} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣ / ٣٦٥، ابن الصباغ، الفصول المهمة: ٢ / ٢٨٠ و ما بعدها.

بتحقيقنا.

انظر، الإرشاد: ٢ / ٢٤٢، الصواعق المحرقة: ٢٠٤، مختصر البصائر: ٧، بصائر الدرجات: ٤٨٣ ح ١٢، ينابيع المودة: ٣ / ١٢٠ طبعة اسوة، عيون أخبار الرضا: ١ / ٩٩ ح ٤، و
١٠٠ ح ٦، الكافي:

١ / ٤٧٦، البحار: ٢٠٦ ح ٢، و ٢٢٢ ح ٢٦، و ١٥٧ / ٦٠ ح ٢٥، و ١١٨ / ١٠١ ح ١، رجال - الكشي: ٦٠٤ ح ١١٢٣، المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٤٣٧
و ٤٣٨ و ٤٤١، إعلام الوري: ٢٩٤، الذرور: ١٥٥، مروج الذهب: ٣ / ٣٥٥، إثبات الهداة: ٥ / ٥١٤ ح ٣٢، و ٥٧٧ ح ١٤٨، الوسائل:

٢ / ٨٥٨ ح ١، و ١٠ / ١٤١ ح ٢، الهداية الكبرى: ٢٦٤ - ٢٦٧، دلائل الإمامة: ١٥٢ - ١٥٤، عيون المعجزات: ١٠١ و ١٠٥، مدينة المعاجز: ٤٥٤ ح ٨٥، إثبات
الوصية: ١٩٤، عمدة الطالب: ١٩٦.

ص: ٤٠٦

بعث الرّشيد في استدعاء من كان في بغداد من العلويّين، كما استدعى الفقهاء والقضاة وجوه القوم، فقدموا عليه واطلّعهم على جثمان موسى وسألهم:

أ تعرفون هذا؟.

فأجابوه: بأنّه موسى بن جعفر.

فسألهم: عمّا إذا كانوا يرون على الجثمان أثر سمّ أو غير ذلك؟.

فأجابوه: بالنّفي^{١١٢٧}.

ص: ٤٠٧

و روى الإصفهاني أنّ الجثمان وضع على الجسر في بغداد فنودي : هذا موسى ابن جعفر قد مات، فانظروا إليه «كما طاف مناد بطرقات بغداد يصيح: هذا موسى ابن جعفر الذي تزعم الرافضة أنّه لا يموت، فانظروا إليه^{١١٢٨}.

و دفن موسى في مقابر قريش، في الجانب الغربي من بغداد^{١١٢٩}.

و قيل: إنّ السّندي- لعنه الله لله على بساط و قعد الفزاشون التّصارى على وجهه ... كما ينقل صاحب مقاتل الطّالبيّين: ٤١٧، و مثله في عمدة الطّالِب: ١٩٦ و لكن بلفظ»
و قيل: بل لفّ في بساط و غمز حتّى مات « و مثله في البحار: ٢٤٨ / ٤٨ ح ٥٧، و مثله في غاية الإختصار: ٩١ بلفظ «فألقي في بساط و غمز حتّى مات»، و الفخري:
١٢٨.

^{١١٢٧} (١) انظر، يعقوبي، تأريخ يعقوبي: ٢ / ٤٩٩، الخطيب البغدادي، تأريخ بغداد: ١٣ / ٣٠.

انظر، الإرشاد للشّيخ المفيد: ٢ / ٢٢٢، و قريب منه في مقاتل الطّالبيّين لأبي فرج الإصبهاني:

٤١٧، و تأريخ يعقوبي: ٢ / ٤٩٩، الخطيب البغدادي في تأريخ بغداد: ١٣ / ٣٠، كشف الغمّة:

٣ / ٢٤ طبعة، و: ٢ / ٢٣٠ طبعة آخر بيروت، الغيبة للطّوسي: ٢١ و ٢٤، البحار: ٤٨ / ٢٣١ ح ٣٨، إثبات الهداة للحرّ العاملي: ٥ / ٥٢٠ ح ٣٧ و ١٤٨، حلية الأبرار للمحدّث البحراني: ٢ / ٢٥٦، مدينة المعاجز: ٤٥٢ ح ٨٣، و ٤٥٧ ح ٨٦.

و انظر أيضاً، المناقب لابن شهر آشوب: ٣ / ٣٢٤، روضة الواعظين للفتّال التّيسابوري: ٢٦٠، نور الأبصار: ٣٠٦، الإتحاف بحبّ الأشراف للشّيرازي: ١٥٠، الصّواعق المحرقة لابن حجر الهيتمي: ١٢٢، أئمة الهدى: ١٢٢، إحقاق الحقّ: ١٢ / ٣٣٥، غاية الإختصار: ٩١، عيون أخبار الرضا: ١ / ٩٦ ح ٢، و ٩٧ ح ٣، أمالي الصّدوق: ١٢٨ ح ٢٠، قرب الإنسان: ١٢٢، كمال الدين: ٣٧، إثبات الوصية للعلامة الحليّ: ١٩٤.

^{١١٢٨} (١) انظر أيضاً، كفاية الطّالِب: ٤٥٧ أمّا في الأنوار القدسية للشّيخ ياسين السنهوي: ٣٨ ففيه «دفن عليه السّلام في مقابر الشّونيزية خارج القبة و قبره مشهور بيزار و عليه مشهد عظيم فيه قناديل الذهب و الفضة و أنواع الآلات و الفرش مالا يحصى و هو في الجانب الغربي». و زاد السيّد محمّد عبد الغفار الأفغاني الهاشمي في كتابه أئمة الهدى: ١٢٢ و دفن بمقابر قريش في بغداد، المسماة اليوم بالكاظمية».

و انظر، مروج الذهب: ٣ / ٣٥٥، و البداية و النهاية: ١٠ / ١٨٣.

^{١١٢٩} (٢) قبر الإمام موسى الكاظم مزار مشهور عند الشّيعة و تطلق الشّيعة على القبر اسم (باب الحوائج) و قد ذهب بعض أتباع موسى إلى أنّه لم يمّت و أنّه يعود و لكن غالبية الشّيعة نقلت الإمامة إلى ابنه عليّ الرّض. انظر، التّوحيّ، فرق الشّيعة: ٨٠ - ٨١.

و لا نريد التعليق على هذا الكلام الذي ينسب إلى أنّ هذا الإمام الرافضة يزعمون أنّه لا يموت فانظروا إليه ميتا ... بل نقول: إنّ هذه الفرقة التي ادّعت أنّ الإمام موسى بن جعفر لم يمّت و أنّه حيّ و زعموا أنّه خرج من الحبس و لم يره أحد نهاراً و لم يعلموا به و أنّ السلطان و أصحابه ادّعوا موته و مؤهوا على النّاس و كذبوا ... إلخ هؤلاء هم الواقفة و سمّوا بذلك لوقوفهم على إمامة موسى بن جعفر و لم يأتمّوا بعده بإمام و لم يتجاوزوه إلى غيره ... و كان بدء الواقفة أنّه كان اجتمع ثلاثون ألف دينار عند الأشاعنة زكاة أموالهم و ما كان يجب عليهم فيها فحملوها إلى وكيلين لموسى الكاظم عليه السّلام بالكوفة أحدهما: حيّان السّراج و الآخر كان معه، و كان موسى عليه السّلام في الحبس فاتخذوا بذلك دوراً و

و هكذا انتهج الرشيد سياستين متغايرتين نحو العلويين و شيعتهم، فبدأ عهده بس سياسة التسامح و التساهل، ثم انتهى إلى سياسة الشدة و القمع . و هذه السياسة الأخيرة فضلا عن اختلافها عن السياسة السّماح التي بدأ الرشيد بها عهده، فإنّها لا تتفق مع ما نعرفه عن الرشيد من دماثة خلق و سماحة و ورع و كرم، و هي الصفات التي وصفه المؤرخون بها^{١١٣٠}.

تساؤلات حول موقف الرشيد الجديد من العلويين:

و لذا لنا أن نتساءل: هل كان الرشيد مضطرا إلى اتباع سياسة الشدة، و الإضطهاد مع العلويين؟ . و هل كانت هذه السياسة نابعة من نفسه و عقله؟. أم موصى بها من غيره من رجال الدولة؟. و هل اضطره العلويون إلى انتهاج هذه السياسة؟. و هل كانت الظروف تبرر ما ألحقه الرشيد بالعلويين؟.

أصبح وقوف الخلفاء العباسيين موقفا حازما صلبا أزاء البيت العلوي، سياسة تقليدية متوارثة . و ثبت في أذهان هؤلاء الخلفاء أن العلويين ما زالوا يتطلعون إلى الخلافة و يؤمنون أنّها حقهم الذي اغتصبه البيت العباسي و أنّ العلويين يترقبون الفرصة للظهور و إعلان الثورة و إنتزاع الخلافة . و قد رأى الرشيد عند توليته الخلافة أن ينهج سياسة تغاير سياسة أسلافه فرأى أن يهادن العلويين و يخطب ودهم بالأموال و الصّلات، و لكن حركتي يحيى و إدريس جعلته - كما

رأينا - يحدد عن هذه السياسة.

حرص الرشيد دائما على أن يعلن للرأى العام أنّه مضطر إلى إنتهاج هذه السياسة المتشددة الحديثة . فقد روى السيوطي أنّ الرشيد قال في مجلس من مجالسة: بلغني أنّ العامّة يظنون في بعض عليّ بن أبي طالب، و والله ما أحبّ أحدا حبّي له، و لكن هؤلاء أشدّ الناس بغض لنا و طعنا علينا و سعيّا في فساد ملكنا، بعد أخذنا بثأرهم و مساهمتنا إيّاهم ما حوينا، حتّى أنّهم لأميل إلى بنى أميّة منهم إلينا «^{١١٣١}. و روى الإصفهاني أنّ الرشيد وقف عند قبر الرسول عليه الصّلاة و السّلام، قبيل

عقدوا العقود، و اشتروا الغلات، فلمّا مات موسى عليه السّلام و انتهى الخبز إليهما أنكروا موته ... حرصا على المال . كما ذكر ذلك الكشي في رجاله : ٤٥٩ ح ٨٧١، و البحار: ٢٦٦ / ٤٨ ح ٢٧.

و أول من أظهر هذا الإعتقاد عليّ بن أبي حمزة الباطني و زياد بن مروان القندي و عثمان بن عيسى التّواسي، طمعوا في الدّنيا و مالوا إلى حطامها و استمالوا قوما فبدلوا لهم شيئا ممّا اختانوه من الأموال نحو حمزة بن بزيع و ابن المكارى و كرام الخنعمي و أمثالهم. و ذكر الطّوسي في الغيبة: ٤٢ كان عند زياد بن مروان القندي سبعون ألف دينار و عند عليّ بن أبي حمزة ثلاثون ألف دينار . و من أراد المزيد فراجع المصادر التالية، علل الشّرايع: ١ / ٢٣٥ ح ١، عيون أخبار الرضا: ١ / ١١٢ ح ٢، الإمامة و التّبصرة: ٧٥ ح ٦٦، معجم رجال الحديث للسّيد الخوئي: ١٧٧ / ٦ و ١٧٩ و ١٨١، و:

٢٣٥ / ١٣.

^{١١٣٠} (١) انظر، تعليقاتنا السابقة و التي لا تتفق مع الدّكتور و بعض المؤرّخين مع ما ناقشناه عن الرشيد من دماثة خلق و سماحة و ورع و كرم

^{١١٣١} (١) انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٩٣، يقصد الرشيد أنّ العباسيين تأروا لقتلى العلويين من الأمويين.

ملاحظة بسيطة جدّا جدّا نوجّدها إلى الدّكتور البليّبي إذا كان كذلك فالتذكّر لنا أحد من العلبيّين قد استشهد من أجل بني عليّ أبي طالب عليه السّلام في قتالهم لبني أميّة؟

القبض على موسى بن جعفر فقال : يا رسول الله ! إرَى أعترذ إليك من شىء أريد أن أفعله، أريد أن أحبس موسى بن جعفر، فإنّه يريد التّشتت بين أمتك و سفك دمائها^{١١٣٢}.

ص: ٤١١

دافع أحد الكتّاب المحدثين^{١١٣٣} عن موقف الخليفة هارون الرشيد فقال: قد يتبادر إلى الذّهن أن الرشيد كان رجلاً سفاكاً أو أن كلّ ما جرى للعلويين في عهده كان من صنع يده . و الحقيقة غير ذلك، فقد يكون الرجل خائفاً من إنتفاضات العلويين على عرشه، فيسجن من يرتاب به منهم أو ينفية كما يحدث عادة في كلّ صراع سياسى بين حاكم و محكوم . و لكن ليس من الأمانة العلمية أن نضع على عاتقه وحده دماء كلّ الذين توفوا في سجونهم من الخصوم، كما أنّنا لا نستطيع أن نبرىء ساحتهم من كلّ ما حدث في عهده . فقد كان الرشيد في الأعوام الأولى من حكمه مغلوباً على أمره من قبل أمّه الخيزران و وزيره يحيى بن خالد . فلمّا ماتت الأمّ، بقيت سلطة يحيى المطلق في تدبير شؤون الدّولة الخطيرة حتّى عام (١٨٧ هـ)، يمارسها هو و ولده الفضل و جعفر مع الرشيد جنباً إلى جنب^{١١٣٤}.

^{١١٣٢} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٠٦.

الله أكبر كبيراً، موسى الكاظم يريد التّشتت لأمة رسول الله و جدّه الذي سكت عن حقّه (٢٥) سنة؟.

فمن إسحاق بن جعفر قال: سألت أخي موسى بن جعفر قلت: أصلحك الله أليكون المؤمن بخيلاً؟.

قال: نعم.

قلت: أليكون جباناً؟.

قال: نعم.

قلت: أليكون خائفاً؟.

قال: لا، و لا يكون كذاباً.

ثمّ قال: حدّثني أبي جعفر الصادق عليه السلام عن آباءه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله يقول: كلّ حلّة يطوى- المؤمن عليها ليس الكذب، و الخيانة

انظر، مقاتل الطّالبيين: ٤١٥. و في عيون أخبار الرضا: ١/ ٧٣ ح ٣، و البحار: ٤٨/ ٢١٣ ح ١٣.

و في رواية «قبض الرشيد على الإمام و هو عند رأس النبي صلى الله عليه و آله قائماً يصلي، فقطع عليه صلاته...» و مثله في الغيبة للطّوسى: ٢١، و إثبات الهداة: ٥/ ٥٢٠ ح ٣٧.

ثمّ خرج فأمر به فاخذ من المسجد و دخل به إليه فقيّده في تلك السّاعة و استدعى بقبتين فجعل كلّ واحدة منهما على بغل فجعله في إحدى القبتين و سترها بالسّقلاط و جعل مع كلّ واحدة منهما خيلاً و أرسل بواحدة منهما من على طريق لبصرة و بواحدة من على طريق الكوفة، و إنّما فعل الرشيد ذلك ليعمّي أمره على النّاس.

انظر، عيون أخبار الرضا: ١/ ٨٥ ح ١٠، و البحار: ٤٨/ ٢٢١ ح ٢٥ و زاد «فلما جئ الليل أمر بقبتين فهيئتاه فحمل موسى بن جعفر إلى أحدهما في خفاء و دفعه إلى حستان السّروي- إلى أن قال:- و وجه قبة أخرى علانية نهاراً إلى الكوفة... فقدم حستان البصرة قبل التّروية بيوم...» و مثله في المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٤٤٠.

و كان موسى الكاظم عليه السلام في القبة التي أرسل بها على طريق البصرة، و أوصى القوم الذين كانوا معه أن يسلموه إلى عيسى بن جعفر بن منصور و كان على البصرة يومئذ والياً، فسلموه إليه، فسلمه منهم و حبسه عنده سنة

انظر، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/ ٢٣٩، مقاتل الطّالبيين: ٤١٥ و ليس كما ورد في عيون أخبار الرضا: ١/ ٨٥ ح ١٠ «عيسى بن جعفر بن أبي جعفر» و الصّحيح هو «عيسى بن جعفر بن المنصور الذي كان والياً على البصرة» كما ورد في أكثر المصادر السابقة.

و روي أنّ شخصاً من بعض العيون التي كانت عليه في السّجن رفع إلى عيسى بن جعفر أنّه سمعه يقول في دعائه: أللّهم إنّك تعلم أنّي كنت أسألك أن تفرغني لعبادتك أللّهم و قد فعلت فلك الحمد.

انظر، الإرشاد للشيخ المفيد: ٢/ ٢٤٠، و: ٣٣٢ طبعة آخر، البحار: ٤٨/ ١٠٧ و ١٠١ ح ٥، المناقب لابن شهرآشوب: ٣/ ٤٣٣، إحقاق الحق: ١٢/ ٣٠٤ و ٣٠٥، إعلام الوري: ٣٠٦، حلية الأبرار: ٢/ ٢٥٣، الوسائل: ٤/ ١٠٧٤ ح ٨ و ٩، الخرائج و الجرائح: ٤٦٣ و هنالك أدعية أخرى للإمام عليه السلام يقولها في سجوده منه «قبح الذّنوب من عبدك فليحسن العفو و التّجاوز من عندك» رواه الزّنجشيري في ربيع الأبرار: ٢٢٥ (مخطوط). و السّؤال الذي يطرح على الدكتور الليثي و لا أريد أن أفهم فيها في كلّ كلمة، أفيعد كلّ هذا و ذاك و التّفاع و التّمجيد في سيرة هارون الرشيد؟.

^{١١٣٣} (١) انظر، الجومرد، هارون الرشيد: ١٧٩.

^{١١٣٤} (٢) لا نريد التعليق على هذا التّبرير أيضاً؟ بل هو كما يقول القائل العذر أقبح من الفعل؟.

و قد يكون هذا الرأى صائباً في بعض جوانبه و أنّ الرّشيد كان واقعا تحت تأثير و تحريض البرامكة و قد مرّ بنا دور جعفر البرمكي أيضاً في الوشاية بموسى ابن جعفر العلوي، ممّا أدى إلى مصرعه^{١١٣٥}. كما لمسنا أصابع البرامكة تحرك الرّشيد في جميع مواقفه من العلويين، و قد ذكرنا دورهم في حركتي يحيى و إدريس ابنيّ عبد الله، فقد عمل الفضل بن يحيى البرمكي على تشجيع يحيى على الثّورة حتّى أستفحل أمره، ثمّ قام بدوره في إغراء يحيى على قبول أمان

ص: ٤١٢

الرّشيد و الرّحيل إلى بغداد حيث لقي حتفه^{١١٣٦}. كما كان يحيى بن خالد البرمكي صاحب فكرة إغتيال إدريس بن عبد الله^{١١٣٧}.

و مهما كان الرأى، فقد كان هارون الرّشيد أخف وطأة على العلويين من أسلافه الخلفاء العبّاسيين. و قد إنفرد من بينهم بالإحسان إلى بعض الزعماء العلويين و إغداق الأموال و الصّلاة عليهم. و كان الرّشيد ينهى الشّعراء إذا ذموا العلويين، حتّى يتقربوا إليه. فروى الإصفهاني أنّ الرّشيد لام الشّاعر منصور النّمرى على هجائه للعلويين و قال ل ه: يا ابن اللّخاء، أتظن أنّك تتقرب إلّيّ بهجاء قوم أبوهم أبي، و نسبهم نسبي، و فرعهم و أصلهم فرعي و أصلي^{١١٣٨}.

كانت نهاية حياة الإمام موسى الكاظم في سنة (١٨٣ هـ)، و ركن العلويون بعدها إلى الهدوء طوال السّنوات العشر التي حكمها الخليفة هارون الرّشيد، اذ توفّي سنة (١٩٣ هـ)، فتحول العلويون خلال هذه السّنوات من النّشاط العلني إلى النّشاط السّري، أو ما يسمونه «التّقية و الكتمان» و كان حرمان العلويين من زعماء بارزين من عوامل إنتهاجهم هذه السّياسة.

تساءل أحد كتاب الشيعة هل كانت تلك الضّربات المتتابة على رؤوس الشيعة و شدّة الضّغط عليهم قد ذهبت بقواهم؟. أو لأنّ التّقية حملتهم على الإستسلام للقسوة؟. أو لأنّ الإمام لا يرضى لهم الثّورة لعلمه بأنّها لا تصل بهم إلى الغاية؟. أو لأنّهم بغير سائس و زعيم ينهض بهم؟. ثمّ أجاب هذا الكاتب الشيعي على تساؤلاته فقال: أحسب أنّ خلوهم من الرّئيس النّاهض هو الذي

ص: ٤١٣

أسلمهم إلى ذلك الخضوع، و من ثمّ تجد العراقيين و الحرّمين و اليمن قد تمردت على الحكم العبّاسي أيّام المأمون عند ما وجد النّاس زعماء من العلويين يثبون بهم في وجوه بنيّ العبّاس^{١١٣٩}.

يستمد الكاظم مكانته لدى الشيعة من كثرة ما حاق به من الظّلم. و رغم أنّ مدّة إمامته تجاوزت خمسة و ثلاثين عاماً^{١١٤٠}، فإنّه لم يبلغ في العلم ما بلغه أبوه الإمام جعفر الصّادق و يعتذر الشيعة عنه بما لقيه من اضطهاد، فقد كان أمّا مسجوناً بسجن

^{١١٣٥} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٠١-٥٠٢.

^{١١٣٦} (١) انظر، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ٢٤٣، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٦ / ٧٠.

^{١١٣٧} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٨٧-٤٨٨.

^{١١٣٨} (٣) انظر، الإصفهاني، الأغاني: ١٨ / ٢.

^{١١٣٩} (١) انظر، المظفرى، تاريخ الشيعة: ٤٨-٤٩.

^{١١٤٠} (٢) انظر، ابن الصّباغ، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة: ٢ / ٢٨٨، المفيد، الإرشاد: ٢ / ٢١٥، و: ٣٢٣ طبعة آخر، عيون أخبار الرضا: ١ / ١٠٤ ح ٧، إثبات الهداة: ٦ / ٢٢ ح ٤٨، المناقب لابن شهر آشوب:

العبَّاسيين، أو بسجنه نفسه بعيدا عن النَّاس خوفا من بنى العبَّاس، حتَّى أن الرَّأوى لا يسند الحديث إليه بصريح اسمه إذا روى الحديث بل قلَّما نجد اسمه صريحا في الحديث لشدة التَّقِيَّة في أيَّامه، و على أيَّة حال فقد تابع موسى منهاج آبائه في البعد عن السِّياسة أو طلب الرَّئاسة^{١١٤١}.

و بإمامة موسى الكاظم دخلت الإمامة دورها السَّرى أيضا، و دورها العبادى و انتهى دور الفقه فلا نسمع فقها خاصا لموسى بن جعفر، كما لا نسمع أن له دورا كلاميا في عقائد الإمامية^{١١٤٢}.

ص: ٤١٥

موقف البرامكة من العلويين و الشيعة

البرامكة بين العبَّاسيين و العلويين:

لا توجد مسألة في التَّاريخ الإسلامى، أثارت انتباه المؤرِّخين و الكتاب و الأدباء فصالوا فيها و جالوا، أكثر من نكبة البرامكة في عهد الخليفة العبَّاسى هارون الرَّشيد بعد أن وصلوا إلى ذروة المجد العبَّاسى، و كانوا أصحاب السَّطنة و النِّفوذ على مدى عهود المنصور، و المهدي، و الرَّشيد . و نحن في هذا الفصل سنقتصر في بحثنا على الإشارة إلى اتِّهامات المؤرِّخين للبرامكة بميولهم نحو العلويين و بيان مدى أثر هذه الاتِّهامات في نكبتهم.

تحدث المؤرِّخ ابن طباطبا عن أمجاد البرامكة، فوصف يحيى البرمكى و ابن اءه بأنَّهم «كالنَّجوم زاهرة، و البحور زاخرة، و السيول دافقة، و الغيوت ماطرة، أسواق الآداب عندهم نافقة، و مراتب ذوى الحرمات عندهم عالية، و الدُّنيا فى أيَّامهم عامرة، و أبهة المملكة غامرة»^{١١٤٣}. و أصبحت الوزارة فى عهد الرَّشيد «وزارة تفويض»^{١١٤٤} إذ فوض الرَّشيد البرامكة فى تسيير دفة الدَّولة^{١١٤٥}

ص: ٤١٦

و برز جعفر ابن يحيى البرمكى على سائر اخوته و أصبح صاحب السَّطنة الحقيقة فى عهد الرَّشيد^{١١٤٦} ممَّا أدى إلى تصادم بين سلطة الخليفة و سلطة الوزير، و وضع ذلك فى الصِّراع الذى قام بين الرَّشيد و البرامكة ممَّا أدى إلى نكبتهم^{١١٤٧}.

٣/ ٤٣٧، كشف الغمّة: ٢/ ٢١٦، إعلام الورى: ٢٩٤، الهداية الكبرى للخصبي: ٢٦٣ و ٢٦٤.

^{١١٤١} (٣) انظر، أحمد صبحي، نظرية الإمامة: ٣٨٥.

^{١١٤٢} (٤) انظر، التَّشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٢/ ٢٨١.

^{١١٤٣} (١) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطَّالبيين: ٤٠.

^{١١٤٤} (٢) قسم الماوردى في الأحكام السَّلطانية: ٢٢-٢٣). و أبو يعلى في الأحكام السَّلطانية: ١٣، الوزراء إلى نوعين: وزارة تنفيذ فتصبح الوزارة مجرد أداة تنفيذية لسياسة الخليفة و يكون الخليفة مصدر جميع السَّلطات و وزارة تفويض حيث يفوض الخليفة شخصية بارزة موضع ثقته في شئون الدَّولة

^{١١٤٥} كان المهدي قد احتضن أحمد بن عيسى، بعد موت أبيه و رثاه في بيته، ثم قبض عليه و سجنه حينما علم بالانتماء الشَّيعي حوله، ثم هرب من سجنه و نوارى عن الأنظار. انظر، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ٢٤٣، مؤلف مجهول، العيون و الحقائق: ٣٠٧.

^{١١٤٦} (١) قال ابن خلِّكان، في وفيات الأعيان: ١/ ٢٩٢: «كان جعفر بن يحيى بن خالد و وزير هارون الرَّشيد من علو القدر، و نفاذ الأمر، و بعد الهمة، و عظم المحل، و جلالة المنزلة عند الرَّشيد بحالة إنفراد بها و لم يشارك فيها».

^{١١٤٧} (٢) انظر، ١٨٠. E. lcyenB. acinaterB. traP. ٣. p

أشار الجهشيارى إلى ميل يحيى البرمكى إلى يحيى بن عبد الله العلوى، حتى أنه أمدّه بمئتي ألف دينار خلال ثورته في بلاد الدّيلم. و علّل يحيى البرمكى مساعده للزعيم العلوى بأنّه فعل ذلك لكي يقوى أمر العلوى، فيكلف الخليفة أحد أولاد البرمكى للقضاء على الثّورة فتعظم مكانته عند الخليفة. واستنكر الخليفة الرّشيد هذا الغدر.

فقال ليحيى البرمكى: و ما يؤمّنك أن تقوى شوكته فتقتل ابنك الفضل و تقتلنى؟ . كما روى الجهشيارى أيضا أن يحيى البرمكى أمدّ أحمد بن عيسى بن زيد العلوى^{١١٤٨} بسبعين ألف دينار ليتها بها للثّورة على الدّولة العلوية.

و يتّهم ابن الأثير موسى بن يحيى البرمكى بأنّه «كان متّهما بتحريض أهل

ص: ٤١٧

خراسان على نبذ الطّاعة»^{١١٤٩}. و يرى ابن كثير أن الرّشيد نكب البرامكة «لأنّهم أرادوا إبطال الخلافة»^{١١٥٠}. و يصف ابن خلدون خالد بن برمك، جدّ أسرة البرامكة بأنّه كان «من كبار الشيعة»^{١١٥١}. و يرى الدكتور فيليب حتى أن الرّشيد حين أدرك أن أسرة البرامكة بدأت تولى الشيعة من الفرس فى المناصب و أصبحت لهم قوّة نكبها.

و نستنبط من رواية الإصفهاني أن البرامكة سعوا إلى إفساد العلاقات بين العبّاسيين و العلويين فهو يقول: «أنّ السّبب فى أخذ موسى بن جعفر و حبسه أن الرّشيد جعل ابنه محمّد الأمين فى حضن جعفر بن محمّد بن الأشعث فحسده يحيى بن خالد البرمكى». و قال: «إن أفضت إليه الخلافة زالت دولتى و دولة ولدى فاحتال على جعفر بن محمّد بن الأسقف، و كان يقول بالإمامة حتّى داخله و أنس به و أسر إليه فرفعه إلى الرّشيد و قال أن الأموال تحمل إليه من الشّرق و المغرب، و أن له بيتوتا تحمل إليه، و أنّه إشتري ضيعة بثلاثين ألف دينار سمّاها (اليسيرة)^{١١٥٢} فسمع منه الرّشيد ذلك فأخذه و حبسه حتّى مات سنة ١٨٣ هـ»^{١١٥٣}.

ص: ٤١٨

حقيقة إطلاق جعفر البرمكى سراح يحيى العلوى:

روى المؤرّخون قصّة إطلاق جعفر بن يحيى البرمكى سراح الثّائر العلوى يحيى بن عبد الله بن الحسن، و جعلوها من عوامل نكبة البرامكة. و كان الرّشيد قد استفتى الفقهاء فى نقض الأمان الذى أعطاه ليحيى، ثمّ سلّمه لجعفر البرمكى، فاستعطفه العلوى فاطلق سراحه، و تقل الفضل بن الرّبيع الوزير العربى و كان حاقدا على البرامكة النّبأ إلى الخليفة الرّشيد،

^{١١٤٨} (٣) كان يحيى البرمكى يتولى تربية الرّشيد فى حدائنه و فوضه الرّشيد تدبير الدّولة فقال له: «يا أبت قلدتك أمر الرّعية و أخرجه من عنقي إليك، فاحكم بما ترى و استعمل من شئت، و أعزل من رأيت فلاّي غير ناظر معك فى شيء». انظر، الفخري، الجدي فى أنساب الطّالبيين: ١٤٠، الجهشيارى:

الوزراء و الكتّاب: ١٧٧، ابن الأثير، الكامل فى التّاريخ: ٤٣ / ٦.

^{١١٤٩} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل فى التّاريخ: ٧٠ / ٦.

^{١١٥٠} (٢) انظر، ابن كثير، البداية و النّهاية: ١٠ / ١٨٩.

^{١١٥١} (٣) انظر، ابن خلدون، العبر و ديوان المتبدأ و الخبر فى أيام العرب و العجم و البربر و من عاصروهم من ذوي السّلطان الأكبر: ٢٢٢ / ٣.

^{١١٥٢} (٤) التّيسيرية، و فى بعض المصادر: اليسيرة، و هو موافق لما ورد فى الغيبة للطّوسى: ٢١، و مقاتل الطّالبيين لأبي فرج الإصبهاني: ٤١٩، و الإرشاد للشيخ المفيد: ٢ / ٢٣٨،

و عيون الأخبار لابن قتيبة:

١ / ٦٩، ابن الصّبّاغ، الفصول المهمّة: ٢ / ٢٨٠. بتحقيقنا.

^{١١٥٣} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٠٠.

و تظاهر الرشيد بعدم الإكتراث، و سأل البرامكي عن سجينه فزعم أنه لا يزال في حبسه، و لمّا خرج يحيى البرمكي من مجلس الرشيد «اتّبعه بصره حتّى كاد أن يتوارى عن وجهه، ثمّ قال قتلنى بسيف الهدى على عمل الضلالة، إن لم أقتلك^{١١٥٤}». و روى الطّبري أن أبا محمّد اليزيدي، و كان من أعلم النّاس بأخبار البرامكة، قال : من قال أن الرشيد قتل جعفر بن يحيى بغير سبب يحيى بن عبد الله بن الحسن، فلا تصدّقه . أى أن هذا الرّجل يرى أن إطلاق سراح الثّائر العلوى كان العامل الرّئيسى فى نكبة البرامكة^{١١٥٥}.

و رغم الروايات التى حفظتها المصادر التّاريخيّة القديمة عن إطلاق جعفر البرمكي سراح يحيى العلوى، إلّا أن الدّكتور الجومرد^{١١٥٦}، الذى وضع كتابا ضخما من جزءين عن هارون الرشيد، ينفى هذه الروايات فيقول : قد يكون هذا الخبر من صنع الفرس ليثبتوا أن مقتل البرامكة كان بسبب ميلهم للعلويّين، مع أن البرامكة قد لا يكونون خصوما للعلويّين، و لكنّهم لم يكونوا من شيّعهم، و قد

ص: ٤١٩

ثبت بأنّ غير واحد منهم قتل على أيدي هؤلاء البرامكة و نحن إذا علمنا بأنّ جعفرا أطلق سراح العلوى و كان موت يحيى بن عبد الله فى عام (١٧٦ هـ)، فإنّنا لا نستطيع إعتبار هذا الحادث سببا لنكبة البرامكة لمرور ما يزيد على عشرة أعوام بينه و بين النّكبة.

و نحن و إن كنّا نويد الروايات القديمة التى تحدّثت عن إطلاق يحيى البرمكي سراح الثّائر العلوى إلّا أنّنا لا نوّكد أن البرامكة قد اعتنقوا مذهب التّشيع أو أصبحوا من دعاة و أنصار البيت العلوى، و نرى أن البرامكة كلّفوا طوال تاريخهم و فى جميع تصرفاتهم و سياساتهم يعملون لصالح أسرّتهم و يضربون القوى بعضها ببعض، و إذا وجدوا أنّ من صالحهم ممّالة العلويّين انتهجوا هذا السّبيل و إذا رأوا أنّ مصلحتهم تقضى بالوقوف مع الخلفاء العبّاسيّين فى وجه الثّوار العلويّين فعلوا ذلك. و كلن البرامكة قد وصلوا إلى قمّة المجد و ذروة النّفوذ فى الدّولة العبّاسيّة، و لا يضمنون أن يصلوا إلى ما وصلوا إليه فى ظلّ خلافة علويّة . و قد كان العلويون سلاحا فى أيدي البرامكة يستخدمونه إذا شعروا أنّهم فى حاجة إليه، و أنّه يحقق مصالحهم الدّاتية . و قد كان يحيى بن خالد البرمكي - كما رأينا - السّبب فى القبض على موسى بن جعفر العلوى و سجنه ليتقرب إلى الخليفة الرشيد^{١١٥٧}.

و نرى أن إستفحال نفوذ البرامكة و استئثارهم بالسلطة دون الخليفة هارون الرشيد كان العامل الرّئيسى فى نكبتهم . فيرى ابن خلدون أنّه إنّما نكب البرامكة ما كان من استبدادهم على الدّولة^{١١٥٨}، و ذكر صاحب الفخرى أن جعفرا و الفضل بن يحيى ظهر منهما الإدلال ما لا تحتمله نفوس الملوك فنكبتهم - أى الرشيد -

ص: ٤٢٠

^{١١٥٤} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤٨٥ / ٦، الفخري، المجدي فى أنساب الطّالبيين: ١٧٦، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ١٨٩ - ١٩٠.

^{١١٥٥} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٤٨٥ / ٦.

^{١١٥٦} (٣) انظر، الجرّود، هارون الرشيد: ٤٦٧ - ٤٦٨.

^{١١٥٧} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٠١.

^{١١٥٨} (٢) انظر، ابن خلدون، مقدّمة ابن خلدون: ١٥.

بذلك^{١١٥٩}. و يذكر الجهشيارى أنه قد «أصبحت الخلافة على الحقيقة ليحيى و أولاده و ليس للرّشيد إلّا أسمها»^{١١٦٠}. و يرى الإصفهاني أنّ البرامكة قد أصبحوا ملوكا لدولة داخل الدولة العباسيّة^{١١٦١}. و أصبح تضخم نفوذ البرامكة يصور استئثار الفرس بالسلطة ممّا يتنافى مع سياسة الخلفاء العباسيين^{١١٦٢}.

ص: ٤٢١

الباب الخامس: ثورات الشيعة في عهدى المأمون و المعتصم

تمهيد: الشيعة في عهد الأمين

١- ثورة محمد بن إبراهيم و أبي السرايا

٢- ثورة محمد الديباج بن جعفر الصادق

٣- موقف الشيعة من بيعه المأمون للإمام عليّ الرضا بولاية العهد

٤- ثورة عليّ بن محمد بن جعفر الصادق و أبي عبد الله أخى أبي السرايا

٥- ثورات الشيعة في بلاد اليمن

٦- ثورة محمد بن القاسم في عهد الخليفة المعتصم

ص: ٤٢٣

ثورات الشيعة في عهد الخليفة المأمون

تمهيد: الشيعة في عهد الأمين:

ركنت الشيعة في السنوات العشر الأخيرة (١٨٣- ١٩٣ هـ) من عهد الخليفة هارون الرشيد إلى الهدوء، أو إلى ما تسميه الشيعة التّقية و الكتمان. فقد آثر العلويون الإنصراف إلى تضييد جراحهم و لم شعّتهم إثر توالى الضربات عليهم في العهود السالفة، مترقبين سنوح الفرصة الملائمة للقيام بحركاتهم الشيعيّة.

^{١١٥٩} (١) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطّالبيين: ٤٢.

^{١١٦٠} (٢) انظر، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ١٢٥.

^{١١٦١} (٣) انظر، الإصفهاني، الأغاني: ٣٩ / ٤.

^{١١٦٢} (٤) يرى الدكتور عبد العزيز الدوري في كتابه الجذور التاريخيّة للشعويّة: ٤٦- ٤٧ أنّ العباسيين أرادوا تنمية روح التعاون العربي الفارسي، و إيجاد سياسة مزدوجة في الإدارة و خلق كيان سياسي موحد متماسك بين عنصرى الدولة، و لكن هيمنة البرامكة على الدولة و إسرافهم في إستخدام الفرس أدى إلى ردّ فعل شديدي لدى العرب ضدّهم و هدّدوا فكرة التماسك الإداري.

كما أدى مصرع كثير من الزعماء العلويين البارزين على أيدي الخليفة هارون الرشيد إلى حرمان الشيعة من الزعيم الذي يقودهم لنضال الدولة العباسية، ولذا باتت الشيعة تترقب بروز زعماء علويين من الصف الثاني، يتقدمون خطوات إلى الصف الأول ليواصلوا الكفاح، فتقوم حركات شيعية جديدة تضاف إلى تلك السلسلة الطويلة التي تنتظم فيها حلقات كثيرة من هذه الحركات.

تولى الخليفة محمد الأمين بعد وفاة أبيه الرشيد سنة (١٩٣ هـ) ١١٦٣. و حفل

ص: ٢٢٤

عهده بالإضطرابات و الفتن، أبرزها ذلك الصراع العنيف الذي دار بين الأمين و أخيه عبد الله المأمون، نتيجة رغبة الأمين في مخالفة نظام ولاية العهد الذي وضعه الرشيد ١١٦٤، فقد أراد خلع أخيه المأمون من ولاية العهد و تولية ابنه الصغير موسى ١١٦٥، و نتيجة الصراع بين الفرس و العرب.

و في الوقت الذي ثار فيه صراع عنيف بين الأخوين، اشتعلت نار الثورة في بلاد الشام، إذ ثار السفيناني ١١٦٤، و ينتسب إلى البيت السفيناني الأموي، و دعا إلى نفسه، و استولى على دمشق و المنطقة المحيطة بها، و كاد أن يقيم حكما أمويا في

ص: ٢٢٥

بلاد الشام، لو لا أن نشب نزاع بين اليمينيين و المضريين ١١٦٧، أضعف من قوته، فنجح الأمين بعد جهود كثيرة استمرت أكثر من عامين في القضاء عليها ١١٦٨.

١١٦٣ (١) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦ / ٧٣.

أما الأمين فقد بوع ب «طوس» و ولّى أمر البيعة صالح بن هارون و قدم عليه بما رجاء الخادم للنصف من جمادى الآخرة، و بوع ببغداد و كتب إلى أخيه المأمون أن يقدم عليه و لكنّ المأمون أبى ذلك فعقد لعلّي بن عيسى بن همام و أمره أن يقبّده بقيد و يجعل الجامعة في عنقه، لكنّ المأمون بعث هرثمة بن أعين إلى سجستان و كرمان فأفسد على المأمون الأمر فأنزله هرثمة، و لكن المأمون بعث طاهرا إلى عليّ بن عيسى بن همام فكان من أمره ماكان، و همام هو الذي حرّض الأمين على لغ المأمون من ولاية العهد.

انظر، القصة في الأعلام للزركلي: ٥ / ١٣٣، و تجد ترجمته في التجوم الزاهرة: ٢ / ١٤٩، الكامل في التاريخ لابن الأثير: ٦ / ٧٩، البداية و النهاية لابن كثير: ١٠ / ٢٢٦، و المعارف لابن قتيبة: ٣٨٤ و ما بعدها، و عيون أخبار الرضا: ٢ / ١٥١ ح ٢٢، حلية الأبرار للمحدث القمي: ٢ / ٣٤٨.

١١٦٤ (١) قدّم الرشيد ابنه محمد الأمين على ابنه المأمون، لأنّ أمّ الأمين عربية قرشيّة هاشميّة و هي السيدة زبيدة، بتحريض من الحزب العربي برئاسة الفضل بن الربيع، فقد كانت أمّ المأمون جارية فارسيّة خراسانيّة.

و أما حياة الأمين فقد رفض النساء، و اشتغل بالخصيان، و وجه إلى البلدان في طلب الملهين و استخفّ حتّى بوزرائه، و أهل بيته كما وصفه صاحب مآثر الإنافة : ١ / ٢٠٥، و السيوطي في تاريخ الخلفاء: ٢٠١، و مختصر أخبار الدول: ١٣٤، و الكامل لابن الأثير: ٥ / ١٧٠.

و قد وصفه البلاذري في التنبيه و الأشراف : ٣٠٢ بأنّه قبيح السيرة، ضعيف الرأي، سقاكا للدماء، يركب هواه و يهمل أمره و يتكل في جليلات الامور على غيره . و أضاف القلقشندي في معالم الخلافة:

١ / ٢٠٤ بقوله «منهما في اللذات و اللّهو». و في مختصر أخبار الدول: ١٣٤، و الآداب السلطانيّة:

٢١٢ بلفظ «لم يجد للأمين شيئا من سيرته يستحسنه، فيذكره».

١١٦٥ (٢) انظر، تاريخ يعقوبي: ٣ / ١٦٦، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ٢٣٧.

١١٦٦ (٣) و هو عليّ بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان

١١٦٧ (١) المضيرون فرع من العرب الحجازيين، و كانت هناك عصبية تقليدية بين العرب اليمينيّين و العرب الحجازيّين منذ العصر الجاهلي، و استمر طوال العصر الإسلامي.

١١٦٨ (٢) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦ / ٧٥ - ٧٧.

و استمر صراع الأخوين، الأمين و المأمون، و دارت كثير من المعارك الحربية يخرج ذكرها عن نطاق هذا البحث، و انتشرت الفوضى في بغداد خاصة، و في أرجاء الدولة العباسية عامة، و انتهى الأمر بمصرع الأمين و تولية المأمون الخلافة سنة ١٩٨ هـ ١١٦٩.

[موقف العلويين و الشيعة من الصراع بين الأمين و المأمون]

فماذا كان موقف العلويين و الشيعة؟. و لماذا لم ينهزوا فرصة هذه الإضطرابات لمعاودة حركاتهم؟.

في الحقيقة كانت هذه الفوضى الشاملة التي سادت أرجاء الدولة الإسلامية أكثر من أربع سنوات، فرصة ذهبية ليعاود العلويون و شيعتهم حركاتهم، و لكنهم آثروا الهدوء و السلام، و نعتقد أن إقتقاد الشيعة للزعيم المنشود الذي يتولى قيادتهم هو العامل الرئيسي في هذه السياسية، إلى جانب ما ثار من خلافات شديدة عميقة بين فرق الشيعة، من إمامية، و زيدية، و إسماعيلية و غيرها.

كما أن الخليفة الأمين انصرف عن تتبع العلويين و اضطهادهم، نتيجة الفتن و الإضطرابات الكثيرة التي واجهها، إلى جانب إنشغاله باللّهو و الترف. فيقول الإصفهاني: «و كانت سيرة محمد - أى في أمر آل أبي طالب - خلاف ما تقدم، لتشاغله بما كان فيه من اللّهو و الإدمان له، ثم الحرب التي كانت بينه و بين

ص: ٤٢٦

المأمون حتى قتل، فلم يحدث على أحد منهم في أيامه حدث بوجه و لا سبب»^{١١٧٠}.

و لا شك أن عيون العلويين و الشيعة قد قرت لهذا الصراع بين الأمين و المأمون، فهو مظهر لانقسام البيت العباسي على نفسه، مما يؤدي إلى ضعف العباسيين و دولتهم، و هو أيضا صراع بين العناصر العربية و العناصر الفارسية، و الحزبين العربي و الفارسي في بلاط القصر العباسي^{١١٧١}. و بات العلويون يترقبون من سيكون المنتصر من الأخوين حتى يعلنوا الثورة عليه، و يجهزوا عليه، و قد خرج من الصراع منهكا متعبا. و هذا ما حدث، فقد كان الإنتصار للمأمون، و ما لبث أن واجه حركات الشيعة.

ص: ٤٢٧

ثورة محمد بن إبراهيم و أبي السرايا

نجح المأمون في القضاء على قوات أخيه الأمين، ثم تولى الخلافة، و كان القائدان طاهر بن الحسين و هارثة بن أعين من أبرز عوامل انتصارات المأمون^{١١٧٢}. بينما استأثر الفضل بن سهل بالوزارة و النفوذ في مرو بخراسان، حيث كان المأمون

^{١١٦٩} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٧/ ١١٤-١١٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦/ ٨٢-٨٥.

^{١١٧٠} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٠٩.

^{١١٧١} (٢) أيد الحزب العربي بزعماء الفضل بن الربيع و علي بن عيسى بن ماهان الخليفة الأمين، بينما أيد الفضل بن سهل و الفرس المأمون. انظر، يعقوبي، تاريخ يعقوبي: ٣/

١٦٦.

^{١١٧٢} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦/ ٨٢-٨٥.

مقيماً^{١١٧٣}. و أراد الفضل الخلاص من القائدين الباسلين، فأصدر أمرين على لسان المأمون، أولهما بتولية الحسن بن سهل جميع ما افتتحه طاهر من كور الجبال، و فارس، و الأهواز، و البصرة، و الكوفة، و ا لحجاز، و اليمن. و كتب إلى الطاهر أن يسلمه جميع ما بيده من الأعمال و أن يشخص إلى الرقة لمحاربة نصر بن ثابت الذي أعلن الثورة في الشام^{١١٧٤}، و ولّاه الموصل، و الجزيرة، و الشام، و المغرب، و اضطر طاهر إلى الإذعان و هو كاره لتنفيذه . أما الأمر الثاني، فقد صدر إلى هرثمة يأمره بالقدوم إلى خراسان. و أدى ابتعاد هذين القائدين الكبيرين عن بلاد العراق إلى انتشار الإضطرابات فيها، ممّا

ص: ٤٢٨

ساعد على ظهور عدة ثورات أبرزها حركة شيعيّة قام بها محمّد بن إبراهيم العلوي، يعاونه د اعية له يدعى (أبو السرايا)^{١١٧٥}.

بوادر ثورة شيعيّة جديدة:

بدأت أوّل حركة شيعيّة في عهد المأمون في أواخر جمادى الثانية سنة (١٩٩ هـ)^{١١٧٦}، و هي حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية، و تزعمها محمّد بن إبراهيم ابن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، و قد اشتهر باسم (ابن طباطبا)^{١١٧٧}.

كان العلويون قد ركنوا إلى الهدوء في أواخر عهد الخليفة الرشيد، و طوال عهد الخليفة الأمين . و بدأت بوادر قيام حركة جديدة من حركات الشيعة في مطلع عهد المأمون، مستفيدة من إقامة الخليفة في مرو بخراسان، و من الفوضى التي انتشرت في بلاد العراق و بعض ولايات الدولة العباسيّة أثر الصراع المير الذي شبّ بين الأخوين، الأمين و المأمون^{١١٧٨}.

كانت بداية هذه الحركة الشيعيّة، قدوم رجل من شيعة الجزيرة، يدعى نصر بن شبيب، إلى الحجاز حاجاً. و مرّ نصر بالمدينة فسأل عن «بقايا أهل البيت

ص: ٤٢٩

^{١١٧٣} (٢) انظر، يعقوبي، تاريخ يعقوبي: ١٦٧/٣.

^{١١٧٤} (٣) و هي حركة عربية نعتت على المأمون الإعتماد على الفرس و الخراسانيّين و حاولت الشيعة الإستفادة من هذه الحركة فباع نصر لأحد الع لويّين و لكنّه رفض ذلك، و اخفقت الثورة سنة (٢١٠ هـ).

انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ج ٧ أحداث سنة ٢٠٥ - ٢١٠ هـ.

^{١١٧٥} (١) انظر، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ٨٣، هامش التحف شرح الزلف: ١٤٥.

^{١١٧٦} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١١٧/٧.

^{١١٧٧} (٣) طباطبا لقب لإبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب، أمّا سبب هذا اللقب فإنّه كان يلبغ بالقاف، فجعلها طاء، قال يوما لعلامة: هات ثيابي.

فقال الغلام: أجيء بدراعة.

قال: لا، طباطبا، يريد قبا قبا، فبقي لقبه عليه، و اشتهر به

انظر، الإفادة في تاريخ الأئمة السادة: ١٠٨، الكامل في التاريخ: ٨٢/٦.

^{١١٧٨} (٤) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨٢/٦ - ٨٣.

و من له ذكر منهم». فذكر له ثلاثة أسماء من العلويين، أولهم علي بن عبيد الله بن الحسن ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولكن نصرا علم أن هذا الزعيم «كان مشغولا بالعبادة لا يصل إلى أحد ولا يأذن له». أما الزعيم العلوي الثاني فهو عبد الله بن موسى وكان «مطلوبا خائفا لا يقاوم أحدا». وبقى الزعيم الثالث، وهو محمد بن إبراهيم، فكان الزعيم الوحيد الذي يمكن لنصر لقاءه إذ كان «يقارب الناس ويكلّمهم في هذا الشأن». و التقى نصر بمحمد، فذكره بما نزل بآل علي من تنكيل واضطهاد، و بإغتصاب العباسيين لحقّ العلويين في الخلافة، ثم قال نصر لمحمد : «حتى متى توطئون بالخسف، و تهتضم شيعتكم و تسكتون على حقكم؟». و تأثر محمد بحديث نصر، و اتفقا على اللقاء في إقليم الجزيرة^{١١٧٩}.

و عاد نصر مع سائر الحجاج إلى الحج زيرة، و بعد فترة لحق به محمد بن إبراهيم، و معه نفر من أصحابه و شيعته . و جمع نصر أهله و عشيرته «و عرض ذلك عليهم، فأجابه به بعضهم و امتنع عليه بعض، و كثر القول فيهم و الإختلاف، حتى تواتبوا و تضاربوا بالنعال و العصي، و انصرفوا عن ذلك». ثم توجه بعض أقاربه إليه بالنصيحة، فحذروه عواقب الخروج على طاعة الدولة العباسية، مما يعود بالضرر عليه و على أهل بيته، و ختموا نصيحتهم له بقولهم: «فما حاجتك إلى تعريض نفسك و أهلک و أهل بيتک لما لا قوام لهم به؟ . إن جميع هذا البلد أعداء لآل علي ابن أبي طالب، فإن أجابوك الآن طائعين، فروا عنك غدا منهزمين، إذا احتجت إلى نصرهم، على أنك إلى خلافهم أقرب منك إلى إجابتهم». و اقتنع نصر بنصيحة أقاربه، فعدل عن رأيه، و فترت حماسته، «فصار إلى محمد بن

ص: ٤٣٠

إبراهيم معتذرا إليه بما كان من خلاف الناس عليه، و رغبتهم عن أهل البيت»، و عرض نصر على محمد أن يمنحه خمسة آلاف دينار ليتقوى بها. و غضب محمد لتخلي نصر عن وعده، و غادر الجزيرة راجعا إلى الحجاز^{١١٨٠}.

أبو السرايا و محمد بن إبراهيم (ابن طباطبا):

بعث نصر بن شبيب الآمال في نفس محمد بن إبراهيم، و دفعه إلى التطلع إلى الخلافة، و التفكير في تدبير سبل الوصول إليها. و يبدو أن نكت نصر لوعوده لم يثن محمدا عن تطلعه إلى الخلافة . ففي خلال عودته إلى بلاد الحجاز إلتقى في الطريق بأبي السرايا، السري بن منصور، و هو من بنى ربيعة بن ذهل ابن شيبان^{١١٨١}. و كان أبو السرايا «قد خالف السلطان و نابذه، و عاش في نواحي السواد^{١١٨٢}، ثم صار إلى تلك الناحية فأقام بها خوفا على نفسه». و علم أبو السرايا بما كان بين نصر بن شبيب و محمد بن إبراهيم، فعرض أبو السرايا أن يقدم للزعيم العلوي ما كان نصر قد وعده به من معاونات، و تعهد له بالوفاء و أن يكون له نصيرا و مؤازرا، و طلب منه أن يعدل عن الرجوع إلى الحجاز، و أن يتجه إلى الكوفة، حيث يوافيه بعد فترة وجيزة^{١١٨٣}.

ص: ٤٣١

^{١١٧٩} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥١٩.

^{١١٨٠} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٢٠، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١١٧/٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١٧٤/٥.

^{١١٨١} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١١٧/٧ ذكر أنه من ولد هانيء بن قبيصة بن هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة بن ذهل بن شيبان، و كان من الفرسان المشهورين بالشجاعة و الإقدام.

^{١١٨٢} (٣) انظر، أي سواد العراق، و هي الأرض الخصبة السوداء.

^{١١٨٣} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٢١، كان العلويون يفضلون الإقامة في الحجاز و خاصة المدينة.

قدم محمد بن إبراهيم إلى الكوفة «يسأل عن أخبار الناس و يتحسسها، و يتأهب لأمره و يدعو من يثق به إلى ما يريد، حتّى إجتمع له بشر كثير». و رحل أبو السرايا في طريقه إلى الكوفة، فمرّ بنينوى، ثمّ اتّجه إلى قبر الحسين، على رأس عدد كبير من الفرسان. و بعث أبو السرايا في طلب الشيعة الزيدية، فقدموا عليه، فخطب فيهم خطبة طويلة، ذكر فيها أهل البيت و فضلهم، و ما أنزله العباسيون بهم من مظالم و اضطهاد، ثمّ خطب خطبته بقوله : «إنّنى خارج من وجهى هذا إلى الكوفة للقيام بأمر الله و الذّب عن دينه، و النّصر لأهل بيته، فمن كان له نيّة في ذلك فليلحق بى ». ثمّ بدأ أبو السرايا رحلته إلى الكوفة^{١١٨٤}.

و فى ضواحي الكوفة، كان محمد بن إبراهيم و شيعته فى انتظار أبى السرايا و قد انضم إليه على بن عبيد الله بن الحسين بن على بن الحسين، و انضم إليهم عدد كبير من أهل الكوفة، فكانوا «مثل الجراد، إلّا أنّهم على غير نظام و غير قوّة، و لا سلاح إلّا العصى و السكاكين و الآجر». و أبدى بعض الشيعة قلقهم لتأخر وصول أبى السرايا، حتّى شتموه و سبّوه، و لاموا محمد بن إبراهيم على الإستعانة به.

قدم أبو السرايا إلى الكوفة، و ترجل عن جواده و عانق محمد بن إبراهيم، و طلب أبو السرايا من الزعيم العلوى أن يدخل إلى الكوفة، و يخطب للناس، و دعا محمد بن إبراهيم أهل الكوفة إلى البيعة للرّضا من آل محمد^{١١٨٥}، و العمل بكتاب الله و سنّة نبيه، و الأمر بالمعروف و النّهى عن المنكر، و تمّت البيعة عند

ص: ٤٣٢

موضع فى الكوفة يسمّى (قصر الضّرتين)^{١١٨٦}.

[سببا قيام الحركة الشّيعية بزعامة محمد بن إبراهيم و داعية أبو السرايا]

ذكر الطّبرى، سببين لقيام هذه الحركة الشّيعية الّتى تزعمها محمد بن إبراهيم و داعيته أبو السرايا.

[أمّا السّبب الأوّل: فهو اضطراب أحوال الدّولة]

أمّا السّبب الأوّل : فهو اضطراب أحوال الدّولة إذ استأثر الفضل بن سهل بالسلطنة و النّفوذ فى الدّولة العبّاسيّة دون المأمون^{١١٨٧} حتّى قيل أنّه أنزل المأمون فى قصر و حجبه عن أهل بيته و قواده و خاصّته «فغضب لذلك بالعراق من كان لها من بنى هاشم و وجوه الناس، و أنفوا من غلبة الفضل بن سهل على المأمون ، و اجترأوا على الحسن بن سهل بذلك، و هاجت الفتن فى الأمصار، فكان أوّل من خرج بالكوفة ابن طباطبا»^{١١٨٨}.

[أمّا العامل الثّانى: فهو تحريض أبى السرايا لمحمد بن إبراهيم]

^{١١٨٤} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٢٢-٥٢٣.

^{١١٨٥} (٢) كان العبّاسيون يدعون أيضا خلال الدّعوة العبّاسيّة (١٠٠-١٣٢ هـ) إلى الرّضا من آل محمد، و كان أبو السرايا من قبل مواليا للعبّاسيين ثمّ خرج عن طاعتهم

^{١١٨٦} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٢٣.

^{١١٨٧} (٢) انظر، قال المأمون للفضل: «و قد جعلت لك مرتبة من يقول في كلّ شيء فيسمع منه، و لا تتقدمك مرتبة أحد ما لزم ما أمرتك به من العمل لله و نبيه و القيام بصلاح دولة أنت ولي بقيامها». انظر، الجهنياري، الوزراء و الكتاب: ٣٠٦.

^{١١٨٨} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١١٧/٧.

أما العامل الثاني: الذي ذكره الطبري^{١١٨٩}، والذي أدى إلى قيام حركة محمد بن إبراهيم، فهو تحريض أبي السرايا له، فقد ساءت العلاقات بينه وبين الدولة العباسية، ورأى الاستفادة من الزعيم العلوي في خلع طاعة الدولة، فقال الطبري: «وقيل كان سبب خروجه أن أبا السرايا كان من رجال ابن إبراهيم يقتالهم». وأسرع الفضل ومواليه بالفرار، واستولى أبو السرايا على الدار، وحاول جنده انتهائها، فنهاهم عن ذلك. وخرج الفضل إلى الحسن بن سهل يشكو إليه ما

ص: ٤٣٣

حل به، فوعده الحسن بأنه يقف من هذه الحركة الشيعية موقفا حازما حاسما^{١١٩٠}.

واستدعى الحسن بن سهل إليه أحد القواد العباسيين البواسل، وهو زهير ابن المسيب، فعهد إليه بإخضاع أبي السرايا، وأمدّه بالرجال والأموال والإمدادات وبعث إلى والي الكوفة سليمان بن أبي جعفر المنصور يتهمه بالضعف ويلومه على موقفه المتخاذل الذي أدى إلى قيام حركة الشيعة في الكوفة^{١١٩١}.

خرج زهير بن المسيب على رأس جيش عدته عشرة آلاف فارس، متجها نحو الكوفة، وكان محمد بن إبراهيم ملازما فراشه يعاني مرضا شديدا، فأمر داعيته أبا السرايا بقتال «الجيش العباسي» وحاول بعض البغداديين من أنصار العباسيين، المقيمين بالكوفة، أن يحثوا أهل الكوفة على التخاذل عن الانضمام إلى جيش أبي السرايا، ولكن أبا السرايا أثار الحماسة في قلوبهم، بالخطابة جينا، وبالشعر حيناً آخر، حتى نجح في تعبئة جيش خرج به لقتال العباسيين^{١١٩٢}.

دارت معركة عنيفة بين الفريقين في آخر رجب سنة (١٩٩ هـ) ١١٩٣، انتهت بهزيمة الجيش العباسي، وأسرع الجند العباسيون بالفرار، وأبو السرايا يتبعهم حتى صاح زهير فيه: ويحك، أتريد هزيمة أكثر من هذه؟. إلى أين تتبعني؟.

فكف أبو السرايا عن ملاحقة العباسيين. وغنم جيش الكوفة كثيرا من الغنائم، «لم يغنم أحد مثلها». وعاد زهير إلى بغداد، وغضب الحسن بن سهل عليه فضربه بعمود حديد على وجهه فشتت إحدى عينيه، وأراد قتله، لو لا شفاعته بعض أصحابه فعفا عنه.

ص: ٤٣٤

وصف الإصفهاني دخول أبي السرايا إلى الكوفة منتصرا، وصفا يبين قوة الحركة الشيعية، وارتفاع روح الشيعة المعنوية، فقال: «ودخل أبو السرايا الكوفة ومعهم خلق كثير من الأسارى، ورؤوس كثيرة على الرماح مرفوعة، وفي صدور الخيل مشدودة، ومن معه من أهل الكوفة قد ركبوا الخيل ولبسوا السلاح فهم في حالة واسعة، وأنفسهم بما رزقوه من النصر قوية»^{١١٩٤}.

^{١١٨٩} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١١٧/٧ - ١١٨، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨٧/٦ - ٨٨.

^{١١٩٠} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٢٥.

^{١١٩١} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١١٧/٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨٧/٦.

^{١١٩٢} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٢٨.

^{١١٩٣} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١١٨/٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٨٨/٦.

^{١١٩٤} (١) كانت عدة هذا الجيش ألف فارس وثلاثة آلاف من المشاة الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٣.

قرّر الحسن بن سهل أن يعاود القتال في جولة أخرى، فأعد جيشاً^{١١٩٥} عهد بقيادته إلى عبدوس بن عبد الصمد، وأغدق عليه العطاء، وأخذ يمينه ويعدّه إن انتصر على أبي السرايا، وخرج أبو السرايا من الكوفة للقائه، وجعل شعاره «يا فاطمي يا منصور»، ونجح في إلحاق الهزيمة بالجيش العباسي وقتل قائده عبدوس وغنم كثيراً من الغنائم.

زعامة أبي السرايا بعد موت طباطبا:

عاد أبو السرايا إلى الكوفة مكللاً بأكاليل الغار، ودخل على محمد بن إبراهيم وهو في فراش مرضه، يلفظ أنفاسه الأخيرة، فلام محمد أبا السرايا على هجومه على الجيش العباسي ليلاً^{١١٩٦}، وأنّه لم يدعوهم إلى الأمان قبل أن يقاتلهم، فدافع أبو السرايا عمّا أقدم عليه، وقال أنّه من تدبير الحرب، وأنّه لن يعود إلى مثله في المستقبل. وأدرك أبو السرايا أنّ محمد بن إبراهيم قد أوشك على مفارقة الحياة، فطلب منه أن يعهد إليه بوصيته، فأوصى إليه فقال: «أوصيك بتقوى الله، والمقام على الذب عن دينك، ونصرة أهل بيت نبيك صلى الله عليه وآله، فإن أنفسهم موصولة بنفسك،

ص: ٤٣٥

و ول الناس الخيرة فيمن يقوم مقامى من آل على، فإن اختلفوا فالأمر إلى على بن عبيد الله، فإنني قد بلوت طريقتي، و رضيت دينه»^{١١٩٧}. وما لبث محمد أن مات؛ فكتب أبو السرايا نبأ وفاته، وفي الليل استدعى إليه نفرًا من الزيدية قاموا بدفنه.

يتهم الطبري أبا السرايا بأنه وضع السم لمحمد بن إبراهيم بن طباطبا حتى يستأثر بالنفوذ، فيقول: «مات محمد بن إبراهيم بن طباطبا فجأة، فذكر أنّ أبا السرايا سمّه، وكان السبب في ذلك فيما ذكر أنّ ابن طباطبا لما أحرز ما في عسكر زهير من المال والسلاح والدواب وغير ذلك، منعه أبا السرايا وحظره عليه، وكان الناس له مطيعين، فعلم أبو السرايا أنّه لا أمر له معه، فسمّه»^{١١٩٨}.

ولكنّا نميل إلى الأخذ برواية الإصفهاني^{١١٩٩}، وهي تذهب إلى أنّ محمدًا كان يعاني مرضاً ألزمه الفراش فترة، وما لبث أن مات متأثراً بمرضه.

وفي اليوم التالي، جمع أبو السرايا الشيعة، فخطبهم، ونعى محمد بن إبراهيم إليهم، وعزّاهم فيه، فارتفعت الأصوات بالبكاء، ثم أخبرهم بوصية محمد، وأنّه قد عهد إلى على بن عبيد الله، ثم قال: «إن رضيت به فهو الرضا^{١٢٠٠}، وإلا فاختاروا لأنفسكم». لم يكتثر الشيعة بأمر هذا العهد، «فتواكلوا ونظر بعضهم إلى بعض، فلم ينطق أحد منهم». وقطع غلام من آل على يدعى محمد بن محمد بن زيد هذا السكون، فدعا العلويين والشيعة إلى الإتحاد حتى يتحقق لهم النصر على العباسيين، وطلب من على بن عبيد الله أن يمدد يده لتبایعه الشيعة. ولكن

^{١١٩٥} (٢) كان من التّواليد العربيّة الأصلية عدم مهاجمة جيش العدو ليلاً، و يطلق على المحكوم ليلاً لفظ (تبييت).

^{١١٩٦} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٣١-٥٣٢.

^{١١٩٧} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١١٩/٧ - ١٢٠.

^{١١٩٨} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١١٨/٧، الذّهبي، تاريخ الإسلام: ٧٠/١٣، ابن كثير، البداية و النهاية: ٢٦٦/١٠، ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون: ٨/٤.

^{١١٩٩} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٣٢.

^{١٢٠٠} (٤) أي الرضا من آل محمد.

عليًا وقف يخطب، فأعلن للناس تنازله عن هذا العهد، وعلّل ذلك بقوله، أتخوف أن أشتغل به من غيره ممّا هو أحمد و أفضل عاقبة»^{١٢٠١}، ثم رشّح محمد بن محمد بن زيد لتبایعه الشيعة، ثم سأل أبا السّرايا عن رأيه في ذلك، فنزل على رأيه و أقبلت الشيعة عليه تبایعه، و ولي محمد بن محمد أقاربه العلويين على حكم بعض الأمصار^{١٢٠٢}.

أصبح أبو السّرايا هو المهيمن على هذه الحركة الشيعية، يوجهها و يرسم الخطط لها، فقد وصف الطّبري^{١٢٠٣} الزعيم العلوي الجديد، محمد بن محمد بن زيد، بأنّه كان «غلاما أمرد حدثا»، و لذا استأثر أبو السّرايا بالتّفوذ فكان «هو الذي ينفذ الأمور، و يولّي من رأى، و يعزل من أحبّ، و إليه الأمور كلّها».

و ضرب أبو السّرايا الدّراهم بالكوفة، و نقش عليها: **إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَانَهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ**^{١٢٠٤}.

توجّه الولاة العلويون الجدد إلى أمصارهم، فنجح إبراهيم بن موسى في السيطرة على اليمن بعد قتال محدود، و نجح والي واسط في هزيمة واليها العبّاس نصر البجلي، و سيطروا على واسط، و جبا الخراج، و أيدهما أهلها . و نجح والي البصرة العلوي عليّ بن جعفر في إلحاق الهزيمة بالقوات العبّاسية و هيمن على البصرة.

علم داود بن عيسى، والي مكة العبّاسي، بقدوم حسين بن حسن الوالي العلوي الجديد ، ليحج بالنّاس في هذه السنّة (١٩٩ هـ)، فحشد موالى بنى العبّاس ليدافعوا عنه، و حدث أن قدم عليه مسرور، خادم الرّشيد^{١٢٠٥}، و كان يؤدى فريضة الحجّ، و معه مائتا فارس من أصحابه و حتّ مسرور الوالي العبّاسي على قتال الوالي العلوي، فرفض داود أن تكون مكة المكرمة مسرحا للقتال، فأخذ مسرور يذكره أنّه من الولاة العبّاسيين، و عليه أن يدافع عن مكة و سلطانه، و كان داود ساخطا، إذ لم يوله الخليفة العبّاسي حكم ولايته إلّا بعد أن وصل إلى مرحلة الشيخوخة، و اختاروا له بلاد الحجاز، و هى فقيرة في مواردها الإقتصادية، و لذا آثر داود الخروج إلى العراق. و فتّ ذلك في عضد مسرور، و لم يشأ أن ينفرد بقتال العلويين «و خشى إن قاتلهم أن يميل أكثر النّاس معهم»^{١٢٠٦}، و لذا رأى أن يلحق بداد، فخرج راحلا إلى العراق . و دخل الوالي العلوي حسين بن حسن مكّى، فطاف بالبيت، و سعى بين الصّفا و المروة، و بدأ يمارس سلطاته^{١٢٠٧}.

^{١٢٠١} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ١١١.

^{١٢٠٢} (٢) ولى إبراهيم بن موسى بن جعفر على اليمن، و ولى زيد بن موسى بن جعفر على الأهواز، و ولى العبّاس بن محمد بن عيسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب على البصرة، و ولى الحسين بن الحسن الأفتس بن عليّ بن أبي طالب على مكة، و ولى محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن عليّ على المدينة، و ولى الحسين بن إبراهيم بن الحسن بن عليّ على واسط.

^{١٢٠٣} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١١٦ / ٧.

^{١٢٠٤} (٤) الصّنف: ٤.

^{١٢٠٥} (١) اشترك مسرور في التّنكيل بالبرامكة.

^{١٢٠٦} (٢) كان أهالي الحجاز يعطفون على العلويين.

^{١٢٠٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٢١ / ٧.

اتَّسع نفوذ الزَّعيم العلوي الجديد محمد بن محمد «و تتابعت الكتب و تواترت عليه بالفتوح من كل ناحية، و كتب إليه أهل الشَّام و الجزيرة أنَّهم ينتظرون أن يوجَّه إليهم رسولا ليسمعوا له و يطيعوا»^{١٢٠٨}. و أدرك الحسن بن سهل خطورة الموقف، إذ رأى استفحال سلطان أبي السَّرايا و أنَّ جنده «لا يلقون عسكرا إلَّا هزموه و لا يتوجهون إلى بلد إلَّا دخلوه»^{١٢٠٩}. و لمس الحسن إخفاق قواده جميعا

ص: ٤٣٨

في الصَّمود أمام قوات أبي السَّرايا، فرأى أن يعتمد على قائد باسل محنَّك، فرأى أن يعهد بلُمر أبي السَّرايا للقائد هرثمة بن أعين، رغم أنَّ العلاقات كانت قد ساءت بينهما، فقد غضب هرثمة لتولية الحسن بن سهل على بلاد العراق، و خرج غاضبا إلى (حلولان)^{١٢١٠}. و بعث الحسن إليه رسولا، هو السَّندی بن شاهك، يطلب منه أن يتناسى ما كان بينهما من شحناء و بغضاء و يستدعي إلى بغداد لتولي قيادة الجيش الّذي يوجهه لقتال أبي السَّرايا.

رفض هرثمة في أوّل الأمر دعوة الحسن بن سهل إليه، و قال لرسوله السَّندی «نوطيء نحن الخلافة، و نمد لها أكتافها، ثمَّ يستبدون بالأمر، و يستأثرون بالتدبير علينا، فإذا أنفتق عليهم فتق بسوء تدبيرهم، و إضاعتهم الأمور، أرادوا أن يعلموه بنا، لا و الله و لا كرامة حتّى يعرف أمير المؤمنين سوء آثارهم و قبيح أفعالهم»^{١٢١١}. و هذا القول يوضّح حقيقة الأوضاع الدَّاخلية السَّائدة حينئذ في الدَّولة العبَّاسيَّة، فقد استبد الفضل و الحسن ابنا سهل بشؤون الدَّولة، كما كان المأمون لا يزال مقيما في مرو بخراسان^{١٢١٢}، و يبدو أنَّه لم يكن يعلم الكثير عن أمر الإضطرابات السَّائدة في الدَّولة، و خاصَّة قيام هذه الحركات الشَّيعيَّة، و نجاح أبي السَّرايا في السَّيطرة على الكوفة و البصرة و واسط في بلاد العراق، و على بلاد الحجاز و اليمن، حتّى إن هرثمة أعتزم اطلاع الخليفة على حقيقة الأمر^{١٢١٣}.

ثمَّ وصل إلى هرثمة كتاب من منصور بن المهدي، يستحثه في القدوم،

ص: ٤٣٩

و يوضّح له خطورة الموقف، فلم يجد بدا من الإستجابة إلى دعوة الحسن بن سهل، فخرج قاصدا بغداد. حتّى إذا وصل إلى النُّهروان تلقاه أهالي بغداد و القواد و بنو هاشم، و أبدوا سرورهم بقدومه، و كان الحسن بن سهل يفتن إلى مقدرة هرثمة الحربية، و لذا «أمر بدواوين الجيش فنقلت إليه ليختار الرِّجال منهم و ينتخبهم، و أطلق له بيوت الأموال فانتخب ما أراد»^{١٢١٤}.

بداية النهاية:

^{١٢٠٨} (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطَّالبيين: ٥٣٤.

^{١٢٠٩} (٥) انظر، ابن جرير، تاريخ الطَّبري: ١١٩ / ٧.

^{١٢١٠} (١) كان هرثمة يحلِّد دائما المأمون من الفضل بن سهل و تكمته أخبار الإضطرابات في الدَّولة. انظر، ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ: ١٠٧ / ٦، أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر: ٢٣ / ٢.

^{١٢١١} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطَّالبيين: ٥٣٥.

^{١٢١٢} (٣) انظر، الجهشياري، الوزراء و الكتاب: ٣٠٦.

^{١٢١٣} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطَّبري: ١١٨ / ٧، ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ: ١٠٧ / ٦.

^{١٢١٤} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطَّالبيين: ٥٣٠.

لجأ هرثمة إلى حيلة يثبّط بها همّة جند أبي السّرايا، فقد صاح فيهم : «يا أهل الكوفة، علام تسفكون دماءنا و دماءكم؟. إن كان قتالكم إيانا كراهية لإمامنا، فهذا المنصور بن المهدي رضى لنا و لكم نبايعه، و إن أحببتم إخراج الأمر من ولد العبّاس فأنصبوا إمامكم، و اتّفقوا معنا ليوم الاثنين نتناظر فيه، و لا تقتلونا و أنفسكم ». و حاول أبو السّرايا أن يحثّ جنده على القتال، فأبوا ذلك، فاضطر إلى الإنسحاب إلى الكوفة . و فى يوم الجمعة، وقف أبو السّرايا على المنبر، يسب أهل الكوفة و يوبخهم، و يصفهم بأنّهم «قتلة علىّ بن أبى طالب علىه السّلام» و «خذلة الحسين ابن علىّ بن أبى طالب عليه السّلام»، و حذّرهم ممّا يلحق بهم على أيدي العبّاسيّين إن دخلوا الكوفة . و قامت جماعة من أهل الكوفة يدافعون عن أنفسهم، و يذكّرونه بإخلاصهم له، و تفانيهم فى القتال معه، و عرضوا عليه البيعة على الموت «فأعرض عنهم، و نادى فى النّاس بالخروج لحفر الخندق»^{١٢١٥}.

و بدأ حفر الخندق، و اشترك أبو السّرايا بنفسه فى أعمال الحفر . و لكنّه رأى الرّحيل إلى القادسية، فخرج مع محمّد بن محمّد بن زيد، و جماعة من العلويّين

ص: ٤٤٠

و أهل الكوفة فى (١٣ من المحرم سنة ٢٠٠ هـ)، و ثار فى الكوفة أشعث بن عبد الرّحمن يدعو إلى الولاء لهرثمة. كما خرج أشراف الكوفة إلى هرثمة يسألونه الأمان للنّاس، فأجابهم لطلبهم، و دخل المنصور بن المهدي الكوفة، و أقام هرثمة فى جيشه خارجها. و خطب المنصور فى أهالى الكوفة، فحثّهم على الطّاعة و الولاء. و ولّى هرثمة واليا عبّاسيّاً لحكم الكوفة هو غسان بن الفرج، ثمّ بدأ هرثمة رحيله من الكوفة^{١٢١٦}.

أراد أبو السّرايا قصد البصرة أو واسط، و لكنّه علم فى طريقه بسيطرة العبّاسيّين عليها . و مضى أبو السّرايا يتجول بين البلدان المختلفة، يجبى خراجها و يستولى على غلاتها، حتّى وصل إلى إقليم الأهواز، و دخل مدينة السّوس .

و كان يتولى حكم الأهواز الحسن بن علىّ المأمونى، فبعث إلى أبى السّرايا ينبئه أنّه لا يريد قتاله، و أنّه عليه الإنصراف عن الأهواز إلى حيث أراد، و لكن أبا

ص: ٤٤١

^{١٢١٥} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيّين: ٥٤٦.

^{١٢١٦} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٢٦/٧، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيّين: ٥٤٧.

لم يعرف العرب قبل الإسلام حفر الخندق، و صاحب فكرة الخندق هو الصّحابي سلمان الفارسي.

فلما سمع رسول الله صلى الله عليه و آله بإجتماع الأحزاب استشار أصحابه و أجمع رأيهم على البقاء فى المدينة و حرب القوم إن جاؤوا إليهم، و هنا أشار سلمان رضى الله عنه بحفر الخندق، فأمر رسول الله صلى الله عليه و آله بحفره و عمل فيه بنفسه، و عمل فيه المسلمون لمدة أكثر من ستّة أيّام و قطعه رسول الله صلى الله عليه و آله أربعين ذراعاً بين كلّ عشرة، و لذا اختلف المهاجرون و الأنصار فى سلمان كلّ يقول هو متّ، فقطع الرّسول صلى الله عليه و آله نزاع القوم و قال قوله المشهور: «سلمان متّ، سلمان من أهل البيت».

و فرغ رسول الله صلى الله عليه و آله من حفر الخندق قبل قدوم قريش بثلاثة أيّام.

انظر، ابن عسّاك، تأريخ دمشق: ١/ ١٥٠، السّيرة الحلبية بمهامش السّيرة النبويّة: ٢/ ٣٠٩ ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٢/ ٢٦٥، و: ٣/ ٢٣٤، و: ٥/ ٢٩-٣٣، ابن الأثير، الكامل فى التّاريخ:

٣/ ١٧٨، دائرة المعارف الإسلاميّة الشّيعيّة: ١/ ٢٦٢، ابن هشام، السّيرة: ٣/ ١٨٤ و ١٩٢ و ٢٢٥ و ٣٢٠-٣٢٢، الواقدي، المغازي: ٢/ ٤٤١ و ٤٧٧، يعقوبي، تأريخ يعقوبي: ٢/ ٥٠-٥١، المقرئ، إمتاع الأسماع: ٢٣٥ و ٢٣٦، البغوي، التفسير المسمى بمعالم التنزيل: ٣/ ٥٢٣.

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ؛ ص ٤٤١

السَّرايا أصرَّ على قتاله، فدارت معركة عنيفة، انتهت بهزيمة أبي السَّرايا، و أصابته بجراح شديدة، فاضطر إلى الإنسحاب، و قد تفرق عنه معظم أنصاره و اتَّجه أبو السَّرايا نحو خراسان، و بلغوا قرية (برقانا)، و أقنعهم واليها حمَّاد الكندفوش بأنَّهم إذا صحبوه إلى الحسن بن سهل فإنَّه يجتهد في أن يفوز لهم منه بالأمان^{١٢١٨}.

أمر الحسن بن سهل بضرب عنق أبي السَّرايا. و طافوا بالرَّأس في معسكر الحسن و بعث بجسده إلى بغداد حيث صلب. أمَّا الرَّعيم العلوي محمَّد بن محمَّد فقد أبقى الحسن بن سهل أن يبيت في أمره . فقد تذكر بعض الأحداث السَّالفة حين قتل الخليفة هارون الرَّشيد وزيره جعفر البرمكي ثأرا منه لإقدامه على قتل ابن الأَفطس^{١٢١٩} بدون إذن الخليفة، و بعث الحسن بن سهل بالرَّعيم العلوي إلى الخليفة المأمون في خراسان ليرى فيه ما يراه، و أبدى المأمون تعجبه من حداثة سنِّ محمَّد بن محمَّد، و أمر له بدار يسكنها تحت رقابة رجال الخليفة، و يذكر الإصفهاني^{١٢٢٠} أن حياة العلوي لم تطل أكثر من أربعين يوما «ثم دسَّت إليه شربة»، فمات مسموما. و أحصت الدَّواوين عدد القتلى الذين لاقوا حتفهم في ثورة أبي السَّرايا، فبلغ عددهم مائتا ألف رجل. و انسدل السُّتار على هذه الحركة الشَّيعيَّة بعد أن استمرت عشرة شهور^{١٢٢١}.

فلسفة الثَّورة:

انتهت حركة أبي السَّرايا بالإخفاق. و هذه الحركة تختلف تماما عن حركات

ص: ٤٤٢

الشَّيعَة الَّتِي شهدها العصر العبَّاسيَّ الأوَّل. فقد قام بتخطيط هذه الحركة و توجيهها رجل من غير آل أبي طالب، و لم يكن الزَّعيم العلويان اللذان قام أبو السَّرايا بحركته باسمهما إلَّا رمزا تنجم الشَّيعَة حوله، أو ستارا يستتر أبو السَّرايا خلفه، ليخفي وراءه أطماعه في النُّفوذ و السُّلطة، و حجة يتذرع بها للخروج على طاعة الدَّولة العبَّاسيَّة، فيصبح في أنظار المسلمين و الشَّيعَة داعية للبيت العلوي و نصيره، و ليس كما أعتبرته الدَّولة العبَّاسيَّة خارجا على طاعتها. بينما تولى زعامة حركات الشَّيعَة السَّالفة زعماء علويون راشدون، اشتهروا بين قومهم بالعلم و التَّقوى و الورع، و قد تدلوا بأنفسهم زعامة و قيادة حركاتهم.

كما تتميز حركة أبي السَّرايا عن حركات الشَّيعَة السَّابِقة . بأنَّها اتَّخذت الكوفة مركزا للثَّورة، و هي أوَّل مرَّة تشهد فيها الكوفة حركة علويَّة في العصر العبَّاسيَّ و قد شهدت حركة محمَّد النَّفس الزَّكيَّة في الحجاز ، و حركة أخيه إبراهيم في

^{١٢١٧} ليشي، سمير مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

^{١٢١٨} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٧ / ٤.

^{١٢١٩} (٢) و هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب

^{١٢٢٠} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٤٩.

^{١٢٢١} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٧ / ١٢٣.

البصرة، ثم حركة يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم، و حركة أخيه إدريس في بلاد المغرب . فقد كانت إقامة الخليفة المنصور في الكوفة، ثم إقامة الهادي و المهدي و الرشيد في بغداد، على مقربة من الكوفة، حائلا دون قيام حركات شيعية فيها. و تغير الموقف في عهد الخليفة المأمون، فقد كان لا يزال مقيما في مرو في خراسان^{١٢٢٢}، ممّا شجع أهالي الكوفة على الثورة و الانضمام إلى حركة أبي السرايا.

اتّسعت حركة أبي السرايا و بلغت حدّا كبيرا من الخطورة و الإنتشار - كما روى الإصفهاني^{١٢٢٣} بين الغالبية العظمى من أهالي الكوفة، و بلغ عددهم أكثر من

ص: ٤٤٣

مئتي ألف و استطاع أن يسيطر على كثير من مدن العراق و الحجاز و اليمن و حاز كثيرا من الإنتصارات الحربية، و هزم عددا كبيرا من الجيوش العباسية و أثار قلق السّلاطات الحاكمة، ممّا يجعلنا نتساءل عن عوامل إخفاق هذه الحركة.

منها: عدم انتساب أبي السرايا إلى البيت العلوي، رغم دعوته للعلويين و شيعتهم به، و لذا سارعت الشيعة إلى تأييد زعماء علويين آخرين، في مقدّمهم محمد بن جعفر الصادق، ممّا أدى إلى تفرق الشيعة بين مناصرة أبي السرّ ايا، و تأييد الزعماء من آل عليّ، كما كان ماضى أبي السرايا يثير الشبهات و الأقاويل، فقد كان بالأمس القريب من رجال هرثمة بن أعين، القائد العباسي، و لو لا حنق أبي السرايا على هرثمة لتأخر أرزاقه، لإستمر على ولائه للعباسيين، و لذا لم يقتنع كثير من المسلمين بصدق نواياه نحو البيت العلوي، و قد كان بالأمس مواليا للبيت العباسي^{١٢٢٤}.

[عوامل إخفاق ثورة محمد بن إبراهيم و أبي السرايا]

و من عوامل إخفاق هذه الحركة الشيعية : إنتقادها الزعيم العلوي المؤهل لقيادتها و توجيهها . فقد كان الزعيم الأول محمد بن إبراهيم قد ركن إلى الهدوء و السلام في المدينة، و لو لا تشجيع نصر بن شبيب ثم أبي السرايا له لما أقدم على طلب الخلافة. كما لازم المرض محمدا طوال إقامته بالكوفة، ممّا جعله بعيدا عن الأحداث، و أعطى أبا السرايا الفرصة للإستئثار بالأمر. و قبيل وفاة محمد بن إبراهيم ، عهد بالزعامة بعده إلى عليّ بن عبد الله، و لكن هذا أثر الهدوء و الابتعاد عن تيارات السياسة و أخطارها، فتنازل عن حقّه، دون أن يذكر مبررا قويا تقتنع به شيعته . ثمّ تولّى الزعامة غلام من غلمان البيت العلوي، ليس له بالأمر خبرة و تجربة، ممّا أطلق يد أبي السرايا، و لا شكّ أنّه من اليسير علينا

ص: ٤٤٤

المقارنة بين هذا الحدث، و بين زعماء الحركات الشيعية السالفة الذين كانوا من شيوخ العلويين، و زعمائهم البارزين . و قد مرّ بنا كيف أبدى المأمون تعجبه من حادثة سنّ هذا الزعيم العلوي.

^{١٢٢٢} (١) انظر، يعقوبي، تاريخ يعقوبي: ٣ / ١٧٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٣ / ١١٢ .

^{١٢٢٣} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٥١ .

^{١٢٢٤} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٧ / ١١٧ .

و منها: اتّصفت هذه الحركة الشّيعيّة بالعنف و القسوة و الإرهاب . ممّا أدى إلى إنصراف الكثير عن تأييدها . ثمّ ما كان من إخفاؤها: فقد روى الإصفهاني أنّه كان يطلق على زيد بن موسى العلوي اسم «زيد النّار»، و قد أطلق عليه «لكثرة ما حرق من الدّور با لبصرة، من دور بنّي العبّاس و أتباعهم، و كان إذا أتى برجل من المسودة^{١٢٢٥} كانت عقوبته أن يحرقه بالنّار»^{١٢٢٦}. و حينما إنهزم أبو السّرايا و انسحب إلى الكوفة «وثب محمّد بن محمّد و من معه من الطّالبيين على دور بنّي العبّاس و دور مواليهم و أتباعهم بالكوفة، فنهبوا و خربوها و أخرجوهم من الكوفة، عملوا في ذلك عملا قبيحا، و استخرجوا الودائع التي كانت لهم عند النّاس فأخذوها»^{١٢٢٧}.

و كان ما أقدم عليه الطّالبيون و شيعتهم بمكّة ممّا أثار عليهم مشاعر جميع المسلمين، ممّا أدى إلى تقمّتهم على حركة الزّعيمين العلويين، و خاصّة حينما جردوا الكعبة من كسوتها^{١٢٢٨}، فجردت منها حتّى لم يبق عليها من كسوتها شيء

ص: ٤٤٥

و بقيت حجارة مجرّدة، ثمّ كساها ثوبين من قز رقيق، كان أبو السّرايا وجّه بها معه، مكتوب عليها، أمر به الأصفر بن الأصفر أبو السّرايا، داعية آل م حمّد، لكسوة بيت الله الحرام، و أن يطرح عنه كسوة الظّلمة من ولد العبّاس ليظهر من كسوتهم، و أساءت شيعة أبي السّرايا إلى بيت الله الحرام إساءة بالغة جرت عليهم حنق المسلمين و سخطهم. فروى الطّبري أنّهم «جعلوا يحكّون الذهب الرّقيق الذي في رؤوس أساطين المسجد، فيخرج من الإسطوانة، بعد التعب الشّديد، قدر مثقال ذهب أو نحوه، حتّى عمّ ذلك أكثر أساطين المسجد الحرام، و قلعوا الحديد الذي على شبّايبك زمزم، و من خشب الصّابح، فبيع بالثّمن الخسيس»^{١٢٢٩}.

و استولى الطّالبيون و شيعة أبي السّرايا على ما في خزانة الكعبة من مال^{١٢٣٠} و نشروا الإرهاب في أرجاء مكّة «حتّى عمّ هذا خلقا كثيرا، و كان الذي يتولى العذاب لهم رجل من أهل الكوفة يقال له محمّد بن معلّم، كان ينزل في دار يقال لها دار العذاب و أخافا النّاس حتّى هرب منهم خلق كثير من أهل النّعم، فتعقبوهم بهدم دورهم»^{١٢٣١}.

و رغم بلاء هرثمة في القضاء على حركة أبي السّرايا، فقد كانت هذه الحركة هي نهاية أمجادها . فقد اعتبر هرثمة استبداد الفضل بن سهل بشؤون الدّولة هو سبب قيام الإضطرابات عامّة، و ظهور حركات الشّيعيّة خاصّة، و رأى أن يخرج إلى مرو ليطالع الخليفة المأمون على ما يخفيه الفضل عنه من أحداث الدّولة، و دسّ الفضل عند المأمون و أوغر صدره عليه، فقال : «إنّ هرثمة قد أثقل عليك

ص: ٤٤٦

^{١٢٢٥} (١) المسودة: أي من العبّاسيين، إذ اتخذوا اللون الأسود شعارا لهم.

^{١٢٢٦} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٣٤، و هو زيد بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن حسين ابن عليّ بن أبي طالب

^{١٢٢٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٦٩ - ١٧٠، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١١٢ / ٦ - ١١٤.

^{١٢٢٨} (٤) قبل عهد الخليفة المهدي، كانت الكسوة الحديثة للكعبة توضع فوق الكسوة القديمة، فاشتكى له حجاب الكعبة من تراكم الكساوي ما قد يؤثّر في الكعبة، فأمر المهدي بتجريد الكعبة من الكساوي القديمة، و طلى الكعبة بالخلوق و كساها كسوة جديدة انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٣٦٦ / ٦.

^{١٢٢٩} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٢٥ / ٧.

^{١٢٣٠} (٢) يرجع تأريخ هذه الخزانة إلى إبراهيم عليه السّلام، و كان النّاذرون يضعون فيها نذورهم

^{١٢٣١} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٢٤ / ٧.

البلاد و العباد، و ظاهر عليك عدوك، و عادى و ليك و دب أبا السّرايا و هو جندى من جنده، حتّى عمل ما علم، و لو شاء هرثمة ألا يفعل ذلك أبو السّرايا ما فعله».

و صدّق المأمون مقالة الفضل، و اعتقد أنّ أبا السّرايا قد ثار بتحريض من هرثمة، فقال المأمون لهرثمة حين مثل بين يديه : «مالأت أهل الكوفة و العلويّين، و داهنت، و دسست إلى أبي السّرايا حتّى خرج و عمل ما عمل، و كان رجلا من أصحابك، و لو أردت أن تأخذهم جميعا لفعلت، و لكنّك أرضيت خناقهم».

و انتهى أمر هرثمة بسجنه، ثمّ قتله ١٢٣٢.

موقف حركة نصر بن شيث من العلويّين:

قامت حركة عربية ضدّ الخليفة المأمون، تزعمها نصر بن شيث، و هو من بنى عقيل و كان يقطن (بكوم) شمالى حلب. و كان عربيا شريفا شهما، أبدى غضبه لمقتل الخليفة الأمين، و تقم على المأمون لإعتماده على الخراسانيّين دون العناصر العربيّة، فأعلن الثّورة على خلافة المأمون، و تغلب على البلاد المجاورة و انضم إليه كثير من العرب و عبر نهر الفرات و أراد السّيطرة على الجانب الشرقيّ.

و هذه الثّورة تخرج على نطاق بحثنا، و لكن يهمنّا الإشارة إلى موقف نصر بن شيث من العلويّين و الشّيعيّة . فقد أراد بعض أنصار نصر تدعيم ثورته، و صبغها بالصّبغة العلويّة الشّيعيّة، ضمّانا لنجاحها.

قدم جماعة من الشّيعيّة على نصر فقالوا له: قد وترت بنى العباس و قتلت رجالهم فلو بايعت الخليفة كن أقوى لأمرك .

ص: ٤٤٧

فسألهم نصر: من أى النّاس؟.

فأجابوا: نبايع لبعض آل علىّ بن أبي طالب. فرفض نصر الإقترح.

و قال: أبايع بعض أولاد السّوداوات فيقول أنّه خلقنى و رزقنى؟.

فتقدّموا بإقترح آخر، فعرضوا عليه البيعة لأحد الأمويّين، فرفض نصر الفكرة و تمسك بولائه للعباسيّين .

فقال: أولئك قوم قد أدبر أمرهم، و المدير لا يقبل أبدا، و لو سلّم على رجل دبر لأعدائى إدباره، و إنّما هو أى فى بنى العباس، و إنّما حاربتهم محاماة عن العرب لأنّهم يقدمون عليهم العجم ١٢٣٣ . و استمر نصر فى ثورته، وفق مبادئه هذه حتّى قضى العبّاسيون على ثورته سنة (٢١٠ هـ).

ص: ٤٤٩

^{١٢٣٢} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٧/ ١٣٠ - ١٣١، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٦/ ١٠٧.

^{١٢٣٣} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: (ج ٧) أحداث سنة ٢٠٥ هـ إلى سنة ٢١٠ هـ، و ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٤/ ١٠١ و ما بعدها.

حركة محمد الديباج بن جعفر الصادق

شهد عصر الخليفة العباسي المأمون حركة علوية شيعية أخرى، اختلفت في مركز ثورتها و طابعها، و تزعمها محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، الذي اشتهر باسم الديباج، و اتخذت هذه الحركة بلاد الحجاز مركزا لها، في سنة (٢٠٠ هـ).

الزعيم الجديد:

و محمد الديباج، هو ابن الإمام جعفر الصادق، إمام الشيعة الإمامية، المتوفى سنة (١٤٨ هـ) ١٢٣٤. و قد أنجب جعفر عدة أبناء، أبناء هم: (محمد، إسماعيل، عبد الله الأفطح، موسى، إسحاق، و علي) ١٢٣٥. و ذهب جماعة من الشيعة إلى أن محمدا هو الإمام بعد أبيه جعفر الصادق، و يستندون في ذلك على عبارات لجعفر قالها لشييعته حينما كان ابنه محمد لا يزال حديث السن، إذ قال: «سمعت أبي ١٢٣٦ يقول إذا ولد لك يشبهني فسمه باسمي، فهو شبيهي و شبيه رسول الله صلى الله عليه و آله» ١٢٣٧. و يطلق

ص: ٤٥٠

على هذه الجماعة، التي ذهبت إلى إمامة محمد، أسم «الشميطية» نسبة إلى يحيى ابن أبي الشميط ١٢٣٨. و ذكر المسعودي. أن هؤلاء الشيعة «قد افترقوا فرقا، فمنهم من غلا، و منهم من قصر، و سلك طريق الإمامية» ١٢٣٩. و لا يذكر الشهرستاني أن لهذه الفرقة آراء خاصة، تميزهم عن سائر فرق الشيعة، سوى القول بإمامة محمد ١٢٤٠.

و ذهب فريق آخر من الشيعة الإمامية، إلى أن الإمامة قد انتقلت من جعفر الصادق إلى ابنه عبد الله الأفطح ١٢٤١، حتى إذا مات عبد الله دون أن يخلف ولدا ذكرا، قالوا بإمامة أخيه موسى الكاظم، كما ذهبت فرقة أخرى إلى إمامة إسماعيل بن جعفر الصادق، و قد درسنا إفتراق الشيعة الإمامية بعد موت الإمام جعفر الصادق.

وصف الطبري محمد بن جعفر الصادق، فقال عنه: «و كان شيخا وادعا محببا في الناس مفارقا لما عليه من أهل بيته من قبح السيرة، و كان يروى العم عن أبيه جعفر بن محمد، و كان الناس يكتبون عنه» ١٢٤٢. و وصفه الإصفهاني بقوله: «و كان فاضلا قدما في أهله» ١٢٤٣. و كان يطلق على محمد بن جعفر اسم «الديباج» و ذلك

١٢٣٤ (١) انظر، ابن خلكان، وفيات الأعيان: ٩٠ / ٥.

١٢٣٥ (٢) انظر، ابن الصباغ، الفصول المهمة: ٢٥٦ / ٢. بتحقيقنا. و قد تقدمت ترجمتهم.

١٢٣٦ (٣) أبوه هو الإمام محمد الباقر المتوفى سنة (١١٤ هـ).

١٢٣٧ (٤) انظر، التوحيخي، فرق الشيعة: ٦٤ - ٦٥، الشهرستاني، الملل و النحل: ١٦٧ / ١، نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشيعة الإمامية: ٢٤٤.

١٢٣٨ (١) انظر، عمرو بن بحر الجاحظ، كتاب الحيوان: ٢٦٩ / ٢.

١٢٣٩ (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٦ / ٤.

١٢٤٠ (٣) كل ما قاله الشهرستاني: «الشميطية: أتباع يحيى بن أبي شميطة، قالوا: إن جعفرا قال: إن صاحبكم اسمه اسم نبيكم، و قد قال له والداه رضوان الله عليهما: إن ولد لك

ولد فسميته باسمي فهو الإمام، فالإمام بعده ابنه محمد؛ انظر، الملل و النحل: ١٦٧ / ١.

١٢٤١ (٤) كان عبد الله أكبر أولاد الإمام جعفر الصادق و سمي الأفطح لإنفطاح في قدميه. انظر، الشهرستاني:

الملل و النحل: ١٦٧ / ١.

١٢٤٢ (٥) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٢٥ / ٧.

«لحسنه و بهائه و ما كان عليه من البهاء و الكمال»^{١٢٤٤}.

أسباب الثورة:

اختلف المؤرخون في أسباب قيام حركة محمد الديباج، فروى الطبري أن محمدًا كان «يظهر صمتًا و زهدًا»^{١٢٤٥}، فاجتمع حوله شيعته و حثوه على الخروج و البيعة له بالخلافة، فقالوا له : «قد تعلم حالك في الناس فأبرز شخصك نبايع لك بالخلافة، فإنك إن فعلت ذلك لم يختلف عليه رجلان»، و رفض محمد هذه الدعوة في أول الأمر فألح عليه ابنه عليّ، و حسين بن حسن الأفطس «حتى غلبا الشيخ على رأيه، فأجابهم، فأقاموه يوم صلاة الجمعة بعد الصلاة لست خلون من ربيع الآخر، فبايعوه بالخلافة»^{١٢٤٦}.

أمّا المسعودي فقد ذهب إلى أن محمد بن جعفر قد دعا في بدء أمره إلى محمد ابن إبراهيم بن طباطبا، حتى إذا مات دعا لنفسه^{١٢٤٧}.

و روى الإصفهاني رواية جعلها سبب البيعة لمحمد الديباج بالخلافة، فروى أن: «رجلا قد كتب كتابا يسب فيه فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة و السلام و جميع أهل البيت، و كان محمد بن جعفر معتزلا تلك الأمور، لم يدخله في شيء منها، فجاءه الطالبون فقرأوه عليه فلم يرد عليهم جوابا حتى دخل بيته، فخرج

عليهم و قد لبس الدرع و تقلد السيف، و دعا إلى نفسه، و تسمى بالخلافة»^{١٢٤٨}.

و نحن نعتقد أن اضطراب أحوال الدولة العباسية الذي ساد طوال إقامة الخليفة المأمون في مرو بخراسان، بعيدا عن عاصمته بغداد، و ما كان من سخط كثير من أبناء البيت العباسي، و عامة أهالي بغداد^{١٢٤٩}، كان هذا كله مما شجّع العلويين على حث محمد بن جعفر الصادق إلى البيعة لنفسه بالخلافة، و نستند في رأينا هذا على رواية لصاحب الفخرى إذ قال : «و كان بعض أهله - أي أهل جعفر - قد حسن له ذلك حين رأى الاختلاف ببغداد، و ما بها من الفتن و خروج الخوارج»^{١٢٥٠}.

^{١٢٤٣} (٦) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٣٧.

^{١٢٤٤} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب : ٢٧ / ٤، تأريخ الطبري في تأريخ الرسل و الملوك : ٨ / ٥٣٦، العيون و الحقائق في أخبار الحقائق المؤلف مجهول : ٣ / ٣٤٨، سز السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري: ٤٥، مقالات الإسلاميين لأشعري: ٨٢.

^{١٢٤٥} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ١٢٥ / ٧.

^{١٢٤٦} (٣) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ١٢٦ / ٧.

^{١٢٤٧} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٦ / ٤.

^{١٢٤٨} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٣٨.

^{١٢٤٩} (٢) ثار أهالي بغداد و بايعوا بالخلافة لإبراهيم بن المهدي انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١ / ١١١.

^{١٢٥٠} (٣) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ٢١٠.

تمت البيعة لمحمد الديباج بالخلافة، و تسمى بأمر المؤمنين، و يقول المسعودي أنه «ليس في آل محمد من ظهر لإقامة الحق ممن سلف و خلف قبله و بعده من تسمى بأمر المؤمنين»^{١٢٥١}. و حشد العلويون جماعة من أهالي مكة، و المناطق المجاورة لهما ليبيعوا لمحمد، «فأقام بذلك شهرا و ليس له من الأمر إلا اسمه»^{١٢٥٢}. و يبدو أن الدولة العباسية كانت مشغولة بمشاكلها الداخلية الكثيرة^{١٢٥٣}، فلم تبد اهتماما بهذه الحركة، كما أن هذه الحركة كانت محدودة و لا تتصف بالخطورة فقد ظلت محصورة في مكة، و لم تنتشر إلى سائر الأمصار.

ص: ٤٥٣

الغروب:

ثم حدث أن قدمت قوات عسكرية من بلاد اليمن بقيادة إسحاق بن موسى العباسي و أدرك العلويون أنه لا بد من الصدام بينهم و بين العباسيين، و اقترحوا على مح مد الديباج القيام بحفر خندق حول مكة، و حشدوا عددا من البدو و الأعراب لحفر هذا الخندق. و حدثت مفاوضات بين العلويين و القوات العباسية، و كره إسحاق القتال و أراد العودة إلى بلاد العراق. و في الطريق، إلتقى ببعض الجند العباسيين بقيادة ورقاء بن جميل، فحثه ورقاء على العودة و التعاون معا من أجل القضاء على هذه الحركة الشيعية. و حشد محمد بن جعفر قواته لملاقاة الجند العباسيين، و وصف الطبري هذه القوات فقال إنها كانت تضم غوغاء أهل مكة^{١٢٥٤}، و بعض السودان^{١٢٥٥} الذين يعملون في حمل المياه بمكة، إلى جانب بعض البدو، و إلتقى الفريقان عند بئر ميمون، و دارت معركة لمدة يومين انتهت بهزيمة أصحاب محمد بن جعفر. و بعث محمد برجل من قريش، فيهم قاضي مكة يسألون لهم الأمان من العباسيين، على أن يغادروا مكة إلى حيث شاءوا من الأمصار، فأجابهم إسحاق و ورقاء إلى طلبهم، و أمهالهم ثلاثة أيام يغادرون فيها مكة.

و في اليوم الثالث، دخل العباسيون مكة، و غادرها العلويون، الذين تفرقوا و قصدت كل جماعة مصرا من الأمصار. و خرج محمد بن جعفر إلى طريق الموصل ثم إلى جدة. و في الطريق، هاجمه بعض عبيد العباسيين فأنهبوا ماله و متاعه، و كادوا يقتلونه، لو لا أن أسرع يشد الرحال، حتى قدم إلى بلاد جهينة^{١٢٥٦}

ص: ٤٥٤

على ساحل البحر الأحمر، فأقام بها حتى انتهى موسم الحج، و نجح في حشد بعض الأنصار. و علم هارون بن المسيب، والي المدينة، بنشاط محمد بن جعفر، فرأى أن يقف منه موقفا حازما، فبعث إليه بقوات عسكرية، إلتقت بأنصار محمد ابن جعفر عند الشجرة، و دار قتال انتهى بهزيمة محمد و أصابته في عينه، و مقتل كثير من أنصاره. و انسحب محمد بن جعفر إلى بلاد جهينة، يحاول جمع المزيد من الأنصار، و لكنه لم يوفق في مساعيه فخرج إلى معسكر عيسى بن زيد الجلودي،

^{١٢٥١} (٤) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبيين: ٢١١.

^{١٢٥٢} (٥) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٧/٤.

^{١٢٥٣} (٦) كان المأمون كالحجور عليه في قصر بمرجاسان، و كان الفضل بن سهل يكتم عنه أنباء الإضطرابات في الدولة انظر، تاريخ يعقوبي: ١٧٦/٣.

^{١٢٥٤} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٢٦/٧.

^{١٢٥٥} (٢) كان بمكة كثير من السودان الأرقاء، الذين يتطلعون إلى التحرر، و قد انضم بعضهم إلى حركة الحسين ابن علي بالمدينة بعد أن وُعد بالحرية و التحرر.

^{١٢٥٦} (٣) أيدت جهينة ثورة مخد النفس الزكية في عهد المنصور.

رئيس القوات العسكرية المصاحبة لقوافل الحجاج، يطلب منه الأمان، فأمنه و صحبه إلى مكة في اليوم العشرين من ذي الحجة ١٢٥٧.

احتشد الناس في المسجد الذي كانت تمت فيه بالأمس البيعة بالخلافة لمحمد بن جعفر، ليشهدوا ال يوم إعلانه خلع نفسه منها، و وقف محمد على المنبر، و عليه قباء أسود و قلنسوة سوداء، يخطب : «أيها الناس من عرفني فقد عرفني، و من لم يعرفني فأنا محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن حسين بن علي بن أبي طالب، فإنه كان لعبد الله المأمون أمير المؤمنين في رقبتي بيعة بالسمع و الطاعة طائعا غير مكروه و كنت أحد الشهود الذين شهدوا غسل الكعبة في الشرطين لهارون الرشيد على ابنه محمد المخلوع^{١٢٥٨}، و عبد الله المأمون أمير المؤمنين، ألا و قد كانت فتنة غشيت عامة الأرض منا و من غيرنا، و كان نعي إلى خبر، أن عبد الله المأمون أمير المؤمنين قد توفي، فدعاني ذلك إلى أن يبايعوا إلى بإمرة المؤمنين، و استحللت قبول ذلك لما كان علي من العهود و المواثيق في بيعتي لعبد الله عبد الله الإمام المأمون، فبايعتموني، أو من فعل منكم، ألا و قد

ص: ٤٥٥

بلغني و صحّ عندي أنه حيّ سوى، ألا و إنني أستغفر الله مما دعوتكم إليه من البيعة له و قد خلعت نفسي من بيعتي التي بايعتموني عليها، كما خلعت خاتمي هذا من إصبعي، و قد صرت كرجل من المسلمين، فلا بيعة لي في رقابهم، و قد أخرجت نفسي من ذلك، و قد ردّ الله الحق إلى الخليفة المأمون^{١٢٥٩}.

و غادر العباسيون مكة سنة (٢٠١ هـ) يحملون محمد بن جعفر و سلموه إلى الحسين بن جهم، الذي بعث به إلى المأمون في مرو و بعد فترة توفي محمد بن جعفر، و اشترك المأمون في تشييع جثمانه إلى القبر، و قال المأمون و هو يضعه في لحدّه : «هذه رحم مجفوة منذ مئتي سنة»^{١٢٦٠}. «و قضى المأمون الديوان التي كانت على محمد بن جعفر، فبلغت نحوًا من ثلاثين ألف دينار»^{١٢٦١}.

و هكذا انتهت هدة الحركة الشيعية المحدودة . و قد أجمع المؤرخون على أن وفاة محمد بن جعفر كانت طبيعية، فلم يلحق به ما لحق بأسلافه الزعماء العلويين الذين سجنوا أو عذبوا أو قتلوا بالسّم.

تتفق هذه الحركة الأخيرة مع معظم الحركات الشيعية السابقة في إنفقادها دقة التنظيم، و إهمال الدعوة في الأمصار، و حشد الأنصار، و الإستعداد الكامل في التأريخ لمواجهة العباسيين، فكان مصيرها كلّها الإخفاق ، كما تتفق حركة محمد ابن جعفر بن بعض حركات الشيعية الأخرى في قيامها في بلاد الحجاز^{١٢٦٢}.

^{١٢٥٧} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ١٢٦/٧، تأريخ يعقوبي: ١٨٣/٣.

^{١٢٥٨} (٢) أي محمد الأمين.

^{١٢٥٩} (١) انظر، تأريخ الطبري: ١٢٦/٧-١٢٧، ابن الأثير، الكامل في التأريخ: ١١٢/٦.

^{١٢٦٠} (٢) انظر، ابن قتيبة، المعارف: ١٣٣.

^{١٢٦١} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٤١، الغمري: ١٦٥.

^{١٢٦٢} (٤) قامت حركة محمد النفس الزكية و الحسين بن علي في الحجاز.

و اختلف مصير محمد بن جعفر عن مصير أسلافه الزعماء العلويين، فقد مات ميتة طبيعية، بينما لقي الآخرون حتفهم في ساحات القتال أو في سجون العباسيين.

ص: ٤٥٦

[عوامل خاصة لإخفاق حركة محمد بن جعفر]

و هناك عوامل خاصة أدت إلى إخفاق حركة محمد بن جعفر، أولها تردد محمد بن جعفر في الدعوة لنفسه بالخلافة، و كراهيته لذلك، فيجمع المؤرخون أن طلبه البيعة، كان نتيجة إلحاح آل أبي طالب علّيه، و قد سبق لنا أن ذكرنا رواية الطبري^{١٢٤٣} التي تصف محمد بن جعفر بالوداعة و الزهد في الخلافة . كما روى الإصفهاني أن محمد بن جعفر كان قد أصاب أحد عينيه شيء، فأبدى سروره و قال: «لأرجو أن أكون المهدي القائم، و قد بلغني أن في إحدى عينيه شيئاً و أنّه يدخل في هذا الأمر و هو كاره له^{١٢٤٤}. و كان محمد بن جعفر هو الزعيم العلوي الوحيد، في العصر العباسي الذي وقف على المنبر في مكة يعلن خلع نفسه من إمرة المؤمنين، رغم أنّه أول من اتخذ منهم اللقب.

و من عوامل إخفاق حركة محمد بن جعفر، إعماده على بعض الأنصار، من ذوى السيرة السيئة، ممّا أغضب أهالي مكة، و صرف عنه المؤيدين، فروى الطبري: «ابنه عليّ و حسين بن حسن الأفطس، و جماعة منهم، أسوأ ما كانوا سيرة و أقبح ما كانوا فعلاً»^{١٢٤٥}. ثمّ روى الطبري روايتين حول عليّ و حسين، فروى أن عليّ بن محمد بن جعفر خطف غلاماً هو ابن قاضي مكة، كان بارعاً في الجمال، بعد أن اقتحم الدار بالقوة، و خرج به إلى بئر ميمون، و أبدى أهل مكة غضبهم، فاحتشدوا في المسجد الحرام، و أغلقت الحوانيت، و انضم إليهم سائر الحجاج، و هدد الناس محمد بن جعفر بالخلع و القتل، إن لم يعد ابنه الغلام المخطوف، و اضطر محمد إلى الإعتصام بداره، و خاطب الناس من نافذة الدار،

ص: ٤٥٧

فأنكر علمه بما أقدم ابنه عليه، و طلب منهم الأمان حتّى يخرج إلى ابنه و يعيد الغلام إلى أبيه . كما روى الطبري أيضاً أن حسين بن حسن الأفطس راود زوجة رجل من بنى مخزوم عن نفسها، فأبت عليه، فأخاف زوجها و أمر بطلبه، فاختفى و توارى عن الأنظار، و بعث حسين بجماعة من أصحابه ليلا اقتحموا الدار و اختطفوا الزوجة، و ظل حسين محتفظاً بها حتّى أتيح لها فرصة الهروب، فعادت إلى أهلها^{١٢٤٦}. كما تحدث صاحب الفخرى أن محمد بن جعفر فقال أنّه:

«و كان الغالب على أمره ابنه و بعض بنى عمّه، فلم يحمد سيرتهما»^{١٢٤٧}.

^{١٢٤٣} (١) انظر، تاريخ الطبري: ١٢٥/٧.

^{١٢٤٤} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٣٩.

^{١٢٤٥} (٣) انظر، تاريخ الطبري: ١٢٥/٧.

^{١٢٤٦} (١) انظر، تاريخ الطبري: ١٢٥/٧ - ١٢٦.

^{١٢٤٧} (٢) انظر، الفخرى، المجدي في أنساب الطالبين: ٢٠١.

تردد بعض أهل مكة في البيعة لمحمد بن جعفر بالخلافة، كما لم يتمسك من بايعوا له بولائهم و تأييدهم فروى الطبري أن الطالبين «حشروا إليه - أي إلى محمد بن جعفر - الناس من أهل مكة والمجاورين، فبايعوه طوعا و كرها»^{١٢٤٨}، كما تحدث الطبري عن تخاذل بعض أهل مكة عن مناصرة محمد بن جعفر.

ص: ٤٥٩

موقف الشيعة من بيعة المأمون للإمام علي الرضا عليه السلام بولاية العهد

في سنة (٢٠١ هـ)، أقدم الخليفة المأمون على قرار خطير. إذ استدعى إليه الإمام علي الرضا، و بايعه بولاية العهد، و أعلن أنه يعيد الحق إلى نصابه، و إنه يصل الأرحام التي قطعت منذ سنوات عديدة^{١٢٤٩}. و لقد شهدنا حركات شيعية ثورية كثيرة منذ قيام الدولة العباسية سنة (١٣٢ هـ)، تهدف إلى دفع أئمة علويين إلى الخلافة، بقوة السلاح و الثورة. كما شهدنا مؤامرات و محاولات من بعض الوزراء العباسيين لتحويل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي، كمحاولات أبي سلمة الخلال في عهد أبي العباس^{١٢٧٠}، و يعقوب بن داود في عهد المهدي^{١٢٧١} و البرامكة في عهد الرشيد^{١٢٧٢}. و لكننا نرى في عهد المأمون خليفة

ص: ٤٦٠

عباسيًا، يحول الخلافة، برغبته و اختياره، و بطريق سلمى، إلى إمام علوي، هو إمام فرقة من أكبر فرق الشيعة، و هي فرقة الإمامية الاثنى عشرية^{١٢٧٣}.

تساؤلات حول الحقيقة التاريخية:

و هذا يجعلنا نسأل: هل كان ما أقدم عليه المأمون من البيعة لهذا الإمام بولاية العهد هو رد فعل لحركات الشيعة التي شهدها العصر العباسي عامة و عصر المأمون خاصة؟.

و هل أصبح الشيعة يمثلون قوة سياسية كبيرة، بحيث وقف المأمون على خطورته ا على الدولة، فرأى استمالة الشيعة بالبيعة لأحد أئمتهم البارزين؟.

و هل كان المأمون صادقاً فيما أقدم عليه؟. و هل كان مدفوعاً باقتناعه بأحقية البيت العلوي بالخلافة؟. أم كان ذلك وسيلة سياسية لتدعيم نفوذه و تثبيت أركان خلافته؟.

^{١٢٦٨} (٣) انظر، تاريخ الطبري: ١٢٥ / ٧.

^{١٢٦٩} (١) قال الجهشيارى: «و كان المأمون قد جدّ في تجديد العهد لعلي الرضا، و تقدم إلى الفضل بأخذ البيعة على الناس و الكتابة إلى الأقاليم في إبطال السواد، و كتب الفضل إلى أخيه الحسن يعلمه بذلك، و يأمره بطرح السواد، و أن يلبس الحضرة و يجعل الأعلام و القلائس خضراء، و يطالب الناس بذلك و كاتب فيه جميع عماله». انظر، الوزراء و الكتاب: ٣١٢.

^{١٢٧٠} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٦٨ / ٣، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٣٧.

^{١٢٧١} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٣٨٥ - ٣٨٦، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٢٤ / ٦ - ٢٥، الفخري: ١٦٨ - ١٦٩.

^{١٢٧٢} (٤) انظر، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٧٠ / ٦، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ٢٢٣، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٦٨ - ١٦٩.

^{١٢٧٣} (١) انظر، الكليني، أصول الكافي: ٩٣ و ما بعدها.

قبل الإجابة على هذه التساؤلات ، نبدأ باستعراض بعض آراء المؤرخين و الكتاب، سنبيين و شيعيين، حتى نستطيع أن نستشف من بين السطور الدوافع الحقيقية لبيعة المأمون لعلّ الرضا بولاية العهد . فيذكر الطبري أنّ الدافع للمأمون هو أنّه «نظر في بني العبّاس و بنى عليّ، فلم يجد أحدا هو أفضل و لا أروع و لا أعلم منه»^{١٢٧٤}. و يرى الإصفهاني أنّ المأمون كان خلال صراعه مع أخيه الأمين قد عاهد الله أن ينقل الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب، و أنّ عليّ الرضا هو أفضل

ص: ٤٤١

العلويين^{١٢٧٥}. و يذهب السيوطي مذهبا بعيدا، فيرى أنّ المأمون قد «حمله إلى ذلك إفراطه في التشيع، حتى قيل أنّه همّ أن يخلع نفسه و يفوض الأمر إليه»^{١٢٧٦} أي إلى عليّ الرضا.

و أبدى الفخري رأيا صريحا، فقال إنّ المأمون «فكر في حال الخلافة بعده و أراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته، كذا زعم»^{١٢٧٧}. ثمّ روى صاحب الفخري أيضا أنّ عليّ الرضا امتنع في أوّل الأمر عن قبول البيعة له بولاية العهد، إذ لم يكن مقتنعا بالأمر، شاكا فيه، فقد قال عليّ : «إنّني قد أجبت أمثالا للأمر، و إن كان الجفر^{١٢٧٨} و الجامعة^{١٢٧٩} يدلان على ضدّ ذلك.

ص: ٤٤٢

و يرى أحد كتاب الشيعة المحدثين أنّ المأمون كان مدفوعا في البيعة لعلّ الرضا بولاية العهد بدافع سياسي هو حماية مصالح الدولة العبّاسية، فقال: «أنّ المأمون من رجال الدّهاء و السياسة، فلما رأى انتشار التشيع في الآفاق و ثبات العلويين

^{١٢٧٤} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٣٥/٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١١١/١، تاريخ يعقوبي ١٧٦/٣.

^{١٢٧٥} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٦٣.

^{١٢٧٦} (٢) انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٣٠٧.

^{١٢٧٧} (٣) انظر، الفخري، المجدي في أنساب الطالبين: ١٩٨.

^{١٢٧٨} (٤) الجفر: هو علم الغيب، و قد نسب غلاة الشيعة إلى الإمام جعفر الصادق معرفة الغيب، و أنّه وضع أسس (علم الجفر) و هو علم له أصول و قواعد و أنواع من الحساب إذا جمعت و فرقت عرفت منها أحداث المستقبل، و قد دون جعفر كتاب الجفر على جلد ثور صغير، و قد أخذ هارون بن سعيد العجلي هذا العلم . و لفظ الجفر معناه الجلد. انظر، مقدّمة ابن خلدون: ٢٣٤.

و هناك من يقول أنّ كتاب الجفر من ميراث عليّ بن أبي طالب، و من يقول بأنّه من وضع جعفر الصادق. انظر، الدّميري، حياة الحيوان: ١٠٣/٢، و توارث العلويون كتاب الجفر حتى صار إلى بني عبد المؤمن ببلاد المغرب. انظر، ابن الصّبّاغ، الفصول المهمّة: ٢٤١/٢، بتحقيقنا، مطالب السّؤول:

٨١، و ملحقات إحقاق الحقّ: ١٢/٢٠٨.

ورد في المناقب: ٣٩٦، و البحار: ١٨/٢٦ ح ١، و: ٢٦/٤٧ ح ٢٦، و الإرشاد: ١٨٦/٢، و:

٣٠٧ ط آخر، و إعلام الوري: ٢٨٤، إحقاق الحقّ: ١٢/٢٢٦، و الإحتجاج: ١٣٤/٢، و روضة الواعظين للفتال النّيسابوري: ٢٥٣، كشف الغمّة: ١٦٩/٢ بلفظ: ... قال عليه السّلام: علمنا غابر و مزبور، و نكت في القلوب، و إنّ عندنا الجفر الأحمر، و الجفر الأبيض، و مصحف فاطمة عليها السّلام.

و سئل عن تفسير هذا الكلام؟. فقال ... و أمّا الجفر الأحمر فوعاء فيه سلاح رسول الله صلى الله عليه و آله و لن يخرج حتى يقوم قائمنا أهل البيت، و أمّا الجفر الأبيض فوعاء فيه تورة موسى و إنجيل عيسى و زبور داود و كتب الله الالى

و انظر، بصائر الدرجات: ١٥١ ح ٢، و: ٣٣٨ ح ١ طبعة آخر، و البحار: ٢٦/٣٨ ح ٢٩، و:

٢٧٠/٤٧ ح ٢ بلفظ: «و عندي الجفر على رغم أنف من زعم» و انظر أيضا بانيب المودة: ٤٠٤، و الكافي: ١/٢٠٧ ح ٣.

^{١٢٧٩} الجامعة: و هو كتاب منسوب إلى عليّ بن أبي طالب و هو يشبه كتاب الجفر الذي سبق الحديث عنه.

انظر، أعيان الشيعة: ج ٤ القسم الثاني: ١٦٧، ابن الصّبّاغ، الفصول المهمّة في معرفة الأئمة:

٢/٣٤٠، بتحقيقنا.

في أطراف البلاد، و سريان التشيع إلى بلاطه، خشى من عقبى هذه النزعة العلوية على سلطانه، فرأى أن يؤكد لهذه التوثبات التي ظهر بها بعض العلويين^{١٢٨٠}، و الكامنه في نفوس الآخرين.

و يرى كاتب شيعي آخر أن سبب البيعة لعلی الرضا بولاية العهد، هو وضعه تحت رقابة الخليفة و م نعه من القيام بحركة علوية جديدة، فقال «إنّ المأمون لما رأى الإمام معظّم في أعين الناس، و الشيعة يزدادون انتشارا و اتّساعا، حتّى دبّ التشيع في أركان الدولة، أحس أن الخطر قد أهدق به، فأستدعى الإمام إلى مقر ملكه بخراسان، و أظهر أنّه سيؤيّه الأمر من بعده ليكون تحت رقابته في العاصمة التي اتخذها مقراً لعرشه»^{١٢٨١}. و يرى الدكتور النشار أن المأمون أدرك خطورة

ص: ٤٤٣

الدعوة الإسماعيلية فأراد أن يقضى عليها^{١٢٨٢}. و كان الإمام عبد الله الرضى قد بدأ نشاطا واسعا، و لذا قرّب المأمون إليه على الرضا و بايعه بولاية العهد.

إجابات على التساؤلات:

هذه هي آراء بعض المؤرخين و الكتاب، عرضناها لتقف على وجهات النظر المختلفة . و نستطيع الآن أن نقف منها جميعا موقفا وسطا، فنقول إنّ المأمون كان من أفاضل الخلفاء العباسيين، و أنّه كان ينظر إلى علىّ بن أبي طالب، نظرة تقدير و أنّه كان لا يرغب في إراقة دماء العلويين، و لا يريد أن يذهب مذهب أسلافه من الخلفاء العباسيين في اضطهاد الشيعة و تتبعهم، و أنّه كان يود التّقرب بين فرعى البيت الهاشمي العباسيين و العلويين، و يضع حدا لهذا العداء التقليدي^{١٢٨٣}. و لكننا نرى من ناحية أخرى، أن إقدام المأمون على البيعة لعلی الرضا بولاية العهد، و نقله بذلك الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي، كان بدوافع سياسية، إذ أراد تدعيم خلافته، و تجنب قيام المزيد من الحركات الشيعية في وجهه، كما أراد إرضاء أهل خراسان^{١٢٨٤} و قد تحقق من ميولهم العلوية، و تخلص الدولة العباسية من مشاكلها الداخلية.

كان المأمون من خيرة الخلفاء العباسيين، فقد قال المسعودي عنه أنّه جمع

ص: ٤٤٤

بين «عزم المنصور، و نسك المهدي، و عزة نفس الهادي»^{١٢٨٥}. و قد وصفه صاحب الفخرى بقوله : «كان المأمون من أفاضل خلفائهم و علمائهم و حكمائهم و حلمائهم، و كان فطنا شديدا كريما»^{١٢٨٦}. و قال السيوطي عنه : «و كان أفضل

^{١٢٨٠} (٦) انظر، المظفر، تأريخ الشيعة: ٥١.

^{١٢٨١} (٧) انظر، السيد هاشم معروف، عقيدة الشيعة الإمامية: ١٦١.

^{١٢٨٢} (١) انظر، النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ٣٩١ / ٢.

^{١٢٨٣} (٢) انظر، ابن طولون، الشذرات الذهبية: ٩٧.

^{١٢٨٤} (٣) كان المأمون قد اتخذ مرو بخراسان مركزا لخلافته، و يعتبر الدكتور الدوري (العصر العباسي الأول):

(٢١٤). ذلك مظهرا لسياسة جديدة انتهجها المأمون، ثمّ كان تحول المأمون إلى بغداد بعد ست سنوات إنقلابا سياسيا على السياسة التي تمثلها العاصمة الأولى مرو.

^{١٢٨٥} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٥ / ٢.

^{١٢٨٦} (٢) انظر، الفخرى، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٩٧.

رجال بنى العباس حزما، وعزما، وحلما، وعلماء، ورأيا، ودهاء، وهيبة، وشجاعة، وسؤددا، وس ماحة^{١٢٨٧}، واشتهر بالعفو ومقته للإنتقام وإراقة الدماء.

وبدت هذه الروح السّمحاء فى عفوه عن الفضل بن الربيع، وزير أخيه محمّد الأمين، رغم ما أبداه الفضل من عدااء شديد للمأمون^{١٢٨٨} كما بدا هذا التسامح فى معاملته لزعماء العلويين الذين ثاروا ضده، فقد عفا عن محمّد بن محمّد بن زيد، وأسكنه دارا، كما عفا عن محمّد بن جعفر الصادق واشترك فى تشييع جنازته وقام بسداد ديونه^{١٢٨٩}، كما عفا المأمون أيضا عن عبد الرحمن بن أحمد العلوى الذى أعلن الثورة فى بلاد اليمن^{١٢٩٠}، بينما شهدنا ما أنزله أسلافه من الخلفاء العباسيين بالعلويين من ألوان التنكيل والإضطهاد.

تولّى المأمون الخلافة فى فترة قلقه حرجة، سادت فيها الإضطرابات والقلق فى أرجاء الدولة . وقد بدأت هذه الفترة المضطربة منذ عهد الخليفة

ص: ٤٤٥

هارون الرشيد بولاية العهد إلى ابنه الأمين سنة (١٧٣ هـ)، فقدّمه على المأمون رغم صغر سنّه، وقد ندم الرشيد على ذلك فى أواخر عهده^{١٢٩١}، حيث كان المأمون أكثر صلاحية لتولى الخلافة من الأمين، فضلا عن أنّه أكبر سنّا، وفى سنة ١٨٣ هـ، بايع الرشيد لابنه المأمون وولاه من حدّ همدان إلى آخر الشرق . وعبر الرشيد عن ندمه فى تقديم الأمين، فقال للأصمعي: «قد عنيت بتصحيح هذا العهد وتصييره إلى من أرضى سيرته، وأحمد طريقته وأثق بحسن سياسته، وآمن ضعفه ووهنه وهو عبد الله، و بنو هاشم مائلون إلى محمّد بأهوائهم، وفيه ما فيه من الإنقياد لهواه، والتّصرف مع طويته، والتّبذير لما أحوته يده، ومشاركة النساء والأماء فى رأيه . وعبد الله المرضى الطّريقة الأصيل الرأى الموثوق به فى الأمر العظيم، فإن ملت إلى عبد الله أسخط بنى هاشم، وإن أفردت محمّد بالأمر لم آمن تخليطه على الرّعية^{١٢٩٢}».

وهذه العبارات التى قالها الرشيد للأصمعي توضح ميل بنى هاشم للبيعة للأمين، وكان الرشيد يقصد بنى هاشم أبناء بيت العباس . وقد رأى المأمون بعد توليته الخلافة بعد مصرع الأمين عدم جدوى استمالة العبا سيين، وقد بدأت بوادر خروج المنصور وإبراهيم ابنى المهدي عليه، ولذا رأى المأمون أن يتحوّل إلى الفرع الآخر من بنى هاشم وهم العلويون، فكانت بيعته لعلّى الرضا أبرز رجالات البيت العلوى حينئذ بولاية العهد.

^{١٢٨٧} (٣) انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٣٠٦.

^{١٢٨٨} (٤) بعد مصرع الأمين استتر وزيره الفضل بن الربيع فى رجب سنة (١٩٦ هـ)، وأنشد أحد الشعراء:

أضاع الخلافة غشّ الوزير

وفسق الأمير وجهل المشير

انظر، انظر، الجهشيارى، الوزراء والكتاب: ٣٠٦-٣٠٧، ابن الأثير، الكامل فى التّاريخ: ٦/ ٨١ و ٢٤٥، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٧/ ٢ و ٧، الذهبي، تاريخ الإسلام: ١٣/ ٢٣.

^{١٢٨٩} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٤١، الفخري، المجدي فى أنساب الطّالبيين: ١٦٥.

^{١٢٩٠} (٦) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٧/ ١٦٨-١٦٩.

^{١٢٩١} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل فى التّاريخ: ٦/ ٧٥، أبو المحاسن، التّحوم الزّاهرة: ٢/ ١٣٨.

^{١٢٩٢} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٦٣.

لم يقتصر الرشيد على توليته ابنه الأمين والمأمون العهد، بل قد تعدى الأمر إلى ابنه القاسم الذي ولّاه عهده بعد الأمين و المأمون و سمّاه المؤتمن و ولّاه

ص: ٤٦٦

الجزيرة و الثّغور و العواصم . و هكذا قسّم الرشيد الدولة العبّاسيّة بين أبنائه الثلاثة، و هيّأ بذلك ع وامل المنافسة و الحسد بين هؤلاء الأخوة، و غرس بذور الفتنة التي قامت بين الأمين و المأمون، و أضعفت الحزب العبّاسيّ، و هيّأت السبيل لتقوية الحزب العلوي في عهد المأمون^{١٢٩٣}.

وصف الطّبري آراء عامّة الناس بعد تولية الرشيد عهده لأولاده فقال : «و لما قسّم الأرض بين أولاده الثلاثة، قال بعض العامّة قد أحكم أمر الملك، و قال بعضهم بل ألقى بأسهم بينهم، و عاقبة ما صنع في ذلك خوفا على الرّعية»^{١٢٩٤}.

و قال عربي عند الكعبة بعد أن أمر الرشيد بتعليق عهد البيعة بولاية العهد : «أنّ السيّوف ستسل، و الفتنة ستقع، و التنازع في الملك سيظهر»^{١٢٩٥}.

و لا شك أنّ الشيعة قد قرّت عيونهم لما وقع من خصام و قتال بين الأمين و المأمون، و من إنقسام بين رعايا الدولة العبّاسيّة حول تفضيل أحد الأخوين، فكانت دعوة الشيعة تزداد انتشارا، كما بدأ زعماء البيت العلوي نشاطهم الذي تحدثنا عنه في هذا الباب من هذا البحث، فقد حفل عهد المأمون بكثير من حركات الشيعة.

كانت البيعة لعلّي الرضا بولاية العهد ترضى مشاعر أهل خراسان إرضاء تامّا، و لا شك أنّ ذلك الدافع كان في مقدّمة الدوافع التي حدت بالمأمون إلى البيعة لهذا الزعيم العلوي بولاية عهده . و قد ارتبط المأمون بخراسان ارتباطا وثيقا، فقد كانت أمه أم ولد خراسانية تسمى مراحل^{١٢٩٦}، و قد ولّاه أبوه الرشيد ولاية

ص: ٤٦٧

خراسان و الأطراف الشرقيّة من الدولة العبّاسيّة، حيث أمضى مرحلة شبابه كلّها . و قد اشتهر المأمون في خراسان بلعدل و التقوى و الورع ممّا جذب إليه قلوب أهل خراسان . ثمّ قامت الفتنة بين الأمين و المأمون بعد أن رأى الأمين أن ينكث العهد و الميثاق اللذين أخذهما على نفسه، و أن يخلع أخاه المأمون من ولاية العهد^{١٢٩٧}، و يعهد بها إلى ابنه الصّغير موسى الذي سماه «الناطق بالحق»^{١٢٩٨}، و قد أثار الأمين بذلك مشاعر أهل خراسان و غيرهم من أهالي الأمصار الإسلاميّة، و خاصّة أهالي الحجاز.

^{١٢٩٣} (١) انظر، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام: ١٦٠ / ٢ .

^{١٢٩٤} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦٠٣ / ٦ .

^{١٢٩٥} (٣) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٣٦٤ / ٣ .

^{١٢٩٦} (٤) كانت أم الإمام عليّ الرضا أيضا أم ولد، و يذكر المظفر أنّ الإمام موسى الكاظم اشترى هذه الجارية بعد أن رأى جدّه محمّد الباقر و أباه جعفر الصادق في المنام يأمرانه بشراء هذه الجارية، و قد أطلعاه على صورتها لتلد له خير أهل الأرض في زمانه انظر، تاريخ الشيعة: ٥٤ .

^{١٢٩٧} (١) انظر، تاريخ يعقوبي: ١١٦ / ٣ .

^{١٢٩٨} (٢) انظر، الجهشيار، الوزراء و الكتّاب: ٣٩٢ .

و كانت الفتنة بين الأمين و المأمون في الحقيقة جهادا حزبيا بين الفرس أنصار المأمون من ناحية، و بين العرب أنصار الأمين من ناحية أخرى . و قد قاد أمر هذا النزاع الفضل بن سهل وزير المأمون، و كان فارسياً، و الفضل بن الربيع وزير الأمين و كان عربياً^{١٢٩٩}.

انضمت العناصر الفارسية و الخراسانية إلى المأمون، بينما انضمت العناصر العربية إلى الأمين . و أدرك المأمون أنه لا جدوى من استمالة هذه العناصر العربية التي اتخذت منه موقفاً عدائياً. و قد وضع هذا العداء في صراعه مع أخيه الأمين، و في ثورة نصر بن شيث الذي ثار غضبا لمقتل الأمين، و أعلن سخطه على المأمون لإعتماده على العجم دون العرب^{١٣٠٠}.

ص: ٤٦٨

و لذا أصبح المأمون منساقا إلى تيار ممالة أهل خراسان و فارس، و كان من العسير عليه أن يتحول عن هذا الطريق.

ببيع المأمون بالخلافة بيعة عامّة ببغداد سنة (١٩٨ هـ)، بعد قتل أخيه^{١٣٠١} و كان يقيم وقتذاك في الرّى، ثمّ انتقل إلى مرو بخراسان، و أبقي الفضل بن سهل وزيرا له، و لقّبه ذا الرّياستين لجمعه بين السّيف و القلم^{١٣٠٢}، و أسند إلى أخيه الحسن بن سهل أمر العراق^{١٣٠٣}، و بذلك أصبح المأمون في الواقع في محيط فارسي، فأهل خراسان من الفرس، و بنو سهل يريدون تسيير دفة الدولة، و عادت الحال إلى ما كانت عليه في أوائل عهد الرشيد حين استحوز البرامكة على السّلطة^{١٣٠٤}.

و قد اشتهر أهل خراسان و فارس، طوال عهدهم، و منذ الفتح العربي بميولهم

ص: ٤٦٩

العلوية، و حبّهم و تقدّيرهم لآل عليّ بن أبي طالب، و لذا رأى المأمون أنه لا مفرّ من إرضاء مشاعرهم، و قد أصبحوا عماد خلافته و دولته، و كانت البيعة لأحد العلويين خير إرضاء لأهوائهم.

و كان التّشيع قد انتشر في أرجاء الدولة العباسية، و طمع كثير من الطّالبيين في الخروج على الدّولّة، و قد شهدنا قيام حركات شيعية عديدة في عهد المأمون، أكثر ممّا شهدناه في عهد أسلافه و خلفائه . بل امتدت جذور التّشيع إلى بلاط

^{١٢٩٩} (٣) انظر، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام: ١٦١ / ٢.

^{١٣٠٠} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٥٩ / ٧، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١٠١ / ٦.

^{١٣٠١} (١) انظر، تاريخ يعقوبي: ١٦٦ / ٣.

^{١٣٠٢} (٢) جعل المأمون للفضل بن سهل لقب الإمارة مع لقب الوزارة، و هو أوّل وزير يجمع له اللقبين. انظر، الجهشيارى، الوزراء و الكتّاب: ٣٠٦.

هو الفضل بن سهل ذو الرّياستين وزير المأمون و مدير اموره، لقّب بذي الرّياستين لأنّه قلد الوزارة و السّيف جميعا، كان مجوسياً فأسلم على يدي المأمون سنة (١٩٠ هـ) أو يدي يحيى بن خالد البرمكي، و كان من صنائع آل برمك، كان عالما فاضلا و من أعلم النّاس بعلم التّجوم، و كان يتشيع و هو الذي أشار على المأمون بولاية العهد لأبي الحسن الرّضا، فلما ندم المأمون على ولاية العهد ثقل عليه أمر الفضل و احتال عليه خرج من مرو منصرفا إلى العراق و دسّ عليه حتى قتله غالب السّعودي الأسود مع جماعة في حَمّام سرخس سنة (٢٠٣ هـ) و روى الصّدوق أخبارا في ذمّه و أنّه كان معاندا للرّضا، و أخوه أبو محمّد الحسن بن سهل هو الذي حاصر بغداد بمشاركة طاهر بن الحسّ بن ذي اليمينين، و قتل الأمين محمّد بن الزّبيدة المخلوع سنة (١٩٨ هـ). توفي سنة (٢٣٦ هـ) و بنته بوران تزوّجها المأمون.

^{١٣٠٣} (٣) كما عهد المأمون إلى الحسن بن سهل بديوان الخراج انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ:

١٣٠٤ / ٦، الجهشيارى، الوزراء و الكتّاب: ٣٠٥.

^{١٣٠٤} (٤) انظر، جمال سرور، الحياة السياسية في القولة العربية الإسلامية: ٢٢٧.

الخلافة فكان الفضل بن سهل، ذو الرِّياستين، وزير المأمون شيعيًا^{١٣٠٥}. كما كان لظاهر بن الحسين قائد المأمون الذي قضى على أخيه الأمين، مبول شيعيًا.

و يروى ابن الأثير أنَّ الطَّاهريين كانوا كلَّهم شيعة، فيذكر عند حديثه عن حرب سليمان بن عبد الله الطَّاهري مع الحسين بن زيد الذي ثار في طبرستان: «تأثم سليمان عن قتاله لشِدَّتِه في التَّشيع»^{١٣٠٦}.

لم يجد المأمون بدًّا من إرضاء مشاعر الفرس الذي كانوا يقدر ون آل عليّ بن أبي طالب و يعطفون عليهم . فكان المأمون يبدى إحترامه لذكرى عليّ، و يشيد بمعاملة العلويين للعباسيين، فيروى السيوطي أنَّ المأمون أجاب على سؤال وجهه أحدهم إليه عن سبب عطفه على العلويين، فقال : «إنَّما فعلت ما فعلت لأنَّ أبا بكر لمَّا ولي، لم يول أ حدا من بني هاشم شيئا، ثمَّ عمر، ثمَّ عثمان كذلك ثمَّ وليّ عليّ فولّى عبد الله بن عباس البصرة، و عبيد الله اليمن، و سعيدا مكة، و قثم البحرين، و ما ترك أحدا منهم حتّى ولّاه شيئا، فكانت هذه هي أعناقنا حتّى

ص: ٤٧٠

كلفأته في ولده بما فعلت»^{١٣٠٧}.

و من مظاهر تقرب المأمون إلى أهل خراسان أيضا، إقامته في مرو، ممَّا أدّى إلى اضطراب الأمور في بلاد العراق عامّة، و في بغداد خاصّة. و تحدث النَّاس بالعراق بينهم أنَّ الفضل بن سهل قد غلب على المأمون، و أنّه قد أنزله قصرا حجبته فيه عن أهل بيته و وجوه قواده من الخاصّة و العامّة، و أنّه يبرم الأمور على هواه، و يستبد بالرأى دونه، فغضب لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم و وجوه النَّاس^{١٣٠٨}.

نسب المرحوم الشَّيخ الخضرى تولية المأمون عليّا الرضا عهده إلى رغبة الخليفة في إرضاء الفرس، فقال : «كان الفرس يعجبهم أن يكون إمام المسلمين علويّا، و طالما قاتلوا في سبيل رجوع السُّلطان إلى بنى عليّ، و هذه فرصة يأخذون فيها الخلافة من غير حرب و لا قتال، و ساعد على ذلك ما كان يراه المأمون نفسه من تفضيل عليّ بن أبي طالب على غيره من الخلفاء الرّاشدين، و أنّه كان أحقّ بالخلافة منهم. و لا نرى ذلك جاء المأمون إلّا من البيئّة التي تربي فيها، فأنّه كان من أوّل أمره في حجر جعفر البرمكي، ثمّ انتقل إلى الفضل بن سهل و كلهم ممّن يتشيع، فاختمرت عنده هذه الفكرة على غير ما كان عليه أبأوه^{١٣٠٩}.

و من العوامل التي دفعت المأمون إلى التّقرب من البيت العلوى و شيعتهم ما لمسّه المأمون من عداء البيت العبّاسيّ له . فيذكر الطّبري من بين أحداث أوّل سنة (٢٠١ هـ)، و قبل البيعة لعلّي الرضا، ما كان من «مراودة أهل بغداد منصور

ص: ٤٧١

^{١٣٠٥} (١) انظر، دونالدسن، عقيدة الشَّيعة: ١٩٠.

^{١٣٠٦} (٢) انظر، ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ: ٧/ ٤٠ (حوادث سنة ٢٥٠ هـ).

^{١٣٠٧} (١) انظر، السيوطي، تأريخ الخلفاء: ٣٠٨.

^{١٣٠٨} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطَّبري: ٧/ ١١٧، ابن الأثير، الكامل في التَّاريخ: ٦/ ١١٨، الفخري، المجدي في أنساب الطَّالبيين: ١٧٣.

^{١٣٠٩} (٣) انظر، تأريخ الأمم الإسلاميّة: ٢/ ١٨١.

بن المهدي على الخلافة»^{١٣١٠} و قد امتنع منصور عن تولي الخلافة، و لكنه قبل أن يصبح أميراً على بغداد . إلى جانب عداة إبراهيم بن المهدي و غيره من العباسيين للمأمون^{١٣١١}، فقد كان بعضهم يتطلع إلى الخلافة منتهزا فرصة هذه الاضطرابات التي سادت الدولة، و قد أعلنوا عصيانهم للحسن بن سهل والي المأمون على بلاد العراق^{١٣١٢}.

^{١٣١٠} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٣٢ / ٧، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١١٨ / ٦.

^{١٣١١} (٢) انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٢٠٥.

^{١٣١٢} (٣) انظر، ابن كثير، البداية و النهاية: ٢٤٧ / ١٠ - ٢٤٨.

موقف الشيعة منبيعة المأمون للإمام الرضا عليه السلام بولاية العهد:

صحيح أن المأمون أقدم على قرار خطير في سنة (٢٠١ هـ) إذ استدعى الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام و بايعه في ولاية العهد، و أعلن أنه يعيد الحق إلى نصابه، و أنه يصل الأرحام التي قطعت منذ سنوات عديدة كما يقول الجهشيار في كتابه الوزراء و الكتاب : ٣١٢، لكن هذا يثير تساؤلات كثيرة منها : هل أن المأمون أقدم على هذا العمل نتيجة رد فعل الحركات الشيعية التي شهدها العصر العباسي بشكل ما و عصره بشكل خاص؟ و هل كان المأمون صادقا فيما أقدم عليه؟ و هل كان إندفاعه هذا بإقتناعه بأحقية البيت العلوي بالخلافة؟ أم كان كل ذلك سياسة و وسيلة لتدعيم نفوذه و تثبيت أركان خلافته؟

و قبل الإجابة على هذه التساؤلات نبدأ باستعراض آراء المؤرخين و الكتاب من كل الفرق و الإتجاهات حتى نستطيع أن نستشف الدوافع الحقيقية لبيعة المأمون بولاية العهد للإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام.

يذكر الطبري في تاريخه: ١٣٥ / ٧، و ابن الأثير في الكامل: ١١١ / ١ و اليعقوبي في تاريخه:

١٧٦ / ٣ أن الدافع هو أن المأمون نظر في بني العباس و بني علي فلم يجد أحدا هو أفضل و لا أروع و لا أعلم منه.

و يرى أبو الفرج الإصفهاني في مقاتل الطالبيين : ٤٥٤ أن المأمون كان خلال صراعه مع أخيه الأمين قد عاهد الله أن ينقل الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب و أن علي الرضا هو أفضل العلويين إن ظفر - بالمخلوع.

و يخهب السيوطي في تاريخ الخلفاء: ٣٠٧ مذهبا آخر و هو أن المأمون قد حملة على ذلك إفراطه في التشيع، حتى قيل إنه هم أن يخلع نفسه و يفوض الأمر إليه - أي إلى الإمام الرضا -.

و أمّا الفخري في الآداب السلطانية: ١٩٨ فيرى أن المأمون فكر في حال الخلافة بعده و أراد أن يجعلها في رجل يصلح لها لتبرأ ذمته.

و يرى الشيخ المظفري في تاريخ الشيعة: ٥١ أن المأمون كان مدفوعا في البيعة لعلي الرضا بولاية العهد بدافع سياسي هو حماية مصالح الدولة العباسية، لأن المأمون من رجال الذهأ و السياسة.

و يرى كاتب آخر هو أن المأمون وضع الإمام الرضا تحت رقابة الخليفة و منعه من القيام بحركة علوية جديدة ذكر ذلك هاشم معروف الحسني في عقيدة الشيعة الإمامية: ١٦١.

و يرى الدكتور النشار في نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام : ٢ / ٣٩١ أن المأمون أدرك خطورة الدعوة الإسماعيلية فأراد أن يقضي عليها و كان الإمام عبد الله الرضي بدأ نشاطا واسعا و لذا قرب المأمون إليه علي الرضا و بايعه بولاية العهد.

أمّا الإجابة على التساؤلات بعد عرض آراء المؤرخين فنقول: إن المأمون كان قد برع في العلوم و الفنون و لذا قال الذميري في حياة الحيوان: ١ / ٧٢: لم يكن في بني العباس أعلم من المأمون. و قال عنه ابن التميمي في الفهرست: ١٧٤ بأنه أعلم الخلفاء بالفقه و الكلام. و قال عنه فريد وجدي في دائرة المعارف الإسلامية: ١ / ٦٢٠ بأنه لم يل الخلافة بعد الخلفاء الراشدين أكفأ منه. و قد ورد في مناقب آل أبي طالب : ٢ / ٢٧٦ رواية عن الإمام الرضا عليه السلام و هو يصف خلفاء بني العباس « سابعهم أعلمهم » و وصفوه بأنه داهية بني العباس. كما ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد : ١ / ١٢٣، و الجهشيار في الوزراء و الكتاب : ٣١١ أنه يقتل الفضل و يبكي عليه و يقتل قتلته، و يقتل الإمام الرضا ثم يبكي عليه، و يقتل طاهرا و يولي أبناء مكانه، و يقتل أخاه و يوهم أن الذنب في ذلك على الفضل و طاهر، و هذا مما يدل على دهائه و حكيه و سياسته.

و نحن نميل إلى الرأي الذي يقول إن اقدام المأمون على البيعة لعلي الرضا بولاية العهد و نقله بذلك الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي كان بدوافع سياسية، إذ أراد تدعيم خلافته و تجتنب قيام المزيد من الحركات الشيعية في وجهه، كما أراد إرضاء أهل خراسان، و لذا اتخذ مرو بخراسان مركزا لخلافته، لأ أنه تولى الخلافة في فترة قلقة حرجة سادت فيها الاضطرابات و القلاقل في أرجاء الدولة - و بدأت هذه الفترة عند ما جعل الرشيد ولاية العهد لابنه الأمين سنة (١٧٣ هـ) فقدّمه على المأمون رغم صغر سنة . و قد ندم الرشيد على ذلك في أواخر عهده كما يقول ابن الأثير في الكامل: ٦ / ٧٥ و أبو المحاسن في التجوم الزاهرة: ٢ / ١٣٨. و لذا في سنة (١٨٣ هـ) بايع الرشيد لابنه المأمون و ولّاه من حدّ همدان إلى آخر الشرق، و قد عبّر عن هذا التدم بقوله للأصمعي - كما ورد في مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٣٦٣ - : قد عنيت بتصحيح هذا العهد و تصييره إلى من أرضى سيرته

...

و لم يقتصر الرشيد في تولية العهد لابنيه الأمين و المأمون بل تعدّى الأمر إلى ابنه القاسم الذي ولّاه عهده بعد الأمين و المأمون و سماء المؤمنين و ولّاه الجزيرة و القنوجور و العواصم. و هكذا قسم الرشيد الدولة العباسية و هيأ بذلك عوامل المنافسة و الحسد بين هؤلاء الأخوة و غرس بذور الفتنة لما يذكر ذلك الطبري في تاريخه: ٦ / ٦٠٣، و المسعودي في المروج:

٣ / ٣٦٤.

و من هذا و ذاك يتضح أن المأمون أراد أن يأمن الخطر الذي يتهدده من قبل تلك الشخصية الفذة و حتى لا ينظر الناس إلى أية مبادرة عدائية منه لنظام الحكم القائم إلا على أنها نكران للحميل. و قد أشار المأمون إلى ذلك حيث صرح بأنه خشي أن يترك الإمام على حاله أن نفتق عليه منه ما لا يسدّه و يأتي منه عليه ما لا يطيق ... و أن يجعل تلك الشخصية تحت المراقبة الدقيقة من الدّاخل و الخارج، و لذا زوّجه ابنته حتى تكون رقيبا داخليا موثوقا عنده هو...

و لم يكتف بذلك بل جعل هشام بن إبراهيم الراشدي من أحصّ الناس عند الرضا ... و كان لا يتكلم الإمام في داره بشيء إلا أوردته هشام على المأمون و ذي الرئاستين ... كما ذكر في مسند الإمام الرضا:

١/ ٧٧، و عيون أخبار الرضا: ١٥٣/ ٢، والبحار: ١٣٩/ ٤٩، وانظر شرح ميمية أبي فراس: ٣٠٤ و كشف الغمة: ٩٢/ ٣.

وكذلك أراد المأمون أن يعزل الإمام عليه السلام عن الناس حتى لا يؤثر عليهم بما يمتلكه من قوة الشخصية وكذلك يعزله عن شيعته ليقطع الطريق عليهم، ولذا نجد أن الإمام الرضا عليه السلام يكتب إلى أحمد بن محمد البرنطي ويقول له: أما ما طلبت من الإذن عليّ فإنّ الدخول إلى صعب وهؤلاء قد ضيقوا عليّ في ذلك الآن، فلست تقدر الآن وسيكون إن شاء الله... ذكر ذلك المامقاني في رجاله:

١/ ٧٩، و الصدوق في عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢١٢.

و خير دليل على عزل الإمام عن الناس هو إرجاعه عن صلاة العيد مرتين، وهذه مشهورة كما أشرنا إليها سابقاً، وذكرها المسعودي في إثبات الوصية: ٢٠٠، و معادن الحكمة: ١٨٠، و نور- الألبار: ٣٢٠، و إعلام الوري: ٣٢٢، و روضة الواعظين: ١/ ٢٧١، و اصول الكافي: ١/ ٤٨٩، و مطالب السؤول: ٨٥ طبعة حجرية.

و ربما أراد من تقرب الإمام عليه السلام أن يجعل له شعبية واسعة، وهذا ما أكدّه أحمد الشيباني في الصلّة بين التّصوّف و التّشيع: ٢٣٣ حيث قال: إنّ المأمون جعله وليّ عهده، لمحاولة تألّف قلوب الناس ضدّ قومه العبّاسيّين الذين حاربوه و نصروا أخاه

و بعد قليل نفق مع هذا كلّه و ما هو موقف الإمام الرضا عليه السلام في مواجهة مؤامرات المأمون و يجعله يوء بالخيبة و الخسران و معنى بالفشل الذريع حتى لقد أشرف المأمون منه على الهلاك.

أما الآن فنقف مع الدكتور أحمد أمين المصري في ضحى الإسلام: ٣/ ٢٩٥ الذي يقول: إنّ المأمون قد أراد بذلك أن يصلح بين البيتين العلوي و العبّاسي و يجمع شملهما ليتعاونوا على ما فيه خير الأمة و صلاحها و تنقطع الفتن و تصفو القلوب، و أنّه كان معتزلاً و يرى أحقيّة عليّ و ذرّيته بالخلافة، و كذلك أنّ ه وقع تحت تأثير الفضل و الحسن بني سهل الفارسيّين.... و نقول له:

إنّ عقائد المأمون لم تكن هي المنطلق له في مواقفه السّياسيّة بل نراه ينطلق بما هو يخدم مصالحه الخاصّة حتى أنّه وصف الصحابة م عدا الإمام عليّ عليه السلام بالملاحدين و يصف الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب بـ «جعل» و أنّ المعتزلة لم تفضّل عليّاً على جميع الصحابة بشكل واضح و إنّما بدّاه بشر بن المعتز.

أما ما يراه بعض المؤرّخين كحرجي زيدان في تاريخ التّمدن الإسلامي: ٤/ ٤٣٩، و أحمد شلبي في التّاريخ الإسلامي و الحضارة الإسلاميّة: ٣/ ٣٢٠، و ابن الأثير في الكامل: ٥/ ١٢٣، و ابن الطّقطقي في الفخري في الآداب السّلطانيّة: ٢١٧ و الذين يرون أنّ الفضل بن سهل هو العامل الرئيسيّ في لعبة ولاية العهد فنقول:

إنّ نسبة التّشيع للفضل هي نسبة غير صحيحة حتى و إن تظاهر، أللهمّ إلّا أن تكون مؤامرة بين الرجلين، و ذلك لأنّ بعض النّصوص فينّد أنّ الفضل كان عدواً للإمام عليّ عليه السلام حيث إنّّه كان من صنائع البرامكة كما يقول الشيخ الصدوق عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٦٦ و ٢٢٦، و المجلسي في و البحار:

٤٩/ ١٤٣، ١١٣. و البرامكة أعداء أهل البيت عليهم السلام و لم يكن هو راغباً في البيعة للرّضا عليه السلام و إنّّه و أخاه قد مانعا في عقد ال عهد للرّضا كما ذكر أبو الفرج الإصبهاني في مقاتل الطّالبيّين: ٥٦٣، و الشّبلنجي في نور الأبصار: ٣١٦، و الإربلي كشف الغمة: ٣/ ٦٦، و الفتال في روضة الواعظين: ١/ ٢٦٩، و المفيد- في الإرشاد: ٣١٠.

كلّ هذه المصادر تشير على أنّ الفضل من أعداء الإمام و مانع من ولاية العهد له فكيف يكون هو المشير على المأمون؟ و لو كان ممّن يتشيع فكيف يمكن أن يتآمر عليه؟ وكيف ذهب إلى الرضا و حلف له بأغلظ الأيمان ثمّ عرض عليه قتل المأمون و جعل الأمر إليه؟ لكن بسبب وعيه و تيقّظه قد ضيّع عليه و على سيّده هذه الفرصة حيث أدرك أنّها دسيسة و مؤامرة فزجر الفضل و طرده ثمّ دخل من فوره على المأمون و أخبره بما كان من الفضل. و هذا ممّا يدلّل على أنّه أراد التمهيد للتخلّص من الرضا ليخلو له الجو.

و استمرّ في أغراضه الدّنيّة حتى أنّ بعض المؤرّخين يرى أنّ المأمون لم يقتل الإمام إلّا بتحريض من الفضل بن سهل، و إذا كان الفضل ممّن يتشيع فمن غير المناسب أن يخبر الإمام المأمون بما عرضه عليه الفضل من قتل المأمون، كما ذكر الطّبري في تاريخه: ١١/ ١٠٢٥ طبعة ليدن، و أبو الفرج الإصبهاني في مقاتل الطّالبيّين: ٥٦٥، و الطّبرسي في إعلام الوري: ٣٢٥، و الإربلي في كشف الغمة:

٣/ ٧١، و الفتال التيسابوري في روضة الواعظين: ١/ ٢٧٦.

و ها هو المأمون برواية الرّثان بن الصّلت عند ما رأى أنّ القوّاد و العامة قد أكثروا في بيعه الرضا و أنهم يقولون « إنّ هذا من تدبير الفضل » قال للمأمون ذلك فأجابه: و يحك يا رثان! أ يجسر أحد على أن يجي إلى خليفة قد استقامت له الرّعية و القوّاد و استوت الخلافة فيقول له: ادفع الخلافة من يدك إلى غيرك؟ أ يجوز هذا في العقل؟.... انظر عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٥١ ح ٢٢، و حلية الأبرار:

٢/ ٣٤٨، وقيّات الأعيان: ٢/ ٥٢١، و: ٣/ ٨٤، و: ٤/ ٤١، و: ٥/ ٣٥٧، و: ٦/ ٤٢٠ و ٤٢١ و ٤٢٧.

أما الإجابة على السّؤال الذي طرحناه سابقاً و هو هل أنّ الإمام عليه السلام كان راضياً بما أم مكرها عليها؟

المصادر التّاريخيّة تحدّثنا على أنّ الإمام عليه السلام رفض قبولها أشدّ الرّفص و بقي مدّة يحاول إقناعه بالقبول فلم يفلح، و قد استمرّت محاولاته في مرو أكثر من شهرين و الإمام عليه السلام يأتي عليه ذلك، كما ورد في عيون أخبار الرضا: ٢/ ١٤٩، و البداية و النّهاية: ١٠/ ٢٥٠ و الآداب السّلطانيّة: ٢١٧، و غاية الإختصار: ٦٧، و ينابيع المودّة:

٣٨٤، و تاريخ الشّيعيّة: ٥١ و ٥٢، و روضة الواعظين: ١/ ٢٦٧، و إعلام الوري: ٣٢٠، و علل الشّرايع: ١/ ٢٣٦، و أمالي الصدوق: ٤٢، و الإرشاد: ٣١٠، و كشف الغمة: ٢/ ٦٥ و ٦٦ و المناقب لابن شهر آشوب: ٤/ ٣٦٣، و الكافي: ١/ ٤٨٩- هذه المصادر و غيرها توكّد على أنّ الإمام الرضا رفض الولاية و لكن قبلها بعد التّهديد، و لذا قال

المأمون له: ما استقدمناك بإختيارك، فلا نعهد إليك بإختيارك، و الله إنّ لم تفعل ضربت عنقك... و قال الإمام عليه السلام:... قد علم الكراهي لذلك، فلمّا خيّرت بين قبول ذلك و بين القتل اخترت القبول على القتل، و يحجم... و دفعني الضّروّة إلى قبول ذلك، على إيجاب و إكراه، بعد الإشراف على الهلاك....

هذا جوابه عليه السلام على سؤال الرّثان. أما جوابه لأبي الصّلت فقال: و أنا رجل من ولد رسول الله صلّى الله عليه و آله أجبني على هذا الأمر و أكرهني عليه....

و ها هو أحمد أمين في صخى الإسلام: ٣/ ٢٩٤ يقول: ... و ألزم الرضا بذلك، فامتنع ثمّ أجاب ... و قال القندوزي في ينابيع المودّة: ٢٨٤: إنّّه قبل ولاية العهد، و هو باك حزين ... و قال المسعودي في إثبات الوصية: ٢٠٥: ... فألح عليه فامتنع، فأقسم فأبى قسمه ... و قال عليه السلام: ... إنّني قد أجبت، امتثالاً للأمر و إن كان الجفر و الجامعة يدلّان على ضدّ ذلك. إذا لم يكن المأمون جاداً في عرضه للخلافة و لا الإمام عليه السلام راضياً بما لأنّ ولاية الأمر هي من قبل الله في الأصل لا من قلى المأمون.

البيعة لعلّي الرضا بولاية العهد:

كان المأمون موفقا في إختيار ولي عهده، فهو ابن الإمام موسى الكاظم و كان مولده في سنة (١٥٣ هـ) ١٣١٣، واشتهر بالعلم و التقوى و الورع. و عاش علىّ في حياة أبيه خمسا و ثلاثين سنة، معظمها في عهد الرّشيد يرقب من بعيد ما يحل بأبيه موسى على يد الرّشيد ١٣١٤، و قد لجأ علىّ إلى التّقيّة و الكتمان لينجو بنفسه من المصير الّذي انتهى أبوه إليه. و عاش علىّ بعد أبيه عشرين سنة و هو الإمام بعد أبيه، و اختلفت آراء الشّيعيّة، و كثرت المذاهب و تعدّدت الفرق فبين من رجع في الإمامة إلى غيره من اخوته، و بين من قال بأنّ الإمام غائب و سيظهر بعد حين إلى النّاس، و فرقة من الشّيعيّة قالت بإمامته و هم الخواصّ الّذين سمعوا من أبيه النّص

عليه. و بدأ أصحابه يتّصلون به و يدعون الشّيعيّة إلى إمامته فرجع إليه جماعة من الشّيعيّة و ظهر أمره بين أصحاب أبيه و بدأ يتأهب لأداء رسالته ١٣١٥.

عقد المأمون العزم على أن يعهد بولاية العهد للإمام علىّ الرضا، فبعث بعض رجاله، و فيهم الجلودي، و هو من أهالي خراسان، لإستدعاء علىّ الرضا، فاستجاب للدّعوة، و رحل هو و بعض العلويّين إلى مرو، حيث أصبحوا موضع حفاوة و تكريم ١٣١٦.

و استدعى المأمون إليه الفضل و الحسن ابنيّ سهل، ليستشيرهما فيما اتتواه من عقد البيعة بولاية العهد لعلّي الرضا، فنصحه الحسن بن سهل بالعدول عن هذا الرأى، و حذره من غضب البيت العبّاسيّ لتحويله الخلافة إلى البيت العلوي بينما حسن الفضل بن سهل للمأمون المشروع، و حتّه على المضى في تنفيذه. و حسم المأمون الأمر فقال لهذين الأخوين: إني عاهدت الله أن أخرجها إلى أفضل آل أبي طالب، إن ظفرت بالمخلوع ١٣١٧، و ما أعلم أحدا أفضل من هذا الرّجل.

و اضطر الحسن إلى التّزول على رأى الخليفة ١٣١٨.

و روى الإصفهاني أنّ المأمون بعث الفضل و الحسن ابنيّ سهل إلى علىّ الرضا، ينقلان إليه رغبة الخليفة في توليته عهده، فرفض الإستجابة لها، فهدده بضرب عنقه إن هو استمر في الأباء. و دعاه المأمون إلى مجلسه، و لكنّه استمر في الرّفص فهدده بالقتل و قال: «أنّ عمر جعل الشّروى في ستّة أحدهم

و ورد في أمالي الصّدوق: ٥٢٥ ح ١٣ قوله عليه السّلام بعد أن رفع يديه إلى السّماء و قال: أللّهمّ إنك تعلم أنّي مكروه مضطرّ، فلا تؤاخذني كما لم تؤاخذ عبدك و نبيك يوسف حين دفع إلى ولاية مصر.

١٣١٣ (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٨ / ٤.

١٣١٤ (٢) انظر، التّوحي، فرق الشّيعيّة: ٨١.

١٣١٥ (١) انظر، هاشم معروف، عقيدة الشّيعيّة الإماميّة: ١٥١.

١٣١٦ (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٨ / ٤.

١٣١٧ (٣) المخلوع: أي الأمين.

١٣١٨ (٤) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيّين: ٥٦٢ - ٥٦٣.

جدك»^{١٣١٩}. وقال: «من خالف فأضروا عنقه»^{١٣٢٠}. ولا بدّ من قبول ذلك. فاضطرّ عليّ الرضا إلى النزول على رأي الخليفة^{١٣٢١}. ويرى صاحب الفخرى أنّ الفضل بن سهل هو «القائم بهذا الأمر، والمحسن له»^{١٣٢٢}.

تمّت البيعة لعلّي الرضا بولاية العهد في شهر رمضان سنة (٢٠١ هـ)، فقد خرج الفضل بن سهل إلى الناس يعلمهم بأمر البيعة، ويأمرهم بطرح السّواد، شعار العبّاسيّين، و اتّخاذ الخضره شعارا لهم^{١٣٢٣}، و يذكر أنّ المأمون قد أنعم عليهم برزق سنة و أنّ الإحتفال الرّسمي بالبيعة سيكون بعد أسبوع.

و في اليوم المحدد، تمّت البيعة لعلّي الرضا رسميًا، في رمضان سنة (٢٠١ هـ)، و حضر الإحتفال القواد و القضاة و وجوه القوم^{١٣٢٤}. و أمر المأمون ابنه العبّاس أن يكون أوّل ممّن يبايع عليّ الرضا، و توافد العلويون و بعض العبّاسيّين يبايعون و يأخذون جوائز الخليفة، ثمّ تعاقب الخطباء و الشّعراء يشيدون بعلّي الرضا، و يحمّدون للمأمون البيعة له بولاية العهد، ثمّ طلب المأمون من عليّ الرضا أن يخطب في الناس، فخطب خطبة شديدة الإيجاز:

قال بعد حمد الله و التّناء عليه: «أنّ لنا عليكم حقّا برسول الله صلى الله عليه و آله، و لكم حقّ علينا به، فإذا أدّيتم إلينا ذلك وجب علينا الحقّ لكم»^{١٣٢٥}. و أطلق المأمون على عليّ الرضا «الرضا من آل محمّد»^{١٣٢٦} و أمر بنقش أسمه على الدّراهم و الدّنانير

^{١٣١٩} (١) انظر، التّيسابوري، روضة الواعظين: ٢٢٥، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣٧٥ و ٥٦٣، نبيلة عبد المنعم داود، نشأة الشّيعه الإمامية: ٢٢٧.

^{١٣٢٠} (٢) انظر، المصادر المتّابقة.

^{١٣٢١} (٣) انظر، المصدر السابق: ٥٦٣، و يرجع تردد عليّ الرضا إلى (علم الجفر) الذي وضعه الإمام جعفر الصّادق، و الذي يتنبأ بعدم تمام الأمر لعلّي الرضا. انظر، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٩٨.

^{١٣٢٢} (٤) انظر، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٩٨.

^{١٣٢٣} (٥) كتب الفضل إلى أخيه الحسن «يأمره بطرح السّواد، و أن يلبس الخضره، و يجعل الأعلام و القلائس خضرًا، و يطالب الناس بذلك، و كاتب فيه جميع عمّاله». انظر، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ٣١٢، اليعقوبي: ١٧٦/٧.

^{١٣٢٤} (٦) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١١١/٦.

^{١٣٢٥} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٦٤.

^{١٣٢٦} (٢) و ما أدري ما يفعل بي و لا بكم إن الحكم إلّا لله يقضي بالحقّ و هو خير الفاصلين، لكنّي امثّلت أمر أمير المؤمنين و أثرت رضاه و الله تعالى يعصمني و إياه، و أشهدت الله على نفسي بذلك و كفى بالله شهيدًا. و كتبت بخطّي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه و الحاضرين من أولياء نعمه و خواصّ دولته و هم: الفضل بن سهل، و سهل بن الفضل، و القاضي يحيى بن أكثم، و عبد الله بن طاهر، و ثمامة بن أشرس، و بشر بن المعتمر، و حمّاد بن النّعمان، و ذلك في شو رمضان سنة إحدى و مئتين. صورة رقم شهادة القاضي يحيى بن أكثم: شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا الكتاب ظهره و بطنه و هو يسأل الله تعالى أن يعرّف أمير المؤمنين و كافّة المسلمين بركة هذا العهد و الميثاق. و كتب بخطّه في التّاريخ المبين فيه.

صورة رقم شهادة عبد الله بن طاهر: أثبت شهادته فيه بتاريخه، عبد الله بن طاهر.

و صورة رقم شهادة حمّاد بن النّعمان: شهد حمّاد بن النّعمان بمضمونه ظهره و بطنه و كتبه بيده في تاريخه

و صورة رقم شهادة ابن المعتمر: شهد بذلك بشر بن المعتمر.

و على الجانب الأيسر بخطّ الفضل بن سهل: رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه هذه الصّحيفة التي هي صحيفة العهد و الميثاق نرجو أن نجوز بها الصّراط ظهرها و بطنها بحرم سيّدنا رسول الله صلى الله عليه و آله بين التّوضه و المنبر على رؤوس الأشهاد و بمراى و مسمع من وجوه بني هاشم و سائر الأولياء و الأخيار و الأحفاد بعد أخذ البيعة عليهم و استيفاء شروطها بما أوجبه أمير المؤمنين من العهد لعلّي موسى الرضا عليه السّلام تقوم به الحجة على جميع المسلمين و لتبطل الشّبهة التي كانت اعترضت آراء الجاهلين، و ما كان لله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه. و كتب الفضل بن سهل بحضرة أمير المؤمنين في تاريخ المعين فيه.

و نحن نشير هنا إلى النَّصِّ الكامل لكتاب العهد و هو:

بسم الله الرحمن الرحيم- هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين لعلي بن موسى بن جعفر وليّ عهده
أما بعد، فإنّ الله عزّ و جلّ اصطفى الإسلام ديناً، و اصطفى له من عباد رسلا دالّين عليه و هادين إليه، يبشّر أولهم بأخروهم، و يصدّق تاليهم ماضيهم، حتّى انتهت نبوة الرّسول إلى
محمّد صلّى الله عليه و آله على فترة من الرّسل، و دروس من العلم، و انقطاع من الوحي، و اقتراب من الساعة
فختم الله به التّبيين و جعله شاهداً لهم و مهيمناً عليهم، و أنزل عليه كتابه العزيز الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، بما أحلّ و حرّم، و وعد
و أوعد، و حذّر و أنذر، و أمر به و نهي عنه، لتكون له الحجّة البالغة على خلقه، ليهلك من هلك عن بيق و يحیی من حيّ عن بينة، و إنّ الله لسمیع علیهم
فیبلغ عن الله رسالته، و دعا إلى سبيله بما أمره به من الحكمة و الموعظة الحسنة، و المجادلة بالتي هي أحسن، ثمّ بالجهد و العلق حتّى قبضه الله إليه، و اختار له ما عنده
فلما انقضت النّبوة و ختم الله بمحمّد صلّى الله عليه و آله الوحي و الرّسالة جعل قوام الدّین و نظام أمر المسلمين بالخلافة، و إتمامها و عزّها و القيام بحقّ اللّٰه تعالى فيها بالطاعة
الّتي بها تقام فرائض الله و حدوده، و شرائع الإسلام و سننه، و يجاهد بما عدوّه
فعلى خلفاء الله طاعته فيما استغفطهم و استرعاهم من دينه و عبادته، و على المسلمين طاعة خلفائهم و معاونتهم على إقامة حقّ الله و عدله و أمن السّبيل و حقن الدّماء و
صلاح ذات البين و جمع الألفة . و في خلاف ذلك اضطراب حبل المسلمين و اختلالهم و اختلاف ملّتهم و قهر دينهم و استعلاء عدوّهم و تفترق الكلمة و خسران الدّنيا و
الآخرة.

فحقّ على من استخلفه الله في أرضه و اتمنه على خلقه أن يجهد لله نفسه و يؤثر ما فيه رضا الله و طاعته، و يعتدّ لما الله موافقه عليه و مسائله عنه، و يحكم بالحقّ، و يعمل
بالعدل فيما حمله الله و قلده، فإنّ الله عزّ و جلّ يقول لنبيّه داود عليه السلام: يا داودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَ لَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ
اللّٰهِ إِنَّ الَّذِينَ يَفْضِلُونَ عَنْ سَبِيلِ اللّٰهِ هُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بما نسوا يؤمّ الحِسَاب\ E. سورة ص: ٢٦ . و قال الله تعالى: إِن يَرَوْكَ كَسِيفَتُهُمْ أَجْعَلُكَ * عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ E. الحجر: ٩٢-٩٣.

و بلغنا أنّ عمر بن الخطّاب قال: لو ضاعت سحلة بشاطئ الفرات لتخوّفت أن يسألني الله عنها، و أمّ الله إنّ المسؤول عن خاصّة نفسه الموقوف على عمله فيما بينه و بين الله
ليعرض على أمر كبير- و على خطر عظيم، فكيف بالمسؤول عن رعاية الأمة، و بالله التّقّة، و إليه المفزع و الرّغبة في التّوفيق و العصمة، و التّسديد و اله داية، إلى ما فيه ثبوت
الحجّة، و الفوز من الله بالرضوان و الرّحمة.

و انظر الامة لنفسه و أنصحهم لله في دينه و عبادته من خلفائه في أرضه من عمل بطاعة الله و كتابه و سنّة نبيّه صلّى الله عليه و آله في مدّة أيّامه و بعدها، و أجهد رأيه و نظره
فيمن يولّيه عهده، و يختاره لإمامة المسلمين و رعايتهم بعده، و ينصرّه علماً لهم و مفزعا في جمع الفتنهم و لمّ شعثهم و حقن دمايتهم، و الأمن بإذن الله من فرقتهم، و فساد ذات
بينهم و اختلافهم، و رفع نزغ الشّيطان و كيدهم عنهم، فإنّ الله عزّ و جلّ جعل العهد بعد الخلافة من تمام أمر الإسلام و كماله، و عرّزه و صلاح أهله، و ألهم خلفاءه من توكيده
لمن يختارونه له من بعدهم ما عظمت به النعمة و شملت فيه العافية، و نقض الله بذلك مكر أهل الشّقاق و العداوة، و السّعي في الفرق و التّربص للفتنة.
و لم يزل أمير المؤمنين منذ أفضت إليه الخلافة، فاختبر بشاعة مذاقها، و ثقل محملها، و شدّة مؤثنتها، و ما يجب على من تقلّدها من ارتباط طاعة الله، و مراقبته فيما حمله منها،
فأنصب بدنه، و أسهر عينه، و أطال فكره، فيما فيه عزّ الدّين و قمع المشركين، و صلاح الامة، و نشر العدل، و إقامة الكتاب و السّرق، و منعه ذلك من الخفض و الدّعة و منهأ
العيش، علماً بما الله سائله عنه، و محبّة أن يلقي الله مناصحاً له في دينه و عبادته، و مختاراً لولايته عهده، و رعاية الامة من بعده، أفضل من يقدر عليه في دينه و ورعه و علمه، و
أرجاهم للقيام في أمر الله و حقّه، مناجياً الله بالاستخارة في ذلك و مسائلته الهامة ما فيه رضاه و طاعته في آناء ليله و نهاره، معملاً في طلبه و التماسه في أهل بيته، من ولد عبد
الله بن العباس و عليّ بن أبي طالب فكره و نظره، مقتصرًا ممّن علم حاله و مذهبه منهم على علمه، و بالغا في المسألة عمّن خفي عليه أمره جهده و طاقته.

حتّى استقصى امورهم معرفة، و ابتلى أخبارهم مشاهدة، و استبرأ أحوالهم معاينة، و كشف ما عندهم مساواة.

فكانت خيرة بعد استخارته لله، و إجهاده نفسه في قضاء حقّه في عبادته و بلاده، في البيتين جميعاً «عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب
عليهم السّلام» لما رأى من فضله البار، و علمه النّافع، و ورعه الطّاهر، و زهده الخالص، و تخلّيه من الدّنيا، و تسلّمه من التّاس
و قد استبان له ما لم تزل الأخبار عليه متواطئة، و الألسن عليه متّفقة، و الكلمة فيه جامعة

و لما لم يزل يعرفه به من الفضل يافعا و ناشئا، و حدثاً و مكتھلاً، فعقد له بالعهد . و الخلافة من بعده، - واثقا بخيرة الله في ذلك، إذ علم الله أنّه فعله إشاراً له و للدين، و نظراً
للإسلام و المسلمين، و طلباً للسلامة، و ثبات الحجّة، و النّجاة في اليوم الّذي يقوم التّاس فيه لربّ العالمين
و دعا أمير المؤمنين ولده و أهل بيته و خاصّته و قوّاده و خدمه، فبايعوا مسرعين مسرورين، عاملين بإيثار أمير المؤمنين طاعة الله على الهوى في ولده و غيرهم، ممّن هو أشبك منه
رحماً، و أقرب قرابة، و ستماء الرضا» إذا كان رضيّ عند أمير المؤمنين.

فبايعوا معشر أهل بيت أمير المؤمنين، و من بالمدينة المحروسة من قوّاده و جنده، و عاقمة المسلمين لأمر المؤمنين، و للرضا من بعده عليّ بن موسى عليهما السّلام على اسم الله و
بركته، و حسن قضائه لدينه و عبادته، بيعة مبسوطة إليها أيديكم، منشركة لها صدوركم، عاملين بما أراد أمير المؤمنين بها، و آثر طاعة الله، و التّظر لنفسه و لكم فيه، شاكرين لله
على ما ألهم أمير المؤمنين من قضاء حقّه في رعايتكم، و حرصه على رشدكم و صلاحكم، راجين عادة ذلك في جمع الفتكم، و حقن دمايتكم، و لمّ شعثكم، و سدّ ثغوركم، و قوّة
دينكم، و وقم عدوّكم، و استقامة اموركم.

و سارعوا إلى طاعة الله و طاعة أمير المؤمنين، فإنّه الأمن إن سارعتم إليه، و حدمتم الله عليه، و عرفتم الحظّ فيه إن شاء الله

و كتب بيده في يوم الاثنين لسبع خلون من شهر رمضان سنة إحدى و مئتين

صورة ما كان على ظهر العهد بخطّ الإمام عليّ بن موسى الرضا عليهما السّلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الفاعل لما يشاء، لا معقّب لحكمه، و لا رادّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين و ما تخفي الصدور، و صلّى الله على نبيّه محمّد خاتم النبيّين و آله الطّيبين الطّاهرين

و زوج المأمون محمد بن علي الرضا بابتنته^{١٣٢٧}.

و كتب الحسن بن سهل إلى نائبه بالعراق عيسى بن محمد بن أبي خالد يخبره بالبيعة لعلّي الرضا، و يأمره بأخذ البيعة من أهالي بغداد و أن يرغمهم على لبس الخضرة في أقببتهم و قلائسهم و أعلامهم و أنه يمنحهم أرزاق سنة^{١٣٢٨}. فلمّا سمع العباسيون ببغداد، ما فعل المأمون من نقل الخلافة من البيت العباسي إلى البيت العلوي، و تغيير لباس آبائه و أجداده بلباس الخضرة أنكروا ذلك، و خلعوا المأمون من الخلافة غضبا من فعله، و بايعوا عمّه إبراهيم بن المهدي^{١٣٢٩}. و اختار إبراهيم ابن أخيه إسحاق بن موسى بن المهدي ولياً لعهد، و وعد بمنح كلّ فرد عشرة دنانير في أوّل السنّة الهجرية التالية. و لكن الجند شغبوا على إبراهيم و طالبوا بأرزاق سنّة شهر فمنح كلّ جندي مئتي درهم نقداً، على أن يتسلم باقي

أقول و أنا عليّ بن موسى الرضا: إنّ أمير المؤمنين عضده الله بالتداد و وقّعه للرشاد عرف من حقنا ما جهله غيره، فوصل أرحاما قطعت، و آمن نفوسا فزعت، بل أحياءها و قد تلفت، و أغناها إذ افتقرت، مبتغيا رضا ربّ العالمين، لا يريد جزاء من غيره، و سيحزي الله الشاكين، و لا يضيع أجر المحسنين و أنّه جعل ليّ عهده، و الإمرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حلّ عقدة أمر الله بشدّها، و قسم عروة أحبّ الله إيثاقها، فقد أباح حرمة، و أحلّ محرمة، إذ كان بذلك زاريا على الإمام، منتهكا حرمة الإسلام، بذلك جرى السالف، فصير منه على الفتات، و لم يعترض بعدها على العزمات، خوفا على شتات الدين، و اضطراب حبل المسلمين، و لقرب أمر الجاهلية، و رصد فرصة تنتهز، و باقّة تبتر. و قد جعلت لله على نفسي - إن استرعاني أمر المسلمين و قلّدي خلافتي - العمل فيهم عاقبة، و في بني العباس بن عبد المطلب خاصّة، بطاعته و طاعة رسوله صلى الله عليه و آله، و أن لا أسفك دما حراما، و لا أبيع فرجا و لا مالا، إلّا ما سفكته حدود الله و أباحت فرائضه، و أن أتخير الكفاة جهدي و طاقتي.

و جعلت بذلك على نفسي عهدا مؤكدا يسألني الله عنه، فإنّه عزّ و جلّ يقول: *إِنْ أَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا* الإسراء: ٣٤. و إن أحدثت أو غيّرت أو بدّلت كنت للغير مستحقّا و للكمال متعزّضا، و أعوذ بالله من سخطه، و إليه أرغب في التوفيق لطاعته، و الحول بيني و بين معصيته في عافية ليو للمسلمين. و الجامعة و الجفر يدلّان على ضدّ ذلك، و ما أدري ما يفعل بي و لا بكم، إن الحكم إلّا لله يقضي بالحقّ و هو خير الفاصلين لكّني امثلت أمر أمير المؤمنين، و أثرت رضاه، و الله يعصمني و إياه، و أشهدت الله على نفسي بذلك، و كفى بالله شهيدا و كتبت بخطّي بحضرة أمير المؤمنين أطال الله بقاءه، و الفضل بن سهل، و سهل بن الفضل، و يحيى بن أكثم، و عبد الله بن طاهر، و ثمامة بن أشرس، و بشر بن المعتمر، و حمّاد بن التّعمان، في شهر رمضان سنة إحدى و مئتين.

الشهود على الجانب الأيمن:

شهد يحيى بن أكثم على مضمون هذا المكتوب ظهره و بطنه، و هو يسأل الله أن يعزّف أمير المؤمنين و كافّة المسلمين بركة هذا العهد و الميثاق، و كتب بخطّه في التاريخ المبيّن فيه. عبد الله بن طاهر بن الحسين: أثبت شهادتي فيه بتاريخه. شهد حمّاد بن التّعمان بمضمونه ظهره و بطنه، و كتب بيده في تاريخه بشر بن المعتمر: يشهد بمثل ذلك. الشهود على الجانب الأيسر:

رسم أمير المؤمنين أطال الله بقاءه قراءة هذه الصّحيفة - التي هي صحيفة الميثاق، نرجو أن نجوز بها الصّراط - ظهرها و بطنها بحرم سيّدنا رسول الله صلى الله عليه و آله بين الزّوضة و المنبر على رؤوس الأشهاد، برأى و مسمع من وجوه بني هاشم و سائر الأولياء و الأحفاد، بعد استيفاء شروط البيعة عليهم، بما أوجب أمير المؤمنين الحجّ به على جميع المسلمين، و لتبطل الشبهة التي كانت اعترضت آراء الجاهلين، و ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه. - انظر، كشف الغمّة من نسخة قديمة مصحّحة كانت عليها إجازات العلماء الكرام، و كان مكتوبا عليها في هذا الموضوع على الهامش أشياء نذكرها و هي هذه: و كتب بقلمه الشّريف تحت قوله: و الخلافة من بعده « جعلت فداك ». و كتب تحت ذكر اسمه عليه السّلام « وصلتكم رحم و جزيت خيرا ». و كتب عند تسميته بالرّضا « رضي الله عنك و أرضاك و أحسن في الدارين جزاك ».

و كتب بقلمه الشّريف تحت النّاء عليه « أثني الله عليك فأجل، و أجزل لديك الثّواب فأكمل ».

ثمّ كان على الهامش بعد ذلك « العبد الفقير إلى الله تعالى الفضل بن يحيى - عفا الله عنه - قابلت المكتوب الذي كتبه الإمام عليّ بن موسى الرضا صلوات الله عليه و على آله الطّاهرين مقابلة بالذي كتبه الإمام المذكور عليه السّلام حرفا فحرفا، و ألحقت ما فات منه، و ذكرت أنّه من خطّه عليه السّلام و ذلك في يوم الثّلاثاء مستهلّ المحرم من سنة تسع و تسعين و ستمئة الهلالية بواسط، و الحمد لله على ذلك و له المنة، إنتهى ».

^{١٣٢٧} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٨ / ٤، ابن طولون، الشّذرات الدّهية: ٩٧.

^{١٣٢٨} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٣٩ / ٧.

^{١٣٢٩} (٣) انظر، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٩٩، ابن كثير، البداية و النّهاية: ٢٤٨ / ١٠ - ٢٤٩.

إستحقاقاته غلات زراعية^{١٣٣٠}، و قد وصف صاحب المجدي فى أنساب الطالبيين:

إبراهيم بن المهدي بأنه كان «فاضلا شاعرا فصيحاً أديباً مغنياً حاذقاً»^{١٣٣١}.

العدول عن البيعة:

انتشرت الفتن و الإضطرابات فى أرجاء الدولة العباسية، بينما كان المأمون لا يزال مقيماً فى مرو بخراسان، لا يعلم الكثير من أنبائها. و تقدم على الرضا إلى المأمون يخبره «بما فيه الناس من الفتنة و القتال منذ قتل أخيه، و بما كان الفضل ابن السهل يستتر عنه الأخبار، و أن أهل بيته و الناس قد نقلوا عليه أشياء، و أنهم يقولون أنه مسحور مجنون، و أنهم لما رأوا ذلك بايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي بالخلافة^{١٣٣٢}. و استدعى المأمون إليه بعض رجال الدولة ليستفسر منهم عن حقيقة الأمر، فأكدوا ما أنبأه على الرضا به، و ذكروه بوقعة الفضل بن سهل بهرثمة بن أعين الذى أراد أن يحذر المأمون، كما ذكروه بإهمال الخليفة لطاهر بن الحسين الذى أخلص له و خلّصه من أخيه الأمين، ثم نصحوه بالخروج إلى بغداد^{١٣٣٣}.

و علم الفضل بما قاله هؤلاء النصحاء، فأمر بضرب بعضهم كما سجن البعض الآخر، و حاول على الرضا أن يحث الفضل على إطلاق سراحهم، فلم يستجب الفضل لشفاعته فيهم^{١٣٣٤}.

ص: ٤٨٦

ثم كان مصرع الفضل بن سهل^{١٣٣٥}، و قد اختلف المؤرخون فى سبب قتله و فى القائمين بإغتياله و يدفعنا إلى البحث فى ذلك، رغبتنا فى الوقوف على مدى علاقة إغتياله بالبيعة لعلى الرضا بولاية العهد، فقد كان الفضل كما ذكر المؤرخون هو حامل لواء البيعة.

[روايتان حول تدبير المأمون مقتل الفضل]

روى الطبرى روايتين:

أولاهما: تؤكد تدبير المأمون مقتل الفضل فروى أن الفضل حينما وصل مع المأمون إلى سرخس شدّ قوم على الفضل بن سهل و هو فى الحما، فضربوه بالسيف حتى مات، و ذلك فى يوم الجمعة لليلتين خلتا من شعبان سنة (٢٠٢ هـ)، فأخذوا و كان الذين قتلوا الفضل من حشم المأمون و هم أربعة نفر ... و هربوا، فبعث المأمون فى طلبهم، و جعل لمن جاء بهم عشرة آلاف دينار.

^{١٣٣٠} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبرى: ١٤٠ / ٧ - ١٤١.

^{١٣٣١} (٢) انظر، المجدي فى أنساب الطالبيين: ١٩٩.

^{١٣٣٢} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبرى: ١٤٧ / ٧، ابن الأثير، الكامل فى التاريخ: ١١٨ - ١١٩.

^{١٣٣٣} (٤) قالوا: «أن الفضل حسّن لك قتل هرثمة بن أعين، و قد كان ناصحاً لك فعاجله بقتله و أن طاهر بن الحسين مهد لك الأمور، حتى قاد إليك الخلافة بزمامها فطرده إلى

الرقّة و أن الأرض تفتت بالشور و الفتن من أخطارها». انظر، المجدي فى أنساب الطالبيين: ١٧٣.

^{١٣٣٤} (٥) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبرى: ٢٤٧ / ٧.

^{١٣٣٥} (١) انظر، تاريخ يعقوبي: ١٧٩ / ٧ - ١٨٠.

فقالوا للمأمون: «أنت أمرتنا بقتله. فأمر بهم فضربت أعناقهم»^{١٣٣٦}.

أما الرواية الأخرى: التي رواها الطبري فتبري المأمون فروى: «و قد قيل أن الذين قتلوا الفضل لما أخذوا سألهم المأمون، فمنهم من قال أن علي بن أبي سعيد، ابن أخت الفضل، دسهم، و منهم من أنكر ذلك، و أمر بهم فقتلوا»^{١٣٣٧}.

و كان للفضل بن سهل شيعة قوية تؤيده و تنصره، فلما رأوا ما حل به اتهموا المأمون و رموه بالإشتراك في المؤامرة، و شغب قواد خراسان و جنودهم و غيرهم من أنصار الفضل على الخلافة، و تجمعوا ببابه و هموا بإحراقه. و لما رأى المأمون أن حياته مهددة بالخطر. طلب إلى علي الرضا أن يهدىء من ثورة

ص: ٤٨٧

الساخطين. و كان الرضا هو الوسيلة الوحيدة لنجاة الخليفة و تهدئة الخواطر لمحبة أهل خراسان له، و صدقهم في الإخلاص لطاعته^{١٣٣٨}.

و في طوس^{١٣٣٩}، و بينما كان المأمون في طريقه إلى بغداد، كانت نهاية حياة علي الرضا. و قد اختلف المؤرخون أيضا في سبب وفاته و اتهم بعضهم المأمون بإغتياله، فيرى الطبري أن وفاة علي الرضا كانت طبيعية.

فقال: أن المأمون شخص من سرخس حتى صار إلى طوس، لما صار بها أقام بها عند قبر أبيه أياما، ثم أن علي بن موسى، أكل عنبا فأكثر منه فمات فجأة^{١٣٤٠}.

و يذكر المسعودي نفس رواية الطبري السالفة ثم يقول إن هذا العنب كان مسموما^{١٣٤١}. أما الإصفهاني فيؤكد أن علي الرضا مات مسموما، ثم يقول:

«و اختلف في أمر وفاته، و كيف كان سبب السم الذي سقيه»^{١٣٤٢}، ثم روى الإصفهاني رواية تذهب إلى أن المأمون أمر أحد رجاله بأن يطيل أظافره و أنه وضع سما في هذه الأظافر، ثم قام هذا الرجل بعصر بعض الرمان لعلي الرضا، فشربه، فمات بعد يومين. كما يروى الإصفهاني رواية أخرى تذهب إلى أن علي الرضا مات نتيجة أكله عنبا مسموما^{١٣٤٣}. أما صاحب المجدى في أنساب

ص: ٤٨٨

^{١٣٣٦} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٤٨ / ٧.

^{١٣٣٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٢٤٨ / ٧.

^{١٣٣٨} (١) انظر، حسن إبراهيم، تاريخ الإسلام: ٢٦٩ / ٢.

^{١٣٣٩} (٢) و هي المدينة التي دفن بها هارون الرشيد.

^{١٣٤٠} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٥٠ / ٧، الإعتصام بحبل الإسلام للتابعي المصري: ٢٣٩ و ٥٦٩، الكواكب الدرية لعبد الرؤوف المناوي: ١ / ٢٥٦، الهداية الكبرى للخصبي: ٢٨٢، مقاتل الطالبين: ٤٥٧، الفخري: ١٩٩، الأئمة الإثنا عشر لابن طولون: ٩٨، وفيات الأعيان: ٣ / ٢٧٠، تاريخ يعقوبي: ٢ / ٤٥٣.

^{١٣٤١} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٢٨ / ٤.

^{١٣٤٢} (٥) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٦٦.

^{١٣٤٣} (٦) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٦٦.

الطَّالِبِينَ: فِيهِمُ الْمَأْمُونُ صِرَاحَةً فَيَقُولُ أَنَّهُ «دَسَّ إِلَى عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرِّضَا عَلَيْهِ السَّلَامُ سَمًّا فِي عُنْبٍ، وَكَانَ يُحِبُّ الْعُنْبَ فَأَكَلَ مِنْهُ وَاسْتَكْتَرَتْ، فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ»^{١٣٤٤}.

و نحن و إن كنّا نرجح موت عليّ الرضا مسموماً و ما إلّا أننا نبريء المأمون من الإقدام على قتله بالسّم، و قد رأينا موقف المأمون من الزعماء العلويين، و تسامحه معهم و عفوه عنهم. كما كان مصرع عليّ الرضا على يد المأمون سلاحاً ذو حدين فهو و إن كان يهدىء من ثورة العباسيين و أهل بغداد إلّا أنّه يثير مشاعر العلويين و شيعتهم في خراسان^{١٣٤٥}. كما نستند إلى رواية أوردها الإصفهاني و هي:

«دخل المأمون إلى الرضا يعودده فوجده يجود بنفسه فبكى».

و قال: «أعذر عليّ يا أخى بأن أعيش ليومك، و قد كان في بقائك أمل، و أغلظ عليّ من ذلك و أشد أن الناس يقولون أنّي سقيتك سمّاً، و أنا إلى الله من ذلك برىء، فقال له الرضا: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت و الله برىء»^{١٣٤٦}. كما روى الإصفهاني أيضاً أن المأمون استدعى العلويين إليه و أطلعهم على جثمان عليّ الرضا، «و أراهم إيّاه صحيح الجسد لا أثر به»^{١٣٤٧}. كما روى الإصفهاني أن المأمون «أظهر جرحاً شديداً و حزناً كثيراً»^{١٣٤٨}.

و نرجّح أن يكون بعض العباسيين قد حرّضوا من دسّ السمّ لعليّ الرضا في العنّب و قد عرفوا حبّ الرضا له، فقد أراد العباسيون أن يتخلصوا من عليّ الرضا ليمنعوا مشروع تحويل الخلافة إلى البيت العلوي، و هو إجتهاذ منّا لا نجد في

ص: ٤٨٩

المصادر التاريخية القديمة ما يؤيده.

كما يبريء كاتب شيعي المأمون من إغتيال عليّ الرضا:

فيقول: و كان موته مسموماً بعد ذلك كما تزعم الأخبار، و ليس في التاريخ ما يؤيد هذا الرأى و ليس بالبعيد، أن المأمون قد ولّى الرضا عهداً نتيجة لحسن نواياه، و لأنّه عرف الحقّ لأهله و تنكره لسيرة الماضين من آبائه الذين أمعنوا في ظلم أهل البيت قتلاً و سمّاً و تشريداً، و كما لم يثبت التاريخ أن المأمون كان يتصنع في تقريب الإمام و لم يثبت كونه مات بعنّب مسموم أهده إيّاه المأمون و كانت به نهايته^{١٣٤٩}.^{١٣٥٠}

^{١٣٤٤} (١) انظر، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٩٩.

^{١٣٤٥} (٢) انظر، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٩٩.

^{١٣٤٦} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٧١ - ٥٧٢.

^{١٣٤٧} (٤) انظر، المصدر السابق: ٥٦٧.

^{١٣٤٨} (٥) انظر، المصدر السابق: ٥٦٨.

^{١٣٤٩} (١) انظر، هاشم معروف، عقيدة الشريعة الإمامية: ١٦١ - ١٦٢.

لا أريد مناقشة هاشم معروف الحسيني رحمه الله تعالى و لكنّه نسي أو تناسى الحديث «ما منّا إلّا مقتول أو شهيد».

انظر، الصدوق، إعلام الوری: ٢ / ١٣٢، الصدوق، إعتقادات الشيخ الصدوق: ٩٩، المجلسي، البحار: ٥٠ / ٣٣٥ و ٣٣٨، و: ٤٩ / ٢٨٥، الكفعمي، المصباح: ٥١٠، حبيب السّير: ٩٨ / ٢، عيون أخبار الرضا: ٢ / ٢٠٠ - ٢٠٢، الطّوسى، الغيبة: ٢٣٨، إثبات الهداة: ٣ / ٧٥٧، الطّبرسي، تاج المواليد: ٥٩، ابن شهر آشوب، المناقب: ٢ / ٥١، مسند

الإمام الرضا: ١/ ١، ابن الصباغ، الفصول المهمة: ١٠٩٣/ ٢، الإربلي، كشف الغمة: ٣/ ٢٢٧، الحز العمال، وسائل الشيعة: ١٤/ ٥٦٨ ح ٥، التيسابوري، روضة الواعظين: ٢٣٣، الحزاز، كفاية الأثر: ١٦٢ و ٢٧٢. هذا أولاً:

و ثانياً: نذكر له قصة رواها ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة في معرفة الأئمة: ٢/ ٣٤٨ بتحقيقنا، هذه الرواية. قال هرثمة بن أعين- وكان من خدام الخليفة عبد الله المأمون إلا أنه كان محباً لأهل البيت إلى الغاية و يعدّ نفسه من شيعتهم و كان قائماً بخدمة الرضا و جميع مصالحه مؤثراً لذلك على جميع أصحابه مع تقدّمه عند المأمون و قربه منه قال:- طلبني سيدي أبو الحسن الرضا عليه لسلام في يوم من الأيام فقال لي: يا هرثمة إنّي مطلعك على أمر يكون سرّاً عندك لا تظهره لأحد مدّة حياتي، فإن أظهرته حال حياتي كنت خصيماً لك عند الله . فحلفت له إنّي لا أتفوّه بما تقوله لي مدّة حياته -. فقال لي: اعلم يا هرثمة إنّه قد دنا رحيلي إلى الله تعالى و لحوقي بجدي و آبائي، و قد بلغ الكتاب أجله و إنّي اطعم عنباً و رماناً مفروكاً فأموت، و يقصد الخليفة أن يجعل قبري خلف قبر أبيه الرشيد و أنّ الله لا يقدره على ذلك، و أنّ الأرض تشتدّ عليهم فلا تعمل فيها المعاول و لا يستطيعون حفر شيء منها فتكون تعلم. يا هرثمة إنّما مدفني في الجهة الفلانية من الحدّ الفلاني، بموضع عينه له عنده، فإذا أنا متّ و جهّزت فأعلمه بجميع ما قلته لك ليكونوا على بصيرة من أمري، و قل له إن اوضعت في نعشي و أرادوا الصلاة عليّ فلا يصليّ عليّ و ليأني بي قليلاً فإنّه يأتيكم رجل عربي ملثم على ناقه له مصرع من جهة الصحراء عليه و عشاء السفر فينيخ راحلته و ينزل عنها فيصليّ عليّ و صلّوا معه عليّ، فإذا فرغتم من الصلاة عليّ و حملتموني إلى مدفني الذي عينته لك فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجد قبراً مطبقاً معموراً في قعره ماء أبيض، إذا كشفت عنه الطبقات نشف الماء فهذا مدفني فادفوني فيه. و الله الله يا هرثمة أن تحزّ بهذا أو بشيء منه قبل موتي.

قال هرثمة: فو الله ما طالت الأناة حتّى أكل الرضا عند الخليفة عنباً و رماناً مفتوتاً فمات. انظر، هذه الحادثة رويت بعدة مصادر بعضها بشكل مفصّل و البعض الآخر بشكل مختصر، الإعتصام بحبل الإسلام للتابعي المصري: ٢٣٩ و ٥٦٩، الأنوار القدسية للسنهوي: ٣٩، مفتاح النجاة للبلدخشي: ٨٢، الكواكب الدرية لعبد الرؤوف المآوي: ١/ ٢٥٦، نور الأبصار: ٣٢٣، الهداية الكبرى للخصبي: ٢٨٢، مقاتل الطالبين لأبي الفرج الإصبهاني: ٤٥٧، الفخري: ١٩٩، الأئمة الاثنا عشر لابن طولون: ٩٨، وفيات الأعيان: ٣/ ٢٧٠، تاريخ يعقوبي: ٢/ ٤٥٣. و عن أبي الصلت الهروي أنّه قال : دخلت على الرضا و قد خرج من عند المأمون فقال لي : يا أبا الصلت قد فعلوها، و جعل يورخد الله و يمجّده، فأقام يومين و مات في اليوم الثالث. انظر، مقاتل الطالبين: ٤٥٧، مناقب آل أبي طالب: ٤/ ٣٧٤.

قال هرثمة: فدخلت على عبد الله المأمون لما رفع إليه موت أبي الحسن الرضا فوجدت المنديل في يده و هو يبكي عليه فقلت: يا أمير المؤمنين ثمّ كلام أناذن لي أن أقوله لك؟ قال: قل.

قلت: إنّ الرضا أسر إليّ في حياته بأمر و عاهدني أن لا أبوح به لأحد إلّا لك عند موته. - قال: هات، و قصصت عليه القصة التي قالها لي من أوّلها إلى آخرها و هو متعجّب من ذلك، ثمّ أمر بتجهيزه و خرجنا بمنزلة إلى المصلّى و تأتينا بالصلاة عليه قليلاً فإذا بالرجل قد أقبل على يعرج من جهة الصحراء كما قال و نزل و لم يكلم أحداً فصلى عليه و صلى الناس معه، و أمر الخليفة بطلب الرجل فلم يروا له أثراً و لا لبعيره.

انظر، أمالي الشيخ الصدوق: ٥٢٦ ح ١٧، الخرائج و الجرائع للزاوي: ١/ ٣٥٢ ح ٨، عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٤٢ ح ١، البحار: ٤٩/ ٣٠٠ ح ١٠، و: ٨٢/ ٤٦ ح ٣٥، وسائل الشيعة: ٢/ ٨٣٧ ح ٤.

ثمّ إنّ الخليفة قال: نحفر له من خلف قبر الرشيد. فقلت له: يا أمير المؤمنين ألم اخبرك بمقالته؟

قال: نريد ننظر إلى ما قلته، فعجز الحافرون، فكانت الأرض أصلب من الصخر الصوان، و عجزوا عن حفرها و تعجّب الحاضرون من ذلك، و تبيّن للمأمون صدق ما قلته له عنه فقال: أربي الموضوع الذي أشار إليه، فجئت بهم إليه فما كان إلّا أن كشف التراب عن وجه الأرض فظهرت الأطباق فرفعناها فظهر من تحتها قبر معمول و إذا في قعره ماء أبيض، و أعلمت الخليفة فحفر و أبصره على الصفة التي ذكرتها له، و أشرف عليه المأمون و أبصره. ثمّ إنّ ذلك الماء نشف من وقته فواريناه ورددنا فيه الأطباق على حالها و التراب، و لم يزل الخليفة المأمون يتعجّب بما رأى و ممّا سمعه منّي و يتأسّف عليه و يندم، و كلّما خلوت في خدمته يقول: يا هرثمة كيف قال لك أبو الحسن الرضا؟

فاعيد عليه الحديث فيتلهّف و يتأسّف و يقول: إنّ الله و إنّا إليه راجعون. انظر، عيون أخبار الرضا: ٢/ ٢٤٥ ح ١، نور الأبصار للشيخ النجفي: ٣٢٤، أئمة الهدى: ١٢٧، الكواكب الدرية لعبد الرؤوف المآوي: ١/ ٢٥٦، مفتاح النجاة للبلدخشي: ٨٢، الإعتصام بحبل الإسلام: ٢٤٠، الأنوار القدسية للسنهوي: ٤٠، إثبات الهداة للحرّ العاملي: ٦/ ٩٥ ح ٩٨، إعلام الوري: ٣٤٣، كشف الغمة: ٣٣٢، مناقب آل أبي طالب: ٣/ ٤٨١، دلائل الإمامة: ١٧٨، الهداية الكبرى للخصبي: ٢٨٣.

١٣٠٠ ليثي، سميره مختار، جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول، ١ جلد، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي - قم، چاپ: اول، ١٤٢٨ هـ.ق.

و كانت نهاية حياة عليّ الرضا، هي نهاية الإضطرابات و الفتن في بغداد فقد اطمأن أبناء البيت العباسي إلى بقاء الخلافة فيهم إذ أخفق مشروع نقل الخلافة إلى البيت العلوي^{١٣٥١}. و أسرع إبراهيم بن المهدي إلى الفرار حينما علم بقدوم

ص: ٤٩٢

المأمون إلى بغداد^{١٣٥٢}. و كتب المأمون إلى أهالي بغداد، يعلمهم أنهم ما نعموا عليه إلّا ببيعته لعلّ و قد مات . و طلب العباسيون من المأمون أن يعود إلى لبس السواد و ترك الخضرة فرفض طلبهم^{١٣٥٣} فعهد العباسيون إلى زينب بنت سليمان بن عليّ ابن عبد الله بن العباس، بأن تحدث المأمون في ذلك، و كان بنو العباس يقدرونها و يجلوونها، فسألته عن سبب تحويله الخلافة من العباسيين إلى بيت عليّ، فذكرها بموقف عليّ بن أبي طالب من العباسيين، و توليتهم حكم الأمصار، ثمّ قال: و ما رأيت أحدا من أهل بيتي حين أفضى الأمر إليهم كافوه على فعله في ولده، فأحببت أن أكافيه على إحسانه.

فقال له: يا أمير المؤمنين أنّك على برّ بنى عليّ و الأمر فيك أقدر منك على برّهم، و الأمر فيهم ثمّ سألته العودة إلى اتّخاذ السواد، فأجابها إلى ذلك^{١٣٥٤}.

إنفرد المؤرخ طيفور بوصف دخول المأمون بغداد و تمسكه أيّاما بالخضرة^{١٣٥٥} ثمّ تحوّل، هو و حاشيته و جنوده إلى السواد، فقال: «فكانوا يختلفون إلى المأمون في كلّ يوم مسلمين و لباسهم الثياب الخضراء و لم يكن أحد يدخل عليه إلّا في خضرة فمكثوا بذلك ثمانية أيّام، و تكلم فيه بنو هاشم من ولد العباس خاصّة و قالوا له: يا أمير المؤمنين تركت لباس أهل بيتك و دولتهم و لبست الخضرة، و كتب إليه في ذلك قواد أهل خراسان. و تكلم في ذلك دون الناس

ص: ٤٩٣

جميعا لما قدم طاهر بن الحسين فأظهر له الإجابة و لما يفعل و لما رأى طاعتهم له في لباس الخضرة و كراحتهم لها، جلس يوم السبت و عليه ثياب خضر فلما اجتمعوا عنده دعا بسواد فلبسه و دعا بخلعة سواد فكساها طاهر بن الحسين و خلع على عدّة من قواده أقبية و قلانس سواد^{١٣٥٦}.

و لكن الأمور، و إن هدأت في بغداد فهي لا تزال مضطربة في بعض أرجاء الدّولة العباسيّة، فهناك ثورة نصر بن شيث في بلاد الشام، و تحفل مصر بالإضطرابات، و بابك الخرمي ينشر الفرع في أذربيجان و الزّط يعيشون فسادا في مناطق خليج البصرة إلى جانب ثورات الخوارج في خراسان^{١٣٥٧}.

^{١٣٥١} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٦ / ١١٨.

^{١٣٥٢} (١) انظر، تاريخ يعقوبي: ٣ / ١٧٩ - ١٨٠.

^{١٣٥٣} (٢) انظر، السيوطي، تاريخ الخلفاء: ٣٠٧.

^{١٣٥٤} (٣) انظر، المجدي، أنساب الطّالبيين: ٢٠٠.

^{١٣٥٥} (٤) لم تكن الخضرة شعارا للعلويّين، بل كانت شعار الفرس، و كان المأمون يعتمد على العناصر الفارسيّة، و لم يجد المأمون حرجا في الاحتفاظ بالخضرة، بعد مصرع عليّ الرضا، فاللون الأبيض هو شعار العلويّين. انظر، الجهشيارى، الوزراء و الكتاب: ٣١٣.

^{١٣٥٦} (١) انظر، طيفور، بغداد: ٦ / ٢.

^{١٣٥٧} (٢) انظر،

موقف المأمون من العلويين:

استمر الخليفة المأمون يعطف على بيت الإمام عليّ الرضا فاختر أحد اخوته ليحج بالناس، و بعد سنوات زوج ابنته أم الفضل بمحمد بن عليّ الرضا المعروف بالإمام محمد التقي أو الجواد . و كان محمد عند موت أبيه عليّ الرضا في التاسعة من عمره^{١٣٥٨}، و يعيش في المدينة، و أمه ليست أم حبيب بنت المأمون بل أم ولد،

ص: ٤٩٤

يروى البعض أنّها من نسل مارية أم إبراهيم بن الرسول عليه الصلاة والسلام^{١٣٥٩}.

و عاش الإمام محمد فترة في المدينة ثم رحل إلى بغداد، انصر فيها إلى الإشتغال بالعلم، فقد كان المأمون قد بدأ يعتنق مذهب المعتزلة^{١٣٦٠} و بعد وفاة المأمون عاد الإمام محمد إلى المدينة فظل مقيما بها حتى دعاه المعتصم إلى بغداد، و كانت العلاقة بينهما غير ودية، و ما لبث أن مات الإمام محمد، و قيل أنّه مات مسموما، إذ سمّته زوجته أم الفضل بتحريض المعتصم^{١٣٦١}.

و خير ما يصور مشاعر المأمون نحو العلويين، ما جاء في وصيته لولي عهده المعتصم إذ قال له: «... و هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضى الله عنه، فأحسن صحبتهم، و تجاوز عن مسيئتهم، و أقبل من محسنهم، و صلاتهم فلا تغفلها في كل سنة من حملها، فإنّ حقوقهم تجب من وجوه شتى»^{١٣٦٢}.

كما استمر المأمون في إتهاج السياسة التي بدأها منذ أوّل عهده، فقد اعتمد على العناصر الفارسيّة في السياسة و الحكم و الإدارة^{١٣٦٣}، و ظلّ النفوذ الفارسي قائما واضحا في الدولة، و كان جميع وزرائه الذين تولوا بعد مصرع الفضل بن سهل من الفرس.

ص: ٤٩٥

ثورة عليّ بن محمد بن جعفر الصادق و أبي عبد الله أخى أبي السرايا

^{١٣٥٨} (٣) أنكر بعض الشيعة تولي محمد الجواد الإمامة و هو في التاسعة من عمره، و قالوا بضرورة بلوغ الإمام، إذ أنّ التكليف و القضاء و الفصل في أحكام الدين و شرائعه تقتضي أن يكون الإمام بالغا و لكن جماعة أخرى من فرق الشيعة الإمامية الإثني عشرية اعترفت بإمامته، على أن يتولى الصلاة و تنفيذ أحكام الدين غيره ممن يتّصف بالتدين و التفقه، حتّى يصل الإمام إلى سنّ البلوغ.

انظر، الأشعري، مقالات الإسلاميين: ١ / ١٠٢، التوحيدي، فرق الشيعة: ٧٧.

أيضا لا نريد أن نناقش السيدة الدكتور اليبّشي في هذا الكلام الذي نقلته من التوحيدي، و كان الأجدر بما أن نحقق في ذلك القول و نذكر من هؤلاء الذين أنكروا إمامة الإمام محمد الجواد عليه السلام لصغر سنّه و لا بدّ لها أن تعترض أيضا على نبوة عيسى المسيح عليه السلام و يحيى و و الخ.

^{١٣٥٩} (١) انظر، الكليني، أصول الكافي: ٢٠٣.

^{١٣٦٠} (٢) انظر، المجدي في أنساب الطالبين: ٢٠١.

^{١٣٦١} (٣) انظر، الفصول المهمة في معرفة الأئمة لابن الصبّاح المالكي: ٣٧٦ / ٢، بتحقيقنا، تأريخ بغداد:

٣ / ٥٥، الهداية الكبرى للخصبي: ٢٢٠، إثبات الوصية للمسعودي: ٢٢٠، كفاية الطالب: ٣١٠،

^{١٣٦٢} (٤) انظر، ابن جرير، تأريخ الطبري: ٧ / ٢١٠.

^{١٣٦٣} (٥) لم يقطع المأمون صلته ببني سهل، فقد أرسل إلى الحسن بن سهل يعزيه في موت أخيه

موقف الشيعة من المأمون بعد البيعة لعلی الرضا:

كانت ظروف الدولة العباسية، وما سادها من اضطرابات داخلية، من عوامل قيام حركة شيعية جديدة . فالعلويون أبدا يترقبون الفرص للقيام بثوراتهم ضدّ الخلفاء العباسيين، الذين اغتصبوا حقهم في الإمامة . ولم ينجح العلويون و الشيعة في توحيد جهودهم في عهد المأمون، للاستفادة من مشاكل الدولة العباسية، ولذا كانت حركات الشيعة في عهد المأمون حركات صغيرة محدودة، نجح العباسيون في القضاء عليها، ولم نعد نشهد حركات علوية قوية واسعة الانتشار، مثل حركتي محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم في عهد الخليفة المنصور.

في سنة (٢٠١ هـ)، رأى الخليفة المأمون أن يبایع للإمام علی الرضا^{١٣٦٤}، ابن الإمام موسى الكاظم، بولاية العهد . وهو إمام الشيعة الإمامية الاثني عشرية^{١٣٦٥}.

وقد استدعاه المأمون إليه، وأكرم وفادته^{١٣٦٦}، وسمّاه «الرضا من آل محمد».

ص: ٤٩٦

وأمر الجند طرح السواد، شعار العباسيين، واتخذ اللون الأخضر شعارا له وهو شعار الفرس^{١٣٦٧}، وكتب بذلك إلى سائر الأمصار الإسلامية . وكان المأمون لا يزال مقيما في مرو بخراسان، خاضعا لسيطرة وزيره الفارسي ذي الميول الشيعية الفضل بن سهل^{١٣٦٨}. وأدت هذه الأحداث كلها إلى انتشار الاضطرابات في كثير من الأقطار العباسية، وخاصة في بغداد، حيث بايع أهلها سنة (٢٠١ هـ)، إبراهيم ابن الخليفة المهدي بالخلافة^{١٣٦٩}.

أصبح الموقف في الدولة العباسية غريبا متناقضا، خليفة عباسي، وولى عهد علوي يتولى إمامة فرقة كبيرة من فرق الشيعة، وهي فرقة الشيعة الإمامية . وقد أصبح الخليفة محجوبا عليه في قصره، وأصبح الفضل بن سهل الوزير الفارسي صاحب النفوذ. وأصبح شعار الفرس الساسانيين الأخضر هو شعار الدولة العباسية، وكأن الفضل بن سهل أراد إحياء الدولة الفارسية القديمة في ثوب إسلامي جديد . وقد فطن العرب إلى هذه الحقيقة، فقال نعيم بن خازم أحد رجالات العرب، للفضل: «إنك إنما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي، ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويا، ولو لا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده من الهاض إلى الخضرة وهي لباس كسرى أو المجوس»^{١٣٧٠}.

ولذا تساءلت الشيعة : إذا كان المأمون حقيقة يريد إعادة الحق الشرعي المغتصب إلى العلويين، فلماذا لم يتخذ اللون الأبيض شعارهم؟.

و لم تكن البيعة لعلی الرضا ترضى نفوس الشيعة، ولا تقنعهم بالولاء للمأمون،

^{١٣٦٤} (١) انظر، كان مولد الإمام علي الرضا سنة (١٥٣ هـ، و مات سنة ٢٠٣)، و تولى الإمامة عشرين سنة.

^{١٣٦٥} (٢) انظر، القمي، كتاب المقالات: ٩٠.

^{١٣٦٦} (٣) زوج المأمون علي الرضا من أخته أم حبيب. انظر، ابن طولون، الشذرات الذهبية: ٩٧.

^{١٣٦٧} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٤٣/٧، الجهشيار، الوزراء الكتاب: ٣١٢.

^{١٣٦٨} (٢) انظر، رولندسن، عقيدة الشيعة: ١٩٠.

^{١٣٦٩} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٤٣/٧-١٤٤، ابن كثير، البداية و النهاية: ١٠/٢٤٩.

^{١٣٧٠} (٤) انظر، الجهشيار، الوزراء و الكتاب ٣٠٣، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١١١/٦.

فقد اعتبرت الشيعة هذه البيعة وسيلة لتسكين خواطرها، ودفعها إلى الركون إلى الهدوء والسلام، بعد أن تعددت الحركات العلوية، في عهد المأمون وأعتبرت الشيعة مناظرة العلماء للرّضا التي عقدها المأمون في مجلسه لا لإقناع العلماء بتفوق الرّضا عليهم في العلم والفضل، إنّما لإنقاص قدره، فقد كان المأمون يأمل أن يتعثر الرّضا في إجابته على ما أثاره هؤلاء العلماء من مسائل علمية وفقهية^{١٣٧١}.

و لم يعد تودد بعض الخلفاء العبّاسيين إلى آل عليّ بن أبي طالب، أحيانا، موجبا لحسن الظنّ بهم. ولذا ما كانت البيعة لعلّي الرّضا بولاية العهد لتغيّر من عقيدتهم في الإمامة شيئا. وما ذلك عندهم إلّا ابتلاء له لا ثقل عن ابتلاء موسى الكاظم ومحنته بإضطهاد الرّشيد أيّاه فقد أصبح واجبا على الأئمة في عقيدتهم أن يبتلوا بالخفاء، وأن يمتحنوا بسبب إنت مائهم للرّسول و لعلّي بن أبي طالب، ثمّ أن يموتوا الميتة اللّائقة بالأئمة من قتل أو موت بالسّم حتّى ينالوا تقديس شيعتهم^{١٣٧٢}.

بدأت بудар حركة الشيعة الجديدة، حينما كتب المأمون إلى الحسن بن سهل في العراق، يأمره بلبس الخضرة، وأخذ البيعة لعلّي الرّضا بولاية العهد والتّقدم إلى بغداد لحصارها، وإرغام أهلها على الطّاعة للمأمون، والتّكوث عن بيعتهم لإبراهيم بن المهدي^{١٣٧٣}.

و ولي الحسن بن سهل على الكوفة أحد العلويين، وهو العبّاس بن الإمام موسى الكاظم بن الإمام جعفر الصّادق. وأمره بلبس الخضرة، والدّعوة للمأمون، ولولى عهده عليّ الرّضا. ولكن أهل الكوفة، لم يصدقوا نوايا المأمون

التي دفعته للبيعة لعلّي الرّضا بولاية العهد، ولذا رفضوا دعوة واليهم الجديد العلوي، حينما دعاهم للبيعة للخليفة، ولولى العهد، رغم أنّ الوالي هو أخ لعلّي الرّضا، فقال أهل الكوفة: «إن كنت تدعو للمأمون ثمّ من بعده لأخيكم، فلا حاجة لنا في دعوتك، وإن كنت تدعو إلى أخيك، أو بعض أهل بيتك، أو إلى نفسك، أجبنك»^{١٣٧٤}.

وهذه العبارة، توضّح في الحقيقة روح الثّورة الكامنة أبدا في نفوس شيعة الكوفة، منذ عهد عليّ بن أبي طالب، وكان هؤلاء الشيعة يتطلعون إلى الزّعيم الذي يقودهم إلى الجهاد، وإلى النّصر وخابت آمال الشيعة الكوفة في واليهم العلوي، إذ أصرّ على دعوتهم لطاعة المأمون والبيعة لعلّي الرّضا، فأعلنت شيعة الكوفة عصيانها له ونبذها طاعته^{١٣٧٥}.

خرج على طاعة الخليفة المأمون، وعلى طاعة نائبه بالعراق الحسن بن سهل بعض القواد العبّاسيين، مثل سعيد بن السّاجور، وأبو البطّ، و غسان بن أبي الفرج وأعلنوا ولاءهم للخليفة العبّاسيّ الجديد إبراهيم بن المهدي^{١٣٧٦}.

^{١٣٧١} (١) انظر، المظفر، تأريخ الشيعة: ٥٣.

^{١٣٧٢} (٢) انظر، الدكتور أحمد صبحي، عقيدة الإمامة: ٣٨٧.

^{١٣٧٣} (٣) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١١١ / ٦.

^{١٣٧٤} (١) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ١٤٤ / ٧.

^{١٣٧٥} (٢) انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ١٤٤ / ٧، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١١٢ - ١١٤.

^{١٣٧٦} (٣) انظر، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٣، مسكويج، تجارب الأمم: ٤٤١ / ٦، ابن كثير، البداية و التّهاية: ٢٤٩ - ٢٥٠.

و أن قواد المأمون من العرب قد سخطوا عليه لإعتماده على العناصر الفارسية و لرغبته في الخلاص منهم رغم بلائهم معه في قتال أخيه الأمين . كما غضبوا عليه للمكيدة التي دبرها الفضل بن سهل للخلاص من القائد العربي هرثمة بن أعين، و انتهت بأن أمر المأمون بإلقائه في السجن، حيث دس الفضل بن سهل

ص: ٤٩٩

إليه من سمّه^{١٣٧٧}.

كما غضب هؤلاء القواد العرب على المأمون أيضا لموقفه من طاهر بن الحسين الذي عاون المأمون معاونة إيجابية في الخلاص من أخيه الأمين . و قد نقل على الرضا إلى المأمون أخبار هذه الفتنة و الإضطرابات التي سادت الدولة، و خاصة بغداد فدعا المأمون إليه بعض خاصته و أمرائه، و سألهم عن حقيقة الموقف، فقالوا له: «أن الفضل حسن لك قتل هرثمة بن أعين، و قد كان ناصحا لك فعاجله بقتله و أن طاهر بن الحسين مهّد لك الأمور حتى قاد إليك الخلافة بزمائها فطردته إلى الرقة، و أن الأرض تفتقت بالشّرور و الفتنة من أخطارها»^{١٣٧٨}.

و أدى هذا الانقسام الكبير بين صفوف العباسيين إلى ظهور حركة شيعية مناوئة للدولة العباسية و الخليفة المأمون، تزعمها أحد العلويين و هو عليّ بن الإمام محمد بن الإمام جعفر الصادق، الذي تحدثنا عن بيعته في مكة . و انضم إليه أبو عبد الله أخو أبي السرايا، و كثير من الشيعة^{١٣٧٩}.

و رأى هؤلاء الشيعة النّاثرون الانضمام إلى القواد العباسيين الخارجين على طاعة المأمون و المبايعين لإبراهيم بن المهدي لمواجهة والي الكوفة العلوي العباسي ابن موسى بن جعفر، الذي أعلن ولاءه للمأمون.

و أصبح الموقف أيضا غريبا شاذّا، فقد تحالف قواد عباسيون مع الشيعة، كما وقف شيعة الكوفة ضدّ واليها العلوي، و رفضت الإعراف بما أقدم عليه المأمون

ص: ٥٠٠

من البيعة لعلّي الرضا . و أصبحت هناك قوتان عسكريتان، متواجهتان، قوة تمثل تحالف الشيعة مع القواد العباسيين، و قوة أخرى عباسية يقودها أحد أبناء البيت العلوي . و كان أنصار والي العلوي، العباس بن موسى الكاظم، يتخذون الخصرة شعارا لهم، بينما كان العلويون و الشيعة و حلفاؤهم العباسيون يتخذون السّواد، و هو شعار العباسيين القديم، شعارا لهم^{١٣٨٠}.

و دارت معارك عنيفة بين القوتين، و جعل العلويون و حلفاؤهم العباسيون شعارهم «يا إبراهيم يا منصور، لا طاعة للمأمون». أي أن العلويين وجهوا ولاءهم لإبراهيم بن الخليفة المهدي، الذي بايعه بعض العباسيين و أهالي بغداد خليفة بدلا من المأمون!!^{١٣٨١}.

^{١٣٧٧} (١) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١٠٧/٦، أبو الفداء المختصر في أخبار البشر: ٢٣/٢.

^{١٣٧٨} (٢) انظر، المجدي في أنساب الطّالبيين: ١٧٣، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١١٨/٦، مسكوية، تجارب الأمم: ٤٤١-٤٤٢.

^{١٣٧٩} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٤٤/٧، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١٢٠/٦ و يذهب أحد كتّاب الشيعة المظفري، تاريخ الشيعة: ٥٠ أنّ طاهر بن الحسين كان شيعيا.

^{١٣٨٠} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٤٤/٧.

و أدّت هذه المعارك العنيفة إلى إلحاق الأضرار بالكوفة، فقد انتشرت الحرائق بها و ازهقت الأرواح، و عادت بخسائر جسيمة، فاجتمع وجوه القوم بالكوفة، و حصلوا من الثّوار على الأمان للعبّاس بن موسى الكاظم، والى الكوفة . ثمّ قدموا على العبّاس و قاموا له : أنّ عامّة من معك غوغاء، و قد ترى ما يلقي النّاس من الحرق و النّهب و القتل، فأخرج من بين أظهرنا فلا حاجة لنا فيك^{١٣٨٢}.

و تظاهر العبّاس بقبول ما عرضوه عليه، و لكنّه ما لبث أن عاود القتال مرّة أخرى حتّى لحقت به الهزيمة، و دخل الثّوار مدينة الكوفة، و أنزلوا سخطهم على أنصار العبّاس بن موسى، فانتهبوا دورهم، و أحرقوها، حتّى طلب وجوه الكوفة منهم الكفّ عن ذلك.

ص: ٥٠١

ثمّ رأى العبّاسيون، بعد إنتصارهم، أن يتحللوا من مخالفة العلويّين و شيعتهم فولوا على الكوفة الفضل بن محمّد بن الصّباح الكندي، الّذى أقدم على الخلاص من حلفائه العلويّين، فقتل أبا عبد الله أخا أبي السّرايا^{١٣٨٣}.

و يبدو أنّ أهالي الكوفة قد ضاقوا بهذه الإضطرابات الّتي سادت مدينتهم طوال عهد المأمون، و رأوا يعلنوا ولاءهم للمأمون، حتّى تستقر الأحوال في الكوفة . فخرج وفد من أهالي الكوفة، إلى بغداد، و كان المأمون قد قدم إليها من مرو بخراسان، و خلع الخضرة، و عاد إلى السّواد ثانية^{١٣٨٤}.

و مثّل الوفد بين يدي المأمون، فأعرض عنهم، فتقدم شيخ منهم إلى المأمون يقول : «يا أمير المؤمنين: يدك أحقّ يد بتقبيّل، لعلّوها في المكارم و بعدها عن المآثم، و أنت يوسفى العفو في قلّة التّريب، من أراذك بسوء جلعه الله حصيد سيفك، و طريد خوفك، و ذليل دولتك»^{١٣٨٥}. و أعلن المأمون عفوّه من أهالي الكوفة^{١٣٨٦}.

و هكذا انتهت هذه الحركة الشّيعيّة الصّغيرة، فكانت كالوميض الّذى يلمع ثمّ ينطفئ . و هي تختلف تماما عن الحركات الشّيعيّة السّابقة، فقد جمعت الكثير من المتناقضات . و هي في الحقيقة حركة ثأريّة، فقد أراد أبو عبد الله الإنتقام لمصرع أخيه أبي السّرايا، كما أراد عليّ بن محمّد بن جعفر، أن يثأر من المأمون الّذى هزم أباه.

و أنّ عوامل إخفاق هذه الحركة غنية عن البيان، فقد قامت الحركة الشّيعيّة المعتمدة على سواعد القواعد العبّاسيين السّاخطين و أتباعهم و أعترف الشّيعيّة

ص: ٥٠٢

^{١٣٨١} (٢) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١٢٠ / ٦ - ١٢٢.

^{١٣٨٢} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٤٤ / ٧.

^{١٣٨٣} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٤٥ / ٧، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١٢٢ / ٦.

^{١٣٨٤} (٢) انظر، تاريخ يعقوبي: ١٨١ / ٣، ابن خلدون، العبر: ٢٤٩ / ٣.

^{١٣٨٥} (٣) انظر، ابن عبد ربّه، العقد الفريد: ٧ / ٢.

^{١٣٨٦} (٤) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٩ / ٤، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١١٨ / ٦.

بخلافة إبراهيم بن المهدي، و هو أحد أبناء البيت العباسي، كما قاتلت الشيعة أحد أبناء البيت العلوي، و هو والي الحكومة العباسي بن موسى الكاظم. كما انضم إلى صفوف الشيعة الغوغاء و الدهماء، الذين أثاروا مخاوف أهالي الكوفة بما أتوه من تخريب و تدبير. و لم يكن علي بن الإمام محمد بن جعفر الصادق هو الزعيم المنشود المؤهل للقيام بحركة شيعية كبرى، حتى يمكن أن نقول أن أبي عبد الله، أخى أبي السرايا، كان هو الزعيم الحقيقي لحركة الشيعة.

ص: ٥٠٣

ثورات الشيعة في بلاد اليمن

انتشرت حركات الشيعة في العصر العباسي الأول، في كثير من الأمصار الإسلامية، فشهدنا قيامها في الحجاز^{١٣٨٧}، و البصرة^{١٣٨٨}، و بلاد الديلم^{١٣٨٩}، و بلاد المغرب^{١٣٩٠}، و الكوفة^{١٣٩١}. و كان لبلاد اليمن نصيب في هذه الحركات العلوية الشيعية، فقد قامت فيها حركتان شيعيتان، كانتا مقدّمة لتوغل بمذهب الشيعة و استقراره طويلا في بلاد اليمن. و قاد الحركة الأولى إبراهيم بن موسى بن جعفر ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. بينما تزعم الحركة الشيعية الثانية عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب.

عوامل قيام ثورات شيعية في اليمن:

كانت اليمن عند قيام الدولة العباسية من أبرز ولايات الدولة^{١٣٩٢} و كان اليمنيون

ص: ٥٠٤

يمثلون جانبا من الجيش العباسي، و لكن الصراع بينهم و بين المضربة جعل العباسيين يعتمدون على العناصر الفارسية^{١٣٩٣}. و أن أشهر لولة اليمن في مطلع العصر العباسي هو (معن بن زائدة الشيباني)^{١٣٩٤}، في عهد الخليفة المنصور^{١٣٩٥}.

و اهتم المهدي بربط اليمن بالعاصمة بغداد بالبريد^{١٣٩٦}. و ظل النظام الإداري في العصر العباسي الأول، و حتى عصر الخليفة هارون الرشيد نظاما مركزيا، فلم يكن لولاية اليمن السلطة الكامل في التأريخ التي كانت لولاية الدولة الأموية، و تراوحت

^{١٣٨٧} (١) قامت حركة محمد النفس الزكية في عهد المنصور في المدينة، كما قامت حركة الحسين بن علي في عهد الخليفة الهادي في المدينة، و امتدت إلى ملّة، و كان كثير من العلويين يعيشون في الحجاز و خاصة المدينة.

^{١٣٨٨} (٢) قامت حركة إبراهيم أخي النفس الزكية في البصرة في عهد المنصور.

^{١٣٨٩} (٣) قامت حركة يحيى بن عبد الله في بلاد الديلم في عهد الرشيد.

^{١٣٩٠} (٤) ظهرت حركة إدريس بن عبد الله في بلاد المغرب في عصر هارون الرشيد.

^{١٣٩١} (٥) مثل حركات محمد بن إبراهيم و أبي السرايا، و علي بن محمد جعفر الصادق و أبي عبد الله أخي أبي السرايا

^{١٣٩٢} (٦) كانت الولايات في عهد أبي العباس هي: ١- الكوفة و السواد. ٢- البصرة و إقليم دجلة و البحرين و عمان. ٣- الحجاز و اليمامة. ٤- اليمن.

٥- الأهواز و تشمل خوزستان، و سجستان. ٦- فارس. ٧- خراسان. ٨- الموصل. ٩- الجزيرة و أرمينية و أذربيجان. ١٠- سورية. ١١- مصر و أفريقية (تونس). ١٢- السند).

^{١٣٩٣} (١) انظر، حسن إبراهيم، اليمن: ٥٥، فُكر المنصور في تأسيس الكرخ جنوبي بغداد ليعيد عنه خطر جوده من اليمامة و المضربة.

^{١٣٩٤} (٢) انظر، الفخري في الآداب السلطانية: ١٤٧.

^{١٣٩٥} (٣) ولى المنصور معن بن زائدة حكم اليمن مكافأة له على إنقاذ حياته حينما واجه المنصور الزنادقة الزاوندية، كان معه من قبل من رجال الأمويين. انظر، المجدي في أنساب الطالبيين: ١٤٧-١٥٦.

^{١٣٩٦} (٤) انظر، ابن الأثير، الكامل في التأريخ: ٦/ ٢٦، السيوطي، تأريخ الخلفاء: ٢٧٣.

مدّة حكم ولاية اليمن بين عامين أو ثلاثة أعوام، ممّا كان له أثره في توقف الإصطلاحات، و اضطراب قبائل اليمن^{١٣٩٧}. و
 وضع هذا الإضطراب في عهد والي الطّبري بن عطاء^{١٣٩٨}، خال الخليفة الرّشيد و واليه على اليمن، و قد حكم نحو ثلاثة
 أعوام^{١٣٩٩}. و من ولاية اليمن في عهد الرّشيد بد الله بن مصعب الزّبيرى، و هو الذى اتّهم الإمام العلوى يحيى بن عبد الله
 بأنّه دعاه إلى البيعة له،

ص: ٥٠٥

و كانت سعائته بيحيى من عوامل تنكيل الرّشيد به^{١٤٠٠}، و شهدت بلاد اليمن في عهد الرّشيد ثورة بعض القبائل بزعامّة
 الهيصم بن عبد المجيد^{١٤٠١}، كرد فعل لمظالم و قسوة والي حماد البربرى^{١٤٠٢}.

و بدأت بوادر إضطرابات سادت اليمن في عهد الخليفة المأمون، و قد مهدت هذه الإضطرابات لقيام حركات الشّيعيّة في
 بلاد اليمن. فقد ولى المأمون على اليمن يزيد بن جرير^{١٤٠٣}، الذى بدأ سياسة إضطهاد و تركيل بكثير من أهالى اليمن^{١٤٠٤}، و
 خاصّة بالأبناء الفرس، الذين انحدروا من الفرس في زمن الإحتلال الفارسى لبلاد اليمن قبل الإسلام^{١٤٠٥}. و أسرف المأمون
 في تولية و عزل الولاة العبّاسيين، ممّا جعل الإضطرابات في اليمن تزيد و تستفحل^{١٤٠٦}.

ص: ٥٠٦

ثورة إبراهيم بن موسى الكاظم:

و فى سنة (٢٠٠ هـ)، شهدت بلاد اليمن حركة شيعيّة، قام بها إبراهيم بن الإمام موسى الكاظم، و ظهرت هذه الحركة فى
 نفس الوقت الذى قامت فيه فى الكوفة حركة محمّد بن إبراهيم، بن طباطبا و أبى السّرايا، التى درسناها فى هذا الباب.

فقد خرج إبراهيم بن موسى من مكّة إلى بلاد اليمن فى جماعة من أهله، للسيطرة عليها . و كان والي اليمن حينئذ هو
 إسحق بن موسى العبّاسيّ، و رغم إنتمائه إلى البيت العبّاسيّ، فقد آثر السّلامة، فأثر أن يغادر الولاية بدون مواجهة إبراهيم
 بن موسى، و قتاله^{١٤٠٧}. و نجح إبراهيم فى السيطرة على بلاد اليمن، و بدأ يحكمها.

^{١٣٩٧} (٥) انظر، الكسبي، اللّطائف السّنيّة (مخطوط) ورقة ٧-٨.

^{١٣٩٨} (٦) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦/ ٤٤٩، أنباء الزّمن لإسماعيل بن أحمد بن عليّ المتوكّل (مخطوط): ٢٠.

^{١٣٩٩} (٧) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦/ ٤٤٩، يحيى بن الحسين، أنباء الزّمن في أخبار اليمن ورقة «٢٠».

^{١٤٠٠} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٦/ ٤٥٢-٤٥٤، المسعودي، مروج الذهب: ٣/ ٣٠١-٣٥٣، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٤٧٤-٤٧٦، المجدي في أنساب
 الطّالبيين: ١٧٦-١٧٧.

^{١٤٠١} (٢) انظر، المصادر السّابقة، قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون، و مخطوط ورقة ١٠.

^{١٤٠٢} (٣) انظر، يحيى بن الحسن، أنباء الزّمن: (مخطوط) ورقة «٢٠»، ابن الدّيب، قرّة العيون (مخطوط) ورقة «١٠».

^{١٤٠٣} (٤) و هو يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري، انظر، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى في أخبار القطر اليماني: مخطوط، ورقة «١٩-آ».

^{١٤٠٤} (٥) انظر، ابن الدّيب، بقیة المستفيد: ورقة «١٠».

^{١٤٠٥} (٦) انظر، يحيى بن الحسين، غاية الأمانى: ورقة «١٩-آ».

^{١٤٠٦} (٧) ولى المأمون بعد عزله يزيد بن جرير، واليا آخر سنة (١٩٥ هـ)، و هو عمر بن إبراهيم بن راقد، الذى حكم عاما واحدا، ثم ولى المأمون سنة (١٩٦ هـ)، واليا آخر، فلم
 يحكم سوى أسابيع قليلة، ثم ولى المأمون فى نفس السّنة (١٩٦ هـ) إسحق بن موسى العبّاسيّ فاستمر يحكم حتّى سنة (١٩٨ هـ). انظر، ابن الدّيب، بصيغة المستفيد: ورقة «١١
 مخطوط»، الواسعي، فرجة الهموم و الحزن في حوادث و تاريخ اليمن: ١٤٩.

^{١٤٠٧} (١) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٧/ ١٢٤، ابن الدّيب، قرّة العيون (مخطوط) ورقة «١١»، عمارة اليماني، تاريخ اليمن: ١٣٤.

و لكن إبراهيم بن موسى، أساء الحكم، و نكل بأهالي اليمن، حتّى اطلقوا عليه اسم (الجزّار)، فقال الطّبري: «كان يقال لإبراهيم بن موسى (الجزّار) لكثرة من قتل باليمن من النّاس و سبي و أخذ من الأموال»^{١٤٠٨}.

و رأى الخليفة المأمون مواجهة هذه الحركة الشّيعيّة، و لكنّه اكتفى بعزل واليه إسحق بن موسى العبّاسيّ، و تولية محمّد بن عليّ بن موسى بن ماهان . و لم يفكر المأمون في إنفاذ الجيوش إلى اليمن، و نفسّر ذلك بإنشغال المأمون بكثير من المشاكل و الإضطرابات و الثّورات، على النّحو الذي شهدناه في الفصول السّابقة إلى جانب بعد بلاد اليمن عن مركز الخلافة، و وعورة الطّرق، و خاصّة أنّ هذه الحركة الشّيعيّة في اليمن كانت امتدادا لحركة محمّد بن إبراهيم و أبي السّرايا، و هي من أخطر حركات الشّيعيّة التي رأى المأمون التّفرغ لمواجهتها و القضاء عليها^{١٤٠٩}.

ص: ٥٠٧

و أخفق الوالي العبّاسيّ الجديد، محمّد بن عليّ بن عيسى بن ماهان، في القضاء على حركة إبراهيم بن موسى، و إعادة الإستقرار و الأمن في اليمن، و بدأ عجز المأمون واضحا، فقد اعترف بولاية إبراهيم بن موسى ع لى اليمن، و عزل محمّد بن عليّ بن عيسى بن ماهان^{١٤١٠}، و لكن محمّد بن عليّ رفض تنفيذ قرار عزله^{١٤١١}، و ثارت حماسه لمواجهة حركة الشّيعيّة في ميدان القتال. و التقى الفريقان و دارت الدّائرة على إبراهيم بن موسى الكاظم. و ترتب على هذه المعركة الحامية تخريب مدينة صعدة^{١٤١٢}.

و اعتزّ محمّد بن عليّ بن عيسى بن ماهان بانتصاره على حركة الشّيعيّة و اعتبر نفسه محرر اليمن، و لذا رأى أن يتمسك بحكم اليمن، و رفض مرّة أخرى تنفيذ أمر الخليفة المأمون حين عزله عن الولاية، و ولّى بدله عيسى بن يزيد الجلودي، و التقى الواليان في قتال عنيف، و انتهت المعركة بهزيمة محمّد بن عليّ بن عيسى ابن ماهان، و فراره إلى مكّة، حيث توارى عن الأنظار، لمُدّة عام و نجح الجلودي في إنقاذ من قبض عليه و سجنه^{١٤١٣}.

ثورة عبد الرّحمن بن أحمد العلوي:

أمّا الحركة الشّيعيّة الثّانية في بلاد اليمن، فقد قاد لواءها عبد الرّحمن بن أحمد ابن عبد الله بن حمد بن عمر بن عليّ بن أبي طالب سنة (٢٠٧ هـ)، مستفيدة من

ص: ٥٠٨

^{١٤٠٨} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١٢٤ / ٧.

^{١٤٠٩} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ١١٧ / ٧ و ما بعدها، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٢٥ و ما بعدها.

^{١٤١٠} (١) انظر، قرّة العيون بأخبار اليمن الميمون: ورقة «١١»، عمارة اليمن تأريخ اليمن: ١٣٤، تأريخ الطّبري: ١٣٤ / ٧.

^{١٤١١} (٢) انظر، ابن الدّيب، قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون (مخطوط) ورقة «١١».

^{١٤١٢} (٣) انظر، حسين بن عليّ الويسي، اليمن الكبرى: ١ / ٢٥٨.

^{١٤١٣} (٤) انظر، ابن الدّيب، قرّة العيون في أخبار اليمن الميمون (مخطوط) ورقة «١١».

الإضطرابات الداخلية في اليمن، و النزاع القبلي بين قبائلها العديدة و اتخذت هذه الحركة منطقة عك^{١٤١٤} و زبيد مركزا للثورة^{١٤١٥}، و انضمت إليها قبيلتا الأشاعر^{١٤١٦} و عك^{١٤١٧}. و ذكر الطبري أن سبب قيام الثورة هو مظالم الولاة العباسيين في بلاد اليمن، مما أثار سخط الأهالي، فبايعوا عبد الرحمن الذي جعل دعوته للرضا من آل محمد^{١٤١٨}.

لم تكن ظروف الدولة العباسية السائدة حينئذ تسمح بنجاح هذه الحركة الشيعية الجديدة، فقد هدأت الأمور إلى حد ما، إذ خرج المأمون من مرو إلى عاصمته بغداد، و نجح في القضاء على الفتن التي سادت بغداد سنوات عديدة، و اختفى إبراهيم بن المهدي الذي كان أهل بغداد قد بايعوه بالخلافة، بعد أن ظل خليفة سنة و أحد عشر شهرا^{١٤١٩}. ثم كانت نهاية عليّ الرضا، الإمام العلوي و وليّ

ص: ٥٠٩

العهد، و عودة المأمون إلى اتخاذ السواد شعارا بدلا من الخضره^{١٤٢٠} و نجاح المأمون في الخلاص من كثير من أعدائه و الخارجين على طاعته، مما فصلنا الحديث عنه في الفصول السابقة.

و رأى المأمون، و قد ضاق بتكرار حركات الشيعة، أن يقف من هذه الحركة الشيعية الجديدة التي قامت في اليمن، موقفا حازما حاسما، فبعث قائده دينار بن عبد الله على رأس جيش كثيف، و أعطاه أمانا للتأثر العلوي. و خرج دينار قاصدا إلى بلاد اليمن، و راسل عبد الرّحمن العلوي، و عرض عليه الأمان و أثر التأثير العلوي، أن يقبل هذا الأمان، و يكفّ عن المقاومة. و خرج عبد الرحمن في صحبة دينار إلى بغداد، فوصلها في آخر ذي القعدة سنة (٢٠٧ هـ)^{١٤٢١}.

أدت هذه الحركة الشيعية التي قامت في اليمن، إلى تغيير كبير في معاملة المأمون للعويين، فقد كان المأمون لا يزال يعامل الطالبين معاملة تناسب إعتقاده في فضل جدّهم عليّ بن أبي طالب، حتّى خرج عليه عبد الرحمن العلوي في اليمن «فمنع المأمون عند ذلك الطالبين من الدّخول عليه، و أمر بأخذهم بلبس السّواد»^{١٤٢٢}.

^{١٤١٤} (١) انظر، صفة جزيرة العرب للهمداني: ٥٥٤.

^{١٤١٥} (٢) دولة بني زياد «مركزها زبيد» (٢٠٥-٤٠٢ هـ، ٨٢٠-١٠١١ م).

محمد بن عبد الله بن زياد (٢٠٥-٢٤٢ هـ).

إبراهيم بن محمد بن عبد الله (٢٤٢-٢٨٩ هـ).

إسحاق بن إبراهيم بن محمد (٢٨٩-٣٩١ هـ).

الحسين بن سلامة (٣٩١-٤٠٢ هـ).

^{١٤١٦} (٣) قبيلة الأشاعر (أو الأشاعرة) قبيلة كهلانية قحطانية، تنتسب إلى الأشعر بن أزد بن يشجب ابن عريب بن زيد بن كهلان بن سبأ، و يسكنون المناطق حول مدينتي القحمة و الحصب. انظر، الهمداني، صفة جزيرة العرب: ٥٥٤، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب: ٣٠٦.

^{١٤١٧} (٤) عك: قبيلة كهلانية عدنانية، تنتسب إلى عكّ بن الدّيث بن عدنان بن أزد. و كانت القبيلة تسكن المناطق المحيطة بمدن زيد و الكوراء في تهامة اليمن. انظر، ياقوت، معجم البلدان: ٧٣٥/٢.

^{١٤١٨} (٥) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٦٨/٧.

^{١٤١٩} (٦) انظر، تاريخ يعقوبي: ١٧٩-١٨٠، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ١١٨/٦.

^{١٤٢٠} (١) انظر، المجدي في أنساب الطالبين: ٢٠٠، طيفور، بغداد: ٢/٦.

^{١٤٢١} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٦٨-١٦٩.

^{١٤٢٢} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ١٦٩/٧.

ثم بدأ المأمون يضع سياسة ثابتة جديدة لحكم بلاد اليمن، ومنع أي حركة شيعية قد تقوم فيها . فرأى المأمون أن يختار واليا على اليمن يتّصف بالقوة والحزم وأشار عليه وزيره الحسن بن سهل بإختيار أحد أحفاد زياد بن أبيه^{١٢٢٣}،

ص: ٥١٠

الوالي الأموي المعروف، و هو محمد بن إبراهيم الزبّادي . و وليّ المأمون سليمان ابن هشام بن عبد الملك الأموي وزيرا للزبّادي^{١٢٢٤}. و هكذا أصبح الوالي و وزيره ينتسبان إلى الأمويين، و نحن نعرف عداءهم الشديد للبيت العلوي.

و نجح الوالي الجديد، محمد بن إبراهيم، في فتح تهامة، و اختط مدينة زييد و اتخذها عاصمته^{١٢٢٥} و قضى على روح التمرد عند القبائل اليمنية، و تتبع أنصار العلويين و شيعتهم، فقد كان كما وصفه ابن خلدون^{١٢٢٦} شديد البغض لآل علي بن

ص: ٥١١

أبي طالب.

و ازداد نفوذ محمد الزبّادي، و نجح في إرساء قواعد حكم بني زياد لليمن الذي اتّصف بأنّه حكم ذاتي و إستقلال داخلي، مع استمرار الخطبة للخلفاء العباسيين، و حمل الخراج و الهدايا إليهم^{١٢٢٧}. و حكم محمد الزبّادي اليمن طوال حياته، و توارث ابنائه الحكم، ثمّ تولى الحكم بعض مواليتهم حتّى سنة (٥٥٣ هـ)، و يطلق على هذه الدولة اسم الدولة الزبّادية^{١٢٢٨}، و هي أول الدول المستقلة التي شهدتها بلاد اليمن^{١٢٢٩}، و توطد هذا الإستقلال مع ضعف الدولة العباسية.

^{١٢٢٣} (٤) كان زيد في أول حياته مشايخا لعلي بن أبي طالب، و يتولى حكم فارس، و بعد قيام الدولة الأموية - رأى معاوية بن أبي سفيان الإستفادة من جهود زياد. فاستلحقه و نسبته إلى أبيه أبي سفيان بن حرب، فأصبح يطلق عليه زياد بن أبي سفيان)، و زياد واحد من دهاة العرب الأربعة الثلاثة الآخرون هم: معاوية، و عمرو بن العاص، و المغيرة بن شعبة).

و لسنا بصدد بيان كلّ ما قاله صلى الله عليه و آله في هؤلاء و في أسرهم كالحكم بن أبي العاص و عقبة بن أبي معيط و غيرهما و نكتفي برواية الطبري من حوادث سنة (٥١ هـ) و الكامل لابن الأثير: ٢٠٢ - ٢٠٩ و ابن عساکر: ٢ / ٣٧٩ و الشيخ محمود أبو ريّة: ١٨٤ - ١٨٥ ما نقلوه عن الحسن البصري أنّه كان يقول: أربع خصال كنّ في معاوية و لو لم يكن فيه مخرجٌ إلّا واحدة لكانت موقفة: انتزاعه على هذه الامة بالسفهاء حتّى ابتزها أمرها بغير مشورة و فيهم بقايا و ذوو الفضيلة، و استخلافه ابنه بعده سكريرا خميرا يلبس الحرير و يضرب الطناوير و أدعيائه زيادا و قد قال رسول الله « الولد للفراش و للعاهر الحجر، و قتله حجرا و أصحابه، و يل له من حجر و أصحابه، و يل له من حجر و أصحابه». انظر، تاريخ الطبري: ٤ / ٢٠٢، و التنبلاء: ١ / ٢٣٧، و مسند أحمد: ٤ / ٤٢١، و وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٦، و المعجم الكبير للطبراني: ١ / ٤٢٧، و العقد الفريد: ٤ / ٣٤٥، الإستيعاب:

٤١٢، و اسد الغابة: ٣ / ١٠٦، و تهذيب ابن عساکر: ٧ / ٢٠٦، و الإصابة: ٢ / ٢٦٠، و الطبقات الكبرى: ٤ / ٢٢٢، و صفوة الصفوة: ١ / ٢٣٨، و سيرة ابن هشام: ٤ / ١٧٩.

^{١٢٢٤} (١) انظر، عمارة اليمن، تأريخ اليمن: ١٨٥.

^{١٢٢٥} (٢) كان هناك واد يسمى وادي زييد، بنى فيه محمد الزبّادي مدينة جديدة فسماها (زييد) نسبة إلى هذا الوادي، و تقع في تهامة اليمن، و معظم سكانها من الأشاعر. انظر، عمارة اليمن، تأريخ اليمن: ٣٦ - ٣٧، العقيلي، المخلاف السليماني: ١ / ١٠٧.

^{١٢٢٦} (٣) انظر، ابن خلدون، العبر: ٢ / ٢٤٣.

^{١٢٢٧} (١) انظر، ابن الدبّيع، بغية المستفيد (مخطوط) ورقة «٤٥».

^{١٢٢٨} (٢) انظر، عمارة اليمن في تأريخ اليمن: ٢٠٣.

^{١٢٢٩} (٣) انظر، عمارة اليمن، تأريخ اليمن: ٢٠٢.

و قد حكم محمد الزيدى بتفويض من المأمون، و عن رغبة منه فى تدعيم سلطته، فقد أمده المأمون بألف فارس، كان من بينهم سبعة من الخراسانيين، و اتسعت الدولة الزيدية، فشملت حضر موت، و ديار كنده، و الشحر، و برباط، و لحج، و عدن، و التّهائم^{١٤٣٠}.

و هذه السياسة التى اختطها المأمون فى بلاد اليمن، تشبه سياسة أبيه هارون الرشيد حينما ولى إبراهيم بن الأغلب التميمي على أفرقية و منحه من النفوذ ما جعله يقيم دولة الأغلبية فى هذا البلاد، لتكون هذه الدولة حاجزا بين الخلافة العباسية و بين الأدراسة العلويين بالمغرب الأقصى و توارث الأغلبية الحكم حتى سنة (٢٥٦ هـ)، حتى قضت الدولة الفاطمية، و هى دولة علوية شيعية، على دولة الأغلبية^{١٤٣١}.

ص: ٥١٢

و ما لبثت أن ضعفت الدولة الزيدية فى بلاد اليمن، و أصبح فى بلاد اليمن بعد سنة (٢٦٨ هـ)، ثلاث إمارات : الإمارة الزيدية فى زبيد، و بنو يعفر فى صنعاء، و دولة بنى الرّس (الزيدية) فى صعدة^{١٤٣٢}. و قد لقي المذهب الزيدى رواجاً و قبولاً فى اليمن، لما اتّصف من به روح التسامح و القبول لكل الآراء ما دام لها ملتصق من هدى النبى صلى الله عليه و آله^{١٤٣٣}. و قد انتقل المذهب الزيدى إلى اليمن على يد الإمام الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم، و هو من أحفاد الحسن بن على، و أقبل أهالى اليمن على بيعته سنة (٢٨٤ هـ)^{١٤٣٤}، ممّا يخرج عن نطاق بحثنا . كما بدأ انتشار المذهب الإسماعيلي فى اليمن على يد الدّاعيين على بن فضل اليمنى، و ابن حوشب فى أواخر القرن الثالث الهجرى ممّا يخرج أيضاً عن نطاق هذا البحث^{١٤٣٥}.

ص: ٥١٣

ثورة محمد بن القاسم فى عهد الخليفة المعتصم

^{١٤٣٠} (٤) انظر، الدّوري، دراسات فى العصور العباسية المتأخرة: ١٢-١٦.

^{١٤٣١} (٥) انظر، الحضري، تاريخ الأمم الإسلامية: ١٩١ / ٢.

^{١٤٣٢} (١) حسين بن فيض الهمداني اليعبري، الصّليحيون و الحركة الفاطمية: ٢٨.

^{١٤٣٣} (٢) انظر، أبو زهرة، الإمام زيد: ٤٨٩.

^{١٤٣٤} (٣) انشأ الإمام الهادي الإمارة الزيدية سنة (٢٨٨ هـ). انظر، العقيلي، المخلاف السليماني: ٣٤٨ / ١.

هو أبو الحسين يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن ع لى بن أبي طالب عليه السّلام الملقّب بالهادي إلى الحق، و هو المؤسس للمذهب الزيدي فى اليمن (ت ٢٩٨ هـ).

ولد بالمدينة عام (٢٤٥ هـ) و أخذ العلم عن أبيه الحسين، و عن عمّيه محمد و الحسين (الهادي واليا و مجاهدا و فقيها) عبد الفتاح شايف نعمان، نقلا عن الجامع الو جيز للجنداري: ١٥٩، سيرة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين، عليّ العباسي العلوي : ٣٨٦، أئمة اليمن محمد بن محمد زيارة : ١٠، غاية الاختصار الحسيني : ٢٩. انظر العقيلي، المخلاف السليماني: ٣٤٨ / ١.

^{١٤٣٥} (٤) بدأ انتشار المذهب الإسماعيلي فى عهد أبي الجيش إسحق بن إبراهيم الزيدى حوالي سنة (٢٩١ هـ). انظر، اليعبري، الصّليحيون و الحركة الفاطمية فى اليمن: ٣٢.

تولّى المعتصم^{١٤٣٦} الخلافة العباسية في رجب سنة (٢١٨ هـ)، فأصبح ثامن الخلفاء العباسيين^{١٤٣٧}، الذي واجهوا حركات الشيعة ونشاطهم، ففي مطلع السنة التالية (٢١٩ هـ) قامت حركة شيعية تزعمها محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب، وهي حلقة في سلسلة حركات الشيعة الزيدية.

فقد كانت فرقة الشيعة الزيدية أكثر فرق الشيعة نشاطا و حركة و ميلا إلى الثورة، فضلا عن اتساع نطاق انتشار تعاليمها . و هذا يرجع إلى كثرة تلاميذ الإمام زيد بن علي، المنبشرين في سائر الأمصار الإسلامية . إذ أن زيدا لم يلتزم

ص: ٥١٤

المدينة في إقامته، بل انتقل منها إلى البصرة ثم إلى الكوفة^{١٤٣٨}، حيث تتلمذ عليه كثير من الفقهاء والعلماء، الذين أصبحوا معلمين لغيرهم^{١٤٣٩}. كما أن زيدا - كما تذهب الشيعة الزيدية - كان أول من دون الفقه و صنّفه و بوّه رغم أن العصر الأموي، كما نعلم، ليس عصر تدوين العلوم^{١٤٤٠}.

^{١٤٣٦} (١) و هو أبو إسحق محمد المعتصم، و أمّه أم ولد تسمى (ماردة)، و قد تولّى حكم الشام و مصر في عهد أخيه المأمون، و قد رأى المأمون توليته عهده، بدلا من ابنه العباس. لما كان يتمتع به المعتصم من شجاعة و خلق حميد و خبره و بصيرة. ابن جرير، تاريخ الطبري: ٦/ ٢٢٣، الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد: ٤/ ١١٢، الثقات لابن حبان: ٢/ ٣٢٩، ابن الأثير، الكامل في التاريخ: ٦/ ٥٢٥، وفيات الأعيان و فوات الوفيات: ٤/ ٤٨، ابن قتيبة، المعارف: ٣٩٢.

^{١٤٣٧} (٢) أطلق على المعتصم اسم المثنى فهو الثامن من ولد العباس، و الثامن من الخلفاء، و تولّى الخلافة في القامنة عشرة من عمرة، و كانت خلافته ثمانية سنين و ثمانية أشهر و توفي في الثامنة و الأربعين من عمرة و غزا ثمان غزوات، و خلف ثمانية ملاتين وهم. انظر، المجدي في أنساب الطالبين: ٢٠٩.

^{١٤٣٨} (١) انظر، أبو زهرة، الإمام زيد: ٢٢٨.

^{١٤٣٩} (٢) أصبح أولاد زيد، عيسى، و محمد، و حسين، و يحيى، أساتذة أيضا لكثير من الفقهاء، و أصبح عيسى أستاذا لسفيان الثوري، و من أشهر تلاميذ زيد منصور بن المعتمر الفقيه المحدث.

^{١٤٤٠} (٣) من أبرز كتب الإمام زيد كتاب (المجموع من الفقه) و كتاب (المجموع في الحديث) و قد جمعهما أبو خالد عمرو بن خالد الواسطي في كتاب واحد و هو (شرح المجموع)، ثم طبعه عن مخطوطة له في روما. انظر، أبو زهرة، الإمام زيد: ٢٣٢ - ٢٣٣، و يذكر الشهرستاني، الملل و النحل: ١/ ٥٩ أنّ الواسطي من أصحاب أبي الجارود. إنّ القرينة و العبقرية الفذة التي يمتاز بها أهل البيت عليهم السلام و منهم الشهيد الإمام زيد بن علي عليه السلام ملأت الدنيا في نواحي الفقه، و الأصول، و الأدب، و الأخلاق، و غيرها من العلوم الأخرى، و لو لا النبوغ لما صح لهم من الآثار و المآثر حتى جندت الأفلام لتدوين ما جادت به قرائحهم، رغم الظروف الإعلامية من تعميم و تشريد و تشكيل مما لحق بهم، و لم يدون غير ما دون من العلوم، و الروايات رغم تعاقب الأجيال، و بعد العهد، و تفرق الكتب و ضياعها، و رغم ذلك فقد وجدنا ما هو منسوب إلى الإمام زيد رضي الله عنه عند علماء الزيدية كتب كثيرة منها:

١. المجموع الفقهي: برواية أبي خالد الواسطي، و قد جمعه بعد ذلك أبو القاسم عبد العزيز بن إسحاق البغدادي (المتوفى ٣٦٣ هـ) و هو من علماء الزيدية، و قد رواه عن سليمان بن إسماعيل بن عبيد المحاربي عن نصر بن مزاحم المنقري عن إبراهيم بن الزرقان عن أبي خالد الواسطي عن الإمام زيد بن علي . و هو من الكتب القديمة و الذي قال عنه جولد تسيهر: «إن صح ما وصل إلينا من المصنفات الفقهية هو من مؤلفات الشيعة الزيدية».

انظر، الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير: ١/ ١٠ و ٥٨.

و انظر، ١٠٣. E. P. TT. ioV. hkiF trA ,mais fO aideapolcycn

و يصف علي حسن عبد القادر هذا الكتاب بقوله: «و لا شك أنّ مقارنة مجموع الفقه بمثل الموطأ، - و كتب الحنفية، تعطينا ملاحظات على جانب من الأهمية في الحكم على مجموع الفقه، فهو في ترتيبه أعلى كعبا من الموطأ».

انظر، نظرة عامة في تاريخ الفقه الإسلامي: ١٨٠.

٢. المجموع الحديثي: و هو مختص بالحديث فقط، أيضا برواية أبي خالد الواسطي.

انظر، الروض النضير شرح مجموع الفقه الكبير: ١/ ٨.

٣. تفسير غريب القرآن: رواه عن الإمام زيد رضي الله عنه عطاء بن السائب.

٤. إثبات الوصية: رواها عنه رضي الله عنه خالد بن محمد، موجود تحت رقم (٩٨٧١) بمكتبة برلين.

٥. قراءته الخاصة: و هي قراءة مفردة، مروية عنه كما يقول الحميري، و قد جمع قراءة الإمام زيد بن علي رضي الله عنه أبو حيان التوحيدي في كتاب: (التبليغ في قراءة الإمام زيد بن علي) و قد ذكره بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي في قراءة الإمام زيد بن علي رضي الله عنه.

و توجد لزيد بن علي رضي الله عنه، مخطوطتان كبيرتان بمكتبة برلين في تفسير القرآن الكريم

الأولى بعنوان (غريب القرآن المجيد)، و هي تحت رقم (١٠٢٣٧)، و الثانية: (مدخل إلى القرآن و تفسير آيات مختارة منه)، و هي تحت رقم (١٠٢٢٤).

الزَّعِيمُ العلوي الجديد:

وصف الإصفهاني محمد بن القاسم بأنه «كان من أهل العلم و الفقه و الدِّين و الزَّهد و حسن المذهب»^{١٤٤١}، و قد كانت عامّة النَّاس تلقبه الصَّوْفِي، لأنَّه كان يَدْمَن لبس الثَّياب من الصَّوْف الأبيض، و وصفه المسعودي بقوله: «و كان بالكوفة من العبادة و الزَّهد و الورع في نهاية الوصف»^{١٤٤٢}.

و كان محمد بن القاسم يذهب إلى القول بآراء المعتزلة في العدل و التَّوْحِيد، و ينادى بآراء الزَّيدية الجارودية، التي تنسب إلى أبي الجارود^{١٤٤٣}. و قد ذهبت هذه الفرقة إلى أنَّ النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و آلِهِ نصَّ على إمامة علي بن أبي طالب بالوصف دون التَّسمية، و قد قصَّر النَّاس حيث لم يتعرفوا الوصف، و لم يطلبوا الوصف و إنما نصبوا أبا بكر إماماً، فكفروا بذلك، و آراء أبي الجارود هذه تخالف آراء الإمام

زيد بن علي^{١٤٤٤}.

بدأ ظهور محمد بن القاسم في ناحية الرِّقَّة، حيث التَّف حولَه جماعة من وجوه الزَّيدية و نحن نفسر اتِّخاذَه الرِّقَّة في أوَّل ظهوره، بأنَّ هذه المنطقة منذ فترة قصيرة تضطرم بنيران الثَّورة، فقد اتَّخذها نصر بن شيبث مركزاً لنشاطه الثَّوري، و هو رجل

انظر، تأريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣ / ٣٢٣.

٦. قراءة جدّه عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام: رواها عنه عمر بن موسى الوحيهي.

انظر، التَّوضيُّح التَّضْيِير شرح مجموع الفقه الكبير: ١ / ١١٧، تفسير غريب القرآن المجلد المخطوط بمكتبة برلين تحت رقم (١٠٢٣٧).

٧. كتاب مدح القلَّة و ذمَّ الكثرة: رواه خالد بن صفوان.

انظر، التَّأريخ الكبير: ٣ / ١٥٦، الأعلام للزَّركلي: ٢ / ٢٣٨.

٨. مناسك الحجّ. موجود تحت رقم (١٠٣٦٠) بمكتبة برلين.

٩. قطعة في التَّفسير: رواها عنه رضی اللّٰه عنه عبد الله بن عليّ.

انظر، طبقات الزَّيدية نقلاً عن التَّوضيُّح التَّضْيِير شرح مجموع الفقه الكبير: ١ / ١١٧.

١٠. الجدل مع المرجئة: رسالة تتعلّق بالعقيدة موجود تحت رقم (١٠٢٦٥) بمكتبة برلين.

انظر، مخطوطة رقم (١٠٢٦٥) بمكتبة برلين نقلاً عن تأريخ الأدب العربي لبروكلمان: ٣ / ٣٢٤.

١١. الرِّدَّة على القدرية من القرآن. - انظر، الفرق بين الفرق للبغدادي: ٣٦٣، أصول الدِّين للبغدادي: ٣٠٧.

١٢. رسالة في تثبيت الإمامة: موجود تحت رقم (٢٠٦) من المتحف البريطاني.

١٣. كتاب الصَّفوة و هو في أح فاد التَّيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ و آلِهِ، و هو الكتاب الوحيد الذي بمدنا بمعلومات عن آراء الإمام زيد و أفكاره، و أوجه الخلاف بين الم سلمين. ذكره

بروكلمان تحت رقم (١٢٠٣) المتحف البريطاني.

انظر، الإمام زيد بن عليّ، كتاب الصَّفوة ورقة «١».

١٤. رسالة في حقوق الله: مخطوط تحت رقم (١٠٢٧) بمكتبة الفاتيكانيَّة الثَّالث. و طبع أخيراً في مجلة علوم الحديث، العدد السَّادس، السَّنة الثَّالثة (١٤٢٠ هـ)، بتحقيق السيّد

محمد رضا الحسيني الجلاي.

^{١٤٤١} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطَّالبيين: ٥٧٨.

^{١٤٤٢} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٤ / ٥٢.

^{١٤٤٣} (٣) هو زيد بن أبي زياد كما يسميه الشَّهرستاني و زيد بن المنذر العبدي كما يسميه التَّوَيْخِي، و يسمّى أيضاً سرحوب، و كان ضريراً، و مات سنة (١٥٠ هـ). انظر، الملل و

التَّحل: ١ / ٢٥٧، التَّوَيْخِي، فرق الشَّيعة: ٤٨.

^{١٤٤٤} (١) انظر، الشَّهرستاني، الملل و التَّحل: ١ / ١٥٧ - ١٥٨، البغدادي، الفرق بين الفرق: ٢٢ - ٢٥، التَّوَيْخِي، فرق الشَّيعة: ٤٨.

عربي ثار ضد المأمون، إذ أنكر عليه إعماده التأم على العناصر الفارسيّة، و تعصب نصر للأمين - كما رأينا - حثّه على البيعة لإمام علوى، فرفض ذلك، و حصر هدف ثورته فى الدّفاع عن العنصر العربى^{١٤٤٥}.

و من الرّقة، بعث محمّد بن القاسم إلى المناطق المجاورة يستحث أهلها على الإنضمام إليه، فاستجاب لدعوته أربعون ألفاً، فأخذ أنصاره البيعة له منهم ثمّ نزل محمّد فى قلعة حصينة فى جبل حريز قرب م - رو بخراسان، ثمّ رحل بعد فترة إلى الطّالقان على بعد أربعين فرسخاً من مرو^{١٤٤٦}.

اتّخذ محمّد بن القاسم من الطّالقان مركزاً لدعوته، حتّى أصبح يطلق عليه اسم «صاحب الطّالقان»^{١٤٤٧}، و أخذ يدعو إلى الرّضا من آل محمّد «فاجتمع إليه بها ناس كثير»^{١٤٤٨}. و علم عبد الله بن طاهر بإسفحال نفوذ محمّد بن القاسم، فبعث

ص: ٥١٨

قائد شرطته الحسين بن نوح على رأس بعض الجند، فلاحقت بهم الهزيمة، و استشاط ابن طاهر غضباً، و بعث بجيش يقوده نوح بن حيّان بن جبلة، كان نصيبه الهزيمة أيضاً، فأمدّه ابن طاهر بقوات أخرى كثيرة، نجحت فى التّغلب على قوات محمّد ابن القاسم الذى رأى الإنسحاب إلى مدينة (نسا)^{١٤٤٩}، حيث اختفى بها، و تفرق أنصاره فى المناطق المجاورة يدعون إليه.

و علم عبد الله بن طاهر بمكان اختفاء محمّد بن القاسم، و رأى أن يبدأ جولة جديدة من الصّراع، فعهد بأمر الثّائر العلوى إلى أحد قواده الكبار، و هو إبراهيم ابن غسان بن الفرّج العودى، الذى نجح فى إلحاق الهزيمة بمحمّد بن القاسم و قبض عليه، و رحل به حتّى أسلمه إلى ابن طاهر فى نيسابور^{١٤٥٠}.

أبقى القائد عبد الله بن طاهر الثّائر العلوى إلى جانب ثلاثة أشهر «يريد بذلك أن يعمى خبره على النّاس، كيلا يغلب عليه لكثرة ما بايعه بكور خراسان»^{١٤٥١}.

و كان ابن طاهر يوجّه فى كلّ ليلة بغالا عليها قباب، تغادر نيسابور إلى جهات متفرقة، حتّى يوهم النّاس أنّها تحمل الأسير إلى الخليفة. و فى إحدى اللّيالى المظلمة أمر ابن طاهر قائده إبراهيم بن غسان بحمل محمّد بن القاسم إلى

ص: ٥١٩

الخليفة المعتصم فى بغداد^{١٤٥٢}.

^{١٤٤٥} (٢) قال نصر للعلويّين: إنّما هواي في بني العباس، و إنّما حاربتهم محاماة عن العرب لأنهم يقدّمون عليهم العجم . انظر، تاريخ الطّبري ج ٧ أحداث سنة ٢٠٥ هـ إلى سنة ٢١٠ هـ، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١٠١ / ٤ و ما بعدها.

^{١٤٤٦} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٧٩.

^{١٤٤٧} (٤) صاحب الطّالقان: محمّد بن القاسم بن عليّ بن عمر الأشرف بن عليّ بن زين العابدين (ت ٢٥٠ هـ).

^{١٤٤٨} (٥) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٢٢٣ - ٢٢٤.

^{١٤٤٩} (١) نسا: مدينة بخراسان، و كان تسمّى بهذا الاسم أنّ المسلمين لما فتحوا خراسان قصدوها، و هرب منها أهلها عدا النّساء . حتّى إذا دخلها المسلمون و لم يروا بها رجالاً قالوا: هؤلاء نساء، و النّساء لا يقاتلن فننسيء أمرها الآن إلى أن يعود رجال ممّن تركوها و مضوا، فسموا بذلك (نسا) و النّسبة إليها (نسائي). انظر، معجم البلدان لياقوت: ٨ /

٢٨٢ - ٢٨٣.

^{١٤٥٠} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٨٢، و يذكر الطّبري: ٢٢٤ / ٧، أنّ عامل نسا رشاً أحد أنصار محمّد بن القاسم بعشرة آلاف درهم فدلّه على مكانه.

^{١٤٥١} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٨٤.

و أمر الخليفة المعتصم بأن تنزع القبة من فوق الدابة التي يمتطيها محمد بن القاسم، كما أمر بأن يجرد من عمامته، فيدخل بغداد حاسر الرأس، تصغيراً من شأنه، و قد تألم محمد بن القاسم لذلك أكثر ممّا تألم حينما قبض العباسيون عليه . و دخل محمد إلى بغداد على هذا النحو في أواخر شهر ربيع الثاني سنة (٢١٩ هـ) ١٤٥٣.

تصادف يوم وصول محمد بن القاسم إلى بغداد، إن كان أهلها يحتفلون بعيد النيروز، جرياً على عادة العباسيين في الإحتفال بالأعياد الفارسية^{١٤٥٤} و دخل ابن

ص: ٥٢٠

القاسم على الخليفة المعتصم في مجلسه الذي عقده للإحتفال بهذا العيد، و كان بعض الرأقيين يؤدي رقصاتهم، و روى الإصفهاني أن الخليفة المعتصم كان يمرح و يضحك، بينما بكى محمد بن القاسم، و قال : اللهم أنك تعلم أنني لم أزل حريصاً على تغيير هذا و إنكاره.

أمر الخليفة خادمه مسرور الكبير بحبس محمد بن القاسم، فحبسه في محبس ضيق طوله ثلاث أذرع، و عرضه ذراعان، و بعد ثلاثة أيام نقلوه إلى موضع أوسع من ذلك، و أجرى عليه طعاماً، و وكل به قوما يحفظونه.

و في ليلة عيد الفطر، انتهز محمد بن القاسم فرصة إنشغال القائمين على سجنه بالإحتفال بهذه الليلة، للفرار من سجنه^{١٤٥٥}. و أصيب مسرور الخادم بالدّعر، و بات يترقب عقاب الخليفة له، و خرج إليه يحمل النبأ، فقال المعتصم له : لا بأس عليك، إن كان ذهب فلن يفوت، إن ظهر أخذناه، و إن آثر السلامة و استتر تركناه^{١٤٥٦}.

و اختلف المؤرخون حول مصير محمد بن القاسم، فيذكر الطبري أنه اختفى «فلم يعرف له خبر»^{١٤٥٧}، و روى الإصفهاني عدة روايات، تذهب رواية منها إلى أنه رجع إلى الطالقان فمات بها، و تذهب رواية أخرى إلى أنه انحدر إلى واسط، حيث اشتد عليه المرض فمات، و تذكر رواية ثالثة أن محمد بن القاسم توارى أيام المعتصم و الواصل، ثم قبض عليه في عهد المتوكل، حيث أمر بسجنه فمات

^{١٤٥٢} (١) يذكر الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٨٤ أن محمد بن القاسم حمل إلى بغداد بينما يذكر الطبري:

٧/ ٢٢٤ أن الثائر العلوي «حبس فيما ذكر بسامراء» و نحن نشك في تلك الرواية، إذ أن الطبري يذكر أن ابن القاسم قدم إلى المعتصم، في ربيع الآخر سنة (٢١٩ هـ)، و المعروف أن المعتصم شرع في تخطيط سامراء في سنة (٢٢١ هـ). انظر، مادة سامراء في معجم البلدان لياقوت.

سامراء: بلدة على نحو ١٢٠ كيلومتراً شمال بغداد، على ضفة دجلة الشرقية، تقوم بلدة سامراء الحديثة فوق جزء ضئيل من أطلال عاصمة بني العباس القديمة الممتدة أطلالها مسافة طويلة إلى شمالها و جنوبها و شرقها. و هي اليوم مركز قضاء واسع من أفضية محافظة بغداد. استست زمن المعتصم (٢١٨ - ٢٢٧ هـ) لجعلها عاصمة له ثم أوصلها إلى أقصى اتساعها المتوكل (٢٣٢ - ٢٤٧ هـ).

و من أهم آثارها: بقايا دار الخليفة، و المنارة الملوية التي انشأت مع المسجد الجامع الكبير على عهد المتوكل . و في قلب المدينة: الروضة العسكرية حيث ضريح الإمامين الهادي و الحسن العسكري عليهما السلام و عليه قبة طلعت بالذهب سنة (١٢٨٥ هـ). انظر، موسوعة العتبات المقدسة قسم سامراء: ١٢.

^{١٤٥٣} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٧/ ٢٢٤، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٨٤.

^{١٤٥٤} (٣) النيروز: عيد فارسي قديم، أول السنة الفارسية، و يقع عند الاعتدال الربيعي و دخول الشمس في برج الحمل، أي عند أول فصل الربيع، و كان الفرس يتبادلون فيه الهدايا و اعتادوا أن يرش بعضهم بعضاً بالماء، و يرجع الفرس ذلك الع يد إلى عثور النبي سليمان على خاتمة بعد ضياعه منه مما أدى إلى عودة ملكه إليه . انظر، البيروني، الآثار الباقية: ٢١٦ - ٢١٧.

^{١٤٥٥} (١) روى الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٨٦ أن محمد بن القاسم طلب مقرضاً لقصّ أضافوه، و قام بتقطيع الفراش على شكل سيور صنع منها سلّم، استخدمه في الفرار من نافذة سجنه. انظر، تاريخ الطبري: ٧/ ٢٢٤.

^{١٤٥٦} (٢) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبيين: ٥٨٦ - ٥٨٧.

^{١٤٥٧} (٣) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٧/ ٢٢٤، نادى منادي المعتصم في الطرقات يعد كل من يدل على ابن القاسم بمئة ألف درهم.

ص: ٥٢١

في السّجن^{١٤٥٨}.

و كانت حركة محمّد بن القاسم هي خاتمة حركات الشيعة في العصر العبّاسيّ الأوّل، فقد ركن العلويون إلى الهدوء بقية عهد المعتصم. و ذهب أتباع محمّد بن القاسم إلى : «أنّ محمّدا لم يمّت و أنّه حيّ يرزق، و أنّه يخرج فيملؤها عدلا كما ملئت جورا، و أنّه مهدي هذه الأمة، و أكثر هؤلاء بناحية الكوفة، و جبال طبرستان، و الدّيلم و كثير من كور خراسان»^{١٤٥٩}.

عوامل الإخفاق:

و قد نتساءل عن عوامل إخفاق حركة محمّد بن القاسم، و رغم اتّساع نطاقها و كثرة أنصارها، في أوّل قيامها، و نرى أنّ الإخفاق يرجع إلى عدّة عوامل، نذكر منها قوّة الدّولة العبّاسيّة في عهد الخليفة المعتصم، و قد وصف صاحب المجدي في أنساب الطّالبيين : المعتصم بأنّه كان سديد الرّأي، شديد المنّة، موصوفا بالشّجاعة^{١٤٦٠}. و من هذا العومل أيضا، اعتماد المعتصم على القائد عبد الله بن طاهر الذي كان من أعظم القواد العبّاسيّين و هو القائد الذي نجح في مواجهة جيش الخليفة الأمين ممّا انتهى بمصرعه و خلاص المأمون منه^{١٤٦١}، و هو الذي أخمد ثورة نصر بن شيث أيضا رغم قوتها و عنفها^{١٤٦٢}، و هو الذي أرسله المأمون

ص: ٥٢٢

إلى مصر سنة (٢١٠ هـ)، لإخماد ثورة المصريّين^{١٤٦٣} و قد وصف المعتصم بن طاهر، فق ال عنه «فهو الرّجل الذي لم ير مثله»^{١٤٦٤}.

و من عوامل إخفاق محمّد بن القاسم أيضا، مناداته بآراء الزّيدية الجارودية التي لم تكن ترضى كثيرا عن الزّيدية، و خاصّة زيدية الكوفة. و يقول النّوبختي عن أبي الجارود، رأس هذه الفرقة : «و لقبه سرحوب ... و كان أبو الجارود أعمى البصر، أعمى القلب ...»^{١٤٦٥}. و يقول الشّهرستاني عن اختلاف الجارودية في سوق الإمامة : «و اختلفت الجارودية في التّوقف و السّوق فساق بعضهم الإمامة من علىّ إلى الحسن، ثمّ الحسين، ثمّ إلى علىّ بن الحسين زين العابدين، ثمّ إلى ابنه زيد بن علىّ، ثمّ منه إلى الإمام محمّد بن عبد الله بن الحسن (النّفس الزّكيّة) و الذين قالوا بإمامة محمّد بن عبد الله الإمام، اختلفوا فمنهم من قال أنّه لم يقتل و هو بعد حيّ، و سيخرج فيملا الأرض عدلا، و منهم من أقرّ بموت، و ساق الإمامة إلى محمّد

^{١٤٥٨} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٥٨٧-٥٨٨.

^{١٤٥٩} (٢) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٥٣/٤.

^{١٤٦٠} (٣) انظر، المجدي في أنساب الطّالبيين: ٢٠٩.

^{١٤٦١} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٧٦/٧ و ما بعدها.

^{١٤٦٢} (٥) انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ١٠١/٤ و ما بعدها.

^{١٤٦٣} (١) انظر، المقرئ، الخطوط: ٢/٤٩٢، قام عبد الله بن طاهر في مصر بعدة اصلاحات، منها زيادته في جامع عمرو بن العاص

^{١٤٦٤} (٢) انظر، ابن جرير، تاريخ الطّبري: ٧/٣١٤، ذكر المعتصم هذا الوصف في عبارات طويلة عبّر فيها عن ندمه على الإستعانة بالأتراك، و قارن بين رجاله الأتراك و رجال أخيه المأمون و منهم عبد الله ابن طاهر.

^{١٤٦٥} (٣) انظر، النّوبختي، فرق الشّيعه: ٤٨.

بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن الحسين بن علي صاحب الطالقان، و منهم من قال بإمامة يحيى بن عمر صاحب الكوفة، فخرج ودعا الناس واجتمع عليه خلق كثير، و قتل في أيام المستعين»^{١٤٦٦}.

و كانت الشيعة الإمامية تبغض الشيعة الزيدية من أتباع أبي الجارود، فقد لعنه

ص: ٥٢٣

الإمام جعفر الصادق^{١٤٦٧}. كما تبرأ منه من قبل الإمام محمد الباقر^{١٤٦٨}.

و من أبرز عوامل إخفاق حركة محمد بن القاسم ميله إلى آراء المعتزلة إذ نادى بالعدل و التوحيد^{١٤٦٩}، و هما من أبرز تعاليم جماعة المعتزلة، ممّا يدفعنا إلى تخصيص فصل في هذا الباب لدراسة الصّلات العقائدية بين فرق الشيعة و جماعة المعتزلة. و خاصّة أنّ الخلفاء (المأمون و المعتصم و الواثق) وافقوا المعتزلة فيما ذهبوا إليه من أنّ القرآن مخلوق^{١٤٧٠}.

الشيعة في عهد الواثق بالله:

كان الواثق بالله، الخليفة العباسي التاسع، و آخر خلفاء العصر العباسي الأول^{١٤٧١} و قد تولى الخلافة سنة (٢٢٧ هـ)، بعد وفاة أبيه المعتصم، و لم يشهد عصره حركات شيعية، و يرجع ذلك إلى عدّة أسباب.

كانت مدة خلافة الواثق قصيرة فهي أقل من ست سنوات، و استمرت في عهده السياسة التي بدأها أبوه المعتصم، و هي الاعتماد على العناصر التركية، و هي بعيدة عن التشيع و كان الواثق كما وصفه صاحب المجدي في أنساب الطالبين : «من أفاضل خلفائه - أي العباسيين - و كان فاضلا لبيبا فطنا فصيحاً شاعراً، و كان يتشبه بالمأمون في حركاته و سكناته»^{١٤٧٢}.

ص: ٥٢٤

و كانت الشيعة الزيدية قد تلقت ضربة عنيفة في عهد المعتصم بعد إخماد ثورة محمد بن القاسم، و جرت عادة الشيعة على أن يركنوا إلى الهدوء بعد تلقيهم هذه الضربات، و يضمّدوا فيها الجراح، و يستعيدون نشاطهم ... و ينتظرون ظهور زعماء جدد من العلويين يقودونهم على طريق النّضال. فقد باتت الشيعة الزيدية تتربّع زعيماً جديداً، حتّى وجدته في يحيى بن عمر الذي سيثور في عهد المستعين، في العصر العباسي الثاني . أمّا الشيعة الإمامية، فقد فقدت إمامها محمداً الجواد سنة

^{١٤٦٦} (٤) انظر، الشّهستاني، الملل و النحل: ١/ ١٥٨ - ١٥٩.

^{١٤٦٧} (١) انظر، المصدر السابق: ١/ ١٦٢.

^{١٤٦٨} (٢) انظر، التّوحي، فرق الشيعة: ٤٨ - ٤٩.

^{١٤٦٩} (٣) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٧٨.

^{١٤٧٠} (٤) انظر، ابن جرير، تاريخ الطبري: ٧/ ١٩٥ - ١٩٧.

^{١٤٧١} (٥) هو هارون الواثق بالله، و أمّه أم ولد رومية تسمّى قراطيس).

^{١٤٧٢} (٦) انظر، المجدي في أنساب الطالبين: ٢١٥ - و يسمّيه السيوطي: «المأمون الأصغر». انظر، تاريخ الخلفاء: ٢٢٧.

(٢١٠ هـ)، أى فى السنّة التّالية لتولية المعتصم الخلافة، و كان الحج واد عند وفاته فى الخامسة والعشرين من عمره . و كان بعض الشّيعّة قد أنكروا على محمّد الجواد زواجه من أمّ الفضل ابنة الخليفة العبّاسيّ المأمون^{١٤٧٣}.

ص: ٥٢٦

^{١٤٧٣} (١) غم المأمون كما قال ابن الصّبّاغ المالكي فى الفصول المهمّة فى معرفة الأئمّة : ٢ / ٣٦٩، بتحقيقنا نصّاً بالحرف الواحد: «على أنّه يزوّجه ابنته أمّ الفضل و صمّم على ذلك، فبلغ ذلك العبّاسيين فغلظ عليهم و استكبروه و خافوا أن ينتهي الأمر معه إلى ما إنتهى مع أبيه الرّض ا، فاجتمع الأكابر من العبّاسيين الدّالّين على الخليفة و دخلوا عليه و قالوا: ننشدك الله يا أمير المؤمنين إلّا ما رجعت عن هذه التّية و صرفت خاطرك عن هذا الأمر، فإنّا نخاف و نخشى أن يخرج عنّا أمر قد ملّكناه الله و ينزع منّا عزّاً ألبسنه الله تعالى و يتحوّل إلى غيرنا، و أنت تعلم ما بيننا و بين هؤلاء القوم و ما كان عليه الخلفاء من بعدهم و قد كنّا فى وهلة من عملك مع الرّضا كما عمل ت حتّى كفانا الله تعالى المهّم من ذلك، فالله الله أن تردّنا إلى غمّ قد انحسر عنّا، و اصرف رأيك عن ابن الرّضا و اعدل إلى من تراه من أهل بيتك ثمّن يصلح لذلك فقال لهم المأمون: أمّا ما بينكم و بين آل أبي طالب فأنتم السّبب فيه، و لو أنصفتهم القوم لكانوا أولى بالأمر منكم و أمّا ما كان من استخلاف الرّضا فقد درج الرّضا إلى رحمة الله و كان أمر الله قدرا مقدورا. و أمّا ابنه محمّد فأخبرته لتبريزه على كافّة أهل الفضل فى العلم و الحلم و المعرفة و الأدب مع صغر سنّه. فقالوا: إنّ هذا صبيّ صغير السنّ و أيّ علم له اليوم أو معرفة أو أدب؟ فأهمله يتفقّه يا أمير المؤمنين ثمّ أضع به ما شئت. قال: كأنّكم تشكّون فى قولي إن شتمت فاحتبروه أو ادعوا من يختبره ثمّ بعد ذلك لوموا فيه أو اعدروا، قالوا و تتركنا و ذلك يا أمير المؤمنين؟. قال: نعم، قالوا: فيكون ذلك بين يديك يترك من يسأله عن شيء من أمور الشّريعة فإنّ أصاب لم يكن فى أمره لنا اعتراض و ظهر للخاصّة و العاقبة سديد رأي أمير المؤمنين، و إن عجز عن ذلك كفينا خطبه و لم يكن لأمر المؤمنين عذر فى ذلك. فقال لهم المأمون: شأنكم و ذلك متى أردتم فخرجوا من عنده.

و اجتمع رأيهم على القاضى يحيى بن أكثم أن يكون هو الذى يسأله و يمتحنه و قرّروا ذلك مع القاضى يحيى و وعدوه بأشياء كثيرة متى قطعه و أحجّله، ثمّ عادوا إلى المأمون و سألوه أن يعيّن لهم يوما يجتمعون فيه بين يديه لمسألته، فعين لهم يوما فاجتمعوا فى ذلك اليوم بين يدي أمير المؤمنين المأمون، و حضر العبّاسيون و معهم القاضى يحيى بن أكثم، و حضر خواصّ الدّولة و أعيانها من امرائها و حجابها و قوادها، و أمر المأمون بأن يفرش لأبي جعفر محمّد الجواد عليه السّلام فرشاً حسناً و أن يجعل عليه مسورتان، ففعل ذلك، و خرج أبو جعفر فجلس بين المسورتين، و جلس القاضى يحيى مقابله، و جلس النّاس فى مراتبهم على قدر طبقاتهم و منازلهم فأقبل يحيى بن أكثم على أبي جعفر فسأله عن مسائل أعدّها له، فأجاب بأحسن جواب و أبان فيها عن وجه الصّواب بلسان ذلق و وجه طلق و قلب جسور و منطق ليس بهيّ و لا حصور، فعجب القوم من فصاحة لسانه و حسن اتساق منطقته و نظامه فقال له المأمون: أجدت و أحسنت يا أبا جعفر، فإن رأيت أن تسأل يحيى كما سألك و لو عن مسألة واحدة فقال ذلك إليه يا أمير المؤمنين؟.

فقال يحيى يسأل يا أمير المؤمنين فإن كان عندي فى ذلك جواب أحببت به و إلّا استفتدت بالجواب، و الله أسأل أن يرشد للصواب فقال له أبو جعفر عليه السّلام: ما تقول فى رجل نظر إلى امرأة فى أوّل التّهار بشهوة فكان نظره إليها حراماً عليه، فلمّا ارتفع التّهار حلّت له، فلمّا زالت الشّمس حرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر حلّت له، فلمّا غربت الشّمس حرمت عليه، فلمّا دخل وقت العشاء الآخرة حلّت له، فلمّا انتصف الليل حرمت عليه،— فلمّا طلع الفجر حلّت له، فيماذا حلّت هذه المرأة لهذا الرجل؟ و بماذا حرمت عليه فى هذه الأوقات؟.

فقال يحيى بن أكثم: لا أدري، فإن رأيت أن تنيدنا بالجواب فذلك إليك. فقال أبو جعفر: هذه أمة لرجل من النّاس نظر إليها بعض من النّاس فى أوّل التّهار بشهوة فكان نظره إليها حراماً، فلمّا ارتفع التّهار ابتاعها من مولاها فحلّت له، فلمّا كان وقت الظّهر أعنتها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العصر تزوّجها فحلّت له، فلمّا كان وقت المغرب ظاهر منها فحرمت عليه، فلمّا كان وقت العشاء الآخرة كفّر عن الظّهار فحلّت له، فلمّا كان نصف اللّيل طلقها طليقة واحدة فحرمت عليه، فلمّا كان الفجر راجعها فحلّت له

فأقبل المأمون على أهل بيته قال: هل فيكم أحد يستحضر أن يجيب عن هذه المسائل بمثل هذا الجواب؟ فقالوا: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. فقال: قد عرفتم الآن ما كنتم تنكرونه و تبينّ فى وجه القاضى يحيى الخجل و التّغيير بحيث عرف ذلك كلّ من فى المجلس قال المأمون: الحمد لله على ما منّ به عليّ من السّداد فى الأمر و التّوفيق فى الرّأي و أقبل على أبي جعفر و قال : إنّى مزوّجك ابنتي أمّ الفضل و إن رغم ذلك انوف قوم فاحطب لنفسك فقد رضيتك لنفسى و ابنتي.

فقال أبو جعفر: الحمد لله إقراراً بنعمته و لا إله إلّا الله إخلاصاً لوحديته، و صلّى الله على سيّدنا محمّد صلّى الله عليه و آله سيّد برّيته و الأصفياء من عترته أمّا بعد، كان من فضل الله على الأنام أن أغناهم بالحلال عن الحرام فقال تعالى: ١\ وَ أَتَكْبَحُوا الْأَيَّامَ مِنْكُمْ وَ الصّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَ إِمَائِكُمْ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُجْهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَ اللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ. E. التّور: ٣٢.

ثمّ إنّ محمّد بن عليّ بن موسى خطب إلى أمير المؤمنين ابنته أمّ الفضل و قد بذل لها من الصّداق مهر جدّته فاطمة بنت محمّد صلّى الله عليه و آله و هو خمسمائة درهم جيّداً فهل زوّجتني إتيانها يا أمير المؤمنين على هذا الصّداق المذكور؟ فقال المأمون: زوّجتك ابنتي أمّ الفضل على هذا الصّداق المذكور. فقال أبو جعفر: قبلت نكاحها على هذا الصّداق المذكور.

و يتَّهم المسعودي المعتصم بتحريض هذه الزوجة على قتل الإمام الجواد

ص: ٥٢٧

بالسَّم^{١٤٧٤}. و قد صَلَّى الوائق - و هو ولي العهد - على جثمان الإمام الجواد، و دفنه

ص: ٥٢٨

في الجانب الغربي من بغداد بمقابر قريش مع جدّه موسى بن جعفر، و قد خلفه في الإمامة ابنه الإمام عليّ الهادي سنة (٢١٩ هـ)، و كان صبيّا، ابن ست أو ثمانى سنوات . و بذلك كان صغير السنّ في عهد الوائق، ممّا لا يجعل له دورا في السّياسية أو نشاط الشّيعة و سيصبح الإمام الهادي موضع اضطهاد شديد من الخليفة المتوكل أول خلفاء العصر العبّاسيّ الثّاني الّذي يبدأ سنة (٢٣٢ هـ)^{١٤٧٥}.

^{١٤٧٤} (١) انظر، المسعودي، مروج الذهب: ٥٢ / ٤، يرى الدكتور حسن إبراهيم أنّ الخليفة المعتصم قد يكون قد أوعز إلى أمّ الفضل بنت المأمون بقتل زوجها الإمام محمّد الجواد بالسّم، و لكنّنا لم نجد في المصادر ما يؤيد ذلك الاتّهام. انظر، تأريخ الإسلام: ٧٠ / ١.

انظر، الفصول المهمّة في معرفة الأئمّة لابن الصّباغ المالكي: ٣٧٦ / ٢، بتحقيقنا، تأريخ بغداد: ٥٥ / ٣، الهداية الكبرى للخصيبي: ٢٢٠، إثبات الوصيّة للمسعودي: ٢٢٠، كفاية الطّالِب: ٣١٠، مطالب السّؤول: ٨٧، تذكرة الخواص: ٣٦٨، الصّواعق المحرقة: ٢٠٢.

انظر، الكليني، أصول الكافي: ٢٠٣، المجلسي، بحار الأنوار: ٧٨ / ٢٢.

ذكر الطّبري في دلائل الإمامة: ٢٠٩، و الحرّ العاملي في: إثبات الهداة: ١٩٧ / ٦ ح ٥٣، و تفسير العيّاشي: ٣٢٠ / ١، و المناقب لابن شهر آشوب: ٣٧٩ / ٤ في حديث طويل ... و كان سبب وفاته أنّ أمّ الفضل بنت المأمون ... انخرت عنه، و سمّته في عنب، و كان تسع عشرة حبة، و لما أكله بكت فقال: لم تبكين! ليضربنك الله بفقر لا يجبر، و بلاء لا يستر، فبليت بعلّة في اغمض المواضع أنفقت عليها جميع ما تملكه حتّى احتاجت إلى رفق النّاس.

و قيل: سمّته بمندبل يمسح به عند الملامسة، و لما أحسنّ به دعا بتلك الدّعوة فكانت تنكشف للطّبيب، فلا يفيد علاجه، حتّى مات.

لكن في تفسير العيّاشي: ٣١٩ / ١ ح ١٠٩ بلفظ «فأمر المعتصم في اليوم الرّابع فلانا من كتاب وزرائه بأن يدعو إلى منزله فدعا فأبى أن يجيبه ... فصار إليه فلمّا طعم منه أحسنّ بالسّم ... الخير».

و مثله في البحار: ٥٠ / ٧٥ ح ٧، و: ٧٩ / ١٩٠ ح ٣٣، و: ٨٥ / ١٢٨ ح ١، الوسائل: ١٨ / ٤٩٠ ح ٥، مدينة المعاجز: ٥٣٥، حلية الأبرار: ٢ / ٢١٧، إثبات الوصيّة للمسعودي: ٢٢٠، عيون المعجزات:

١٢٩، و كشف الغمّة: ٢ / ٣٤٥ و لكن بلفظ «قتل في زمن الوائق بالله» و هو اشتباه واضح و صوابه في زمن المعتصم.

و في المناقب: ٣ / ٤٨٧ بلفظ «قال ابن بابويه: سمّ المعتصم محمّد بن عليّ عليه السّلام». و في مروج الذهب للمسعودي: ٣ / ٤٦٤ بلفظ «قيل: إنّ أمّ الفضل بنت المأمون لما قدمت معه من المدينة إلى المعتصم سمّته». و في أئمّة الهدى: ١٣٥ بلفظ «... ثمّ أوعز المعتصم إلى أمّ الفضل فسقته سمّا و توفيّ منه». و في نزهة الجليس: ٢ / ٦٩ بلفظ «قيل: إنّ عليه السّلام مات مسموما، سمّته زوجته» و في نور الأبصار: ٣٣٠ بلفظ «يقال: إنّ أمّ الفضل بنت المأمون سمّته بأمر أبيها». و يحمل هذا القول على أنّ المأمون قد أوصى ابنته بذلك لأنّه من الثّابت تأريخيا أنّ المأمون مات قبل شهادة الإمام الجواد بثلاثين شهرا . و انظر، البحار: ٥ / ٨ ح ٨ - ١٠، و ١٥ ح ١٨، إحقاق الحقّ للقاضي الشّوشتری: ١٩ / ٥٨٦ و ٥٩٩ و ١٢ / ٤١٦ و ٤١٥.

أمّا في كتاب الإرشاد للمفيد: ٢ / ٢٩٥ بلفظ «و قيل: إنّ مضي مسموما و لم يثبت بذلك عندي خبر فاشهد به» و عنه في كشف الغمّة: ٢ / ٣٦١، و البحار: ٥٠ / ٢ ح ٥.

أقول: هذا عجيب منه؛ و هو أدري بما يقول و يقولون صلوات الله عليهم أجمعين: ما ممّا إلّا قتل أو مسموم».

سجن المعتصم الإمام الجواد عليه السّلام ثمّ أطلقه، و اتّفق الفضل مع بنت المأمون و زوجة الإمام الجواد على أن تدس له السّم ففعلت. و مات الإمام مسموما بسم المعتصم.

انظر، تأريخ بغداد: ٥٥ / ٣، الهداية الكبرى: ٢٢٠، إثبات الوصيّة للمسعودي: ٢٢٠، مروج الذهب: ٣ / ٤٦٤، كفاية الطّالِب: ٣١٠، مطالب السّؤول: ٨٧، تذكرة الخواص: ٣٦٨، الصّواعق المحرقة: ٢٠٢، ينابيع المودّة: ٤١٧، و: ٣ / ١٢٧ طبعة اسوة، منهاج السنّة: ١٢٧.

^{١٤٧٥} (١) انظر، أنوار الإسلام في علم الإمام (مخطوط): ٢ - ٣.

كانت صفات الواثق الشخصية الفاضلة تدفعه أيضا إلى اتباع سياسة تسامح مع العلويين . و قد شهدناه بالأمس يصلى على جثمان الإمام محمد الجواد و يهتم بدفنه . بل أن الواثق، حينما شعر بقرب منيته رفض أن يوصى بالخلافة لابنه فقال : «لا أتحمل أمركم حيّا و ميّتا»^{١٤٧٦}.

و أشار الإصفهاني إلى تسامح الواثق مع العلويين، فقال : «و كان آل أبي طالب مجتمعين بسر من رأى فى أيامه، تدور الأرزاق عليهم، حتّى تفرقوا أيام

ص: ٥٢٩

المتوكل»^{١٤٧٧}. كما قال صاحب المجدى فى أنساب الطالبين: «و لما ولّى - الواثق - الخلافة، أحسن إلى بنى عمّه الطالبين و برهم»^{١٤٧٨}.

ص: ٥٣١

خاتمة: عوامل استمرار جهاد الشيعة عبر العصور

و هكذا انسدل الستار على ثورات الشيعة فى الشرق الإسلامى فى العصر العباسى الأول (١٣٢ - ٢٣٢ هـ). و قد اتضح فى أبواب و فصول هذا البحث أثر هذه الثورات فى تأريخ ذلك العصر، فقد انتشر التشيع فى معظم الأمصار الإسلامية، و أصبحت الشيعة تمثّل جانبا كبيرا من المسلمين، و قوّة من أبرز القوى التى تشكّل التأريخ.

اختلفت حركات الشيعة طوال العصر العباسى الأول فى طوابعها و ظروفها و مدى فقها . و كانت هناك عدّة عوامل تؤثر فى أشكال هذه الثورات و مدى اتساعها، كما اختلفت عوامل إخفاق كلّ حركة . و يرجع هذا الخلاف إلى شخصية الزعيم العلوى، و إلى طبيعة و ظروف المكان الذى إنطلقت منه الحركة الشيعية، و إلى شخصية الخليفة العباسى الذى قامت الحركة فى عهده.

و لكن هذه الحركات الشيعية كلها تتفق فى أنّها قامت من أجل القضاء على الحكم العباسى . و نقل الخلافة إلى أبناء البيت العلوى، سواء أكانوا ينتسبون إلى فرع الحسن بن على أو فرع أخيه الحسين . و هذه الحركات كلها هى التطبيق العملى الإيجابى لآراء و تعاليم فرق الشيعة المختلفة، التى اتفقت فى جوهر آرائها، و اختلفت فى التفاصيل و فى التطبيق.

ص: ٥٣٢

و لم تكن نهاية أى حركة من هذه الحركات هى نهاية لحركات الشيعة، فالشيعة جماعة إسلامية كبرى لها مبادئها و تعاليمها الراسخة، و هناك كثير من أبناء البيت العلوى الذين يتطلعون إلى الخلافة، و يرون ضرورة استرداد الحق الشرعى للعلويين و الذى اغتصبه العباسيون . كما كان هناك ملايين من المسلمين قد اعتنقوا مذهب التشيع، و ينظرون إلى أئمتهم العلويين

^{١٤٧٦} (٢) انظر، كتاب التوابين لعبد الله بن قدامة: ١٩٤ .

^{١٤٧٧} (١) انظر، الإصفهاني، مقاتل الطالبين: ٥٧٨ .

^{١٤٧٨} (٢) انظر، المجدي فى أنساب الطالبين: ٢٧٥، مروج الذهب: ٣ / ٤٧٧ .

نظرة تقديس و تقدير، ممّا يدفعهم إلى الكفاح و النّضال و الإستشهاد من أجلهم . و لذا أصبحت حركات الشّيعه حلقات متّصلة تتنظم كلها فى سلسلة واحدة شهدها العصر العبّاسيّ الأوّل.

و يرجع استمرار حركات الشّيعه فى العصر العبّاسيّ، إلى عدّة أسباب منها:

تفرق الشّيعه إلى عدّة فرق، و انتشار هذه الفرق فى عدّة أمصار، حتّى إذا أخفقت حركة تقودها فرقة منها، حملت الفرق الأخرى بعد ذلك لواء حركة أخرى، و هكذا : و كان تعدّد فرق الشّيعه يمثّل خطرا على الدّولة العبّاسيّة، فكان على الخلفاء تتبع نشاط الشّيعه فى كثير من الأقطار.

و من عوامل استمرار حركات الشّيعه أيضا، لجوء الأئمّة العلويّين إلى التّقية و الكتمان^{١٤٧٩}، و إلى الدّعوة السّريّة، ممّا أتاح الفرصة لنمو الحركة الشّيعيّة و هى لا تزال فى المهد، بعيدة عن أيدي الخلفاء العبّاسيّين و ولائهم . و يرى (جويد تسيهر)^{١٤٨٠} أنّ عجز الشّيعى عن المجاهرة بعقيدته الحقيقية التّى يؤمن بها، كان

ص: ٥٣٣

مدرسة للسّخط الّذى يكتنّه الشّيعه لخصومهم الأقوياء، و هو سخط مبعثه عاطفة من الحقد و الثّورة.

و من هذه العوامل أيضا، حبّ المسلمين لآل البيت بصفة عامّة، و للبيت العلوى منهم بصفة خاصّة . فقد أصبح بيت على، فى نظر كافة المسلمين، مصدرا للعلم و الأدب . و قد انحسر العلم عن بيوت كثير من أبناء الصّحابة، و اتّبعا الدّنيا، أو انحسر العلم و الفقه كلّ فى كثير من الأقاليم عن العرب إلى الموالى . أمّا البيت العلوى، فلم يكن فيه منحدر لينحسر منه العلم أو يفيض^{١٤٨١} و أصبح البيت العلوى فى العصر العبّاسيّ الأوّل، أكبر مصادر النّور و العرفان، و خاصّة فى المدينة المنورة، فإنّه منذ مصرع أبى الشهداء الحسين فى كربلاء، انصرف آل البيت إلى العلم النّبوى يتدارسونّه، و فيهم ذكاء آباءهم، و هداية جدّهم، و الشّرف الهاشمى، و قد بعدوا أحيانا عن السياسة، لأنّهم ذاقوا مرارتها، و توارثوا ذلك الإتجاه العلمى، فورثوا الإمامة فيه^{١٤٨٢}.

و ورث الأئمّة علم النّبى و علم الأنبياء^{١٤٨٣}، و الإمام يتلقّى المعارف و الأحكام الإلهية عن طريق النّبى أو الإمام الّذى قبله، و إذا استجد شىء لا بدّ أن يعلمه عن طريق الإلهام بالقوّة القدسية، فالإمامة هى استمرار للنّبوة، و الدّليل الّذى يوجب إرسال الرّسل و بعث الأنبياء هو نفسه يوجب أيضا نصب الإمام بعد الرّسول^{١٤٨٤}.

و لا شكّ أنّ هذه العقيدة دفعت النّاس إلى الإلتفاف حول الأئمّة و الإنضمام إلى حركات الشّيعه، و جهاد الدّولة العبّاسيّة .

^{١٤٧٩} (١) قال الإمام جعفر الصّادق « التّقية دينى و دين آبائى »، و قال: « من لا تقية له لا دين له ». و قال المظفر عن التّقية: كانت التّقية شعارا لآل البيت عليهم السلام دفعا للضرر عنهم، و عن أتباعهم و حقنا لدمائهم، و استصلاحا لحال المسلمين، و جمعا لكلمتهم . و من المعلوم أنّ الإماميّة و أئمّتهم لا يقومون بضرر الخن فى جميع العهود فاضطروا إلى استعمال التّقية بمكائمه المخالفين لهم و ترك مظاهرتهم و ستر إعتقاداتهم عنهم، لما كان يعقب ذلك من الضرر فى الدّين و الدّنيا. انظر، عقائد الإماميّة: ٨٤.

^{١٤٨٠} (٢) انظر، العقيدة و الشّريعة فى الإسلام: ٢٠٢.

^{١٤٨١} (١) انظر، سيج الأهل، جعفر بن محمّد: ٤٧.

^{١٤٨٢} (٢) انظر، أبو زهرة، الإمام الصّادق: ٢٢.

^{١٤٨٣} (٣) انظر، الكليني، أصول الكافي: ٥٦ - ٥٨.

^{١٤٨٤} (٤) انظر، المظفر، عقائد الإماميّة: ٦٥ - ٦٦.

و من عوامل استمرار حركات الشيعة أيضا، فتح باب الاجتهاد، إذ لم يعيش الشيعة في قوقعة، بل اتجهوا إلى التطور و التطوير، و كان الاجتهاد هو سبيل ذلك، و لا بأس عندهم أن تنقسم الشيعة إلى فرق، و تجتهد كل فرقة. و هم يستندون في ذلك على آية النفر في سورة التوبة: **وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَ لِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**^{١٤٨٥}.

علّق أحد كتاب الشيعة الإمامية، على هذه الآية الكريمة فقال : «و ليس من المعقول أن يهمل القرآن أمرا مطابقا لناموس الفطرة، و لا سيما في أحكام الشريعة التي أريد لها الإستمرار و البقاء و مساى رة الزمن و متابعة تطور الأمم، و ما يستتبع ذلك من حوادث متجددة لا يمكن الإستظهار عليها و معرفة حكمها إلّا بعملية الاجتهاد»^{١٤٨٦}.

و من عوامل استمرار حركات الشيعة، ظهورها في أماكن متفرقة من العالم الإسلامي، و حاولت الحركات التكيف بالبيئات الجديدة، و التأقلم بظروفها و أحوال سكانها. فكانت حركة يحيى بن عبد الله تعبّر عن آلام و آمال الدّيلم^{١٤٨٧} كما كانت حركة إدريس بن عبد الله تتمشى مع أحوال البربر، و حضارتهم، و آلامهم^{١٤٨٨} كما كانت حركات الشيعة في الحجاز، تتمشى مع طبائع أهل الحجاز،

الذين شهدوا عصر صدر الإسلام، و دعت حركة الحسين بن عليّ إلى تحرير عبيد مكة^{١٤٨٩}.

و من هذه العوامل أيضا، مجاراة الشيعة لظروف العصر، و متابعتها الأحداث و اتّصالها بالفرق الأخرى من غير الشيعة، ممّا أدى إلى التطوير و تجديد الدّماء.

الفهارس الفنيّة العامّة

١- فهرس الآيات

٢- المصادر المخطوطات

٣- المصادر و المراجع العربية المطبوعة

^{١٤٨٥} (١) التوبة: ١٢٣.

^{١٤٨٦} (٢) الشيخ حسين معنوق: المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية: ٢٠.

^{١٤٨٧} (٣) كان الدّيلم يظلمون دائما إلى الثورة، فقال يحيى بن عبد الله أنّ الدّيلم معنا خرجت فطمعت أن تكون معي. انظر، ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٤٥٠.

^{١٤٨٨} (٤) كان البربر ساحطين على الحكم العبّاسي، فضلا عن سحقهم على العناصر العربية و تطلع البربر إلى - الإستقلال، و لم ينجح البربر في إستيعاب الحضارة العربية الإسلامية. انظر، ابن الأثير، الكامل في التّاريخ: ٦ / ٦٠ و ما بعدها، الإصفهاني، مقاتل الطّالبيين: ٣٩٠ و ما بعدها.

^{١٤٨٩} (١) نادى الحسين بن عليّ: «أبما عبد أتانا فهو حرّ». ابن جرير، تأريخ الطّبري: ٦ / ٤١٣.

٤- المصادر الافرنجية المترجمة إلى اللغة العربية

٥- المصادر الافرنجية

ص: ٥٣٩

فهرس الآيات

الآية / رقمها / الصفحة

البقرة

فَتَوَبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ / ٥٤ / ٣٤

قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا / ١٢٤ / ٢٦٦

آل عمران

فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ / ٦١ / ١١٥

يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ / ١٥٤ / ٢٦٠

وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ / ١٠٣ / ٢٦٤

المائدة

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ / ٣٣ - ٣٤ / ١٧٨

الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاتَّمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي / ٣ / ٢٤١

يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ / ٦٧ / ٢٦٣

ص: ٥٤٠

١٤٩٠

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ؛ ص ٥٤٠

الأَنْفَال

وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ / ٧٥ / ٩٨ و ١١٤

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ / ٤١ / ٩٤

التَّوْبَةِ

وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْ لَا نَفَرَ / ١٢٣ / ٥٣٤

يُونُسَ

أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمَّنْ لَا يَهْدِي / ٣٥ / ٢٦٦

هُود

أَحْكُمُ الْحَاكِمِينَ / ٤٥ / ١٣١

سَآوَىٰ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ / ٤٣ / ٢٦٤

الرَّعَدِ

الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنفُضُونَ الْمِيثَاقَ / ٢٠ - ٢١ / ٢١٥

يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ / ٣٩ / ١٢٦

الحَجَرِ

فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ / ٧٩ / ٢٦٦

ص: ٥٤١

النَّحْلِ

ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ / ١٢٥ / ١٦

طه

وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا / ١١٤ / ٢٧٨.

المؤمنون

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ / ١٦ / ٥٢

الفرقان

وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا / ٧٤ / ٢٦٦

الشعراء

وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ / ٢١٤ / ٩٤ و ٢٦٦

القصاص

وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينٍ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا / ١٥ / ٣٣

وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ / ٥ / ١٧٩ و ٣٠٠

طَسَمَ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ تَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَأٍ / ١ - ٦ / ١٧٩

وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ / ٤٨ / ٢٦٠

ص: ٥٤٢

الأحزاب

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ / ٤٠ / ٥٤ و ١٨٠

وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا / ٣٨ / ٢١٠

إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ / ٣٣ / ٩٤

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ / ٣٦ / ٢٦٠

الصافات

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ / ١٠٦ / ١٦٣

وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ / ٨٣ / ٣٣

الشورى

قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ / ٢٣ / ٩٤

محمد

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ / ٣١ / ١٢٦

الصف

إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُفَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا / ٤ / ٢٣٩ و ٤٣٦

ص: ٥٤٣

الحشر

مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ فَلِلَّهِ / ٧ / ٩٤

النازعات

فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ / ٢٤ / ١٧١

ص: ٥٤٥

المخطوطات

الإصفهاني: محمود بن أبي القاسم.

«تشييد القواعد في شرح تجريد العقائد» مخطوط بمكتبة الأزهر بالقاهرة تحت رقم «١٥٧٤٣».

ابن الجوزي: (ت ٦٥٤ هـ) شمس الدين بن المظفر بن فينو أوغلي، المعروف بسبط ابن الجوزي.

«مرآة الزمان في تأريخ الأعيان» مخطوط مصورة بدار الكتب المصرية تحت رقم «٥٥١» تأريخ.

ابن الديبع الشيباني: (ت ٩٤٤ هـ - ١٥٣٧ م) وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الشيباني الزبيدي الشافعي.

«قرة العيون في أخبار اليمن»، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم «٢٢٤» تأريخ.

«بغية المستفيد في أخبار زبيد»، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم «٤٥١٦» تأريخ.

الرازي: (ت ٦٠٦ هـ) فخر الدين.

«نهاية العقول في دارية الأصول»، مخطوط بدار الكتب المصرية في مجلدين تحت رقم «٧٤٨» توحيد.

ص: ٥٤٦

ابن عنبه الحسيني: (ت ٨٠٨ هـ) جمال الدين أحمد بن علي بن الحسين ابن مهنة المعروف بابن عنبه الحسيني.

«عمدة الطالب في أخبار ابن طالب»، مخطوط بدار الكتب المصرية.

عياض: (ت ٥٤٤ هـ) ابن موسى بن عياض.

«ترتيب المدارك و تقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك»، «مخطوط» بدار الكتب المصرية برقم «٩٦٧٣» تأريخ.

العيني: (ت ٨٥٥ هـ) بدر الدين أبو محمد بن محمود بن أحمد بن موسى العيني الحنفي.

«عقد الزمان في تأريخ أهل الزمان»، مخطوطة مصورة بدار الكتب المصرية برقم «١٥٨٤» تأريخ.

أبو جعفر القمي: (ت ٣٨١ هـ) محمد بن علي بن الحسين بن موسى بن بابويه القمي.

«عيون أخبار الرضا»، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم «٢٢١٢».

الكليني: (ت ٣٢٨ هـ - ٩٣٩ م) محمد بن يعقوب.

«الكافي في أصول الدين»، مخطوط بدار الكتب المصرية تحت رقم «٢١٢٢٦» ب. و الكتاب مطبوع أيضا في مجلدين في طهران سنة (١٨٨٩ م).

مؤلف مجهول:

«أنوار الإسلام في علم الإمام»، مخطوط بدار الكتاب المصرية تحت رقم «٢١٢٠٦» ب.

ابن ناصر الدين: (ت ٨٤٢ هـ) محمد بن أبي بكر عبد الله بن محمد بن أحمد القيس.

ص: ٥٤٧

«إتحاف المسالك برواة الموطأ عن الإمام مالك»، مخطوط بمكتبة الأزهر برقم «١٠٠٣» (مجاميع - مصطلح).

يحيى بن الحسين بن الإمام القاسم بن محمد بن علي: (ت ١١٠٠ هـ - ١٦٨٩ م).

«أنباء الزّمن في أخبار اليمن»، مخطوط بدار الكتب المصريّة تحت رقم «١٣٤٧». (نشر الدّكتور عبد الله ماضى الجزء الذى يضمّ تأريخ اليمن بين سنة (٢٨٠ هـ، ٣٢٠ هـ فى كتاب مطبوع فى برلين سنة ١٩٣٦ م).

«غاية الأمانى فى أخبار القطر اليمانى» المسمى عقيلة الدّمن المختصر من أنباء الزّمن فى أخبار اليمن، مخطوطة مصورة بمكتبة جامعة القاهرة، عن ميكروفيلم بمعهد مخطوطات جامعة الدّول العربيّة بالقاهرة . و قام الأستاذ الدّكتور سعيد عاشور بتحقيق و نشر الكتاب فى جزءين بالقاهرة سنة (١٩٦٨ م).

ص: ٥٤٩

المصادر و المراجع العربيّة المطبوعة

ابن الأثير: (٦٣٠ هـ - ١٢٣٨ م) علىّ بن أحمد بن أبى الكرم.

«الكامل فى التّاريخ فى التّاريخ»، (القاهرة ١٣٠٢ م).

«أسد الغابة فى معرفة الصّحابة». (طبعة المعارف ١٢٨٦ هـ).

أحمد أمين.

«ضحى الإسلام»، ٣ أجزاء، (القاهرة ١٩٥٦).

أحمد صبحى: الدّكتور.

«نظرية الإمامة لدى الشّيعّة الأثنى عشرية». (دار المعارف بالقاهرة).

أسد حيد.

«الإمام الصّادق و المذاهب الأربعة»، (طبعة دار النّشر الإسلامى، بکربلاء، بالعراق).

الاسفرايينى: أبو المظفر عماد الدّين.

«التّبصير فى الدّين»، (مطبعة الانوار بالقاهرة ١٩٤٠).

أحمد الشّرباصى: الدّكتور.

«الأنمّة الأربعة»، (طبعة دار الهلال بالقاهرة).

«التّصوف عند المستشرقين»، (سلسلة النّقافة الإسلاميّة بالقاهرة ١٣٨٠ هـ).

الاشعرى: أبو الحسن علىّ.

«مقالات الإسلاميين و اختلاف المصلين» تحقيق و تعليق محيى الدين عبد الحميد، جزاءن، (مطبعة النهضة بالقاهرة ١٣٧٣ هـ).

الإصفهاني: (٣٥٢ هـ - ٩٦٧ م) أبو الفرج.

«كتاب الأغاني» ٢١ جزاء (مطبعة التّفءم بالقاهرة (طبعة دى ساسى سنة ١٣٢٣ هـ).

«مقاتل الطّالبيين» (طبعة الحلبي بالقاهرة ١٩٤٩).

البير نصرى نادر: الدكتور.

«فلسفة المعتزلة»، جزاءن (طبعة بيروت).

ابن بابوية: (الإمام) القمى الصّدوق.

«من لا يحضره الفقيه» (طبعة إيران ١٩٠٨).

«كمال الدّين» (طبعة طهران ١٨٨٣).

«عيون أخبار الرّضا»، (طبعة إيران ١٩٥٨ م).

البروجردى: علىّ أصغر.

«نور الأنوار»، (طبعة طهران ١٣٢٨ هـ).

البغدادى: (٤٢٩ هـ - ١٠٣٧ م) أبو منصور عبد القادر بن طاهر بن محمّد.

«الفرق بين الفرق»، (القاهرة ١٣٦٧ هـ - ١٩٤٨ م).

البلاذرى: (٢٧٩ هـ - ٨٩٢ م) أحمد بن يحيى بن جابر.

«فتوح البلدان»، (مطبعة الموسوعات بالقاهرة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م).

«أنساب الأشراف»، الجزاءن الرّابع و الخامس (فلسطين ١٩٣٨).

البلخى: (٣٢٢ هـ - ٩٣٣ - ٩٣٤ م) أبو زيد بن سهل.

«كتاب البدء و التّاريخ» و ينسب إلى مطهر بن طاهر المقدسى ٦ أجزاء

ص: ٥٥١

(باريس ١٩٠٧ م).

البیرونی: (٤٤٠ هـ - ١٠٤٨ م) أبو الریحان محمد بن أحمد.

«الآثار الباقية من القرون الخالية»، (لنرج ١٩٢٣).

البیهقی: (٤٥٨ هـ).

«محاسن و المساویء» جزءان (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٦ م).

الجاحظ: (٢٥٥ هـ - ٨٦٩ م) أبو عثمان عمرو بن بحر.

«كتاب الحيوان»، (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٣٢٥ هـ - ١٩٠٧ م).

«كتاب التاج»، (المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٢٢ هـ - ١٩١٤ م).

«البيان و التبیین»، (مطبعة الفتوح بالقاهرة ١٣٣٢ هـ).

«رسائل الجاحظ»، ١١ رسالة (القاهرة ١٣٢٤ هـ).

«رسالة برأيه في معاوية و الأمويين» (مطبعة الخانجي بالقاهرة).

الجهشياری: (٣٣١ هـ) أبو عبد الله محمد بن عبدوس.

«كتاب الوزراء و الكتاب»، (مطبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ م). جورجی زيدان:

«تأريخ التمدن الإسلامي» (طبعة دار الهلال - الطبعة الثانية).

الجومرد: الدكتور عبد الجبار.

«داهية العرب أبو جعفر المنصور»، (طبعة بيروت ١٩٦٣).

«هارون الرشيد»، جزءان (طبعة بيروت ١٩٥٦).

حاجی خليفة: (١٠٦٧ هـ - ١٦٥٧ م) مصطفى كتاب شلبي.

«كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون»، (لييسك و لندن ١٨٣٥ -

ص: ٥٥٢

١٨٥٨ م).

ابن حجر العسقلاني: (٨٥٢ هـ - ١٤٤٩ م) شهاب الدين بن عليّ.

«الاصابة في تمييز الصحابة»، (القاهرة ١٩٢١).

ابن أبي الحديد: (٤٥٤ هـ - ١١١٣ م) الشريف الرضي محمد بن أبي أحمد الحسيني.

«شرح نهج البلاغة» عشرون جزءا (مطبعة الحلبي بالقاهرة).

ابن حزم: (٤٥٦ هـ - ١٥٦٤ م) أبو محمد عليّ بن أحمد.

«الفصل في الملل و الاهواء و النحل»، خمسة أجزاء، (المطبعة الأدبية بالقاهرة ١٣١٧ هـ).

حسن إبراهيم حسن: الدكتور.

«تأريخ الإسلام» الجزء الثاني (القاهرة ١٩٤٥).

«تأريخ الدولة الفاطمية»، (القاهرة، الطبعة الثانية).

«اليمن»، (سلسلة اخترنا لك، القاهرة).

حسن واعظ كشفى.

«جنات الخلود»، (طبعة إيران ٩١٠ هـ).

حسين بن فيض الهمداني اليعبري الحرازي، بالاشتراك مع الدكتور حسن سليمان.

«الصليحيون و الحركة الفاطمية في اليمن»، (القاهرة ١٩٥٥).

حسين معتوق:

«المرجعية الدينية العليا عند الشيعة الإمامية»، (بيروت ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م).

ص: ٥٥٣

الحلي: (ت ٦٧٦ هـ) أبو القاسم نجم الدين جعفر بن الحسن الحلبي.

«المختصر النافع في فقه الإمامية»، (طبعة ادارة الثقافة بوزارة الاوقاف المصرية).

الخضري: محمد.

«تأريخ الدولة العباسية»، (القاهرة ١٩١٦ م).

الخطيب البغدادي: (٤٦٣ هـ) الحافظ ابو بكر أحمد بن عليّ.

«تأريخ بغداد أو مدينة السلام»، ١٤ جزءا (القاهرة ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١ م).

ابن خلدون: (٨٠٨ هـ - ١٤٠٥ م) عبد الرحمن بن محمد.

«مقدمة ابن خلدون»، (المطبعة البهية المصرية، القاهرة).

«العبر و ديوان المبتدأ و الخبر» ٧ أجزاء (القاهرة ١٢٨٤ هـ).

ابن خلكان: (٦٨١ هـ ١٢٨١ م) شمس الدين أبو العباس أحمد بن إبراهيم بن أبي بكر الشافعي.

«وفيات الاعيان»، (طبعة مكتبة النهضة بالقاهرة ١٩٤٨).

دائرة المعارف الإسلامية.

دائرة معارف البستاني.

الدوري: الدكتور عبد العزيز.

«مقدمة في تأريخ صدر الإسلام»، (مطبعة المعارف، بغداد ١٩٤٩ م).

«العصر العباسي الأول»، (بغداد ١٩٤٢ م).

«الجذور التاريخية للشعبية»، (بيروت ١٩٦٢ م).

«النظم الإسلامية»، (بغداد، ١٩٥٠ م).

«العصور العباسية المتأخرة»، (مطبعة العاني، بغداد).

ص: ٥٥٤

الدينوري: (٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م) أحمد بن داود أبو حنيفة.

«الأخبار الطّوال»، (لیدن ١٨٨٨ م).

زكى مبارك: الدكتور.

«التّصوف الإسلامى»، (القاهرة، الطّبعة الأولى).

زكى محمّد حسن: الدكتور.

«دراسات فى الموازنة بين المؤرخين فى ديار الإسلام و المؤرخين الأوروبيين فى العصور الوسطى»، (بحث فى مجلة كلية الآداب و العلوم فى بغداد، الجزء الثّانى يونيو ١٩٥٧ م).

زهدي جار الله:

«المعتزلة»، (مطبعة مصر، القاهرة ١٩٤٧ م).

السّاعدي: (كاظم جواد).

«حياة الإمام زين العابدين»، (النّجف سق ١٣٧٤ هـ).

سيّدة اسماعيلي كاشف: الدكتورة.

«مصر فى عصر الولاية»، (سلسلة ألف كتاب بالقاهرة).

«مصادر التّاريخ الإسلامى و مناهج البحث فيه»، (القاهرة ١٩٦٠ م).

السّيوطى: (٩١١ هـ - ٦٠٥ م) عبد الرّحمن بن أبى بكر جمال الدّين.

«تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمّة ٩، (المطبعة التّجارية القاهرة ١٩٥٢ م).

الشّريف تاج الدّين.

«غاية الاختصار»، (القاهرة ١٣١٠ هـ).

شريف الدّين علىّ اليزدى:

ص: ٥٥٥

«ظفر نامه»، (كلكتا ١٨٨٧ هـ).

الشّريف الرّضى:

«خصائص أمير المؤمنين»، (النجف ١٣٤٩ هـ).

الشهرستاني: (٥٤٨ هـ - ١١٥٣ م) أبو الفتوح محمد بن عبد الكريم.

«الملل و النحل»، (القاهرة ١٣٤٨ هـ - ١٩٤٨ م).

الشيرازي:

«آثار العجم»، (طبعة إيران ١٣١٤ هـ).

ابن الصباغ: (٨٥٥ هـ).

«الفصول المهمة في معرفة أحوال الأئمة»، (مطبعة العدل، النجف ١٩٥٠ م).

ابن طباطبا: (٧٠١ هـ) محمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقي.

«المجدي في أنساب الطالبين: في الآداب السلطانية و الدول الإسلامية»، (مطبعة الموسوعات القاهرة ١٣١٧ هـ).

الطبري: (٣١٠ هـ - ١٩٢٢ م) أبو جعفر محمد بن جرير.

«تاريخ الامم و الملوك»، ٨ أجزاء (المطبعة التجارية بالقاهرة ١٩٤٩ م).

طه حسين: الدكتور.

«علي و بنوه»، (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٣ م).

«حديث الاربعاء»، (دار المعارف بالقاهرة).

الطوسي: (٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ - ١٠٦٨ م) محمد بن الحسين.

«فهرست كتب الشيعة»، (كلكتا ١٨٥٥ م).

«تهذيب الأحكام»، (إيران ١٨٩٩ م).

ص: ٥٥٦

«عدة الأصول»، (طهران ١٣١٧ هـ).

ابن طولون: شمس الدين.

«الشذرات الذهبية في الأئمة الاثني عشرية». تحقيق الدكتور صلاح المنجد (طبعة سنة ١٣٨٠ هـ).

ابن طيفور: (٢٨٠ هـ) ابو الفضل أحمد بن طاهر الكتاب.

«بغداد»، (طبعة مكتبة المثنى ببغداد ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م).

عارف تامر:

«القرامطة» (طبعة بيروت).

عبد الجواد الكلیدار: الدكتور.

«تأريخ كربلاء و حائر الحسين»، (مطبعة المعارف، بغداد ١٣٦٨ هـ).

عبد الحليم الجندي:

«الإمام أبو حنيفة»، (طبعة المجلس الاعلى للشؤون الإسلامية ١٩٦٨ م).

عبد الحميد العبادي:

«صور من التأريخ الإسلامى»، (مكتبة الآداب، الاسكندرية ١٩٦٨ م).

العاملی: «ت ١١٠٤ هـ» محمد بن الحسن الحر العاملی.

«وسائل الشيعة»، (الطبعة الأولى، القاهرة ١٣٧٧ هـ - ١٩٥٧ م).

«الفصول المهمة في أصول الأئمة»، (طبعة سنة ١٣٠٤ هـ).

العاملی: محمد حسين الزين.

«الشيعة في التاريخ»، (مطبعة العرفان، صيدا سنة ١٩٣٨ م).

ابن عبد ربیع: (٤٣٩ هـ) أبو عمر أحمد بن محمد.

«العقد الفريد»، (لجنة التأليف و الترجمة و النشر بالقاهرة ١٩٤٨ م).

ص: ٥٥٧

ابن العبری:

«تأريخ مختصر الدّول»، (المطبعة الكاتوليكية، بيروت ١٨٩٠ م).

ابن العربي: (٤٥٣ هـ) القاضي أبو بكر بن العربي.

«العواصم من القواصم»، (المطبعة السّلفية بالقاهرة ١٣٧١ هـ).

ابن عربي، محيي الدّين.

«الفتوحات المكيّة»، (القاهرة، الطّبعة الأولى).

عبد العزيز: جواهر كلام.

«الشّيعيّة الإماميّة»، (طبعة ١٩٢٩ م).

عبد العزيز سيّد الأهل.

«جعفر بن محمّد - الإمام جعفر الصّادق»، (طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلاميّة بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م).

ابن عساكر: (٥٧١ هـ) ابو القاسم عليّ بن الحسين.

«تهذيب التّأريخ الكبير»، (دمشق ١٣٣٢ هـ).

ابن عقيل: محمّد بن عقيل.

«تقوية الإمام برد تزكية ابن أبي سفيان»، (صيدا ١٣٤٣ هـ).

عليّ بن الحسين الهاشمي النّجفي.

«محمّد بن الحنفيّة»، (طبعة طهران ١٣٦٨ هـ).

عليّ حسيني الخربوطي: الدّكتور.

«تأريخ العراق في ظلّ الحكم الأموي»، (دار المعارف بالقاهرة ١٩٥٩ م).

«الدّولة العربيّة الإسلاميّة»، (طبعة الحلبي بالقاهرة).

«المختار الثّقفي»، (سلسلة اعلام العرب ١٩٦٣ م).

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ؛ ص ٥٥٨

«عبد الله بن الزبير»، (سلسلة أعلام العرب ١٩٦٤ م).

«المهدي العباسي»، (سلسلة أعلام العرب ١٩٦٨ م).

«١٠ ثورات في الإسلام»، (طبعة بيروت ١٩٦٨ م).

على سامي النشار: الدكتور.

«نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»، الجزء الثاني (دار المعارف، الطبعة الرابعة سنة ١٩٦٩ م).

على مصطفى الغرابي:

«تأريخ الفرق الإسلامية»، (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٤٨ م).

ابن العماد الحنبلي: (ت ٤٠٨٩ هـ) أبو الفلاح عبد الحى.

«شذرات الذهب في أخبار من ذهب»، (القاهرة ١٣٥٠ هـ).

عمارة اليمن: (ت ٥٦٩ هـ) أبو الحسن نجم الدين عمارة اليمنى الحكيمى.

«كتاب تأريخ اليمن»، تحقيق و تعليق الدكتور حسن سليمان محمود.

(مكتبة جامعة القاهرة).

العمرى: (٧٤٩ هـ) ابن فضل الله العمرى.

«مسالك الأبصار فى الممالك و الأمصار».

الغزالي: «٥٠٥ هـ - ١١١١ م) الإمام ابو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد.

«المنقذ من الضلال»، (دمشق ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٤ م).

«فيصل التفرقة بين الإسلام و الزندقة»، (القاهرة ١٣١٩ هـ - ١٩٠١ م).

«إحياء علوم الدين»، ٤ أجزاء (طبعة مكتبة الحسن التجارية بالقاهرة).

فخر الدين الرازي: (٦٠٦ هـ).

ص: ٥٥٩

«اعتقادات فرق المسلمين و المشركين»، (مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة ١٩٣٨).

أبو الفدا: (٧٣٢ هـ - ١٣٣١ م)، إسماعيل بن عليّ عماد الدين.

«المختصر في أخبار البشر»، (المطبعة الحسينية، القاهرة).

ابن قتيبة: (٢٧٦ هـ - ٨٨٩ م) أبو محمد عبد الله بن مسلم.

«الإمامة و السياسة»، جزءان (الطبعة الثانية القاهرة ١٣٢٥ هـ).

«المعارف»، (المطبعة الإسلامية، القاهرة ١٩٣٥ م).

«عيون الاخبار»، ٤ أجزاء (مطبعة دار الكتب المصرية ١٤٣٢ هـ - ١٩٢٠ م).

القرماني: أبو العباس أحمد بن يوسف الدمشقي.

«أخبار الدول و آثار الأول»، (بغداد ١٢٨٤ هـ).

القلقشندی: (٨٢١ هـ - ١٤١٨ م) أبو العباس أحمد.

«صبح الأعشى في صناعة الانشا»، (المطبعة الأميرية ١٣٢٣ هـ - ١٩١٤ م).

ابن كثير: (٧٧٤ هـ) عماد الدين أبو الفدا إسماعيل الدمشقي.

«البدایة و النّهاية»، (مطبعة السّعادة، القاهرة).

کرد عليّ: محمد.

«الإسلام و الحضارة العربيّة»، جزءان (مطبعة دار الكتاب المصرية سنة ١٣٥٤ هـ - ١٩٣٦ م).

الكندي: (ت ٣٥٠ هـ) أبو عمر يوسف بن محمد.

«الولاية و القضاة»، (طبعة بيروت ١٩٠٨ م).

الماوردي: (٤٥٠ هـ - ١٠٥٧ م) أبو الحسن عليّ محمّد بن حبيب البغدادي البصري.

ص: ٥٦٠

«الأحكام السلطانية»، (القاهرة ١٢٨٩ هـ).

المبرد: (٢٨٥ هـ) أبو العباس محمّد بن زيد.

«الكامل في التاريخ» جزءان (مطبعة السّعادة، القاهرة ١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م).

المجلسي: (٦٩٩ هـ) محمّد باقر.

«تذكرة الأئمة»، (طهران ١٩١٣ م).

«مشكاة الأنوار»، (تبريز ١٨٦٣ م).

«تحفة الزّائرين»، (طهران ١٨٥٧ م).

«حلية المتقين»، (إيران ١٨٥٩ م).

«الحقّ اليقين»، (طهران ١٨٢٥ م).

«حياة القلوب»، ٣ مجلدات (إيران ١٩٠٩ م).

«بحار الأنوار»، (طهران ١٩١٢ م).

مجهول:

«العيون و الحداثق في الاخبار و الحقائق»، (طبعة دي غويه، ليدن سنة ١٨٧٠ م).

أبو المحاسن: (٨٧٤ هـ) جمال الدين يوسف بن تغري يردى.

«النّجوم الزّاهرة في ملوك مصر و القاهرة»، (طبعة دار الكتب المصرية).

محسن الأمين الحسينى.

«أعيان الشّعبة» ٤ أجزاء (مطبعة ابن زيدون، دمشق ١٩٣٥ م).

محمّد أبو زهرة: الاستاذ الشّيخ.

«الإمام زيد»، (دار الفكر العربى بالقاهرة، الطبعة الأولى).

«أبو حنيفة»، (دار الفكر العربى بالقاهرة، الطبعة الثالثة ١٩٦٠ م).

ص: ٥٦١

«الإمام الصادق»، (دار الفكر العربى بالقاهرة، الطبعة الأولى).

«مالك»، (مكتبة الأنجلو بالقاهرة ١٩٤٦ م).

محمد تقى مستوفى كاشانى: (١٨٧٩ م).

«ناسخ التواريخ»، (طهران ١٨٩٧ م).

محمد جابر عبد العال الحينى: الدكتور.

«حركات الشيعة المتطرفين و أثرهم فى الحياة الإجتماعية و الأدبية لمدن العراق ابان العصر العباسى الأول»، (دار المعرفة بالقاهرة ١٩٦٧ م).

محمد جمال الدين سرور: الدكتور.

«الحياة السياسية فى الدولة العريية»، (دار الفكر العربى، القاهرة - ١٩٦٠ م).

«الحضارة الإسلامية فى الشرق»، (دار الفكر العربى، القاهرة).

محمد جواد مغنية:

«مع الشيعة الإمامية»، (بيروت الطبعة الثانية ١٩٥٦ م).

«الشيعة و الحاكمون»، (طبعة رابعة النشر الإسلامى، كربلاء، العراق).

«الشيعة و التشيع»، (طبعة رابعة النشر الإسلامى، كربلاء و العراق).

محمد الحسين آل كاشف الغطاء:

«أصل الشيعة و أصولها»، (طبعة رابعة النشر الإسلامى، كربلاء، العراق).

محمد عبد الغنى حسن:

«علم التاريخ عند العرب»، (سلسلة مع العرب ١٩٦٠ م).

محمد غلام: الدكتور.

«التنسيق الإسلامي»، (طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية).

المسعودي: (٣٤٦ هـ - ٩٥٦ م) أبو الحسن علي بن الحسين بن علي.

ص: ٥٦٢

«مروج الذهب و معادن الجواهر»، (مطبعة دار الرجاء بالقاهرة).

«التنبيه و الأشراف»، (مكتبة الشرق الإسلامي، القاهرة ١٩٣٨ م).

«اثبات الوصية للإمام علي»، (المطبعة الحيدرية بالنجف ١٩٥٥ م).

مسكويه:

«تجارب الأمم»، ٧ مجلدات (مطبعة التمدن بالقاهرة ١٩١٤ م).

مصطفى كامل الشيبى: الدكتور.

«الصلة بين التصوف و التشيع»، (دار المعارف بالقاهرة ١٩٦٩ م).

المظفر: محمد رضا.

«عقائد الإمامية»، (طبعة دار النشر الإسلامي، كربلاء، العراق).

المظفرى: محمد الحسين.

«تأريخ الشيعة»، (النجف ١٣٥٢ هـ).

«الصادق»، (النجف).

المقريزي: (٨٤٥ هـ - ١٤٤١ م)، تقى الدين أحمد بن علي.

«النزاع و التخاصم فيما بين بنى أمية و بنى هاشم»، (المطبعة الابراهيمية بالقاهرة).

«المواعظ و الاعتبار لذكر الخطط و الآثار»، (بولاق، القاهرة).

«تعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء»، الجزء الأول تحقيق المرحوم الدكتور جمال الدين الشيال (طبعة المجلس

الأعلى للشؤون الإسلامية ١٣٨٧ هـ - ١٩٦٧ م).

المكي:

«مناقب أبي حنيفة»، جزءان (طبعة إستانبول).

ص: ٥٦٣

الملطي: (٣٧٧ هـ) أبو حسين محمد بن أحمد بن عبد الرحمن.

«التنبية و الرد على أهل الأهواء و البدع»، (مكتبة نشر الثقافة الإسلامية القاهرة ١٣٦٩ هـ - ١٩٤٩ م). ١٤٩٢

١٨٢١١ جهاد الشيعة في العصر العباسي الاول ؛ ص ٥٦٣

موسى جار الله:

«الوشيعية في عقائد الشيعة»، (طبعة الخانجي بالقاهرة).

ابن النديم: (٣٨٣ هـ - ٩٩٣ م)، محمد بن إسحاق النديم البغدادي.

«الفهرست» جزءان (المطبعة الرجبانية، القاهرة ١٣٤٧ هـ).

ابن نشوان الحميري: (٥٧٣ هـ) أبو سعيد نشوان بن سعد.

«شرح رسالة الحور العين و تنبيه السامعين»، (مطبعة السعادة بالقاهرة ١٩٤٨ م).

النوبختي: (٢٠٢ هـ - ٨١٧ م) أبو محمد الحسن بن موسى.

«كتاب فرق الشيعة»، (إستانبول ١٩٣١).

هاشم معروف:

«عقيدة الشيعة الإمامية»، (بيروت ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٦ م).

ابن هشام: (٢١٨ هـ - ٨٣٣ م) أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافري الحميري.

«السيرة النبوية»، ٤ أجزاء (القاهرة ١٣٥٥ هـ - ١٩٣٦ م).

الهمداني: (ت ٣٣٤ هـ) أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني.

«صفة جزيرة العرب»، تحقيق مولر (ليدن ١٨٩١ م).

الواسعي اليماني: عبد الواسع بن يحيى الواسعي اليماني.

«تأريخ اليمن، المسى فرجة الهموم و الحزن فى حوادث و تأريخ اليمن.

ص: ٥٦٤

(القاهرة ١٩٤٧ م).

الويسى: حسين بن على الويسى.

«اليمن الكبرى»، الجزء الأول، (القاهرة ١٩٦٢ م).

ياقوت: (٦٢٦ هـ - ١٢٢٩ م) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى.

«معجم البلدان»، (مطبعة السعادة، القاهرة ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٦ م).

ابو يعلى: (ت ٤٥٨ هـ) محمد بن الحسن الفراء الحنبلى.

«الأحكام السلطانية»، (القاهرة ١٩٣٨ م).

اليقوبى: (٢٨٢ هـ - ٨٩٥ م) أحمد بن أبى يعقوب بن جعفر بن ذهب بن واضح.

«تأريخ اليعقوبى»، ٣ أجزاء (النّجف ١٣٥٨ هـ).

«كتب البلدان»، (ليدن ١٩٠٦ م).

أبو يوسف: (١٩٢ هـ - ٨٠٧ - ٨٠٨ م) يعقوب بن إبراهيم.

«كتاب الخراج»، (المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٠٢ هـ).

ص: ٥٦٥

المصادر الافرنجية المترجمة إلى اللغة العربية

أرنولد: توماس و.

«الدعوة إلى الإسلام»، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم و عبد المجيد عابدين و إسماعيل النحراوى، (طبعة مكتبة النهضة،

القاهرة ١٩٤٧ م).

«الخلافة»، ترجمة جميل معلى (طبعة دار اليقظة العربيّة ١٩٤٦ م).

وليرى: دى ساسى.

«الفكر العربى و مكانه فى التّاريخ»، ترجمة دكتور تمام حسان (وزارة التّفافه بالقاهرة).

بارتولد: ف.

«تأريخ الحضارة الإسلاميّة»، ترجمة حمزة طاهر (مطبعة المعارف بالقاهرة ١٩٤٢).

بروكلمان: كارل.

«تأريخ الشّعوب الإسلاميّة»، ترجمة نبيه أمين فارس و منير البلعكى، (بيروت ١٩٤٨).

جوزى: بندلى.

«من تأريخ الحركات الفكرية فى الإسلام»، (القدس ١٩٢٨).

جولد تسيهر: اجناس.

ص: ٥٦٦

«العقيدة و الشّريعة فى الإسلام»، ترجمة علىّ حسن عبد القادر و محمّد يوسف موسى و عبد العزيز عبد الحقّ، (الكاتب المصرى بالقاهرة ١٩٤٦ م).

حى: الدكتور فيليب.

«تأريخ العرب»، ترجمة مبروك نافع (القاهرة ١٩٥٣).

دوزى: ر. ب. أ.

«نظرات فى الإسلام»، ترجمة كامل كيلانى (طبعة الحلبي بالقاهرة ١٣٥١ هـ - ١٩٣٣ م).

ديمومبين: موريس غودفروا.

«النّظم الإسلاميّة»، ترجمة صالح الشّماع و فيصل السّامر. (مطبعة الزّهاء، بغداد ١٩٥٢).

روزنتان، فراهز.

«علم التّاريخ عند المسلمين»، ترجمة الدكتور صالح العلى (بغداد - ١٩٦٣ م).

ريسلىر: جاك س.

«الحضارة العربية»، ترجمة غنيم عبدون (الدار المصرية للتأليف و الترجمة القاهرة).

رونلدسون: دوايت م.

«عقيدة الشيعة» ترجمة ع. م. (مطبعة السعادة ١٩٤٦).

سيد أمير على.

«مختصر تاريخ العرب و التمدن الإسلامى» ترجمة رياض رأفت، (مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر بالقاهرة ١٩٣٨).

ص: ٥٦٧

فان فلوطن: ج.

«السيادة العربية و لا إسرائيليات فى عهد بنى أمية»، ترجمة الدكتور حسن إبراهيم و الشيخ محمد زكى إبراهيم (القاهرة ١٩٣٤ م).

فلهوزن:

«الدولة العربية» ترجمة الدكتور عبد الهادى أبو ريدة (طبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر بالقاهرة).

«الخوارج و الشيعة»، ترجمة الدكتور عبد الرحمن بدوى (مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة).

كريم: فون.

«الحضارة الإسلامية و مدى تأثيرها بالمؤثرات الاجنبية»، ترجمة الدكتور طه بدر (طبعة دار الفكر العربى، القاهرة).

كوك: ريجارد.

«بغداد مدينة السلام»، (بغداد، الطبعة الأولى).

لويس: برنارد.

«أصول الإسماعيلية» ترجمة خليل جلو و جاسم الرجب، (مكتبة المثنى ببغداد ١٩٣٨ م).

ص: ٥٦٩

المصادر الافرنجية

nodnoL(. sloV ۲, waL nadammahuM fo tsegiD A: elliaB ۱۹۶۶(.

sardaM(. malsI fo secruoS ehT (. C nhoJ. veR): rialaB ,۱۹۲۵(.

namlusuM eixodoretch' ۱ snad emsinaisseM eL.)E(: tehcolB

)siraP ,۱۹۰۳(.

nodnoL(. aistreP fo yrotsiH yraretiL (. A. G drawdE): enworB ,۱۹۰۹(.

)smamI ha'ihS evlewT eht ro, ayyirahsA anhtI: lleS nonaC.)۱۹۲۵, sardaM ,

sserP tuonogrA(. aistreP ni slevarT (nhoJ riS): nirbahC ۱۹۲۷(.

R. E yb detalsnarT, malsI ni yhposolihP fo yrotsih ehT). J. T(: reoB eD. (۱۹۰۳, .

nodnoL) scnoJ

nasaruohK otni yenruoj (. B semaJ): resarF)۱۸۲۵(.

nedieL(. setilezatoM seL ruS iassE: dnallaG ,۱۹۵۳(.

nodnoL(. erutaretiL cibara (. R. A. H): bbiG ,۱۹۲۶(.

drofxO(. malsI fo snoitidarT ehT (. W): emualliuG ,۱۹۲۴(.

kroY weN(. erutaretiL cibara fo yrotsiH A: trauH ,۱۹۰۳(.

aisreP ni scisyhpateM fo tnempoleveD ehT(.)dammahuM hkiahS): labqI

ص: ۵۷۰

)nodnoL ,۱۹۰۸(.

fo srosseccuS eht fo seviL eht fo yrotsiH A)notgnihsaW(: gnivrI. (۱۸۵۰, sirap),

demmahom

nodnoL(. erutarrtiL iliamsI ot ediuG A: wonavI ,۱۹۳۳(.

yb detaL snarT, shpilaC eht rednU tneirO ehT)noV derflA(: remerK. (١٩٢٠, attucLaC),
hcshsuB aduhK

htuoryeB, snoitutitsnI teo secnayorG, malsI'L (. J. S): semmaL. H ,١٩٢٦(.

htuoryeB, sdayyamO sed elceiS eL ruS sedutE ,١٩٣٦(.

emoR, temohaM ed selliF sel te emitaF ١٩١٢(.

nodnoL, euqsoM a ni seidutS (ylnatS): elooP- enaL ,١٨٩٣(.

(malsI ni efiL dna edutittA suoigileR ehT). B. D(: dlanodcaM. (١٩٠٩, ogacihC ,

kroY weN, hgoloehT milsuM fo tnempolevcD ,١٩٢٦(.

nodnoL, sloV ٢, aisreP fo yrotsiH (nhoJ riS): mlolaM ,١٨٢٩(.

(llaF dna enilceD, esiR stI, etahpilaC ehT)elpmeT mailliW(: riuM. (١٩٢٤, hgrubnidE ,

nodnoL, malsI fo scitsyM ehT (dlonyaR. A): noslohciN ,١٩١٤(.

egdirbmaC, scitsyM cimaisI ni seidutS ١٩١٢(.

nodnoL, sdarA eht fo yrotsiH yraretiL ,١٦٢٣(.

siraP, emsikiehC el ruS iassE (. M. L. A): salociN ١٩١٠(.

nide na, nodnoL, yrotsiH nretsaE morF sehctekS): ekdloN –

ص: ٥٧١

١٤٩٣

hgrub ١٨٩٢(.

nodnoL, snecaraS eht fo yrotsiH ehT (nomiS): ylkco ,١٨٤٧(.

nodnoL, dihsaR- lc nuoraH): remlaP ,١٨٨١(.

sloV Ƴ, niasuH dna nasaH fo yalP elcariM ehT ʝsiweL riS(ː ylleP

)nodnoL ,١٩٢٤(.

(ctahpilaC nretsaE eht fo sdnaL ehT ʝyaG(ː egnartS eL. (١٩٣٠, egdirbmaC ,

nodnoL(, sloV Ƴ, aisreP fo yrotsiH A (yereP): sekyS ,١٩١٢(.

egdirbmaC(, deerC milsuM ehT (ː j. A): kcnisneW ,١٩٢٣(.